

مذكرات أحمد حسين

رئيس مصر الفتاة

أحمد حسين



رئيس مجلس الإدارة

د. ناصر الأنصاري

رئيس التحرير

د. هيد العظيم رمضان

مدير التحرير

محمود الجزائر

هناء عمر

تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب



مذكرات أحمد حسين

رئيس مصر الفتاة

أحمد حسين



٢٠٠٧

حسين ، أحمد ، ١٩١١ - ١٩٨٢

مذكرات أحمد حسين رئيس مصر الفتاة/ أحمد
حسين - القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب،
٢٠٠٦.

٢٩٧ من : ٢٠ سم - (تاريخ المصريين)

تبعك ٢ ١٥٤ ٤١٩ ٩٧٧

١ - حسين ، أحمد ، ١٩١١ - ١٩٨٢ - المذكرات

٢ - السياسيون المصريون

(١) العنوان :

تقديم

يسرني ان أقدم للقارئ العزيز هذا الكتاب ، الذي يتضمن مذكرات أحمد حسين ، رئيس جماعة مصر الفتاة .

ويعد أحمد حسين زعيم الحركة الفاشية في مصر ، وقد لعب دورا مهما انطلاقا من هذا الانجسام في تاريخ الحركة الوطنية المصرية . ومن ثم فان الحكم عليه يجب أن ينطلق من هذا المفهوم .

وهذه المذكرات ليست هي المذكرات الأولى التي كتبها أحمد حسين ، فقد سبق له أن كتب عددا من الكتب التي تتضمن أطرافا من حياته ، وقد استندت إليها في اعداد رسالتي للماجستير والدكتوراه حول « تطور الحركة الوطنية في مصر » (أربعة أجزاء) في كتابة دوره الوطني في تاريخ مصر .

وكان أهم ما كتب أحمد حسين في هذا الصدد كتابه « إيماني » ، و « من وراء القضبان » ، وقصصه الثلاث « أزهار » ، و « احترقت القاهرة » ، و « الدكتور خالد » .

ثم الكتاب الذي بين أيدينا .

وقد رحبت بنشره حين عرضه على نجله السيد مجدى
أحمد حسين ، أملا في أن يضيء بعض جوانب الحركة الوطنية !

وعلى الرغم من أنى عشت معارضا لاتجاه أحمد حسين
الفاشى ، إلا أنى رحبت بنشره تمشيا مع الاتجاه الليبرالى الذى
اعتنقه ، ولانى آليت منذ توليت رئاسة تحرير سلسلة تاريخ
المصريين ، ألا أخضع هذه السلسلة لاتجاهاتى السياسية !
وإيماننا منى أن تاريخ مصر هو من حق الشعب المصرى ، وليس
حكرا على أى اتجاه !

والله الموفق ♡

أ. د. عبد العظيم رمضان

ذكريات الطفولة

حياة مواطن

يخطئ الناس عندما يتصورون ان العظماء وحدهم الذين يجب عليهم أن يكتبوا مذكراتهم ، ويخطئ الأفراد العاديون أنفسهم عندما يتصورون أن حياتهم ليست جديرة بالتسجيل ، أجل ان في كتابة حياة العظماء قدوة للناس وحافزا لهم .. ولكن في كتابة حياة الأفراد العاديين سلوى للملايين الناس ، الذين يظنون انهم ليسوا شيئا مذكورا في هذه الحياة وهم منها كل شيء ، انهم الحروف التي بدونها لا يتم طبع كتاب ، انهم اللبنة التي بغيرها لا يمكن أن يقوم بناء ، انهم الحياة بكل جلالها وروعها .

فعندما يكتب مواطن عادي تاريخ حياته .. فانه يكتب عن ملايين المواطنين ، وسيزي كل انسان نفسه في هذا الذي كتب فيشعر بالسعادة والطمأنينة ، لأنه يرى صورته في المرأة ، ويدرك أنه جزء من هذا الكون له خطره وله قيمته .

وعلى هذا الأساس رأيت أن امضى في كتابة هذه المذكرات .. مذكرات مواطن حريصا على أن يرى الناس فيها أنفسهم .. وأن اكتبها في صدق وفي غير تكلف .. واذا كان هذا هو طابعي واسلوبى في كل ما اكتب فاني ساكون حريصا على التزام ذلك

أكثر وأكثر في هذه المذكرات .. فرب خاطر يبدو لي سخيًا
فإذا كتب فإذا به يربح أعصاب مواطن آخر يعن له مثل هذا
الخاطر فيقسو على نفسه جاهلاً أنه خاطر يعن لكل الناس .

ورب تجربة قد يحجم الإنسان عن ذكرها قد تحل مشكلة
عند آخر .

ورب أمر يبدو لي تافها ولكنه يفسر مغلقا عند مواطن آخر .

واذن فلاكتب .. لاكتب كل شيء .. يتوارد على خاطري
من تاريخ حياتي البعيد .. فلاكتب ولاسترسل منطلقا من كل
القيود ليكون في ذلك حافز لكل مواطن آخر أن يكتب دون
خوف .. ودون خشية فإن حياة كل انسان عندما تعرض على
الناس فانها الانسانية كلها التي تعرض .

الثالثة التاريخية

على ان هناك فائدة محققة من كتابة مثل هذه المذكرات عن
حياة مواطن عاش حتى كتابة هذه السطور أكثر من أربعين
سنة .. ذلك انها ستحمل حتما بعض وقائع التاريخ وستنقل
الى جيل جديد وكل الأجيال المقبلة صورة من عصر مضى وانقضى
ولا سبيل لتصوره وادراكه الا من خلال أمثال هذه السير
سيرة أحد المواطنين .

ان علماء التاريخ قد يتصورون العصور بصورة علمية
بعد تحليل ودراسة واستجماع لكل الحوادث والظروف ..
ولكن هذه ستبقى في النهاية دراسة موضوعية علمية ليس فيها
روح الفن .. الفن الذي لا تستطيع أن تتلوقه الا من خلال

المذكرات الشخصية

انسان يحدثك عما يحسه هو وعما يتصوره هو وعما تنبض به مشاعره الخاصة بقطع النظر عن أى عنصر آخر .

فأنت في مثل هذه المذكرات ستدرك بعض الحقائق التاريخية كما استقرت في ذهن مواطن عاش في هذا العصر لا كما تصورها الكتب أو المقالات أو الدراسات .

ذاكرات من الطفولة

في ذهني صور صاحبتني منذ الطفولة المبكرة ولا تزال راسية في نفسي حتى الآن أستطيع أن أذكرها في جلاء ووضوح رغم تقادم السنين .

والحوادث المادية تحدد السن التي انطبعت فيها هذه الصور ، لقد ولدت في ٨ مارس سنة ١٩١١ وقامت الحرب العالمية الأولى في سبتمبر سنة ١٩١٤ ، فكان عمري عند قيام الحرب حوالي أربع سنوات ، وهذه الصورة العجيبة التي مازالت تختزنها ذاكرتي تتصل بموضوع الحرب ويبدو من تصرفي فيها أنني كنت ممعنا في الطفولة فلابد أنها كانت في السنة الأولى من الحرب أو الثانية عندما كان عمري يتراوح ما بين الرابعة والخامسة .

استيقظت ذات صباح من نومي وقد علمت فيما بعد أن يفتني كانت قبيل الفجر . فسمعت ما ملأني رعبا .. صوت قنابل تدوى ويعقبها صياح من نوع ما ، وغطيت رأسي بالحصاف من القزق ورحت أنصت فإذا صوت القنابل يدوي بصورة رهيبية يلاحظها هذا الصباح .. وبدا الأمر يأخذ صورة موسيقية بالنسبة لأذني وان كان ذلك لم يقلل من فزعي .

« طب إيد . . . » كان صوت القنبلة يدوي مكتوما
معدنا هذا الصوت « طب » ثم يعقبه الصباح . . . إيد . . . » .

وبدا يدعسني تشابه الصباح وأنه يسير على وتيرة
واحدة . ورحت أسأل نفسي كيف ساصبح هذه الصيحة عندما
يأتي دورنا وتنزل القنبلة على بيتنا ؟ وبعد قليل كنت أتمرن
على أحداث هذا الصوت الذي يعقب نزول القنابل . . ووجدتني
أرفع عقيبتي تحت اللحاف مقلدا الصباح الذي أسمعه
« إيد . . . » ويظهر أنني نمت بعد ذلك واستيقظت لأرى
الشمس مشرقة والبيت لم يهدم والحياة كما هي . . وقد عرفت
فيما بعد . . ولست أعرف متى عرفت فهي صور في رأسي كما
قلت لا ترتبط ببداية معينة ولا تتصل بنهاية . . . عرفت فيما
بعد أن هذا الذي كنت أسمعه لم يكن صوت قنابل ، وإنما
كانت امرأة تعجن وهذا الصوت « طب » لم يكن سوى صوت
عملية العجن عندما تغترف العاجنة بيديها غرفة من مخلوط
الدقيق والماء وترفعها في الهواء ثم تهوى بها على بقية المخلوط
فيحدث هذه الفرقة التي ترامت لأذني كأنها صوت قنبلة
« طب » . أما الصباح الذي كان يعقب هذا الصوت فلم يكن
الا ترجيع آذان الديكة عند الفجر ، وهكذا عانى الطفل من ويلات
الحرب في صورة كابوس ابتعته عجيب امرأة وصياح ديك . .
واني أتصور الآن أن هذا الحادث لا يمكن أن يكون قد وقع لي
الا بعد أن أغارت مناطيد « سبلان » على « مصر » وقلبت بعض
القنابل فأهلكت عددا كبيرا من سكان القاهرة . . لا بد أن يكون
الربيع والغرز قد عم البلاد . . ولا بد أنهم تحدثوا أمامي بما
وقع . . وهذه هي الصورة التي عانى منها الطفل أهوال ما سمع .

في حى طولون

وهذه الواقعة تجرنا إلى السؤال عن المكان الذى جرت فيه هذه الواقعة أو بالأحرى أين كنا نساكن ونقيم ولعلك قد أدركت من التعليق على الحادثة السابقة اننا كنا نقيم فى القاهرة ، ولعلك أدركت أيضا من عنوان هذه الفقرة اننا كنا نقيم فى حى طولون فوق قمة أحد تلال العاصمة بالقرب ، مما يسمى قلعة الكيش . أما الحارة التى كنا نقيم فيها فاسمها حارة الجمالة فى منطقة يطلق عليها « العمري » نسبة الى سيدى العمري أحد الأولياء فى هذه المنطقة . . وسأتكلم كثيرا عن طولون بطبيعة الحال وعن حارة الجمالة ولكن اسجل هنا أقدم الصور فى ذاكرتى تلك التى أحملها من طفولتى المبكرة .

تمساح

مازلت أذكر نفسى وأنا ارتجف بشدة اذ اجتاز هذا القسم من الحارة حيث يوجد منزل الشيخ ضيف ، والذى يوجد فوق بابہ تمساح كبير . لقد كبرت بعد ذلك وأدركت أن هذا التمساح ميت ولا ينبغي أن يخشاه الانسان ومع ذلك فلا زالت صورة قوية فى نفسى صورة الاضطراب والفرع ، وأنا اجتاز هذا القسم من الحارة ، ولا أستطيع أبدا اجتيازه الا عدوا أو وأنا مغمض العينين ولا أفتحها الا بعد أن أكون متأكدًا اننى خلفت البيت ورأى .

امكان حلما

صورة ثالثة لم تستطع الأيام أن تنزعها من ذاكرتى ولم أستطع أن أجزم فى الماضى ، ولا أستطيع أن أجزم الآن أولعت هذه الصورة فى الواقع أم انها كانت حلما ؟ غنى عن البيان

اننى فى طفولتى كنت على ثقة انها وقعت ولكن كلما كبرت فى السن راجعت لفسى وتصورت انها كانت حلما وليس عندى تاريخ أستطيع ان أحدد به عمري وقتذاك . . اليس من العجيب أن يحمل انسان حلما معه منذ ستوانه الأولى فى الحياة ليذكره وهو فى سن الأربعين بكل هذا الوضوح والتصاعقة ؟

كان فى بيتنا حجرة مما يسمونها (مسروقة) وكنا نضع فيها المخلفات (والكرايب) ، وفى ذات ليلة ساد البيت هرج ومرج فى الليل وتجمعنا كلنا ونزلنا الى هذه المسروقة ومازلت أذكر الصباح الكبير الذى كان يحمله أحد افراد العائلة ، وفتح باب المسروقة لنرى جالسا خلفه عفريت فى صورة انسان وكان يرتدى « طرطورا » عاليا وملابسه ذات ألوان مبهجة وكان يجلس دون حراك وينظر الينا فى عدوه ونحن ننظر اليه ولم أكن فى حالة رعب او فزع . وهذه هى الصورة التى لا تزال ذاكرتى تحتفظها .

أكان ذلك حلما وايته . . ام كان حقا واقعا بمعنى أن أخا لى وقد كان يحب المزاح قد لعب هذا الدور ليفزعنا أو ليفزعنى أنا بصفة خاصة . لست اعرف ما هى حقيقة الأمر . بطبيعة الحال عندما كبرت قليلا كنت أستوضح هذه النقطة فلم يكن أحد يوضحها لى بأكثر من أن هذا لم يحدث . . على أية حال فقد كانت هذه المسروقة كالتمساح المعلق على باب الشيخ ضيف ، كلاهما منطقة يصيبني بالخوف والهلع كلما مررت بهما ، فكنت اذا صعقت السلم أو هبطت منه لا أستطيع الا أن أعوده اذا ما اقتربت من المسروقة . . أما فى الليل فقد كان من المستحيل على ما أذكر أن أجسر على النزول منفردا لأمر امام هذه المسروقة . . فهل كان هذا الشعور نتيجة لهذا الحادث الذى حدثك عنه من رؤية عفريت فى صورة انسان فى هذه المسروقة ؟ . .

أم أن رؤية العفريت الأدمى فى الحلم جاءت نتيجة الخوف المستمر من هذه المسروقة تلك مسألة لا أستطيع الفصل فيها .

أخي الأكبر

وما زالت ذاكرتي تخترن صورا لا يمكن إلا أن تكون من طفولتي المبكرة ذلك أن الحوادث المادية تضمها في فترة قبل انقضاء الحرب العالمية الأولى لأنها ترتبط بأخ كبير لي مات قبل نهاية الحرب العالمية الأولى أي في سنة ١٩١٧ ، ولما كنت مولودا في سنة ١٩١١ ، كما قدمت فلابد أن هذه الصور في خلال السنوات الست من حياتي الأولى .

كان أخي هذا شابا يافعا جميل الطلعة ، أنيق الملبس ، ذكي الفؤاد ولست أذكر شيئا من جمال صورته ولا من أناقة ملبسه ولكن بعد أن كبرت في السن كنت أرى هذه الملابس وقد احتفظت والدتي بها في « دولاب » خاص تستعرضها كل يوم وتبكي ابنها الحبيب . وكانت أمي هي التي تحدثني عن جمال أخي الأكبر الراحل واسمه « محمد » والذي كان موظفا في وزارة الأوقاف . وكانت تعرض علي ملبسه وتعرضها علي الناس أجمعين لترميم مقدار أناقة أخي وتعرض عليهم صورته لترميم مقدار بهاء طلعتهم .. وحقا كانت الملابس في مثل هذا التسارع المبكر آية على أناقة لابسها ، فقد تألفت من بنطلونات من الصوف الأبيض وجاكيتات من الصوف الكحلي أو البني ، وبدل من « الجبردين » ، وبدل أخرى من الحرير ، وفي مثل هذا الوقت المبكر أي منذ أربعين سنة تقريبا فإن ارتداء شاب من عائلة صغيرة لمثل هذه الملابس يحمل في طياته من غير شك دلالة كبيرة . وكل معلوماتي عن هذا الأخ الكبير إنما تلقيتها عن والدتي التي كانت تنسب حظها العاثر كلما وقع نظرها علي ، ولم يكن لها من قول تردده إلا أنها كانت علي استعداد أن تضحي بي وبعشرة مثلي ويبقى لها ابنها الحبيب « محمد » كانت تنظر لي ولشقيقتي

الاخرين مصطفى وعبد الفتاح ، وتبدي دعشتها في أن ثلاثنا نعيش ونحيا ويذهب هو .. مع أنها كانت تؤثر لو ذهبنا نحن الثلاثة وبقي هو .. ولم يكن ذلك مظهر قسوة من والدي يرحمها الله ، ولكنه كان يظهر احساسا عميقا بهول مصيبتها في ابنها الذي كانت تمتاز به وتفخر على العالمين كان يأخذ بلبها بطبيعة الحال أن ترى حارة الجمالة كلها وقلوب عذارها تخفق لرؤية محمد أفندي وهو يخرج وهو يدخل .. كانت أمي تجد السعادة كلها عندما ترى الهمس من خلف (شيش) الشبابيك ! يتزايد حتى ينقلب الي ضجيج كلما دخل ابنها أو خرج .

كانت كل فتيات الحارة يحلمن بأن يصبحن عروسا لمحمد أفندي ابن الأفندي .. ولكن هيهات .. فلم يكن في حارة الجمالة من يليق بسيد المرسان ، ان أمه (الست أم الأفندي) لا ترضى بعروس لابنها الا من أولاد الذوات .. لا بد من ابنة « بك » على الأقل فهي وحدها التي تليق بمحمد ، ولقد خطبت له بالفعل ابنة بك لا أعرف اذا كان « بك » حقيقيا أم لا ولكن في ذلك الوقت البعيد لم تكن كلمة « بك » تستعمل كاستعمالها في الوقت الحاضر .. فلا بد أنه كان « بك » بالفعل ، ومازلت احفظ حتى الآن أن اسمه كان صادق بك ولقد كانت مسعادة أمي عظيمة عندما وافقوا على الزواج رغم أن والد العريس « أفندي » .

وكتب الكتاب بالفعل وقدمت الشبكة ودفع المهر وحدد الوقت لحطة الزفاف .. وفيه تنتظر والدي حطة الزفاف بفارغ الصبر لتفرح بابنها الجميل اذا بالموت يختطفه من بين يديها فيمرض بالتيفود ، ثم يموت في صيف أحد الأعوام السابقة على نهاية الحرب في مدينة الاسكندرية ، حيث كان والدي يذهب اليها

كل عام باعتباره موظفاً في ديوان السلطان في معية السلطان ..
 مات أخى في هذه الظروف التي سقتها اليك . ونستطيع أن نقدر
 فجيعة أمى فيه .. لقد كان يمكن أن تجن المسكينة من الحزن
 لولا ايمان عميق بالله . رأيت مظاهره بعد أن كبرت من خلال
 احاديثها التي كانت تعترز فيها بهذا الايمان .. فهي لم (تصوت
 عليه) ولم تظلم خدودها ولم تقطع ثيابها . ولم تصطبغ « بالنيلة »
 ولكنها كانت تبكى وتهتف « صبرنى يارب » « صبرنى يارب »
 كانت تقول لى أمى وكلما وجدت النار توشك أن تشتعل فى
 صدرى رحت أضرب على ركبتي حتى لا أظلم على خدودى .. ولقد
 عاشت أمى بعد وفاة أخى عشر سنوات لا أظن أنه رات لها
 فيها دمة ، أو انقطعت عن ذكره طوال هذه العشر سنوات .
 كانت تبكى كلما صلت وكانت تصلى كثيراً جدا . وتقول :
 انها تسدد ما عليها من حساب ، فهي لم تبدأ الصلاة الا فى سن
 الخامسة عشر .. اذن فقد فاتتها الصلاة ثمانى سنوات اذ كانت
 يجب ان تصلى منذ السابعة (هكذا قالوا لها) ، فعليها اذن أن
 تعيد هذه الصلوات كلها مضافة الى السنن والنوافل ولذلك
 كانت تستغرق كل يوم ساعات فى الصلاة .. وما رايها الا دامة
 العينين باكية .. وان كان ذلك قد خف كثيرا فى السنوات الأخيرة
 من حياتها ولكنه لم ينقطع أبدا . ولم تكف حتى بعد أن كبرت
 عن أن تقارن بينى وبين هذا الأخ الراحل . وكيف اننى لا أساوى
 « بصلة » بالنسبة اليه ، وتزوج تعدد محاسنه التى لا تنتهى
 وتعدد مظاهره طاعته لأبيه التى لم تكن نظهر مثلها .. كانت
 تحدثنى كيف ان اباها يظلمه على وجهه ، وهو موظف فى الحكومة
 فلا يزيد على أن يقبل يد أبيه مستغفرا .. فأين هذا مما نظهره
 نحن من تمرد على ارادة والدى .. كان يقترى لها روايات
 (اللص الشريف سنكلر) ويظالمها كلها فقد كان يقضى كل
 سهراته معها يظالم لها فى هذه الروايات ويظالم لها فى مناسبات

أخرى في كتب الدين ويفقهها في الصلاة ، وقد حزني ذلك يوما
ما علي أن اشتري كتابا في وصف الجنة والنار لأتلوه عليها
محاولا استرضاءها .. ومازالت مذكرتي تحمل صورتي وأنا
جالس على الحصيرة أتلو على والدتي وصف النار ليقشعر بدنها ..
واتلو لها وصف الجنة فيتهلل وجهها بشرا !

القدر

علي أن الحادث الذي كانت والدتي تقصه علي في معرض
النجع علي أخي الراحل أكثر من غيره .. وكلما امتد العمر بنا
سويا كانت تكثر من ذكره : هو انتي كنت مريضا إبان مرض
أخي الأكبر بنفس الحمى .. وفي رأسي صورتي وأنا راقد في
حجرة خالية من الأثاث .. ثم يأتي أقوام فيأخذونني من الحجرة
وعند هذا القدر تنتهي الصورة .

نقول أمي لقد طلب أن يراك محمد وقد استفاق من غيبوبته
فقد كان يحبك .. وتنهجر الدموع من عينيها وتستمرعل قائلة
كان يراني دائما الي جوارك فيقول : وابن أحمد فأقول له في
الحجرة الثانية فيقول اذهب واجلسي معه واهتمي به فان أحمد
خسارة .. فكانت ترد عليه (يروح يا أخويا أحمد في سبتين
داوية وانت تخف) ، فيقول لها حرام يا نينة تقولي كده أحمد
خسارة قومي القعدى جنبه . وتجهش أمي بالبكاء وتقول ..
« ثم مات النافع .. مات الفالح .. وبقي الشقي يا ليتكم مع
جميعا وبقي هو » ..

هذا هو الشقيق الأكبر الذي احتل الجانب الأكبر من
تكيف طفولتي علي ما يظهر فاني مازلت أحفظ حتى الآن صورا

مضيئة في ذاكرتي وبالبحث عن ملابس هذه الصور أراها كلها ترتبط به .. فأنا أرى نفسي في مكان بعيد عن مصر ، عرفت بعد أن كبرت أنه كان مدينة بنها التي نقل أخى ليعمل موظفا بها . وقد اصطحبني معه لأقيم معه بضعة أيام .

فقد كان لا يحتمل فراقى .. وأرى نفسي محل رعاية بعض الناس أو بالأحرى بعض السيدات والفتيات ، ويظهر لى أنه كان يتركنى في بيوت بعض زملائه الموظفين ولهم أخوات أو بنات وكلهن يطمعن في زواج « محمد أفندي » فكان يدلن أشاء الصغير ويفرنه بالمطف والحسان والحلوى والشيكولاته عشاء يكون سفير خير عند أخيه .

يا فتى العصر

ولى صورة أخرى أرى نفسي مرتديا بدلة بحار ، وانسان ما يحملنى ليوقفتى على كرسى ويطلب منى أن أخطب . والغلب ظنى أن هذا الانسان كان أخى الذى كان يصحبنى معه في كل مكان .. وما زالت صورة البيت الذى كنت أتردد عليه أكثر من مرة في مخيلتى .. ولقد اعتدت أن أمر عليه بعد أن كبرت .. أنه بيت في « الصليبة » له باب حديدي .. وقد حدث أن قابلنى بعد أن كبرت بعض سكان هذا البيت وحاول أن يذكرونى بأيام الطفولة .. أيام أن كان أخى الكبير يأخذنى معه الى هناك ويطلب منى أن أقول الخطبة التى علمنى اياها .. ولقد قالوا لى انها خطبة كان عنوانها « يا فتى العصر » وكانت تدور حول التنديد بفتى العصر الذى فقد معالم الرجولة ، وأصبح يميل الى

التخنت وتزجيج الحجاب . والبطالة والكسل . وليس في ذاكرتي شيء من هذه الخطبة .. ولكن الصورة لانزال ناصعة .. صورتى وأنا أحمل فوق الكرسي لو المائدة لأقول شيئاً والناس من حولي مرعدة معجبة .

رسالات كثيرة

على أن الصورة المطبوعة في نفسي من هذا العهد البعيد .. صورة والذى يوم جنازة أخى .. وكنا في الإسكندرية وكان والذى يبدو كاسف البéal ، ولكنه متمالك الأعصاب .. ويحمل في يده عديداً من الريالات الفضية يتفق منها على مصاريف الجنازة .. وقد استوقفتنى منظر هذه الريالات اللامعة ، لانزال عالققة في ذاكرتي .. ولقد علمت بعد أن كبرت اننى كنت دائم الاشارة الى هذا المنظر ، فحدثتنى والدتى انه استندان في هذا اليوم تقوداً من موظف كبير كان يبرء ويوده وهو المرحوم محمود بك من رجال المعية ، فأسعفه في ذلك اليوم بما كان لديه من المال وكان على صورة هذه الريالات الفضية .

صور من الإسكندرية

ولا يزال للإسكندرية ورحلاتى اليها مع والدى أيام الطفولة بعض صور لانزال عالققة برأسى حتى الآن ، لأنها لم تبارحها أبداً .. صورتى وقد أرسلت على ما أذكر لأشترى قطعة من الجين « الرومى » من أحد البقالين .. وأثناء عودتى الى المنزل وقفت في منعطف من الطريق وفتحت ورقة الجبنة الرومى وأخذت قطعة فأكلتها .. وهانذا بعد حوالى أربعين سنة من هذا التاريخ لا أزال أحس طعم هذه الجبنة على لسانى ولست أذكر اننى تذوقت طول حياتى جبنة رومية تصل الى طعم هذه المرة .

من فوق سراى رأس التين

وصورة اخرى أرى نفسى فيها على سطوح سراى رأس التين ، حيث كان يعمل والدى وقد راحوا يروننى المناظر المبكرة الموجودة فوق السطوح ورحت انظر فيها الى المراكب الداخلة الى الميناء من عرض البحر .

حول الترسة

والصورة الأخيرة التى لاتزال عالقة برأسى هى صورة تجمع الناس بالقرب من شاطئ البحر حول ترسة اصطادوها . وقد فاتنى أن أقول لك اننا كنا نسكن دائما فى حى الأنفوشى ليكون والدى قريبا من محل عمله فى السراى .

هذه هى الصورة التى مازلت أحملها من طفولتى المبكرة عن الاسكندرية ، ويجب أن تكون كل هذه الصور فى حديث عن الأعوام السابقة على تولى السلطان أحمد السلطنة ، لأنه بمجرد ان مات السلطان حسين وعين بدله السلطان فؤاد كف عن أن يأخذ أبى فى معيته الى الاسكندرية ، بل انهم نقلوه بعد ذلك الى وزارة المالية ، وتوقفنا عن الذهاب الى الاسكندرية فهى كلها من الطفولة المبكرة ، وقبل أن أبلغ السابعة بل السادسة على الأرجح .

والى هنا تنتهى الصورة المعلقة فى ذهنى والتى لا استطع أن أربطها بحوادث متسقة ، وهناك صورة معاصرة لها لاتزال فى ذهنى ولكنها أكثر الساقا واتصالا بما بعدها ، فانها ترتبط بالحوادث والأشخاص والأماكن التى درجت فيها ، ولذلك فاتنى

استطيع أن اذكرها بشيء من التسلسل والمنطق أكثر من هذه الصور المتقطعة .

الكتاب

فلا يزال في ذاكرتي منظر الكتاب الذي كنت اذهب اليه وأنا طفل صغير جدا من غير شك أي قبل الخامسة ، فلا بد أن يكون ذهابي الي الكتاب في وقت مبكر جدا فلازلت أذكر المدرسة الأولى التي انتقلت اليها بعد الكتاب .. وكيف انتقلت بعد ذلك الي مدرسة البهية البرهانية التابعة للجمعية الخيرية الاسلامية بسنة تحضيري ، وكان عمري يقل عن ست سنوات فلا بد أن كان ذهابي الي الكتاب ما بين الرابعة والخامسة . ولا تزال من ذكريات الكتاب في رأسي روائحه .. ورائحة الحبر في الحابر ، وهي مليئة بقطع من القماش ونحن نعط القلم ونضغط على القماش المبلل بالحبر لنستطيع أن نكتب .. لا تزال هذه الرائحة في ذاكرتي .. وكان في مدخل الكتاب رجل او امرأة لا أذكر يبيدان الطعام للأولاد ، ماء اللفت في طبق صغير فنغمس هذا الماء بالخيز أو بالأحرى نفتت فيه الخيز فيصبح له طعم جميل جدا لا يزال عالقا بذاكرتي وما زال منظر الفلقة وأحد الأولاد يمدونه ليضربه سيدنا .. لا يزال هذا المنظر مرسوما في الذاكرة . ولكني لا أذكر أن هذه الفلقة استعملت معي أبدا .. ولعل ذلك انما كان يرجع لأنني ابن الأفندي .. الأفندي الكبير الموظف في ديوان السلطان .. وبعد ذلك في الحكومة وما زالت صورة اللوح الصفوح حيث كنا نكتب عليه بالقلم البسط آيات من القرآن لنحفظها عالقة بذاكرتي .. ولا تزال ذكرى غامضة عالقة بذاكرتي . ان هناك بعض الاشكالات كانت تدور حول خطي وأنه ليس حسنا .. وانني لم أكن من صبيان الكتاب المتأزين ، ولم أكن من الخائين كذلك .

وكنت أحبل كل أسبوع قرشاً صاغاً للعرىف ، وهذا هو كل ما أذكره عن أيام الكتاب .

في حارة الجمالة

ولنتحدث الآن عن حارة الجمالة حيث ولدت ودرجت ونشأت وترعرعت وحيث لا يزال كل ما يتصل بها عالماً بذهني واضحاً كل الوضوح ، ذلك انه ظل متسلسلاً مستمراً على الزمن بعد أن كبرت . لا تزال الحارة هناك في حي طولون .. في منطقة منه تسمى منطقة « العمري » ولا تزال حارة الجمالة تحبل هذا الاسم على لوحة مصلحة التنظيم الزرقاء . التي كانت موجودة هناك منذ فلك الأمد البعيد ، ولعل هذا يصور لك أهمية الحارة . والحارة مسدودة في نهايتها بحوش « الجمالة » ، ولكن فتحة تنفرع منها قبيل بيتنا كانت تقودنا الى الجبل .. الى جبل طولون وقلعة الكباش ومنذ طفولتنا وفي هذه الحارة ثلاثة أماكن بارزة بيت الشيخ ضيف الذي سبقت الإشارة اليه والذي يحمل فوق شراعة بابه تمساحاً محنطاً .. والبيت الثاني هو بيت الأفتدى ، والمؤسسة الثالثة في هذه الحارة التي يشار اليها بالبنان هي حوش الجمالة في نهاية الحارة .

الشيخ ضيف

فأما بيت الشيخ ضيف فبيت كبير متسع كان يفوق بيتنا من حيث الاتساع والفضخامة ، ومن حيث الأهمية والشهرة .. فقد كان الشيخ ضيف شيخ طريفة كما قدمت .. وكانت الحارة أو بالأحرى سكانها يراقبون في حسد وشعور مستمر بالحرمات

مصيل الهدايا الذي كان لا ينقطع عن هذا البيت .. وليس لهذه الهدايا والعربات المحملة صورة في رأسى ولكن أحاديث والدتى عنها لاتزال ترن في أذنى ، فقد كانت كل الأسرة تتحدث عنها فيعدون أفضصة الفراخ التي وصلت أو الديوك الرومي أو الخراف أو القمح أو الزيد أو أنواع الفواكه .. كل ذلك يتقاطر من أنحاء القطر لشيخ الطريقة .. ولم تشهد شيخ الطريقة الكبير ولكنى مازلت أحفظ صورة شيخ الطريقة الصغير الشيخ ضيف الصغير .

والصورة التي تحفظها ذاكرتى هي صورة شيخ (مقلوط) وأعنى (بالمقلوط) انه من هؤلاء الذين يسبكون عماتهم ويهتمون بقيافتهم .. ويحبون الحرير والألوان المبهجة . وكان بيت الشيخ ضيف في ثلث الحارة الأول حيث يتصل بشارع العمري .. وكان بيتنا يأتى في الثلث الأخير من الحارة .. وكان مشهورا بأنه بيت الأفندى . وأحسب أن الساعة قد حانت لتحدث قليلا عن هذا الأفندى الذي هو والدى .

الأفندى

ولد الأفندى في بلدة كفر البطيخ من أعمال مركز دعياط .. وسمى « محمودا » وكان اسم أبيه حسينا واسم جده محمدا واسم جده الأكبر ذهب . ولقد قص على والدتى فيما بعد أن مسقط رأس الأسرة كان في الصعيد ، وفرض عليهم أن يأخذوا أرضا فهربوا من الصعيد واتجهوا نحو الشمال لينجوا بأنفسهم من أن تكون لهم أرض وما يتبعها من تكاليف والتزامات .. واستقر بهم الحال في كفر البطيخ ، وكانوا يشتغلون بتجارة المواشى . وكان حسين والد أبى هو أول من اشتغل كاتبا في بعض التفاتيش وليس يحضرنى اسم التفاتيش .

وولد له أبى ، ومن حديث أبى عن تأريخ حياته مسائل تستوقف النظر من حيث نضجه المبكر .. فعندما بلغ الثامنة من حياته لم يكن يعرف القراءة والكتابة فحسب ، بل انه أنشأ كتابا كان يعلم فيه الناس ممن هم أكبر منه سنا ، وكان يتقاضى - كذى عريف - أجرا على تعليمه .

وكان الكبر قد أصاب أباه في عينيه فلم يعد يحسن الاضطلاع بعمله ، فكان أبى الذى لم يزل صبيا يقوم بعمله خير قيام ورضى رؤساء أبيه عن عمله . فأبقوا الشيخ في منصبه مادام ابنه يؤدي عمله .. وفي يوم من الأيام جاء مفتش يزور التفتيش فطلب مقابلة كاتب الحسابات فجاءوه بأبى الذى كان لا يتجاوز المشر سنوات على ما أذكر .. وذهل المفتش أن يكون ذلك كاتب الحسابات وبأن الغضب على وجهه فأفهموه القصة .. ونصها : مرض الكاتب الأصلي بعينيه وأن ابنه يقوم بعمله .. فقال لهم وكيف يستطيع ذلك الصغير أن يقوم بالعمل ؟ ! .. فأجابه سترى انه يحذق عمله .. وبدأ المفتش يسأل الصبي عن حسابات التفتيش والصبي يرد بوجه يثير الدهشة .. وبدأ الاطلاع على الدفاتر فكانت لا تقل احكاما عن الاجابات السوفوية .. ورضى المفتش وابتهج بهذا الصبي الصغير ..

ابن الحادية عشرة يزيد دخل الأسرة

وكان هذا الحادث العارض بدء انقلاب في حياة الأسرة . فقد ازداد الصبي ثقة بنفسه وشعورا بكيانه ، وتطلعت نفسه لاستغلال شخصيته فانتهم فرصة خلو وظيفة كاتب حسابات في احد فروع هذا التفتيش وذهب بنفسه ليقابل المفتش الذى سبق له أن امتحنه وأعجب به ، وطلب أن يشغل هذه الوظيفة

الخالية .. قال له المفتش : وماذا تفعل بأبيك الذي لن يستطيع العمل ؟ فأجاب محمود : ان أبي يستطيع أن يزاول العمل بنفسه ، فإذا لم يستطع فإن من حقه أن يستريح وساحتم له المرتب الذي أحصل عليه ، وأجرى امتحان للصبى الذي لا أظن أنه كان يزيد على أحد عشر عاما فى ذلك الوقت، ونجح فى الامتحان وتلقى الوظيفة ذات المرتب الضخم ، فقد كان لا يقل عن « مائتى قرش » ومالتا قرش فى ذلك الوقت أى من ستين عاما كانت شيئا مذكورا « ستون عاما وقت كتابة المذكرات عام ١٩٥١ أى اكثر من مائة سنة اليوم » .

وقد غضب أبوه بطبيعة الحال لهذا التصرف .. فقد بدا يشقى فى عمله وينكسف عجز بصره بالتدريج ، ولكن ابنه عالم الموقف بأن عين لأبيه صيبا مساعدا بخمسين قرشا فى الشهر ليؤدى له مظانمة الأرقام واثباتها تحت اشرافه ، وفى نفس الوقت ساق لأبيه المرتب الذى حصل عليه فى أول الشهر ، وهكذا لم يستطع والده الا أن يسكت عن تصرفات ابنه الكبير والتي انتهت بزيادة دخل الأسرة .

ولعل هذا الحادث يكشف عن شعور والدى العميق بشخصيته وحرصه الشديد على الاستقلال بهذه الشخصية وهو بعض ما أورثنى أباه فى مقدمة ما أورث .

وبدأت قصة الأندلس من ذلك التاريخ : شاب ممتاز فى حسابات الدوائر يتميز بالنشاط والحيوية والحزم ، وبهذه الصفات وراح ينتقل من عمل الى عمل فى الشمال الشرقى والنضوج .

واستقر به النوى فى مدينة سمندوكاتبا للحسابات فى دائرة السيد عبد المال ، وفى سمندوك تعرف بأسرة والدتى وكان يرى

أباها ولعله كان موطئا منه في الدائرة أو في عمل مشابه .. ويظن
أبي انه أعجب بصورة أبيها الذي كان أبيض الوجه جميل الطلعة .
فتصور أبي أن لو كان لهذا الرجل بنت فلابد أن تكون جميلة
خاصة وإن أبا لها يبدو بدوره حسن الصورة .. ولقد كان
للرجل بالفعل ابنة تدعى هانم ولم يكن تصوره بعيدا عن الحقيقة .
فقد كانت على جانب كبير من الجمال في مقياس أهل الريف
وكانت يهتاء اللون .. مشموفة القد وكان هذا يكفي لجعلها
نجفة في هذا الوسط . غير أن الذي لاشك فيه « أنها كانت
تحفة بالفعل من حيث اخلاصها لزوجها وتفانيها في خدمته وفي
الصبر معه على شظف الحياة وفي تدبيرها شئون بيته وأولادها
كأحسن ما تفعل سيده ممن يطلق عليهم منات البيوت » .

كان الراتب في ذلك الوقت قد وصل الي ثلاثائة قرش أو لعله
كان أكثر من ذلك قليلا .. وكان هذا الراتب قبيضا أن يجعل
الزوجين وما شرعا يرزقانه من أولاد يعيشون حياة معقولة ..
ولكن محمودا كان يعتبر نفسه مسئولا في ذات الوقت عن الأسرة
الكبرى التي خلفها في الريف .. أسرة أبيه وأمه وإخواته البنات
اللاتي لم يكن لهن عائل غيره . بعد أن انتهى أبوه الي التقاعد
نهائيا لاستعداد العجز عليه . ولقد حدثتني والدتي عن صنوف
الحرمان التي عانتها مع أبي في هذه الحياة الأولى . حيث كان
يرسل كل شيء الي عائلته ويعيشون هم على الكفاف .. وكانت
تقص في حسرة شديدة كيف أنه كان يحدث في بعض الأوقات
أن تأتيهم هدية من هنا وهناك ولكن عينا مثلا فتمنى والدتي
نفسها بأنها ستأكل العنب الذي حرمت منه طويلا ويتلصق اخوتي
الصفار في ذلك الوقت لهذا العنب . فاذا بقرار والدي يصدر
بأن سلة العنب سيعاد شحنها للسفر الي كفر البطيخ لأمه وأبيه
وأخوته .. وتحتج والدتي فينتهرها فتبكي .. فيقول لها
« يا مجنونة هؤلاء أناس محرومون من كل شيء .. أما نحن

فباستطاعتنا ونحن نعيش في المدينة أن نحصل غدا على قفة عنب ..
ولكن قفة العنب هذه لم تكن تأتي أبدا .. أو هكذا كانت تقص
على والدتي ..

وكانت الأمور تسير على هذه الوتيرة فكل شيء يصل الي
يده يسرع به الي البلد .. ثم يلت عليه ظاهرة جديدة وهي
رغبته في اقامة المآذب لزملائه ومعارفه اذا وقع في يده ما يمكن
أن يصلح لاقامة مادية .. تقول أمي أهداهم بعض الناس لي
مناسبة من المناسبات ديكا وروميا ولم تصير الأوامر بترجيله
الي البلد ففرحت بذلك وابتهجت وهي ترى الديك يملا عليها
الحياة بهجة وأمانى حلوة .. ولكنها فوجئت في يوم من الأيام
أن الياشكاتب وفلانا وفلانا مدعوون لتناول الغداء عندهم في يوم
معين وأن الديك الرومي سيكون هو محور المأدبة .

وقنعت والدتي هي وأولادها بالمرق وبعض حواشي الديك
كجتاح وما أشبهه .. وربما تخلف عن الضيوف بعض البقايا
التي لم يمتد إليها كرم كاتب الحسابات العائلي .

هذه هي الصورة التي عاشت عليها والدتي طول حياتها
الأولى في الريف قبل أن تنتقل الأسرة الي القاهرة وهي فترة
استغرقت عشرين سنة على الأقل .. ويضاف اليها الانتقال
من بلد الي بلد التماسا لورق أوسع وراتب أكبر .. فقد كبر
كاتب الحسابات وزادت مطامحه فكان كلما سمع عن وظيفة
أكثر قدرا أو أكثر راتبا تقدم لها ، ويظهر أن كثية الحسابات
في ذلك الوقت البعيد كانوا نادرين جدا ، أو أن والدي كان ممتازا
جدا في عمله بحيث انه لم يشك في يوم من الأيام من عدم وجود
العمل ، كما انه لم يكن يتردد في أن يترك العمل اذا لم يعجبه ..
ولقد كان يستقبل من عمله لاتفه الأسباب اذا تصور أن كبرياءه

مست أو أنه ليس محل الثقة الكاملة .. ولقد كنت وأنا صغير
في السن أتتبعه ليطا وهو يقص علينا كيف خرج من هذا العمل
أو ذلك لأن صاحب العمل راجعه في قوله .. أو لأنه قابله بغير
الوجه الذي اعتاد أن يقابله به .

في دائرة عزيز باشا عزت

عمل والدي في كثير من التفاتيش الحكومية والأهلية ..
ومن الأسماء التي لاتزال عالقة في ذهني بلدة « بشبيش » وكثيرا
ما جاء ذكرها في أحاديث والدي ووالدتي .. ولكن القصة
المستفيضة التي ظلت أسمعا منذ طفولتي المبكرة حتى آخر أيام
حياة والدي هي قصة عمله كاتبا للحسابات في دائرة عزيز باشا
عزت وما بلغه من الكفاية في هذه الدائرة ومن الحظوة عند
عزيز عزت .

واقف بدا والدي كاتبا عاديا أو ممتازا للحسابات ولدى
راتيه كان قد وصل في ذلك الوقت الى ستة أو سبعة جنبيات ..
ثم اكتشف أن هناك في الدائرة قطعة كبيرة من الأرض البرر
فاقترح ان تستصلح هذه الأرض فقال الفنيون بعدم امكان
استصلاحها ، فتطوع والدي بأن يقوم بالعمل اذا أعطى السلطة
الكافية لمنحه عزيز عزت السلطة اللازمة فكتب الي التفاتيش
المختلفة التي تتبع الدائرة يطلب أن ترسل لهذه المنطقة بعض
المواشي ، فتجمع له أربعون زوجا من الثيران ولحوال الجاموس
والأدوات والرجال اللازمون للعمل ثم راح يعمل بهمة لا تعرف
الكلل . فان هو الا شهران حتى استطاع أن يستصلح مائتي
فدان على ما أذكر تقدم الفلاحون لاستجارها بأربعة جنبيات
للفدان .. ونجحت المحاولة بذلك نجاحا منقطع النظير .. فرأى

عزيز عزت أن يكافئ والدي علي هذا النجاح فعرض عليه أن يزيد في راتبه بضعة جنيهات أو أن يستصحبه معه الي استنبول عاصمة السلطنة لمساعدتها . فاختار والدي السفر الي استنبول وقد كان السفر اليها في ذلك الوقت بمثابة السفر الي أمريكا هذه الأيام حلما يخالج الكثيرين في أحلامهم .

وصافر والدي الي استنبول في ركاب عزيز عزت . . وقد ملأت هذه السفرة ما بقي من حياته التي استمرت أربعين سنة بعد ذلك التاريخ . . ولقد شببنا جميعا نسمع أقاصيص والدي في خلال رحلته الي استنبول . . ولم يكن هناك سبيل لادخال السعادة علي نفسه أكثر من أن نطلب منه أن يحدثنا عن رحلته الي استنبول . . ولقد كنت وأنا في أول شبابي أستعجب هذه الحكايات التي سمعتها أكثر من مرة . . ولكني بعد أن كبرت لم يكن هناك ما يسعدني أكثر من أن اجلس اليه ثم أدير الحديث حتى اصل الي بعض ما يؤدي الي استذكار حوادث استنبول ، ثم أطلب منه أن يقص علينا القصة . فتلمع عيناه وتشيع في نفسه الفبطة والرضى ، ثم يشرح يقص وكأنه يقص للمرة الأولى في حياته حوادث لم تطرق أسماعتنا من قبل .

ولا عجب في ذلك فقد كانت هذه الرحلة بالنسبة اليه في شبابه المبكر قمة ما وصل اليه من النجاح . . فهذا الفلاح الصغير الذي خرج من كفر البطيخ ليعمل بمائتي قرش لاطعام أسرته الخاصة وامرة والده . . قد وصل الي حد أن يسافر في ركاب أحد الكبراء الي دار السعادة ويشاهد متاحفها وقصورها . . ويجالس الأتراك ويلبس مظاهر عظمتهم التي كان يتطلع المصريون في ذلك الوقت لسماعها . والتقط والدي بضع كلمات تركية خلال رحلته فكانت مما يترنم به من حين لآخر .

وعندما يقص قصصه يتربلها بهذه الكلمات التركية فتجمل
لقصته رونقا .

استقالة لها دوى المدافع

وعاد أخيرا من استنبول في ركاب الباشا الكبير فوجد موطنى
الدائرة جميعا وقد قلبوا له ظهر الحجن ، فقد أشغلوا على أنفسهم ،
من الخطوة التي نالها والتجاح الذي حققه بإصلاح المائتى فدان
مع أنه ليس الا كاتب حسابات ، وقد كان أولى بهذا العمل نظار
الزراعة ومأميرها من الفنيين .. كان أولى به المفتشون ووكيل
الدائرة الكبيرة ، ولذلك فقد اتحد الجميع على النيل من والدى
والذى له عند عزيز عزت .. كان مما فعلوه أن كتبوا تقريرا
يظهرون به أخطاء عملية الإصلاح وأنه ترتب عليها هلاك عشرة
أزواج من المواشى وهزك باقى المواشى الدائرة ، وأن عملية الإصلاح
قد انتهت الى اصلاح مائتى فدان فقط لا الف فدان .. وصوروا
العملية على أنها كانت عملية فاشلة نتيجة تصدى رجل غير
مختص ، وأسرفوا فى اظهار ما أصاب المواشى بعد كارثة موت
عشرة أزواج وهزال الباقى واشرافه على الموت ..

ويقول والدى انه دعى ذات يوم ليقابل الباشا فدخل عليه
فالفاه متجھبا ، وبادره بالقول بأنه قد ظهر له (أى الباشا) أنه
تسرع فى مكافأته على ما قام به من عمل ، فقد ماتت المواشى ، والحي
منها فى طريقه الى الموت . وأن هذا العمل كان تدخلا من كاتب
الحسابات فيما لا يعنيه .. وأنه وضع نفسه فى غير محلها
وكان والدى يذكر حتى آخر لحظة من حياته كيف ود على
عزيز عزت .. وكان يذكر حتى الاشارة والايماة ويحس بذات
الانفعال الذى أحس به معايشذ وكيف عزت عليه نفسه الى درجة
أنه كاد أن يسب هذا الباشا الذى أظهر كل هذا القبياه ..

ولكنه تمالك نفسه ، وقال لسعادته في هدوء .. ان هذه العشرة
أزواج من المواشى التى قيل انها هلكت انما ذبحتها بنفسى وبيعت
للفلاحين بنصف سعرها الاصلى ، وعلى ذلك لايمكن أن تعتبر
هالكة .. أما القول بأن باقى المواشى قد ذبل بعد عملية
الاصلاح .. فاصلاحه سهل ميسور وموسم واحد تأكل فيه
المواشى جيدا يزول اثر المجهود الذى بذلته .. وفى مقابل ذلك
اصلحتنا مائتى فدان دفع الفلاحون ايجارها اى ثمانمائة جنيهه
ومستظل الدائرة تتقاضى هذا المبلغ الى ما شاء الله .. اى ان
الباشا يحاسبنى على أننى أضعت على الدائرة مائة جنيهه ، فى
ثمن المواشى فى مقابل ثمانمائة جنيهه تأتية كل عام ، ولست
أتصور كيف يكون ذلك محل اتهام أو محل غضب .

وأسرع عزيز عزت وقد تجلّت له هذه الحقائق يصلح من
مركزه فيقول انا لست غاضبا ، وانما أردت ان ألفت نظرك الى
أن يكون عمك برفق وهراة وفى حدود العقول .. فقال والذى هذا
ما سأحاول ان أعمله ان شاء الله ولكن فى مكان آخر غير هذا
المكان ، لأنى أرجو أن تعتبرنى يا باشا مستقبلا .. وصحى
عزيز عزت أن يتجرأ هذا الكاتب الصغير على أن يتحدث بهذا
الأسلوب ويتحدث عن الاستقالة فانفجر غاضبا ساخطا ، وطلب
من والدى أن يسحب هذه الكلمة وأن يعتذر عنها ، ولكن الكاتب
الصغير أصر على موقفه .. وقال للباشا اننى مقدر لسعادتك كل
عطفك وجميلك وأياديك على ، ولكننى كنت أعمل حتى الآن منطلقا
فى ظل الاعتقاد اننى حائز على ثقة الباشا .. أما وقد تبين لى
اننى قد أفقد هذه الثقة فى أى لحظة لدمس دساس أو خديعة
حاسد متور فاننى لن أستطيع أن أبقى فى هذا الجو والمحيط ..
قال ذلك وحيا الباشا وانصرف .

وعبنا حاول بعض الوسطاء أن يُؤثروا عليه ليعدل عن استقلاله التي اصر عليها اصرارا عجيبا كنت كما قدمت الرويه عليه .. ولكنه كان يظهر اعتزازه بهذا الموقف .

ولست اسطيع ان اتببع وظائفه التي انتقل اليها بعد ذلك .. ولكن قصة اخرى لا اسطيع ان افعلها لكثرة ما قيلت امامي ولانها تحدد تماما صورة والدي .

في دائرة كمال الدين حسين بنجع حمادي

ولقد وقعت هذه القصة اثناء هذه الفتنة التي نجح الاعداء في اشغالها بين المسلمين والاقباط ليتمكنوا من توطيد استعمارهم في البلاد .. فعقدت هذه المؤتمرات التي اُلف الاقباط فيها جبهة .. وعقد المسلمون مؤتمرا معارضا مؤلفين جبهة ثانية .

وفي ذلك الوقت اختير والدي باختياره مسلما ليكون باشكانيا في تفتيش الأمير كمال الدين حسين في نجع حمادي ، وقد كانت هذه اول مرة يرقى فيها الي مرتبة باشكاتب واول مرة يذهب فيها باشكاتب مسلم . ولقد ذهب والدي مستصجبا امرته وفي نفسه آمال عريضة وعزم وطيد على أن يبني مستقبله الذي يتناسب مع مواهبه ونشاطه واقتداره . ولقد اشترط قبل سفره أن يعطى سلطة مطلقة فمنحه اياها مفتش الدائرة التركي ، ولكن الخلافات الطائفية كانت على اشدها في هذه الفترة كما قدمنا ، ولذلك فقد فوجيء والدي بمجرد ذهابه الي مقر عمله بمقاطعة كل موظفي التفتيش له وقد كانت جمهورتهم الكبرى من الاقباط .

يقول والدي لم يذهب احد للسلام عليه او استقباله ، وعندما وصل الي مقر التفتيش في اليوم التالي لاستلام العمل

وجده قاعا صنفصفا الا من بعض الفرائسين والخدم ، سأل عن الموظفين .. عن شعبية الحسابات .. وعن المخزنجي فقيل له انهم مشغولون بسوق البلدة وان عاداتهم يوم السوق أن يحضروا متأخرين أو لا يحضروا على الاطلاق .. في هذا اليوم .

وتكرر الحادث في اليوم التالي ، وهنا رأى الباشكاتب الجديد أن الأمر يحتاج الى حزم شديد ، فكتب اعلانا يحتم فيه على جميع الموظفين أن يكونوا موجودين في مكاتبتهم الساعة الثامنة صباحا ، ومن يتأخر عن الموعد يخصم منه مرتب اليوم ، فإذا تكررت غيابه يخصم أسبوع من مرتبه .. فإذا غاب بعد ذلك يفصل من العمل فوراً .

ودعش الموظفون لهذه اللهجة التي يخاطبهم بها الباشكاتب فلم يسبق لهم أن سمعوا من قبل مثل هذا الخطاب الصارم وبدأوا يتراجعون عن موقفهم بعض الشيء ، فانتظم بعضهم في العمل ولكن البعض الآخر رأى أن ينضى في التحدي حتى النهاية ، والمسألة عندهم لم تزد على حرب الأعصاب في تصورهم .

وطبق الباشكاتب الجزاء على من تأخروا اول مرة فكتب قرارا يخصم يوم من راتبهم وعهد به الى كاتب الحسابات للعمل به عند صرف المرتبات .. حاول الكاتب أن يلتصق العذر للمتأخرين ويطلب السماح عنهم ، ولكن الباشكاتب اصر .. ومضى المتخلفون في مناوراتهم قعادوا للتأخر فكتب قرار خصم الأسبوع من مرتباتهم .. وجاء كاتب الحسابات ومعه بعض زملائه يبينون للباشكاتب خطورة هذه السياسة المنطوية في نظرهم على التحدي .. والمسألة يجب أن تكون مسألة تعاون .. فرد عليهم الباشكاتب بأنهم يجب أن يقولوا ذلك لزملائهم ، فهو لا يصرف لماذا يخاصمونه ولماذا لا يرغبون في التعاون معه ؟ .. وسألهم

في اى عمل يجوز للموظفين ان يذهبوا للعمل وقتما يشاءون ويخرجوا منه عندما يريدون . . فقالوا له عشنا على ذلك طول السنين . . فقال لهم لا اظن ذلك . . وحتى لو كانت هذه طريقة من سبقوني فانها ليست طريقتى . . قد يسمح رئيس العمل غير الشريف لموظفيه بالتهاون في عملهم اما الموظف المستقيم الذى يعرف واجبه فلا يسمح بهذا العبث . . ولم يقتنع القوم بهذا الذى قيل ، ولما كان موعد تنفيذ عقوبة الخصم من الراتب لم يحن بعد . . فقد مضى النفر الذى اخذ على عاتقه ازعاج هذا الباشكاتب المسلم الجديد في الاخلال بالأوامر فتخلف واحد منهم عن الحضور في المواعيد المقررة عمدا . . فما كان من الباشكاتب الا ان ارسل الى مقر الدائرة في القاهرة يطلب فصل هذا الموظف وان يجاب طلبه فوراً ليستطيع مزاولته عمله وقرار النظام في التفتيش . . ولوجبه الموظفون بقرار الفصل يأتى من القاهرة لهذا الموظف المخالف . . وكان ذلك آخر ما يتصوره القوم ، فالمسألة اذن جد لا هزل . . وهذا الباشكاتب لم يلق بالا لهذا الجو الذى بدأ يحيط به ، وفي خلال هذه الفترة كان قد بدأ يطبع على الدفاتر وعلى الحسابات ويكتشف اختلاسات وأموالاً ضائعة . . واعمالاً شديداً عماد على الدائرة بأكبر الخسائر . . ومرة أخرى دعا الباشكاتب الموظفين . . وأراهم هذا الذى اكتشفه في الدفاتر وأنه لن يسمح باستمرار هذا العبث . . وأنه اذا كان سيتفاوض عن الأشياء الماضية التى سبقت حضوره ، فهو لن يتسامح مع اى احد كان ابتداء من الساعة التى أصبح فيها مسئولاً عن العمل ، لا تهاون ولا اختلاسات ولا استغلالاً للنفوذ . . ومرة أخرى شعر الجميع بأن الجو أصبح خائفاً وان هذا الباشكاتب لا يحتمل ويجب التخلص منه بأي شكل من الأشكال . .

شرك الجنهات الذهبية

وفي يوم الجمعة وكان الباشكاتب في بيته طلب أحد الناس أن يقابله فاستقبله ، وكان اللادم يريد الالتحاق بوظيفة واتبها مائة وخمسون قرشاً في الشهر وتعجب والذي أن يجيئه الشخص في البيت يوم الجمعة وأحس أن في الأمر شيئاً .. وفي هذه الأثناء كان أخى محمد - وكان لا يزال صغيراً في ذلك الوقت - قد دخل الي الحجره يلعب .. فاذا بالرجل يعطيه في يده قرطاساً من الورق فأخذه والذي من يده فوجده ثقيلاً بعض الشيء ولما فتحه اذا به يكتشف أن هذا القرطاس لا يحوى أقل من ١٢ جنيها ذهبياً فسأل الرجل عن معنى هذا فقال له هذه هدية صغيرة للمحروس وبنا يعمر بيتك ما أنت حتمراً بيتنا ، قال له ولكن الوظيفة التي تتطلبها بمائة وخمسين قرشاً أى أن هذا المبلغ هو راتب تسع شهور تقريباً ، فأجاب الرجل هذا كله فضلة خيرك ، وسكت والذي قليلاً وأطرق مفكراً ثم سأل الرجل الك أقارب يعملون في التفتيش ؟ قال نعم أنا ابن عم فلان ، فقال والذي خذ نقودك أولاً وان شاء الله يكون خيراً ، وخرج الرجل مسروراً ومقتبلاً .

وفي اليوم التالي جبع والذي الموظفين وأخبرهم بأنه قد أرسل الي مصر يطلب فصل (فلان) بالتلغراف وقص عليهم ما حدث بالأمس وأن أمثال هذا الألاعيب لا تجوز عليه وهو لا يمكن أن يرثى .. وعبنا يحاول الموظف القصول أن يتحصل من الموضوع وأن يقسم بأن لا علم له به ولا دخل له فيه .. وتحولت المسألة عند هذا القدر الي مسألة حياة أو موت بين الموظفين وكانت أغليبتهم من الأقباط .. فأرسلوا الشكاوى تترى من هذا الباشكاتب ، وفي هذه الأثناء كان المفتش التركي الذي عين والذي وأعطاه السلطة المطلقة قد حل محله مفتش مسيحي

جديد .. وكانت زيارة واحدة من هذا المفتش للتفتيش كافية لأن تجعل والدي يدرك أنه لن يكون باستطاعته أن يواصل عمله في الحدود التي رسمها لنفسه ، ولذلك فقد أسرع الى القاهرة وقدم استقالته ، ومرة أخرى حاولوا علينا أن يثنوه عنها وأنه ما عليه الا الا يكون جامدا او متزمتا .. وان يكون مرنا بعض الشيء وبحبوحا .. وقد كانت هذه آخر خلة يمكن أن يوجد فيها ذرة واحدة في خلق الرجل ، ولذلك فقد طويت صفحة نجع حمادى عند هذا القدر .

في المعية المسنية

وتنقل والدي على ما اذكر في بضعة اعمال اخرى كان من بينها مجلس مديرية الغربية . وفي هذه الأثناء كان قد تعرف على موظف كبير في ديوان السلطان النبي كان يطلق عليه في ذلك الوقت « المعية » وكان هذا الموظف الكبير يسمى محمود بك محيد وهو رئيس الادارة الغربية على ما اذكر ، وقد أحب في والدي اخلاصه في العمل ونشاطه وغيرته وخلقه القوي فرجاء والدي ان يوجد له عملا في السراى ووعدته الرجل خيرا .. وجاءت فرصته عندما احتاجوا الى كاتب حسابات فقال لهم محمود بك محيد عندي لكم القوي الأمين ، وأصبح محمود افندى حسين كاتب حسابات في المعية ، وهكذا وصل هذا الريفى الذى خرج من كفر البطيخ الى أن يكون موظفا في المعية أى في أرقى بيئة في مصر .. وأصبح يتعامل مع الباشوات والكبراء الذين رضوا كل الرضا عن محمود افندى .

وكان طبيعيا أن يصبح مقر محمود افندى مدينة القاهرة وأن يسمى أول ما يسمى أن يكون له بيت يملكه ، وقد كانت البيوت وملكية البيوت هي اعظم ما ترونو اليه نفسه منذ غادر بلده حتى

آخر يوم في حياته ، ومع ذلك فقد قدر له أن يخرج من الدنيا وهو
لا يملك شيئاً من حطام الدنيا .

اشترى محمود أفندي هذا البيت في حارة الجمالة بشمانين
من الجنيهات جمعها من كده وتعبه طوال سنوات .

ففي خلال هذه المدة كان أبوه قد مات وكذلك أمه ولم يعد
يرسل القسم الأكبر من راتبه إلى أسرته في البلد كما كان
يفعل . . . وارتفع راتبه في هذه الأثناء ولعله كان يتقاضى في اللعبة
خمساً عشر جنيهاً كل شهر على وجه التقريب .

ولذلك فقد اشترى البيت وهو مؤلف من ثلاثة أدوار الدور
الأرضي وهو عبارة عن حوش وبه حجرتان أو بالأحرى (مندوتان)
ثم دور أول يتألف من (فسحة) وثلاث حجرات ، ثم دور أعلى
على غرار الدور الأول وسطح ومازلت أذكر كيف كان سطوح هذا
البيت متصلاً بسطوح البيت المجاور ولم يكن له دائر يحيط به
وكيف أجرى والدي بمجرد شراء البيت عمارة به فانتزع بلاط
الحوش القديم (المعصرائي) وجيء ببلاط جميل ملون من الأسمنت
و « بلط » السطوح وبني له دائراً فأصبح مصيفاً جميلاً نسام
فيه أيام الصيف في الليالي المقمرة وكان ذلك من أعظم المتع .

وطلى البيت بالزيت وأدخل إليه الماء وهكذا أصبح جميلاً
نظيفاً ولكنه لا يزال في حارة الجمالة ، على أن وجوده في حارة
الجمالة في الواقع مميزة من أكبر المزايا فلو كان هذا البيت في غير
هذه الحارة لما كانت له كل هذه الشهرة وهذا التفوق . .
ولو كان محمود أفندي حسين يسكن في غير حارة الجمالة لما كان
له كل هذا الخطر في روحته وجيئته ولما كان بيت الأفندي أحد
المعالم الثلاثة في حارة الجمالة .

وتصل الآن الى المكان الأشهر في الجبارة ذلك الذي سميت
باسمه نصل الى حوش الجمالة ولا بد أنه كان أقدم مكان في هذه
الحارة وأنها تأسست من بعده وحوله .

ان هذه المنطقة تقع كما قدمت فيما يسمى جبل طولون
ولا بد أن للجمالة والجمال كان لهم صولة وجولة في الزمن القديم
فكان هذا (الحوش) مركزا للالتقاء والسكنى والتخزين ، ولكن
عندما يبدأ تاريخنا هذا لم يكن هذا الحوش مسكنا للجمالة
ولكن كان مسكنا لعمال قطع الأحجار (الدباشة) وكانت العربات
التي تخزن به هي عربات الدبش ، وكان سكان هذا الحوش الكبير
هم من عمال الدبش والحجارة على عكس باقي سكان الحارة
والذين كانوا من صفار الموظفين أو صفار التجار وكبار
الأسطوات . . فكان هذا القسم والحالة هذه يعتبر منطقة حراما
بالنسبة للأولاد الصفار لم يكن يسمح لنا أن نختلط بأولاد الحوش
ولا أن نشاطرهم الألعاب . . ان في باقي أولاد الحارة من يصح
الاختلاط بهم (مع الاحتياط) وأما الحوش والاقتراب من الحوش
فقد كان مبعث رعب شديد مما يقال حوله من اشاعات وعن نوع
سكانه . . وهو مبعث رعب من ناحية العقاب الذي يحل بنا من
الأسرة اذا نحن اقتربنا منه فضلا عن الدخول اليه والامتزاج
بسكانه .

ولكنني مع ذلك غامرت أكثر من مرة بالدخول الى ما وراء
هذا الستار الحديدي ومازالت ذاكرتي تحفظ من هذه الغامرات
صورتين واضحتين كل الوضوح . أما الصورة الأولى فلعب
أطفال الحوش بعمل عربات صغيرة من الصفيح على صورة عربات
الدبش الكبرى ، ثم يربطون بهذه العربات كلابا كأنها الخيول
أو البغال التي تجر العربات بأنواع مختلفة من الدبش وقطع
الفخار الأحمر على غرار أنواع الأحجار المختلفة التي يتعامل

فيها أبائهم .. وعازلت أذكر حتى الآن الانفعال الشديد الذي أحسست به وأنا أرى الأولاد يلعبون بهذه الدمية الحية وشديد رغبتى في أن تكون لي عربية من هذه العربيات يجربها كلب .. ولكن لم أجرؤ على الوصول الى هذه الدوجة فاكتفيت بالمراقبة وبالعدو مع الأولاد من حول هذه العربيات داخل الحوش العظيم .

أما الصورة الثانية عن مقامرتي داخل هذا الحوش والتي لاتزال محفوظة في ذهني كذلك فصورة زار أقامه الأولاد والفتيات على غرار حفلات الزار الكبرى .

وفي هذه الحفلة تطورت في الاجتراء ودخلت بيتا من البيوت حيث كانت تقام هذه الحفلة .. وأقيم الكرسي وأحضر الأولاد حصصا وفولا سودانيا وبعض الملابس (الأرواح) ووضعوه فوق الكرسي قياسا على كرسي الزار الذي يحمل كل أنواع المكسرات والفواكه .. وبدأت الطبول تدق والصبيان والفتيات يرقصن ورقصة الزار (يغازوا) وفي هذا الجو الصاخب أحسست أنني تماديت في الاجتراء على مخالفة القوانين فانسجيت من الحفلة خائفا مذعورا .. ولست أذكر الآن اذا كنت قد عوقبت على الاجتراء أم لا من والدتي .. ولكن الذي أذكره .. أنني لم أعد الى هذا الحوش بعد ذلك ولعل مرجع ذلك الى اننى كبرت في السن ... أو لائني بدأت اتصل بالعالم الخارجى .. خارج حدود الحارة .. فقد كان التطور يقتضى أن أنقل الى مدرسة أولية .. وتقع هذه المدرسة خارج نطاق الحارة والمنطقة التي تجاورها .. ولعلها تقع في شارع طولون الاصلى .. على أية حال لاتزال هذه المدرسة هناك .. وبالتصالي بهذه المدرسة انفصلت عن اولاد الكتاب وبيتة الكتاب وأصبحت ارتدى بدلة بدلا من الجلباب في الكتاب .. ولا بد أن لذلك تأثيرا في عدم ترددي على حوش الجمالة .

في المدرسة الأولى

ليس هناك ما يتصل في ذاكرتي من أيام في هذه المدرسة إلا ما يتصل بالماكولات الشهية والحلوى التي كنت أحصل عليها بصروفى اليوم أثناء ذهابي إلى المدرسة أو بعد خروجي منها أو في وقت الفسحة في الظهر .

كان مصروفى اليومي مليئا .. وقد كان هذا المليم له قوة شرائية عجيبة لا نتخيلها هذه الأيام .

كان هناك أمام المدرسة دكان يبيع (السجق المحمر والكبدية والفشة وكل متعلقات الخروف) .. وكنت أقف أمام دكان الرجل وهو يحمر قطعة السجق الخاصة بي والتي قد تكون أحيانا بنصف مليم .. وأحيانا بمليم كامل فتكون كبيرة الحجم . وما زال منظر صينية الكبدية والدهن سائل بها وهو يفرقع ويطنطنش فوق النار .. لا يزال منظر الرجل وهو يتذوق بقطعة السجق في هذا السائل الدهنى الحار فلا تكاد توضع به حتى تنبعث منها رائحة زكية مع تطاير رشاش الدهن .. لا تزال هذه الصورة منطبعة في ذهني كأحد ما يوجد في ذهن الانسان من ذكريات .

وكان هناك (الكسكسى) الذى يمكن الحصول على طبق منه بنصف مليم أو طبق بمليم كامل .. وهو بدوره طبق فاخر كان يخلق له الفؤاد . أو طبق من (الكشرى) ، هذا الأرز والعدس (أبو جبة) والذى لا يستكمل طعمه الجميل الا بعد أن نفرقه بماء الشطة (الدقة) ، وهناك سيادة الجميع « البسبوسة » وكانت السعادة الكبرى هي الحصول على قطعة منها .. ونقف مرة أخرى أمام صينية الرجل ، حيث يقطع

بسكينته قطعة صغيرة وفوقها ٠٠ (لوزة) ولكنها لا تأخذ أبيتها
وجمالها الا بعد أن تحمر في السمن وبعد أن نرجوه أن يفرقها
بالسمن .

وكانت هناك البليلة .. بليلة النرة لا بليلة القمح .. وكان
هناك دكان آخر يبيع الحلوى والملبس والأرواح وكان أجمل
ما يستهونا .. نوع من الحلوى في حجم الريال يلصق على
شريط من الورق ويسمى « خد البنت » وحلوى براغيث الست
وكان هناك « العلى لوز » .

وكانت هناك الدندومة المصنوعة من اللبن الحليب ..
وكانت لا تكاد العربية تظهر حتى نحيط بها ونصعد على عجلاتها في
انتظار ما اشتريناه ، وكان هناك غزل البنات وكان مشهد الآلة
وهي تصنعها أمامنا احدى متع الطفولة .. (ولا يزال ممتعا
حتى الآن) .

وكان هناك صنفان من الحلوى لا يثيران الاهتمام أمام
المدسة لأنها كانتا مألوفتين في داخل حارة الجمالة .. وتلك
هي « حلاوة زمان يا عنبر » ، وهي هذه الحلوى التي يلفها الرجل
على عصا طويلة وفي آخر العصا (شخصيخة) فقد كان ياعتها
برتادون أصفر الأزقة ، وأما النوع الثاني فهو ما يسمونه
(بسكويت بنيليا) وهو بسكويت رقيق يصنع على صورة قرطاس
الورق .. وهذا أيضا كان ياعتته يتفدون الى حارة الجمالة .

ولذلك فلم يكونا يقارنان بهذه الأصناف الفاخرة التي ذكرتها
لك .. والتي كانت تجعل الذهاب الى المدرسة متعة المتع لأنها
السييل الى تمكينى من الاتصال بهذا العالم الزاخر بكل هذه
الحلوى والمأكولات .

هذا هو كل ما تحفظه ذاكرتي عن أيامي في المدرسة الأولية
مضافة إلى هذا الحادث الآخر الذي أوشكت صورته أن تحي
من ذاكرتي .

ما نحن نقف في الطابور في حوش المدرسة .. وهذا
واحد يخرجني من الصف .. وغيمات عطف .. وحديث عن مرض
في عيني .. وعدت إلى البيت ولقد كنت فرحا لرجوعي إلى البيت ..
ويظهر أنني كنت مصابا برمد صديدي في عيني .. فقد بقيت
بعد ذلك في البيت أمسح من هذا المرض ولازلت أذكر (ماء
البوريك) وصورة الزجاجاة التي تحمله .. وتنتهي الصورة عند
هذا القدر .. وعندما شفيت لم أرجع إلى هذه المدرسة ولكنني
أدخلت إلى مدرسة أخرى هي مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية
وهي تقع في درب الجمايز .. وذهابي إلى هذه المدرسة الأخيرة
كان يخرج بي من الحارة ومن الحي ويلقي بي في أحضان
القاهرة . ولذلك فإن التاريخ يوشك أن يتسق وتبدأ معالم أيام
الدراسة في الظهور ، ولذلك فقبل أن نمضي في هذا القسم من
ذكرياتنا المرتبة والمنسقة .. فلنرجع ثانية إلى مرحلة الطفولة
الأولى ولنحضر في أعماق الذكريات .. عن صور لانزال باقية
في الذاكرة .. فإن كل صورة من هذه الصور تتصل بشيء يلقي
الضوء على سرد الحوادث فيما بعد .

أبو شنب

من العيب أن نتحدث عن ذكريات حارة الجمالة وما يتصل
بها دون أن أذكر أحد الأسماء الداوية الذي كان يتردد في كل
يوم عشر مرات . وذلك هو أبو شنب (الزيات) أو باللفظة
العصرية (البقال) كان دكانه في الشارع العمومي الذي تبدأ
منه الحارة وكان يقع في مواجهة هذا المدخل .. ولما لم يكن

في بيتنا خادم بطبيعة الحال فقد كنت أنا في طفولتي الوسيلة الوحيدة للحصول على حاجيات البيت من هذا الدكان ، وخاصة الفول المدمس في الصباح ، وكان الزحام يشتد ولكن ابن الأفندي كان يجد دائما وعناية خاصة ، ليحصل على نصيبه من الفول في (السلطانية) ويعود .. حاملا السلطانية طوال حارة الجمالة .

وفي خلال النهار قد يتردد مرتين أو ثلاثا على أبي شنب ، وكانت هذه هي نهاية الدنيا بالنسبة له .

قد كان أبو شنب في الطريق العام ولا ينبغي التجاوز يمينا أو شمالا بأي حال من الأحوال .. وكان ابن الأفندي يسير في الحارة وهي هادئة حتى اذا اقترب من دكان أبي شنب تجلت الحياة ، كما لو كانت بحرا متلاطم الأمواج فتدب القشعريرة الي نفس الطفل الصغير فلا يكاد يحصل على مطلوبه حتى يسرع الي الحارة الي دار الأمان .

حسن الطباخ

وإذا كان اسم أبي شنب يدوي في الحارة باعتباره زيات المنطفة المشهور ، فقد كان هناك اسم آخر لا يقل شهرة ويذكر من حين لآخر بشتى المناسبات وذلك هو اسم حسن الطباخ فتوة طولون .

كان اسمه يتردد باعتباره بطل طولون وحامي حماه .. ان مجرد ذكر اسمه يجعل الفرائص ترتعد ولكن لا على أبناء طولون أن يخافوا منه فهو فتوة طولون ولا يمكن أن يعتدى على أحد من طولون .. لأن أحدا لا يفكر في طولون أن يعتدى عليه .. لقد بايمه الحي على الزعامة والقيادة فأصبح مسوع الكلمة

مهيّب الجانب .. وغنى عن البيان اننى لم ار حسن الطباخ
هذا ابدا وقد اكون رأيتة مرة ، لكن اسمه كان يتردد كما قدمت
على السنة الأطفال .. كما يذكر في البيت أحيانا على سبيل
الاستهجان ، ونموذج للأشرار الذى لا ينبى على أن اتصف
بصفتهم .

ولكن حسن الطباخ بالرغم من ذلك كله كان له دوى في هذه
الفترة من حياتنا ..

ومازلت اذكر كيف عدت في يوم من الأيام من المدرسة فاذا
بى أرى الحى قائما على ساق وقدم .. ووقع نظرى على بعض
الأشخاص في طريقى يسيل الدم من رؤوسهم .. ووجدت بقعا
من الدم على الأرض في مكان آخر .. وعلى الوجوه الكههرار وفي
الجو سحب وضباب ، وسألت الناس ماذا حدث واذا بى أعلم
أن فتوات الحسينية أو المذبح لا أذكر الآن جيدا .. كانوا في
صراع مع فتوات طولون فوق الجبل وانهم تقاذفوا بالطوب بواسطة
(المقاليع) واستطاع فتوات طولون أن يهزموا فتوات المذبح
فهربوا من الجبل وفتوات طولون في أقتيتهم فاعتدى فتوات المذبح
في أثناء هزيمتهم ومرورهم في سوارع الحى على (السكان
المدنيين) . وكان الجميع يبدون أشمئزازهم واستنكارهم لهذا
الخروج على قواعد (الفتوة) فالمبارزة بين الفتوات في الجبل
في مواجهة الفتوات المتبارزين ، أما أن يعتدى على المارة وعلى
السكان الأمتين .. فليس هذا من الرجولة في شيء ولا من الشهامة
في شيء .. وكانت الكلمة التي تجرى على الأفواه هي ضرورة
الانتقام .. وكان السؤال الذى يسأله كل انسان في الحى
وماذا فعل حسن الطباخ .. واين كان حسن الطباخ .

المبارزات في الجبل

وعلى ذكر المبارزات في الجبل فإنه يخيل إلى أن طفولتي قد تأثرت إلى حد كبير بهذه البيئة في طولون ، فقد كان أعظم ما أصبو إليه بعد أن كبرت قليلا أن في سن السابعة والثامنة أن أتسلق مع ابن عمي عبد الحميد حسني لنصعد إلى هذه التلال المحيطة بنا . . . ولقد كانت رياضة من أجمل الرياضات أن نتسلق هذه القمم من تل إلى تل . . . ولقد كانت هذه التلال تبدو لنا في ذلك الوقت أنها قمم مرتفعة شامخة الارتفاع . . . كانت تبدو بالنسبة لطفولتنا كما لو كانت قمة أحد جبال الهملايا . . . وكنا نقدم على تسلقها بنفس الروح التي سنتسلق بها أعظم القمم في العالم . . . فقد كانت مغامرة وكانت مخاطرة . . . ولكننا كنا نقدم عليها شاعرين لذلك بلغة لا تعدلها لغة .

وأذكر أننا ذهبنا مع صبيان الحارة في مرة من المرات وكانوا سيقلدون الفتوات الكبار في المبارزة فوق الجبل بالتقاذف بالأحجار . . . ومازلت أذكر كيف تنبعت هؤلاء الفلمسان عن بعد فقد كانوا جميعا من أبناء حوش الجمالة وكنت مأخوذاً ومعجبا بالطريقة التي كانوا يقلفون بها الأحجار وقطع (الشقافة) والتي كانت تطير في السماء حتى لا تكاد العين تراها . . . وقد حاولت أن أقدمهم فأقذف الأحجار إلى مدى بعيد فلم أوفق .

على أنني كنت أعود دائما من جولاتي في هذا الجبل وأنا شديد الاعتزاز والنقمة بالنفس لقدرتي على السير في هذه الأماكن (المقطوعة) وتسلق الجبال والنزول منها بسرعة . . . وكنت أرى بعد أن دخلت المدرسة الابتدائية أن هذه نقطة امتياز لا تتوافر لهؤلاء الطلاب الصغار الذين كانوا لا يعرفون شيئا عن هذه الحياة التي نحياها في طولون .

الله حي عباس جى

وهذه صورة أخرى حية من صور حارة الجمالة ولعلها الصورة الوحيدة التي كتبت عنها بعد أن كبرت وبدأت جهاد مصر الفتاة في عام ١٩٣٥ كتبت في مجلة الصرخة لسان حال مصر الفتاة مقالاً تحدثت فيه عن هذه الصورة الحية من ذكريات الطفولة .. صورة الشيخ علي وسيفه الخشبي .

والشيخ علي رجل مجذوب علي وجه التحقيق كما بدا لي بعد أن شأهت الرجل وبعد أن كبرت في السن وكان لا يزال باقياً علي قيد الحياة ..

فرايت في عينيه ما يدل على حالته العقلية غير الطبيعية .. ولعل هذه الحالة غير الطبيعية هي التي أنقذته من القبض والاعتقال والا فقد كان يقول أقوالاً خطيرة ويدربنا نحن الأطفال على تمرينات وطنية كبرى ..

من يدرى إذا كان كفاحي ضد الانجليز طول حياتي .. لم يكن نتيجة تعاليم هذا المجذوب .

كان يرتدى جلباباً وعمامة وفي رقبته بعض المسابح وفي يده سيف خشبي وفي اليد الثانية بوق ينفخ فيه إذا ما حل بالحارة لتتجمع حوله الأطفال والصبيان .. ولو دوى ببوقه في نصف الليل لتركنا أسرتنا وهرعنا اليه .. ولو حال أباًؤنا ضدنا ملأنا بالبنت هويلاً وبكاء .

كانت صيحة البوق « تو تو تو .. تو » نداء لا يمكن أن يقاوم .. ولا يكاد يدوى التفير حتى يلتف الصبيان ويردوا علي

صبيحة البوق بقولهم : « صلوا على النبي » وتبدأ القصة بهذا الأسلوب الشيخ على يدوي بتفريه « تو تو .. تو تو » والصبيان يردون « صلوا على النبي » حتى اذا اجتمع السمل وتكامل العدد . بدأ الشيخ على يجرى ونحن نجرى خلفه هاتلين مع هتافه « الله حي .. عباس حي » « الله حي .. عباس حي » ولم تكن نفهم من هو عباس هذا ، ولكن الصبيحة كانت جميلة . الله حي عباس حي .. ومن الواضح الآن ان ذلك كان في خلال فترة الحرب عندما حال الانجليز بين عباس وبين العودة الى مصر وعينوا السلطان حسين سلطانا على مصر .

ولقد حدث ان أرسلت تركيا حملة على مصر وكان معروفا ان الخديوي سيكون على رأسها عندما تدخل الى مصر .. ولا بد ان صاحبنا الشيخ على كان يشير الى هذا المعنى وهو يحملنا على ان نردد معه « الله حي عباس حي » ولعلك تدرك الآن خطورة هذه الدعوة التي كان يدعو اليها الشيخ .. ولكنه كان مجنوبا وكان سيفه خشبيا .. واتباعه من الأطفال .. ولذلك ترك وشأنه .. ترك يلقن الأطفال في الحوارى والأزقة قصة الوطنية الخالصة ويفرس في نفوسهم بذرة الحرب ضد الانجليز لتحرير البلاد .

كان هتافنا الثاني اذا فرغنا من أنصودة الله حي عباس حي .. « يا عزيز كبة تأخذ الانجليز .. يا عزيز كبة تأخذ الانجليز » وعندما تصل الى هذا القدر نصيح جميعا بالشيخ على .. الحرب .. الحرب شيخ على عاوزين الحرب . وهنا تصل المظاهرة الى ذروتها .. وتصل الرواية الى عقدها فتحن الصبية تمثل الانجليز فننقض عن الشيخ على لتصرعه ، فاذا بالرجل ينفخ في بوقه ويهجم علينا ملوحا بالسيف في الهواء فنسقط جميعا على الأرض موتى . هكذا كانت بعض تعليمات الشيخ على .. يجب ان يقع الأولاد صرعى على الأرض

جميعا بمجرد أن يتفخ في البوق ويلوح بالسيف لأن الانجليز يجب أن يموتوا عن بكرة أبيهم ..

ويتهض الأولاد بعد ذلك فرحين بهذه الرواية ، ونسير خلف الشيخ على مرة أخرى مبتدئين بالبداية .. تو تو .. تو صلوا على النبي .. الله حي .. عباس حي . يا عزيز كبة تأخذ الانجليز ..

من هو الشيخ على هذا .. ما هو أصله .. ما هو مصيره .. لماذا أخذت هويته هذا اللون العجيب من قيادة الصبيان للهناف لعباس الخديوي ولحاربة الانجليز . كل هذه مسائل لم أشغل ذهني في ذلك الوقت بحلها لأنه لم يكن يقوى على مجرد التفكير فيها .. لقد تقبلت الظاهرة كما هي .. ولقد ظلمت أرى الشيخ على بعد أن كبرت وحتى بعد أن غادرنا حارة الجمالة .. وانتقلنا الى الشوارع الخارجية .. أذكر أنني رأيت مرتين أو ثلاثا يسير وحيدا في بعض الطرقات العامة كدرب الجماميز أو شارع مراسينة، وكان بذات المنظر الجلياب والعمامة والسيف الخشبي والبوق النحاسي .. فيستوقفني لبعض لحظات ويهتف شيء في أعماق قلبي ، الشيخ على ، ثم أنصرف عنه ساخرا بهذه الخزعبلات .. أما الآن وأنا في سن الثانية والإربعين فأنى أقف أمام هذه الشخصية ولا أستطيع الا أن اعترف لها بأنها غرست في نفوسنا نحن الأطفال هذه الدعوة التي ما كان لأبائنا أو لمدارسنا أو للكتب أو الصحف أن تفرسها في نفوسنا ، يا عزيز كبة تأخذ الانجليز ،

حرامية وضباط

وثمة لعبة أخرى شغلت كثيرا من طفولتنا في هذه الفترة هي لعبة « حرامية وضباط » واللعبة مشهورة وربما كان الأطفال يلعبونها حتى الآن .. ولكننا كنا نمارس هذه اللعبة بصورة عجيبة .. تبدولى الآن فئة ومعبرة فلست أعرف كيف أتبع لنا ذلك ..

وميدان هذه اللعبة كان بعيدا عن حارة الجمالة ، كان خارج حارة الجمالة في شارع العمري وفي حارة صغيرة تنفرع منه تسمى « عطفة الزيادة » وكان يقع على هذا الشارع بيت لعلي شقيق والذي وهو المرحوم اسماعيل حسين .. وكان يعمل في وزارة الأشغال على ما أذكر ولكنه كان رجلا تقيا من المتسكين بأحكام الدين على طريقة أهل السنة (السبكية) من أتباع الشيخ خطاب الكبير .. وكان الرجل بالرغم من وظيفته الصغيرة محترما وجادا في الحياة حتى استطاع أن يبني له بيتا خاصا به في هذه المنطقة .. وكان له ابن يسمى زكي فكنيت أذهب لابن عمي لألعب معه وكانت منطقتهم تعتبر أرقى من منطقة حارة الجمالة وبها بيوت محترمة يسكنها بعض متوسطي الحال .. وكان ممن يسكنون في هذه المنطقة الأستاذ أحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة وكان لا يزال شيخا في ذلك الوقت يلبس العمامة وكان ممن يترددون عليه ويزورونه صاحبه الشيخ طه حسين .. وهذه معلومات لم أعرفها إلا بعد أن كبرت بطبيعة الحال .. وكل الذي عرفته في ذلك الوقت أن في هذا البيت الكبير المواجه لبيت عمي سيدة تمت إلى أسرتنا برابطة من نوع ما فتزورها والدتي من حين لآخر وأزورها معها فكنيت أرى بيتا جيدا وأثاثا فخمة تجعل قلبي يخفق .. وهذه هي السيدة التي تزوجها الشيخ أحمد حسن الزيات ولقد علمت بعد أن أصبحت رجلا أن طه حسين كان يتردد عليه ويجلس معه مع شلة من الأدباء في مندرة هذا البيت وإن أخا لي وهو التالي في السن لأخي محمد الذي مات كان يتردد على هذا البيت ويحضر الندوات الأدبية التي كانت تعقد في بيت الشيخ الزيات .. ويستمتع لطله حسين .

هذا هو أحد البيوت وهؤلاء سكانه ، حيث كنا نلعب لعبتنا التي اشتهر اليها لعبة « الحرامية والضباط » .

نقطة العجب في لعبة عسكر وحرامية ، أننا كنا نرتدى بعض الملابس العسكرية « جاكيتات » وكانت هذه الملابس محلولة بالألوان الزاهية ، وعلى صدرها أحيانا بعض النياشين .. وكنا نمسك سيوفا مصنوعة من الحديد على صورة صليب .. وكان أكثر اللعب بهذا الطراز من السيوف ولكن الأمر وصل في بعض الأحوال إلى استعمال سيوف طبيعية أو على الأقل (أجربة) السيوف الحقيقية ..

وكنا نقسم أنفسنا إلى فرق ودوريات وإلى رتب ، فهذا عسكري ، وهذا ضابط وهذا قائد .. ثم نرسم خططا ، واني لأتساءل الآن : من الذي كان يتفق على شراء هذه الملابس وهذه الأسلحة ؟ فلا أستطيع أن أعرف .. ولم أكن أعرف في ذلك الوقت .. لقد كنا ندخل بيتا من البيوت في هذه المنطقة ، وبعض من فيه من السكان يقسموننا ويوزعون علينا هذه الملابس ثم يجمعونها بعد انتهاء اللعب .

ولقد فكرت على ما أذكر في ذلك الوقت أن أعمل على الحصول على بعض هذه السيوف وهذه الملابس ، فسألت عن مصدرها فقيل لي انها تباع في سوق العصر ، ان الحصول عليها سهل وميسور .. وبالتأكيد لم يكن هناك مال .. ولم أستطع الحصول على هذه الأسلحة أو هذه الملابس فظلنا نقبل الأدوار الثانوية مع هؤلاء الكبار الذين يحرزون هذه الملابس ونسير في ركابهم ونصعد بأوامرهم .

واني لأتساءل : هل يوجد في مصر الآن أطفال يلعبون في حارة من الحارات بمثل هذا الأسلوب ، ويصل بهم الأمر إلى حد شراء ملابس ضباط وعساكر ؟

تستوقفني الآن هذه السلسلة المنسجرة من ألعاب الطفولة التي أتاحت لي .. فمن صعود إلى الجبل وممارسة للحرب بالقتلاع

وفداف الأحجار ٠٠ ومن الهتاف يا عزيز يا عزيز كبة تأخذ الانجليزية
والمحاربة مع الشيخ على المجنوب ٠٠ الى هذه اللعبة المنظمة في
صورة الحرامية والضباط ، ونحن مرتدون ملابس الجنود
والضباط ٠٠ أسئال : هل لذلك كله تأثير في تكوين مزاجي وأرائي
وعفديتي التي تكونت لي على مر الحياة ؟

لا أستطيع الآن وأنا أستعرض هذه البيئة الا أن أشعر أن
بأنها لا يبد أنه كان عميقا في نفسي ٠٠ على أن الذي لا شك فيه
ومما لا يحتمل الجدل أن الحوادث التالية ٠٠ حوالت ثورة سنة
١٩١٩ ، ونصيب حتى طولون فيها كان هو العامل الحاسم الذي
وضع بذرة حياتي المستقبلية ، وأنها ستدور كلها حول الصراع من
أجل الشعب وحرية الشعب وكرامة الشعب .

على أنني أريد أن أنتهي أولا من هذه الصور التناثرة التي
لا تزال تناوش ذاكرتي عن طفولتي المبكرة ، لأنتهي منها جملة قبل
أن أنتقل الى المرحلة الثانية مرحلة الدراسة الابتدائية والدلاع ثورة
سنة ١٩١٩ ، حيث تأخذ ذكرياتي تسلسلا تاريخيا متسقا .

مصطفى في السلطة العسكرية

ومصطفى هو شقيقى الذى يكبرنى فى العمر مباشرة ببضعة
اعوام ، لقد كنا أربعة أشقاء محمد وعبد الفتاح ومصطفى وأنا وفد
مات محمد على ما قدمت لك واحتل عبد الفتاح مكانه فى وزارة
الأوقاف فلم يتم تعليمه ولم يحصل على البكالوريا التى رسب فيها،
وكان يصغره فى السن مصطفى الذى حصل على شهادة الكفاءة من
المدرسة الخديوية وانتقل الى السنة الثالثة ولكنه اختار أن يهجر
المدرسة ، وأن يلتحق بالسلطة العسكرية الانجليزية . موظفا بها ٠٠
وكانت السلطة الانجليزية تستخدم المصريين فى ذلك الوقت بصورة

واسعة ، وكانت تغرى الشباب بالمرتبات التي تدفعها لهم • ومصطفى شاب طموح متحرر مفاخر ، سوف نتحدث عنه طويلا في مناسبات مقبلة • لقد كان لي أستاذا - من غير شك - ولست أحسب ان في تاريخ حياتي كلها من أحدث أثرا عميقا في حياتي بمقدار ما أحدث مصطفى مما ساستعرضه فيما بعد • ولقد بدأ مصطفى في طفولتي المبكرة يلفت نظري اليه ويشغلني ويحملني على التطلع اليه في شغف وفي حب •

فها هو يتمرد على والدي ويخرج عن طاعته بمبارحته المدرسة والالتحاق بالسلطة العسكرية •• لقد كان والدي وقد لاحظ عليه النجاح المستمر والتوفيق الدائم في الدراسة يعلق عليه الآمال الكبار في اتمام التعليم •• وعندما نجح في الكفاءة ازدادت آمال والدي وضوحا •• فاذا به يفجعه بهذه (العملة) واذا به يهجر المدرسة بدون اذن والدي أو عليه •• واذا به يخطر بخطاب أنه التحق بالسلطة العسكرية كاتباً بها •• وتستطيع أن تتصور غضب والدي وحنقه عليه وكيف أعلن برأته منه •• ولكن ها هو مصطفى يأتي في اجازة •• ان والدي ليس في المنزل واني لأراه الآن وهو يقدم لوالدتي الهدايا التي جاء يحملها لها من عمله في السلطة •• ووالدتي مبهورة الأنفاس في فرح شديد •• فهذا سكر ناعم بكمية كبيرة ، ويظهر أن السكر كان عزيزا في ذلك الوقت •• وهذه علب لحم •• وهذه علب لبن مجفف وهذه كورونات جاز وهذا أرز • وهذه نقود فوق ذلك كله فقد جاء يحمل نقودا كثيرة من مرتبه الكبير الذي يصرف له •

وقد تصالح والدي معه على ما يظهر ونزل عند الأمر الواقع خاصة أن القتي في نهاية الأمر جاء بكل الراتب الذي يتقاضاه وامله كان خمسة عشر جنيتها وهي بالنسبة لشباب صغير في ذلك الوقت كانت شيئا كثيرا •

وهكذا يطير به والده ويرى أن الغنى ليس سيئا إلى الحد الذي تصوره .. كل الذي نعيه أنه كان يريد أن يتم التعليم ويحصل على شهادة علمية فأما وقد أبقى إلا أن يقف عند هذا القدر فهذا شأنه .. أو لم يبدأ هو بنفسه الحياة بغير شهادة على الإطلاق .. فلماذا لا يبدأ ابنه الحياة العملية بشهادة الكفاءة .. وها هو يتقاضى خمسة عشر جنيها وهو لا يزال في السادسة عشر من حياته .. لا بأس بالموقف .. ويتم الصلح ولا يبقى في النفس إلا الإشفاق عليه من الخطر ، وهذا الإشفاق يبده مصطفى عن نفس والده ، فهو يعمل في مكاتب مصر الجديدة .. أو في العباسية .. ولن يذهب إلى ميدان القتال ، وقد ينتقل إلى الاسماعيلية ولكنه يعمل في القاهرة أكثر الوقت ..

ومازلت أذكر كيف عاد مصطفى في أحد الأيام وهو منزوع فلم يكذب يراني حتى صاح الحمد لله .. ويتابع الحديث لقد كنت شديد الخوف أن تلعب بالرصاص التي جئت بها . لقد أحضر معه فيما أحضر رصاصا من رصاص البنادق لتنتفج عليها . وبعد أن خرج إلى عمله تذكر أنه تركها في (البورية) وأن البورية لا مفتاح يغلقة ، وأنني قد أفتحه وأعبث بالرصاصا وقد تنطلق في وجهي أو يحدث لي منها أذى على أي صورة من الصور .. هكذا تصور فتترك عمله مسرعا وجاء إلى البيت ليطمئن . ولذلك فعندما دفع نظره على ورائي سليما معاني هتفت عتافه الذي قدمته وهو الحمد لله .. ثم أخذ الرصاصا ووضعها في جيبه وانصرف إلى عمله ثانية .

لا تزال هذه القصة واضحة في رأسي بهذا التفصيل . فقد كان منظر الرصاصا مشرا بالقليل ولقد حضر منظرها في رأسي وهو برينا أياها لأول مرة .. وهو يخرجها من (البورية) ويضعها في جيبه خوفا من أن أعبث بها .

ولقد بدأ يخالجنى شعور بالإنهية بعد أن رأيت وسمعت من قصص أخى مصطفى عن حياتهم فى السلطة ما سمعت .. أنتى أعرف ما لا يعرفه بقية الأولاد .. ولى أخ مفاخر يختلف عن بقية الإخوان .

خيال الظل

ولكى أنتهى الآن من هذه الصور المتناثرة أشير الى خيال الظل وكثيرون من القراء الذين يطالعون الآن هذه السطور لا يعرفون ما هو المقصود بخيال الظل ، ولست أعرف كيف أقربيه الى أذهانهم .. ان خيال الظل فى ذلك الوقت كان هو ما يقابل السينما فى الوقت الحاضر بطريقة بدائية بطبيعة الحال . فقد كان يصنع من الورق المقوى صور بعض الشخصيات والحيوانات ثم يؤتى فى الليل بشاشة بيضاء من القماش ويوضع خلفها مصباح مضى، وتحرك هذه الصور أمام المصباح فيبدو ظلها على الشاشة ، حيث يراها المتفرجون الذين يجلسون فى الناحية الأخرى من الشاشة ، ثم تحرك هذه الصور بواسطة شخص يحركها (عن بعد بحيث لا يظهر ظله على الشاشة) ، بواسطة عصى صغيرة تثبت فى أجزاء الصورة المتحركة أى فى أيديها وأرجلها ورأسها ، بحيث يرى خيال الصورة وهو يحرك قدميه ويحرك يديه ويحرك رأسه .. ويتكلم الرجل الذى يحرك هذه الأنتجاع بمختلف الأصوات فيقلد صوت الرجل أو السيدة أو الطفل أو الحمار أو الحصان .

وعلى هذا الأساس كانت توضع روايات قصيرة يشترك فى تمثيلها ثلاثة أبطال أو أربعة .

وتستطيع أن تتصور تأثير هذه اللعبة فى نفس طفل صغير مصرى كيف تلهب خياله وتستولى على كل حواسه . وكان عهدى

بخيال الظل ما كان يصنعه أخي مصطفى من هذه الألاعيب في البيت . فكان يقص الورق على شكل صور مختلفة ثم ينصب الشاشة في الليل ويروح يعرض على باعتباري المتفرج الوحيد للأعيبه وقصصه .

ولكن حدث في ذات يوم أن أعلن عن وجود حفلة لخيال الظل في بيت كبير في منطقة بطولون تسمى الركيبية وسيشتهر هذا البيت في التاريخ المقبل باسم بيت القباقيبى . وقد كان هذا البيت يقع في منطقة تبعد كثيرا عن حارة الجمالة أي عن بيتنا . وكانت الحفلة تقام في المساء ومع ذلك فقد تسلمت من العصر من بيتنا وذهبت الى مكان هذه الحفلة . . وكان الدخول إليها (بنكالة) أي ملبس . . وظللت أنتظر حتى جاء الليل وأظلمت الدنيا وسمح لنا بالدخول . وكانت الشاشة المقامة في حجم كبير وكانت مضادة وعليها ظل الشخصيتين اللتين ستلعبان الدور الأكبر في الرواية التي ستعرض . وقد خلق قلبي لرؤية هذا المنظر فهو يخالف هذه الصور الصغيرة التي كان يصنعها أخي مصطفى في البيت . . هنا شيء رائع على أصله بكل جلاله وروعته .

ومضى الوقت وأولمنا في الليل دون أن يبدأ العرض المنتظر . . وبدأ يداخلى الرعب والخوف لتأخرى عن البيت فلم يسبق لي أن تأخرت هكذا . ولم أفكر في الانزعاج الذي ساعدته لأهمل بطبيعة الحال . ولكني بالرغم من طفولتي بدأت أحس بالحرج في تأخر العرض الى هذا الوقت . . ومع ذلك فلم أستطع أن أبارج المكان قبل أن أشاهد التمثيلية . . وفي تلك الاثناء كان شقيقاي يبحثان عني في كل مكان باعتباري قد ضللت الطريق أو فقدت . . ولست أعرف كيف اهتمدوا في نهاية الامر الى مكاني فاذا بي أفتاج أخي مصطفى وهو يأتي ليستجيني من هذا المكان . . ومازلت أذكر متى الآن هذه البسمة التي ارتسمت على وجهه عندما وقع بصره

على .. بسسمة اعجاب ان تحصل بي المفامرة الى حد الوصول الى
هذا المكان والدخول الى هذه الحفلة .. ويلوح لي الآن انه لولاه لا
اكتشف احد مكاني فلايد أنهم في بحثهم الطويل سمعوا بموضوع
حفلة خيال الظل فتبادر الى ذهنه أنني قد اكون ذهبت اليها ..
وكان تقديره صائبا فهو أكثر الناس فهما لعقليتي .

هل ضربت في هذه الليلة أم لم أضرب لا أستطيع أن اذكر
الآن ! .. وقد يكون وجود أخي مصطفى الى جوارى حاميا لي من
الضرب .. وكثيرا ما كانت أمي تشير الى أنني محدود الحظ وانني
لا أضرب كثيرا كما كان الشأن بالنسبة لأخي الكبير .. وأنا قد
ولدنا في عهد تطور فيه والدي فلم يعد يضرب كثيرا ..

حب القطة

ومما يتصل بطفولتي اتصالا وثيقا جدا هو تعلقى الشديد
بالقطط والذي كان مصدر خلاف دائم بيني وبين والدي التي كان
في قلبها من الرحمة مالا يجعلها تكره القطط أو تعتدي عليها .
ولكنها كانت دائمة تحذيري منها .. ولا يزال في ذاكرتي حتى
الآن كيف كنت لا أنام الا وقطتي على صدري .. وصوت والدي
في أذني مستنكرة ذلك ، وان أنفاس القطة ستضر بصحتي عندما
تختلط بأنفاسي ، ولكنني لم أكن ألقى بالي الى تحذيراتها ، ولم
تكن هي تصل الى حد انتزاع القطة من فوق صدري أو من أحضاني .
وقد ظل تعلقى بالقطط معي طول حياتي يختفي تحت ضغط
الظروف ثم يعاود الظهور ثانية ، وعندما أصبح لي بيت وأصبحت
سيد البيت فكرت في اقتراح المجال لقطة في البيت ، ولكنني سرعان
ما اكتشفت أنها قد تكون خطرا على اولادي الصغار فقد حدث أكثر
من مرة أن (لطشت) القطة احد اولادي فكننا نسرع بالتخلص
منها .. وأنا أعيش الآن بغير قطة في البيت .. مع ان طفولتي
كانت تنبئ ان القطط جزء لا يتجزأ من حياتي ..

أخي عبد الفتاح يتزوج

واقعة لاتزال بعض صور منها عالقة بذهني وهي من حوادث
الطفولة ..

لقد سبق أن اشرت الى أن أخي عبد الفتاح - والذي أصبح
أخي الكبير بعد وفاة محمد - حل محله في وظيفته في وزارة
الأوقاف فممن كاتبها بها . ولم يكن يوظف حتى طالب بحقه في
الزواج .. فشرعت والدتي تبحث له عن زوجة من أسرة كريمة ..
ولقد حدثتك عن رحلة والدتي الى اسطنبول وتعلقه بالانكراك
ولذلك فقد كان من أقصى أمنائه هذه المرة أن يصاهر أسرة ذات
أصل تركي .. ولقد كان وجوده في ديوان السلطان سبيلا لتعرفه
بمن يسمى حسين بك سكوتي أحد كبار موظفي القسم التركي
بالديوان ، وربما كان رئيس هذا القسم بالذات .. وقد استطاعت
شخصية والدتي أن تنجح في الحصول على موافقة الرجل على زواج
أخي بابنته الكبرى وكانت تسمى عادل بلغتهم التركية .. وعديلة
بلغتنا المصرية .. وقد كادت أمي تجن من الفرح وهي تصهر الى
هذه الأسرة التركية الكريمة العريقة . وعندما توجهنا للمرة الأولى
لزيارتهم في البيت الذي كان يقع في حارة تسمى باسم صهرنا
الجديد الكبير ، حارة سكوتي ، وكانت تقع الى جوار جامع طولون ..
عندما ذهبنا مع والدتي الى هذا البيت القديم والمبنى على الطراز
العربي القديم .. أبهاء ضخمة وأقنية من داخل البيت تفتح عليها
النوافذ واسقف تنفذ الضوء من خلال (مناوور - أو شخاشيخ)
ذات زجاج ملون .. عندما رحلت كطفل صغير يتدحرج من مكان الى
مكان فدخلت الى الحمام الرخامي .. وسفله على شكل القبة وقد
ركب بها الزجاج الملون .. كل ذلك جعلني أشعر أنني قد انتقلت
الى عالم ثان وأنتا أصبحتنا من العظماء . وكانت عروس أخي عادل
وأختها ليلى وحافظ ومنيرة على جمال تركي لا نعرفه في حارة

الجمالة ، ولا في البيئة التي تحيط بنا .. فكنت اذا ذهبت الى هذا البيت فكانني قد انتقلت الى عالم الأحلام .. وكانت السعادة الكبرى عندما يحجزونني لتناول الغداء فكنت اجلس على المائدة في جو شاعق من حيث الارتفاع بالنسبة للطبقة التي كنا ناكل عليها في بيتنا .. فلم تكن نعرف المائدة وانما كان طعامنا على صينية وتوضع هذه الصينية فوق كرسي مرتفع بعض الشيء عن الأرض ثم نجلس حولها .. اما الموائد وتناول الأكل حول الموائد فهذه دنيا جديدة بالنسبة لي .. وكنت اذا رجعت الى بيتنا احتاطت بي أمي وأخي يسألونني عن كل شيء من أحوال بيتنا بيتنا الجدد فأفص عليها كل شيء .. وأشرح لها تفاصيل الطعام وماذا كانوا يقولون .. وماذا يفعلون .

ويظهر أنني نجحت في هذه البيئة الجديدة نجاحا لا بأس به فكانوا يشجعونني على كثرة الزيارة .. ومن ناحية أخرى كنت أشد حرصا منهم على الاستمتاع بهذا النعيم الجديد الذي صرت إليه .. فقد كنت اجلس فتحيط بي هذه السيدات الرقيقات .. وكنت أقص عليهن بعض النكات التي كنت أسمعها من أخوي فكان صدور هذه النكات من صبي صغير في السابعة من عمره يقابل بابتهاج عجيب .

وقد وصلت سعادتي الى ذروتها عندما صنعت لي العروس الجديدة (طاقية) من الحرير عدت بها الى البيت وكانني حصلت على كنز .. على أن سعادة أمي بهذه الطاقية التي صنعتها ابنتها المفضلة كان يفوق سعادتي .

والحق أن هذا الزواج كان مصدر سعادة في هذه الفترة
٧ للعريس بل لكل أسرتنا .. وأنا في الطليعة .. فقد أتاح لي هذا الزواج أن أتصل بهذا العالم العلوي السماوي وكان كل ما فيه

جديد بالنسبة لي ورائع .. وكنت فخورا كل الفخر بأنه اصنهر الى حسين بك سكوتى التركى الاصيل اى أنه قد خطب لابنته بنت الأكاير .. وكانت أمى سعيدة بطبيعتها الخيرة بأن حملها القديم فى أن تزوج ابنا لها من أسرة كريمة قد تحقق .. وأنه ستصبح لها زوجة ابن اى بنتا .. وكانت أمى شديدة الشوق الى أن تكون لها بنت فلقد رزقت عددا كبيرا من الأولاد لم يكن فيهم الا بنت واحدة تسمى فهيمة . ولقد ماتت فهيمة ولم ترزق بعد ذلك ببنات .. ولم يبق لها الا ثلاثة أولاد بعد وفاة أخى الكبير .. ويبدو لي أنها كانت شديدة الشوق أن تكون لها بنت .. وكانت تهين نفسها لاستقبال زوجة ابنها كائنة من كانت أحسن استقبال . بل ان زوجة ابنها وقد أصبحت من أسرة تركية عريقة لم تعد تسمح من والدتي الا أنها ستكون خادمتها وأنها لن تحملها على مزاوله أى عمل بيدها وستوفر عليها مؤونة أى جهد .. ولقد برت والدتي بهذا العهد .. فلم يكن الزفاف يتم فى حفلة متواضعة بسبب (حزننا) .. حتى أخلى الدور العلوى من بيتنا فى حارة الجمالة للعروس الجديدة بعد أن أعد اعدادا جديدا .. يتناسب مع الأثاث الفاخرة التى جاءت بها العروس . ولقد كانت الأثاثات فاخرة بل أكثر من فاخرة بالنسبة لنا ولحارة الجمالة .. ولكنها فى طبيعتها لم تكن كالأثاثات التى دخلت بها شقيقتها من قبل .. وذلك بسبب ارتفاع الأسعار فى ذلك الوقت بمناسبة الحرب .. ولكن هذا الذى جاء كان بالنسبة لنا كما قلت شيئا لا يخطر على الذهن .. ولم تكن العروس تفعل شيئا وكانت والدتي هى التى تقوم بعمل كل شيء فى البيت والمضرة أن تلوث العروس يدها بأى عمل من الأعمال ، وقد استمتع الزوجان بشهر غسلهما ، والذى كان شهر غسل بالنسبة لي كذلك .. فقد كان أخى يخرج للنزهة مع عروسه فى بعض الجهات الخلوية .. كانا يركبان الترام حتى نهايته فى شبرا أو فى الهرم .. ويظهر أن أحد رجال البوليس اء أحد الأشخاص تعرض لهما فى بعض الجولات فلما منه أنهما

عاشقان وليساً زوجين . فرأيا أن يصطحباني معهما في هذه الجولات ليكون مظهر الأسرة أكثر وضوحاً . على ذلك فقد بدأت أخذ نصيبي من شهر العسل وهكذا كان هذا الزواج ينبوع سعادة كاملة بالنسبة لي . وعند هذا القدر ينتهي هذا القسم من خواطري وذكرياتى لنتنقل خطوة جديدة حيث تتسق الصورة وتترابط الحوادث وتتصل بحوادث الحياة العامة الجارية .

ذكريات الصبا

وأخيرا جاءت الساعة التي كان يتعين علي أن أذهب فيها الى المدرسة الخديوية لاكتشف فيها كشافا طبييا تمهيدا لقبولي فيها تلميذاً . وكانت فكرة الكشف الطبي على محنة من أكبر المحن التي مرت علي في حياتي حتى ذلك الوقت والتي كانت تملأني رعبا فقد كنت أنتلوي طوال السنوات الماضية على سر يتصل بمرض يملأني خجلا وكنت في فزع أن يكتشف هذا السر احد .

ان نشأته في هذا الحى الوطنى الذى لا تتوافر فيه الصحة قد اصابته في رأسى بنوع من الأمراض الجلدية التي تصيب الرأس ولا بد ان تكون العدوى قد جاءتني عن طريق احد هؤلاء الحلاقين من الذين يعملون في الحى والذين تتداول أيديهم وأمواسهم عشرات الرؤوس التي تسيل بهذا المرض المخجل (القراع) . لم يكن هذا المرض كما قدمت مستفحلا ولم يصل ال مرتبة القراع . فقد كانت رأسى كلها مكسوة بالشعر بحيث ان هذا المرض الجلدى لم يكن يرى الا اذا فحص جلد الرأس عن كسب وبعد ازالة الشعر ، ولقد مضت على سنوات وأنا اعالجه . . ولقد كان العلاج في بادئ الامر على نطاق واسع ولكنه لم يجهز على المرض فظل يعاودنى ، وكنت اعالجه بوضع مرهم الزئبق على رأسى فتختفى آثار المرض ولكنه لا يلبث أن يعود الى الظهور على صورة قشور ناتئة في رأسى ، ولكنها كما قدمت مغطاة بالشعر فهي لا ترى او تلاحظ . ولم يكن

هناك مجال لاكتشاف هذا المرض في راسي أيام مدرسة محمد علي فلما جاءت اللحظة التي تقدمت فيها للكشف الطبي بالمدرسة الخديوية علمت أنه سيكون من بين عناصر الكشف الطبي فحص الرؤوس فامتلت بالرعب والفزع وساورتني الهواجس وانتابني القلق وبدأت لا أعرف النوم بالليل كلما اقترب وقت هذا الكشف الطبي ، واقترب الدكتور .. ثم بعد يفصله عنى سوى طالبين أو ثلاثة .. لم يفصله عنى إلا طالب واحد ، يارب رحماك يارب .. يارب انقذني يارب .. يارب لا تجعلني يارب ..

وكان الكشف على يوسين : اليوم الأول كشف على قوة النظر وعلى سلامة الجسد وقد اجتزت هذا بنجاح بطبيعة الحال ..

وجاء اليوم الثاني اليوم المترقب .. حيث يكشف على رؤوسنا وعلى جلودنا خوفا من أن يكون بها جرب ..

ووقفنا نحن المتقدمين للالتحاق بالمدرسة صفا واحدا وطلب منا أن نخلع الطرايش وأن نمد أيدينا إلى الامام ، وبدأ الطبيب من بداية الصف يفحص رؤوس الطلاب وينظر إلى أيديهم ، وكان مكاني في الثالث الأخير من الصف ..

ويالها من محنة ويالها من تجربة قاسية .. هانذا أكتب هذه السطور بعد ما يقرب من ثلاثين سنة ، ومع ذلك فلا زلت أحس بالآلام التي عانيتها في هذه اللحظة آلام الخجل الذي سيصيبني أمام هذه الجبوع عندما ينظر الطبيب إلى راسي ثم يخرجني من الصف باعتباري مريضا بالقراع ..

وبدأت أستغيث بربي وأردد تعويلتي التي ظلمت ألود بها طول عمري كلما وقعت في شدة .. « يارب .. يارب .. يارب » -

وكان الطبيب يفحص بدقة ويتوقف طويلا أما رؤوس الطلاب ومن حين لآخر يخرج واحدا من بين الصفوف فيخلق قلبى ويصغر وجهى ويفيض ماء الحياة من نفسى لانى أتصور أن مصيرى سيكون كبصير هؤلاء اليؤساء الذين أخرجهم ، وكان ما يرتبني هو الخجل الذى سينالنى أمام هؤلاء الطلاب .

وكان الطبيب يقترب منى رويدا رويدا وكنت أنظر الى اقتراجه برعب ، كما ينظر الانسان الى كارثة تقترب من الانسان لتدممه أو تطار ليمزقه تحت عجلاته .

لقد وقعت الواقعة الدكتور يسك براسى ينظر اليها فى لغة خاطفة ثم يتركها وينصرف عنى الى من بجوارى .. الله أكبر هل نجوت .. هل انتهى الأمر .. نعم لقد نجوت ولم يكتشف الطبيب فى راسى شيئا فهو لم ينظر الى قمة راسى حيث توجد آثار المرض ولكنه نظر الى جانبي الرأس فلم يجد بهما شيئا ولعل الرجل كان قد تعب أو سئم ، فلم يعد يحقق أو يدقق ومادامت راسى موفورة الشعر فلا يمكن أن أكون مريضا .. بل لعل ما كنت أتصوره مرضا خطيرا هو فى حقيقته ليس شيئا .. أو لعل الله قد صرفه .

كيفما كان الأمر فقد انتهى كل شيء وأنا الآن طالب فى المدرسة الخديوية رافع الرأس موفور الكرامة .

وقد كان هذا الموقف هو آخر عهدى بهذا المرض الجلدى فى راسى وكثيرا ما كان يقال لى انه يزول من نفسه عندما أجتاز دور المراحة وهذا هو ما حدث بالفعل فلم يزعجتني بعد ذلك . ولقد شغلت عنه بالتدريج ثم لم أعد أفكر فيه لأنه كان قد اختفى نهائيا .. وان كنت ظلمت فترة طويلة أتوهم أنه لا يزال هناك .

أنا الآن في المدرسة الخديوية وباله من جو عبق بالخطورة والتطور الكبير الذي حدث في حياتي . أن شارع دوب الجمايز الذي تقع فيه المدرسة الخديوية ليس جديدا على فقد كانت مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية التي دخلتها في السنوات الأولى تجاور المدرسة الخديوية . بل أن ضخامة قصر المدرسة الخديوية ليست شيئا جديدا على فإن قصر مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية لم يكن يقل ضخامة أو فخامة ، ولكن شتان ما بين الفترتين ، لقد كنت في الأولى طفلا صغيرا لا أستطيع أن أحس وأقدر ما يحيط بي أما الآن فقد أصبحت شابا ذا خطر ، ولذلك فقد كان مبنى المدرسة الخديوية يؤثر في كياني تأثيرا عميقا ويشعرنى بأننى قد دخلت إلى عالم جديد من الرجولة والخطورة . عندما كنا نلعب في فناءها الخلفي وبه هذه الأشجار الضخمة المتبقية كان ذلك يملؤنى نشوة ويهزنى هذا . . . عندما كنا نتجول في حديقتهما الخارجية ونصل إلى ملعب كرة القدم أو نصعد على السلالم الرخامية في طريقنا إلى الفصول ثم نصعد إلى هذه الصالة الكبرى التي تحيط بها الفصول . . . عندما كنا نمر أمام أبواب معامل الطبيعة والكيمياء التي لم ندخلها بعد . . . كان كل ذلك يهز كيانى هذا ويشعرنى بالسعادة لأنه يشعرنى أننى قد دخلت عالما جديدا سيجعل منى انسانا ذا شأن وخطر ، على أنه لا معامل الطبيعة والكيمياء ولا فخامة البناء ولا ملعب التنس وكرة القدم أو حديقة المدرسة وما بها من اكتشاف . . . لم يكن كل ذلك هو الذى يملأ على فراغ حياتى الجديدة . . . بقدر ما كنت أعد نفسى له من الالتحاق بفرقة تمثيل المدرسة .

فقد كان للمدرسة الخديوية شهرة ذائعة في عالم التمثيل . . . وكان فيها أحد دعائم النهضة المسرحية في مصر وهو المرحوم محمود مراد الذى كان مدرسا بالمدرسة ثم هام بفن التمثيل فأرسلته الحكومة في بعثة لدراسة المسرح في الخارج وعاد من الخارج

ليجعل من فرقة التمثيل بالمدرسة الخديوية شيئاً جليلاً وذا خطر . .
ولم أكد أدخل الى المدرسة حتى كنت شديد اللهفة في أن أسمع
كل شيء عن حركة التمثيل في المدرسة وسرعان ما علمت أن فرقة
تمثيل المدرسة قد قدمت مسرحية غنائية أو بالأحرى « أوبرا »
اسمها توت عنخ آمون ، وهي من تأليف « محمود مراد » وتلحين
« سيد درويش » . ومن قبل قدمت فرقة المدرسة مسرحية مجد
رمسيس وهي غنائية أخرى وقد بلغ من عظمة هذه الأخيرة أن
مثلتها فرقة المدرسة على أكبر المسارح في مصر ، وهو مسرح
« الكورسال » ، وحضر الحفلة وزراء مصر وعلى رأسهم سعد زغلول
زعيم البلاد .

كل ذلك وعيته وأعطت به بمجرد دخولي الى المدرسة ، وعلمت
فوق ذلك أن « محمود مراد » قد اختارته وزارة المعارف ليكون
مفتشاً للتمثيل في المدارس كلها فلا يقف نشاطه عند المدرسة
الخديوية وحدها .

وبدأت أتلهف على هذه الساعة التي يعلن فيها أن فرقة
التمثيل قد بدأت نشاطها وأنها في حاجة لمن ينضم اليها لكي أبادر
الى هذا الانضمام .

وجاء اليوم الموعد وأعلن أن جمعية التمثيل قد فتحت أبوابها
لمن يريد أن ينضم اليها .

وذهبت الى الحجرة التي أعلن أنه سيكون الاجتماع بها وقلبي
يخفق بالاحتمالات التي تنتظرنى .

كنت قد شغلت طول الإجازة الصيفية بتمثيل بعض المقطوعات
وشهدت حجرتي في البيت و « حوش » منزلنا صراخى وزعيقى

وبكائي ونحيبى مقلدا بعض ما كنت أرى وأسمع على مسرح حديقة الأزبكية من مآسٍ وتمثيلات .

وكان سيد فتحي يشاركنى هذه المحاولات قبل أن يسافر إلى أسيوط حيث نقل والده إلى هناك .

وكانت هناك مقطوعة تمثل صبيا يائسا يتوسل إلى شخص يضطهده أن يكف عن اضطهاده مسترحما إياه . وكنت أتصور نفسى وأنا الذى هذه المقطوعة أننى قد بلغت فيها ذروة الاتقان . وكنت على ثقة أننى سأدهش سامعى فى جمعية التمثيل بالدرسة الخديوية عندما ألقى أمامهم هذه المقطوعة .

وسأل رئيس جمعية التمثيل عما إذا كان هناك من يرغب فى الانضمام إلى الجمعية فتقدمنا له نحن الراغبين فى الانضمام . فطلب من كل منا أن يلقى مقطوعة أو قصيدة . وسبقنى أشخاص آلفوا بعض القصائد الشعرية . . أو طالعوا فى أحد الكتب فأحسست بمقدار تفوقى على هؤلاء حيث سألقى مقطوعة تمثيلية وسوف أبكى وأنضرع وأتوسل .

وجاءت اللحظة التى دعيت فيها لالقاء ما عندى . . وتيقنت فى لهفة إلى وسط الحجرة والعيون تشخص إلى من كل جانب . وبدأت ألقى مقطوعتى محاولا التأثير على السامعين بكل قوة وفوجىء القوم . . فوجئوا بصبى صغير يحاول أن يكون ممثلا بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فيحاول أن يبكى وأن يتضرع وأن يركع على قدميه ويتوسل ويختنق صوته ثم يسقط على الأرض اعياء .

ويبدو أن أدائى لم يلق استحسانا . ولم يقل لى أحد شيئا ولم يعلق أحد على ما قلت . . ولكن كان من الواضح أننى لم ألفت النظر عن صورة من الصور . . .

ولم يتطور الأمر الى أبعد من ذلك فقد دعينا بعد بضعة أيام
لتقابلة الأستاذ محمود مراد وسامع الرواية التي أعدها لتمثل هذا
العام .

وذهبت في الموعد المضروب وكان هناك حشد كبير من
الطلاب . . ورأيت محمود مراد لأول مرة ، ثم بدأ يتلو علينا
الرواية ولعل اسمها (في سبيل المبدأ) وهي على خلاف رواياته
السابقة لم تكن غنائية ، وكان أشخاصها لا يزيدون على خمسة
أو ستة من الممثلين . . . وقد اختاروا لهم أعضاء من القدامى
المعروفين لهم وبدأوا في عمل التجارب ، وسرعان ما وجدتني غير
راض عن الرواية لأنها كانت تافهة بالقياس الى المسرحيات الضخمة
التي كنت أشهدها على المسارح العمومية . . ولما لم يكن لي دور
في الرواية فقد بدأت لا أحضر التجارب ولا أهتم بالتردد على
الجمعية . . بل لقد انقطعت عنها انقطاعا تاما بعد ذلك ساخطا
عليها مصابا بخيبة أمل فيها .

وهكذا مرت السنة الأولى من حياتي في المدرسة الخديوية
دون أن أشق طريقى أو أنجح في إبراز شخصيتي في بيئة التمثيل
بها ، وإن كانت هوايتي للتمثيل ومواظبتي على شهود التمثيل في
مسرح الحديقة وفي مسرح رمسيس قد ضاعف في ساسي ونشاطي
واقنتاني بالتمثيل .

العام الدراسي

وليس هناك الكثير مما يروى عن ذكرياتي العامة عن هذا
العام الدراسي لقد بدأنا نطالع كتاب كليلثة ودعنة في درس العربي
وكان شينا يشعرني بالأهمية وبضخامة التطور الذي تطورتنا اليه
فسمعت كتاب " تهذيب البنين " الذي يحوى حكايات ومقطوعات

صغيرة أو كتاب القراءة الرشيدة الى كتاب كلينة ودمنة . . لقد كان تطوراً كبيراً . . وكان يدرس لنا العربية شيخ يسمى الشيخ الكيلاني من أقدم مدرسي اللغة العربية .

وكان يدرس لنا اللغة الانجليزية مدرس مسيحي مهذب الى أمد حدود التهذيب يسمى نجيب بك مقسار ، وقد كان مناداة المدرسين برتبة (بك) هو أحد مظاهر التطور والانتقال ، فمدرسونا في المدارس الابتدائية يتنادون (بأقندي) (أما مدرسونا الآن فيتنادون بكلمة (يا بك) ، ولست أعرف هل الطلاب الذين اختاروا هذا النداء أم المدرسون هم الذين فرضوه على الطلاب ، فالذي لا شك فيه أننا كنا نستمتع بهذا النداء نحن الطلاب لأنه كان يشعرننا أننا قد انتقلنا الى عالم أرقى من هذا الذي كنا فيه .

وكان من المتفق عليه أن (لا ضرب) هنا ولا إيذاء فقد أصبحنا رجالاً لا نضرب ، وكان مدرس الانجليزية نجيب بك مقار يأمي الا ان يخاطبنا نحن الطلاب لاحقاً أسماءنا بكلمة أفندي فيقول لي يا أحمد أفندي ويقول لزميلي يا عباس أفندي ، وكان ذلك يسعدنا كل السعادة . وكانت علوم الهندسة وما بها من نظريات تدور حول المثلثات المتساوية الأضلاع والمتساوية الساقين وكيف أن مجموع زوايا أي مثلث تساوي قائمتين ، كل ذلك مضافاً الى علم الجبر يساعد على اشعارنا بأننا دخلنا في مرحلة العلوم العالية وأنها أصبحت طلاباً ذوي شأن كبير .

أما علم الطبيعة فقد كان على أن أطرب له كل الطرب ، وخاصة في ناحية تجاربه العملية التي كان يجريها أمامنا المدرس . . ولكنني كنت أكثره من الطبيعة قسمها الرياضي ويقدر ما كنت مشفقاً بهذه الأسرار التي يكشفها لي علم الطبيعة ، يقدر ما كنت أمقت المعادلات التي تعتبر الجزء الأهم والأخطر في الطبيعة .

١٠ وكان من الواضح أن درس الانجليزية بدوره تطور تطورا كبيرا فبعد أن كنا نطالع في هذه السلسلة من كتب المطالعات التي تقابل القراءة الرشيدة في اللغة العربية أعطيت لنا كتب مجلة النطالع فيها ، كما قدم لنا كتاب القواعد الانجليزية الشهيرة في ذلك الوقت والمسماى (براتكبرى) أى نسجته الى اسم مؤلفه وهو مطبوع في لندن .

ولعل ذلك هو كل ما لا يزال عالقا بذهنى عن تطور الدراسة في هذه السنة .

أما زملاء الدراسة فقد كان هناك فراغ كبير وطجوة ضخمة نتيجة افتراقى عن سيد فتحى رضوان الذى ذهب الى اسبوط كما قدمت . . ولولا أن هذا الانتقال من التعليم الابتدائى الى الثانوى ومن محمد على الى الخديوية قد حمل في طياته الكثير من المؤثرات لكان شعورى بهذا الفراغ عميقا .

ومع ذلك فقد أسرعت أنا وسيد الى سد هذا الفراغ فأصبحتا نراسل بطريقة منظمة فأبعث له كل أسبوع رسالة وأتلقى منه رسالة وكلتا الرسالتين مطولتان ، نتحدث فيهما عن كل صغيرة وكبيرة مما يدور حولنا ، بل مما يدور في داخل نفوسنا . ولست اعرف أى نزوة حملتنا على أن نوقع هذه الرسائل بأعضاء هارون الرشيد وجعفر فكنت أوقع له على هذه الخطابات بأعضاء هارون الرشيد وكان يوقع خطابه بأعضاء جعفر أو لعل الأمر كان على العكس فكان توقيعى هو جعفر ولعل فتحى يذكر الآن هذا الواقعة ويحدها .

ثم كتب لى سيد فتحى بعد فترة من الزمن يقترح استبدال هذين الاسمين هارون وجعفر باسمى أرسطو وسقراط .

لنبتعد عن دائرة الاتهام (بالتحشيش) ، فليس سوى الحشاشين
ومتعاطي المخدرات من يتخيلون أنفسهم ملوكاً ووزراء .. بل
وهارون وجعفر وأبا نواس على وجه التحديد .

ولست أذكر أيضا أننا كان يوقع سقراط وأينا أرسطو
وأظن اني كنت أنا الذي أوقع بتوقيع سقراط وسيد يوقع خطابه
بامضاء أرسطو .

ولعل هذا الاقتراح من ناحية سيد فتحى يدل على نزعته
الأدبية الفلسفية التي بدأت تتجلى فيه منذ هذه اللحظة والتي ظلت
تطور فيه حتى بلغت القمة .

وعلى هذه الوثيرة رحنا نتبادل الرسائل المطولة التي نتحدث
فيها الي بعضنا ، كما كنا نتحدث عندما كنا متلازمين فكانت هذه
الخطابات ميمت سرور وبهجة سواء في كتابتها او مطالعته الرد
عليها .. وهكذا ظلت الصلة الروحية بيننا على أوثق ما تكون ..
بل لقد زادها البعد وهذا الأسلوب من التراسل قوة وتمكينا .

ولم تستطع البيئة الجديدة أن تقدم لي في هذا العام صديقا
أو زميلا من طراز فتحى .. وإنما كان لي زميل ضمن من يمكن
وصفهم بأنه زميل دراسة وهو عباس حلمى مصطفى ، وإذا أردت
الاسم بتمامه فهو عباس حلمى مصطفى حثوت . وقد لازمتنى
ملازمة لطيفة فكان يصاحبنى ويذاكر معى ويأسى الى ولكن نظرا
لأن والده كان ضابطا فى البوليس أو الجيش لا أذكر بالضبط فقد
كان يبدو أن عباس قد نشأ فى ظل الضغط العسكري فكان بعيدا
عن الانطلاق فى المجالات التي كنت أنطلق فيها ولذلك فقد ظلت
زماالتنا فى حدود القسم المدرسى .

ولعل زميلي الآن أحد كبار ضباط البوليس وأنا أخط الآن هذه السطور لأبد أنه « يكباشي » . وقد ورد ذكر اسمه أمامي بضع مرات في هذه العشرين سنة الأخيرة بمناسبة توليه البوليس في بعض المراكز واحتكاكه بأعضاء الحزب .

ولقد قيل لي دائما انه يذكر لهم علاقته بي . . ولقد رأيت مرة ونحن نستعرض معا هذه الألفاظ والعبارات التي اعتدنا أن نردها ونحن صغار .

ويصادفني في الحياة وبخاصة في عالم القضاء بعض من كانوا رفقاء لنا في هذه السنة الدراسية .

ومنهم القاضي محمود اسماعيل وكانت علاقتي بابن عمه أحمد اسماعيل أقرب وأوثق . . . ومازلت أذكر عندما دعانا في أحد الأيام الى زيارته في البيت وكان بينهم في الزمالك ولأول مرة دخلت في بيت من هذه البيوت توقفت مشدوها ومذهولا أن يكون أحد رفقاتنا في الدراسة يعيش في مثل هذا القصر .

وكان أحمد اسماعيل يقول لي ان ابن عمه محمود اسماعيل أكثر ثراء منه وقصر أسرته يزيد فخامة فكان ذلك يدعشني فوق ادعاشي . . وبدأت أنظر لابن عمه محمود اسماعيل من طرف خفي وكان يؤلف مع بعض نظرائه شلة مازلت أذكر أبرز أعضاء هذه الشلة وكان يسمى فيظي . . وكان من الواضح ان هذه شلة الأثرياء ، فلم تندمج بها ، وليس سوى أحمد اسماعيل من أبناء هذه الطبقة من كان يخالفنا . . نحن أبناء الشعب .

ولا يزال عالقا في ذهني من أحداث هذه السنة والتي لا بد ان تكون هي سنة ١٩٢٤ - ١٩٢٥ الدراسية مصرع السردار

في ستاك ، وما ترتب على مصرعه من سقوط وزارة سعد زغلول
بعد توجيه اذار خطير لها ، وكان أبسط شروط هذا الاذار هو
دفع نصف مليون جنيه لورثة السيرل ستاك ، وأقسي شروط هذا
الاذار ما جاء به من فصل السودان عن مصر وطرد فرقة للجيش
المصري التي كانت ترابط به واطلاق يد حكومة السودان في أن
تتصرف في مياه النيل كما يحلو لها .

وكان من بين الشروط الأخرى أن يشرف الانجليز على تحقيق
الحادث وأن يبطش بكل من له يد فيه مهما كانت مكانته أو منزلته .

واحتل الانجليز جوارك الاسكندرية ريثما تنفذ طلباتهم .

وقد ذهب اللورد اللنبي إلى مجلس الوزراء لتبنيخ هذا الاذار
في مظاهرة عسكرية كبرى ، فركب حصانه على رأس فرقة من
خمسةائة « خيال » مدججين بالسلاح وذلك لإرهاب الحكومة
والشعب .

ومن عجب أن سعد زغلول قد قبل بعض بنود هذا الاذار ،
وأعلن استعداد الحكومة لدفع التعويض المطلوب وقدره نصف
مليون جنيه ، بل وكتب به شيكا بالفعل أمضاء وزير المالية على
الشمسي ، الذي كان قد اختير للمالية منذ أيام فكان ذلك هو العمل
الوحيد الذي قام به .

كما قبل سعد زغلول القسم الخاص باتساع نطاق التحقيق
ومعاقبة المسؤولين ، ثم استقال بعد أن قبل هذه الطلبات بدعوى
أنه يرفض باقي ما جاء في الاذار ، مع أن المنطق كان يقضي على
سعد زغلول بأنه وقد اعتزم الاستقالة فكان عليه أن يبادر بها

لاظهار احتجاجه والا يقبل من طلبات الانجليز قليلا أو كثيرا .
والكن هكذا كان سعد زغلول ينطوى على كثير من التناقض في
أقواله وتصرفاته .

وقد أعقب سعد زغلول وزارة زيور باشا التي وصفت بأنها
وزارة انقاذ ما يمكن انقاذه وقد قبلت طلبات الانجليز مائة في المائة
وسحب الجيش المصري من السودان وأطلقت يد حكومة السودان
في بيا النيل . وبدأ التحقيق على نطاق واسع في قضية السردار
فقبض على كثير من أعضاء الوفد وعلى رأسهم مكرم وماهر والنقراشي
وكل من اشتهر بالنشاط فضلا عن التطرف .

الدعوة الى مقاطعة الانجليز

وقد ردت مصر على هذا العدوان الانجليزي بإعلان مقاطعة
البضائع الانجليزية وتألقت اللجان في كل مكان لتنفيذ هذه
المقاطعة .

وكان أظهر أسنوب لهذه المقاطعة هو خلع أربطة الرقبة
باعتبارها صناعة انجليزية وأن تصنع (كوفية) من المنسوجات
الوطنية بدلا منها . وقد كنت في مقدمة من يادروا بشراء هذه
(الكوفية) المستوعمة بأيد مصرية كما بدأنا نستعمل المناديل
الحلاوي بدلا من مناديل الجيب العادية . ومازلت أحتفظ ببعض
الصور التي أخذت لي في ذلك الوقت وأنا بهذا الشعار .

ولكن هذه الحركة لم تستمر كما هي العادة بكل أسف في
مصر . فالمصريون يتحمسون حتى ليصلوا الى ذروة الحماسة في
لحظة ولا تثبت هذه الحماسة أن تختفي بنفس السرعة وبنفس القوة
التي اشتعلت بها .

أيرجع ذلك الى طبيعة جونا ومنحنا .. أم أن هذه هي سنة
الشعوب التي فقدت حريتها واستقلالها ورسفت في الغلال العبودية ..
أم أن هذه طبيعة خاصة بالشعب المصري . لا أستطيع أن أعلم هذه
الظاهرة فقد عشت بعد ذلك التاريخ الذي أتحدث عنه قرابة سبع
وعشرين سنة أعاني من هذه الظاهرة ما أعاني وحتى الآن لا أستطيع
التفسير لأن الظروف السابقة لا تزال قائمة فلا يزال الانجليز في
بلادنا ولا يزال جونا ومنحنا وظروفنا هي ذات الظروف ولا يزال
الشعب هو الشعب بجهله وفقره ومرضه وعناصره التي يتألف
منها .

ولا يزال الشعب في مجموعه يتحمس حتى ليصل الى ذروة
الحماسة ثم تفتر حساسته بنفس القوة وبنفس السرعة .

وكل أعمالنا لا تزال كما كانت تتصف دائما بالدفعة وبالنزوة
والارتجال ولا تعرف الخطط المدروسة والإرادة الثابتة والمزم
الصادق الذي لا يكمل ولا يمل ولا يلين ولا يتأثر بمرور الزمن
أو عواديه .

ولذلك فقد جاء الوقت الذي فترت فيه حركة المقاطعة
أو بالأحرى ماتت .. بل جاء الوقت الذي أصبحت فيه محلا للسخرية
والهزء وخلعنا هذه الشعارات المصرية المصنوعة باليد المصرية .

وفي هذه الأثناء كان قد قبض على المتهمين في حادث السردار
وشرعوا في محاكمتهم وكنت كسائر المصريين أنتجع المحاكمة .
باهتمام شديد وكان حزننا شديدا لاعتراق عبد الفتاح عنایت
وشفيق منصور وأغلبية المتهمين . ولكن واحدا منهم وهو البطل
محمود اسماعيل ظل صامتا لا يعترف بشيء .. وكانت الشهود

نهال عليه من كل مكان ولكنه كان ثابتا كالطود فحاز إعجاب الشعب .

وترافع المحامون ومازلت أذكر أن مرافعة إبراهيم الهلباوى كانت مرافعة رائعة من الناحية السياسية تحدى فيها الانجليز وسياسة الانجليز . وأخيرا صدر الحكم بأعدام الجميع شنقا واني لأذكر أنني صعدت وأنا أطلع هذا الحكم ثم لم ألبث أن ذرفت الدموع بكاء على هؤلاء الأبطال المفاوير الذين كانت لهم اليد الطولى طوال سنوات الثورة على اقتناع الانجليز بوجود إعلان استقلال مصر والغاء الأحكام العرفية . ولقد قيل ان تربيت باشا حصل لمصر على تصريح ٢٨ فبراير الذى أعلن استقلال مصر وبدء حكمها الدستوري ، ولكن هذه العصابة عصابة شفيق منصور وعنايت ومحمود اسماعيل وإبراهيم موسى هي صاحبه الفضل في هذا التصريح ويجب أن يأتي الوقت الذى تخلد فيه ذكرى هؤلاء الأبطال الأماجد .

وقد قدر لي أن أرى عبد الفتاح عنايت بعد أن استبدلت عقوبة الأعدام بالنسبة له الى الأشغال الشاقة المؤبدة وذلك بعد أن أمضى مدة عقوبته ٠٠ وهو يعمل محاميا هذه الأيام .

كما أتيج لي أن أرى ابن محمود اسماعيل وأن أعبر له عن مجيدي لوالده وذلك كله في العام الماضي فقط .

وأنهى عامنا الدراسي ٢٤ - ٢٥ بعد تأدية الامتحان الذى نجحت فيه وتقلت الى السنة الثانية وبدأت استقبال الاجازة الصيفية واستقبل أخى سيد فتحى الذى حضر الى القاهرة لتمضية اجازته الصيفية بها .

صيف ١٩٢٥

لم تكن السنة الدراسية تنتهي كما قدمت حتى أسرع سيد فتحى الى القاهرة ونزل ضيفا على أخته الكبرى وصهره الأستاذ كامل أحمد المدرس وبذلك التأم شملنا من جديد واستأنفنا حياتنا المشتركة الجميلة وجولاتنا الأدبية ونشاطنا الاجتماعى . ولكن كان من الواضح أن سيد فتحى قد طرا عليه تطور جديد وهو تعيقه فى الأدبيات والاجتماعيات ، ولذلك فقد استهل نشاطه بأن ألقى محاضرة فى بيت أحد معارفنا من سكان البيت الذى كانت تقيم فيه أخته وكان يسمى الأستاذ محمد محيى الدين وهو طالب فى المدارس العليا وقد نسبت الآن لى المدارس ولعلها كانت مدرسة المعلمين العليا .

وكان يتردد على بيته باعتباره شخصا عزيزا نغز من أصدقائه فى الدراسة أو جيران البيت فكانت شقته أشبه بالنوبة تلعب اليها للتحدث أو لتلعب أحيانا (الطاولة) ثم اقترح فتحى أن يلقى علينا محاضرة فى النشوء والارتقاء أو بالأحرى عن نظرية « دارون » .

وقد اجتمعنا كلنا لسماع المحاضرة ولأول مرة سمعت عرضا مستفيضاً لنظرية دارون وكان من الواضح أن هذا الطالب فى السنة الأولى من المدرسة الثانوية قد فهم من هذا الموضوع ما لا يفهمه بعض الأساتذة الكبار ، وأنه ألقى محاضراته بفسورة تدعو الى الإعجاب ولقد أقيمت بدورى فى الأسبوع التالى محاضرة عن مأساة قناة السويس .

وهكذا بدأ التطور الذى نشأ من انتقالنا الى المدرسة الثانوية يظهر علينا .

وكان محيي الدين يحدثنا عن شخصية عجيبة راح يعرضها علينا في كثير من الهزء والسخرية ويلصق علينا من أقاصيصها المعجب والمطرب .

حدثنا عن شاب يسكن في البيت المجاور وهو بيت قديم متهدم وهذا الشاب قد ألف جمعية أدبية أطلق عليها اسم جمعية القلم الأدبية وكانت تسمية الجمعية بالقلم بحيث تعليقات ساخرة منا جميعا .

وينتخص عمل هذه الجمعية في أن « حضرتة » أي هذا الشاب يلقى محاضرات في بيته المذكور فيذهب لسماعها ثلاثة أو أربعة على الأكثر بعضهم نجار وآخر تلميذ صغير لعله أخو هذا الشاب ورجل عجوز . ثم يروح يلقى محاضراته كأنه يخطب وسط الألواف فيروح ويحيى في أنحاء الحجرة ويظيل قامته ويفصرها . . ويرفع صوته الى آخر المدى وينخطف به وقد يضرب بيده على المائدة فيحطم المصباح الضئيل الذي ينير الحجرة والموضوع على المائدة أو قد تنهاوى المائدة نفسها لقدمها وما نخره السوس في عظامها . وعمل هذه الوتيرة راح زميلنا يحدثنا عن هذه الشخصية العجيبة شخصية رئيس جمعية القلم الأدبية . وكنا في كل يوم نجتمع نسمع من حكايات وأقاصيص صاحبنا ما جعلنا في شوق شديد لرؤية هذه التقليلة الغريبة ولما كان رئيس الجمعية يلقى محاضراته في يوم معين من كل أسبوع فقد انتظرنا على أحر من الجمر حلول هذا اليوم للذهاب لسماعها .

وأخيرا جاء اليوم الموعد فذهبنا ثلاثتنا مسيد فتحي وأنا ومحيي الدين وقد وجدنا مسرح الحوادث يطابق الصورة التي وصفت لنا تماما . فقد دخلنا في بيت قديم خرباً واجترنا فتاة

المترب الرطب ثم صعدنا درجات سلم مظلم بكاد يهوى بنا ودخلنا الى شقة صاحبنا فقادونا الى حجرة الكتب ولم تكن حجرة الكتب سوى حجرة في بيت عتيق أرضها من البلاط الذي عدت عليه الأيام وبها أريكتان أو بالأحرى (كنيستان بلدي) وترابيزة صغيرة تسمى مكتبا من باب التجوز وهي رقيقة تكاد تنوء من المصباح الذي كان جانبا فوقها .

واستقبلنا صاحب الدار رئيس الجمعية والأستاذ المحاضر في بشاشة وترحاب وقرح وقور فلعلنا كنا من أحسن الزبائن الذين وفدوا عليه في ليلة من الليالي فقد كنا نرتدى جميعا البدل .. ولعله قد سبقنا أو لحقنا شخص آخر أو شخصان فأصبحنا خمسة في الحجرة فاحتظت بنا وكان النور الذي يبعثه المصباح خافتا وكان ذلك كله يملأ صدورنا برغبة شديدة في الضحك على هذا الجو الغريب ، ولكننا كنا نحبس في أنفسنا الضحك ، نخترنه ورشيا ننتهي من الرواية كلها ونسمع محاضرة المحاضر وما سوف تنطوي عليه من مضحكات .

وجاءت اللحظة التي وقف فيها صاحبنا المحاضر ليبدأ خطابه وراح كل منا ينظر الى الآخر ليوضحه أن يمسك نفسه عن الضحك .

وبدأت المحاضرة وكان في الفاء المحاضر غنة معينة وكان الموضوع يدور حول مدينة قداماء المصريين .

وانتالت الألفاظ من فم المحاضر جليئة رائحة يأخذ بعضها برقاب بعض في عبارات فصيحة على درجة عالية من قوة البيان . وسرعان ما اختفت ضحكات السخرية وماتت الابتسامة الشيطانية التي أهددناها لهذا الموقف وبدأنا ننتصت في انتباه ثم في إعجاب ، وبدأت حرارة المحاضر وجماسيته ترتفع وترتفع وبدأنا نرى ما حدثونا

عنه من أنه يرتفع بقامته وينخفض ويتحرك خلف المكتب أحيانا ذهابا وجيئة ، ولكننا لم نر في ذلك كله ما يدعو الى الضحك .

حقا لقد كان شيئا جديدا وكان شيئا غير مألوف وغريبا . ولكنه كان ينطوي على جوهر رائع فاللقاء قد سحرنا وأخذ بتلابينا لما الموضوع فقد أذكى نيران الوطنية في نفوسنا . وكان صاحبنا يخاطبنا كما لو كان يخاطب الوفاء من جماهير الشعب . وقد نسي الجو الذي يتحدث فيه نسي أنه يحاضر في حجرته الصغيرة في البيت التهدم المتواضع ، نسي أن مصباح حجرته ضئيل لا يكاد يكفي لإضاءة الحجرة . نسي أن كل الذين يسعون لا يزيدون على خمسة ، واندمج في محاضراته أو بالأحرى خطبته واندمجنا معه ونسينا هذا المحيط الذي يحيط بنا وعندما انتهى من خطابه وسط عبارات مدوية داعيا فيها الشباب الى النهوض والميل والتكاتف لاستعادة مجد بلاده القديم ، صفقنا له في حارة ، صفقنا له من أعماق قلوبنا وأقبلنا عليه معجبين ، بينما اضطر زميلنا الثالث الذي جاء بنا لنشاطه سخرته أن ينضم إلينا في اظهار الإعجاب . وعند هذه الليلة بدأت علاقة جديدة متينة بيننا نحن الثلاثة سيد فتحي وأحمد حسين ورئيس جمعية القلم الأدبية والذي لم يكن سوى الأستاذ « حافظ محمود » وكيل نقابة الصحافة وأنا أكتب هذه السطور بكل احترام وتوقير لكل زملائه الصحفيين على اختلاف مذاهبهم السياسية واتجاهاتهم والوانهم . وبادرنا بالانضمام الى جمعية القلم التي كانت تتألف من ثلاثة أشخاص أو أربعة وياضمانا إليها ضاعفت نشاطها وحيويتها وقد عهد الى برئاسة قسم التمثيل في الجمعية والى اخي سيد فتحي برئاسة القسم الأدبي في الجمعية .

وان هو الا شهر من الزمان حتى أقامت الجمعية حفلة عامة في فناء بيت الرئيس . هذا الفناء الذي وصفه لك من قبل متربا وطبا ولكن عندما كسبت جدران البيت بالأشمسة التي

استوردت من (الفراشة) وأضى النساء بالليل (بالكلوبات) وصفت فيه الكراسي الصفراء وأقيم في ركن منه منصة للخطابة والتمثيل ، تبدل الموقف رأسا على عقب . وعند افتتاح الحفلة كان المكان مكتظا بالحاضرين وأقيمت الخطب الأدبية والمقطوعات التمثيلية وبعض الأناشيد والقطع الغنائية . . . فكان إعجاب الحاضرين شديدا . . . وكان ذلك نصرا وفتحا مبينا وهكذا بدأنا نواجه بنشاطنا الأدبي والفني الجماهير لأول مرة .

وقد بقي أن نعرف أن الأستاذ حافظ محمود في ذلك الوقت كان يتردد على الجامعة المصرية قبل أن تصبح جامعة فؤاد والتي لم تكن قد أنشئت بعد وكان من المعجبين بتوفيق دياب الذي جاء من لندن بطريقته الفذة في الإلقاء التي كان حافظ محمود يحاكيها وكان يتلقى دروسه على يد طه حسين ومنصور فهمي وبقيّة هذا الرعيل الأول من أساتذة الجيل ، وبهذا وجدنا أنفسنا في مصاحبتنا لحافظ محمود في بؤرة النهضة الأدبية التي خلقتها الجامعة في نشاطها الأولى .

على أن هوايتي للتمثيل كانت هي المسيطرة على نشاطي وكان ترددي على مسرح حديقة الأزبكية ومسرح رمسيس مستمرا بالصورة التي شرحتها من قبل .

وعلى هذه الوتيرة من حضور الحفلات التمثيلية والمساهمة في النشاط الأدبي والاجتماعي لجمعية الفلم الأدبية وتمضية الوقت في المطالعة أو المناقشة أو خروجنا لبعض التنزه والرحلات أنا وسيد فتحى يومية ومعنا حافظ محمود في بعض الأحيان . . على هذه الصورة أمضينا العطلة السنوية في صيف ١٩٢٥ .

على ماهر وزير المعارف

وباقتراب السنة الدراسية الجديدة بدأ يلفت نظرنا بشدة الحياة الجديدة التي يشيعها وزير المعارف على المدارس ، فهذا الرجل الذي قلده وزارة المعارف لأول مرة في وزارة جات لصانعة الانجليز ومداهنتهم وانفاذ ما يمكن انفاذه من برائتهم ، باحسان الرأس والخضوع لرغباتهم ، قد أحدث في التعليم المصري ما يشبه أن يكون ثورة ضد الانجليز ، وقد كان هذا من أعجب العجب . فقد أدخل اللغة الفرنسية الى التعليم لتزاحم اللغة الانجليزية واستورد عشرات من مدرسي اللغة الفرنسية من فرنسا مباشرة ، بل فعل ما هو أكثر من ذلك إذ أدخل مادة التربية الوطنية الى البرنامج ، وما تتضمنه هذه المادة من التعريف بالوطن والمستور والقوانين والجهاد في سبيل الحرية . وطلب من مدرسي التاريخ أن يتداركوا أخطاء الماضي التي كانت تصور مصر امة مستعبدة خلال القرون والأجيال ..

فالحق أن مصر كانت لها مدنيات وحضارات أضاعت فيها على العالمين ، وأدخل فروعاً جديدة من المعرفة لم تكن في برامج التعليم من قبل كالجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات وأدخل التعليم بالسينما في المدارس وحثم أن يكون في كل مدرسة جهاز للسينما ووضع برنامجاً ضخماً للنشاط المدرسي ، وشغل أوقات الفراغ للطلاب .. بل نظم رحلات للطلاب على نطاق واسع في طول مصر وعرضها ارضية آثار مصر وامجادها ومناطق نشاطها بل تخطى برحلاته الحدود المصرية ، ونظم رحلات لتجرب شواطئ البحر الأبيض والفرور بلدان أوروبا .. وشجع ذلك كله بانشاء الجامعة المصرية التي كانت حلماً من الأحلام ..

ولقد انثرت من قبل الى الجامعة المصرية وانها كانت موجودة وقائمة ولكن الحقيقة ان الجامعة المصرية الى ذلك التاريخ كانت تؤلف من كلية واحدة من كليات الآداب ولم تكن تتبع الحكومة المصرية ، فجاء علي ماهر وضم المدارس العليا كلها الى هذه الجامعة فاصبحت تشمل كليات الآداب والعلوم والحقوق والهندسة والزراعة والطب ، وأطلق عليها جامعة فؤاد ، واستجلب لها نفرا كبيرا من الأساتذة العالميين من جامعات باريس ولندن .

وهكذا أحدث علي ماهر - كما قدمت - ثورة كاملة في الناحية العلمية وقد زودني ذلك الذي فعله علي ماهر بحجة كنت أقدفها في وجه السياسيين المصريين طوال السنوات التالية ، عندما كانوا يحتجون بالانجليز لتفاسدهم عن اصلاح حال البلاد فقد كنت أذكرهم دائما بعمل علي ماهر في وزارة المعارف ، وأنه عندما وجد الرجل صاحب العزيمة والقدرة على التنفيذ مضر الى هدفه يقدم ثابتة ولم يستطع الانجليز أن يعترضوا سبيله .

لقد أدخل علي ماهر اللغة الفرنسية لثغور اللغة الانجليزية من المدارس ، وهي التي كان يحرص الانجليز بجذع الأنف على سيادتها ، وأدخل التربية الوطنية لتحارب تعاليم الاستعمار الفاسدة . . فعل ذلك كنه في ظل وزارة كان يجثم عليها شبح الانجليز ونفوذ الانجليز ، وأنها تألفت لتصانع الانجليز .

ولقد كانت هذه النهضة أحد الأسباب التي جعلتنا نتعجب في شغف بدء الدراسة في العام الجديد نستمتع بهذه الحياة الجديدة والعالم الجديد . . وجاء العام الدراسي ١٩٢٥ - ١٩٢٦ ، وسافر أخي سييد فتحى الى امبيوط ليلاحق بأمه ته ومدرسته وأخذت طريقي يوم الافتتاح الى شارع درب الجماعيز لأدلف منه الى مدرستي الحبيبة مدرسة الخديوية .

لست الآن طالبا مستجدا كما كنت في العام الماضي . بل انا طالب قديم وفي السنة الثانية واني لأعرف كل ركن من أركان المدرسة وأعرف الكثير من وجوه مدرسيها وطلابها وطلبتها . ولى فيهم معارف وأصدقاء على الأقل هؤلاء الذين زاملوني في العام الماضي . . . ولذلك فقد كان يفخرني هذا الاحساس الجميل الذي يملأ الطلاب الناجحين والذين يستقبلون عامهم الجديد في نشاط وثقة بالنفس وآمال كبار .

عندما دخلت الفصل الذي خصص لنا لأول مرة ، وقد كان فصلا ضخما كامل التهوية والاضاءة لم أشعر بالرهبة التي ملأتني وأنا أدخل الفصل في السنة الماضية ، نحن الآن في بيتنا وفي وسط عائلتنا .

وكان في فصلي الجديد عدد كبير من زملاء العام الماضي ، وكان عباس حلمي ومصطفى حتوت الى جوارى ولست اذكر كثيرا من رفقاء هذه السنة الا شايبا من أسرة راتب ، وكان يسمى قيما اذكر عبد الله راتب وهو من الأسر الأرستقراطية ولكنه لم يكن شايبا طبيعيا .

ولست اذكر احدا من مدرسي هذه السنة الا ان يكون مدرس الرياضة وهو الأستاذ أمين ابراهيم الذي قابلته أخيرا ، وهو ناظر للمدرسة السعيدية ، والى جوار الرياضة كان يعطينا هذه العلوم الجديدة علم النبات والحيوان .

وفي ذاكرتي مدرس اللغة الفرنسية فقد كان حدثا جديدا في حياتنا . كان رجلا مصفا يسمى « ميسو ديديوي » وكان كغيره من مدرسي اللغة الفرنسية قد استجلب من فرنسا مباشرة وألقى به وسط

المدارس المصرية فهو يتكلم الفرنسية وسط صبيان لا يعرفون حرفا واحدا من الفرنسية ، وكان ذلك مثار صعوبة كبرى . . كان الرجل يخطبنا بالإشارة ، وكان كبقية الفرنسيين سريع الغضب والتوهج وكان الطلاب الأشقياء يتخذونه أداة للتسلية ، وكانت حصته تتحول الى فوضى وتهريج ، وكان الرجل يعاني آلام شديدة وكنت اشفق عليه لما يناله من اذى الطلاب ، وقد لاحظ الرجل اشغافى عليه فقربنى اليه ، واعتبرنى تلميذا طيبا على الرغم من اننى لم اكن المهتم حرفا واحدا مما يقول . ودعانا الى زيارة بيته أنا وعباس حلمى وراثب وقسم لنا الشاي بواسطة زوجته ، وقد كان هذا شيئا جديدا بالنسبة لنا ولكن هذه الصداقة بينى وبين مدرس اللغة الفرنسية لم تزد شيئا فى معلوماتى فى اللغة الفرنسية ، ولذلك فقد كنت فى مؤخرة الطلاب فى اللغة الفرنسية باستثناء هؤلاء الذين لا يريدون أن يتعلموا شيئا على الاطلاق . ويخيل الى أن الأستاذ كاهل أحمد صهر سيد فتحى كان يدرس لنا التاريخ والجغرافيا والتربية الوطنية . . وربما كان ذلك فى السنة الماضية . والمهم انه واحد من الأساتذة الذين هازلوا فى ذاكرتى . ولا بد أن اللغة الانجليزية بدأ يدرسها لنا أحد المدرسين الانجليز . ولكنى لا أذكره . . وهذا هو كل ما أذكره عن حياتى الدراسية فى هذا العام مما يدلك على أنها سارت حياة عادية ليس فيها ما يميزها .

« نهضة الطلبة »

على اننى قبل أن ادع هذا الجانب لانتقل الى الجانب الأخر الأكثر حيوية من ذكرياتى ، وأعنى به نشاطى فى فرقة التمثيل لا يسعنى الا أن أذكر أن ميلى للمصحافة يعبر عن نفسه فى هذه السنة بصورة نذرة . لقد اتفقت مع بعض زملائى على إصدار مجلة خاصة بصلتنا ، وجمعت بعض الاشتراكات من الطلاب ، وأصدرت مجلة أطلقت عليها اسم « نهضة الطلبة » فيما أذكر ، وقد طبعتها

في إحدى المطابع التي طبعت لي من قبل منذ بضع سنوات منشورات
جمعية نصر الدين الاسلامي ، وخرج المشروع الي حيز التنفيذ
فقد جاءت الساعة التي رحمت أوزع فيها على الطلاب العدد الأول
من هذه المجلة فكان ذلك مبعث دهشة وتعجب ، وانى أذكر أن
العدد الثاني من هذه المجلة قد صدر أيضا ولكنى بعد ذلك شغلت
في فرقة التمثيل فتوقفت المجلة عن الصدور ، والحق أن التمثيل
منذ هذه الفترة بدأ يزحف على ويستغرق تفكيرى ونشاطى ،
حتى كدت أفنى فيه تماما - كما سأذكر في الوقت المناسب - وطفى
التمثيل على كل هواياتى الأخرى في الكتابة أو الأدب أو النشاط
الاجتماعى ، بحيث لم يدع مجالاً لسواه ، حتى الدراسة نفسها
جاءت الساعة التي كدت أضحي بها من أجل التمثيل .

كنت مصمما في هذا العام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ ، ألا يتكرر
ما حدث في العام الماضي حيث انسحبت من فرقة التمثيل وسحبت
للأعضاء القدامى أن يتجاهلونى ، فقد كنت - يومئذ - عريفا في
صلى بالمدسة ، وأكثر عراقا في هواية التمثيل بعد أن مضى لى
أكثر من عام وأنا اشتغل به ، بل بعد أن أصبحت رئيس قسم
التمثيل بجمعية القلم الأدبية ، وبعد أن أصبحت عارفا بكل مايجرى
في الوسط المسرحى وكل ما يتصل بالنشاط التمثيلى ، ففي ذلك
الوقت كانت قد صدرت مجلة تتحدث عن المسرح وكان اسمها
« المسرح » لصاحبها « عبد المجيد حلمى » ، وكانت هذه المجلة رمزا
لما وصلت اليه النهضة المسرحية في البلاد ، فقد انتشرت على
نطاق واسع ونقلت الى مختلف الأوساط ولا سيما أوساط الطلاب
والشباب بصفة عامة ، وكانت هذه المجلة هي المعهد الذى تخرج
منه هذا الرعيل الأول من الصحفيين والكتاب المحدثين الذين
يعتبر « محمد التايحى » عميدهم وصاحب مدرستهم ، وكانت المجلة
أسبوعية تستعرض النشاط المسرحى وتنتقد الروايات التي يخرجها

« يوسف وهبي » ، فقد كان يخرج في كل أسبوع رواية جديدة . .
وعلى صفحاتها عرفنا الممثلين فردا فردا رجالا ونساء . ماذا
يأكلون وماهي هواياتهم وماهي مشاعرهم .

وعلى صفحاتها بدأنا نطالع كل مايربطنا بالحياة المسرحية
ويجعلها جزءا من حياة المسرح . وكالعادة لم أقف عند مطالعة
المجلة . بل لقد أخذت طريقى الى ادارتها وتعرفت الى صاحبها
« عبد المجيد حلمى » .

على أن العنصر الذى زادنى ثقة وعزيمة على اقتحام جمعية
التمثيل هو وفاة المرحوم محمود مراد . فقد كان عميد الجمعية
ورب نهضتها ، ولذلك فقد أصبح لا يعرف سوى الطلاب القديما
الذين أعدهم من قبل وعطوا معه ، ولذلك فليس هناك مجال
لناشئ جديد أن ينفذ بينهم أو أن يطمع فى الحصول على دور فى
أحدى الروايات الجديدة أو القديمة .

وعمل رؤساء الجمعية من الطلاب على أن يسدوا فراغ
المرحوم محمود مراد فجاءوا بالأسفان عزيز عيد عميد الخريجين
وأستاذ التمثيل الأكبر فى مصر ليتولى الاشراف على الجمعية .

وجاء عزيز عيد وهو كاستفان عريق وكشخص غريب عن
الوسط الجديد ، لم يكن يميز بين طالب وطالب ، فالكل عنده سواء
والكل بالنسبة اليه مستجدون يتفاضلون أمامه بنشاطهم واجتهادهم
واستعدادهم الطبيعي . وبذلك تساوينا جميعا فى الفرصة وهذا
ما حفزنى وضاعف فى تصميمى على أن أشق طريقى . وكان يجب
لكى يتعرف علينا عزيز عيد أن يلتقى كل منا أمامه مقطوعه .

والقيت امامه مقطوعة شعر معها الطلاب اننى امثل واجيد التمثيل ، ولكن لم يبد على عزيز عيد انه لقي بالا الى ما القيته امامه بصفة خاصة .

وكان من الواضح ان عزيز عيد لم يلق بالا الى شيء على الاطلاق فقد كان معتزما كاستاذ ان يبدأ معنا من البداية وان يعلمنا فن الالقاء على طريقته وبالاسلوب الذى رسمه .

وجاءنا بالدرس الاول وهو مقطوعة « الأنفيات » من رواية « سيرانودى برجراك » عندما اراد احد الاشراف ان يتهمك على سيرانو ، وان يجرح كبرياءه بان يشير الى انفسه الكبير ، وكان سيرانو يقتل كل من يتهمك عليه ولكنه اراد قبل ان يقتل هذا « الدوق » ان يعيث به فراح سيرانو يلقي عليه درسا فى كيف يكون التهمك على ضخامة انف سيرانو ثم يروح يصف هذا الانف مئات الأوصاف المضحكة .

وبدا عزيز عيد يعلمنا وبدانا نتعلم واستغرق عسديدا من الفروس لتعلم ، كيف تلقى هذه المقطوعة حتى كدنا نمل الموضوع واخيرا قرر ان يعثفنا وان يعطينا درجات .

ولست اعرف حتى الآن كم درجة اعطانى الرجل فى هذا الامتحان ، ولكن كان من الواضح انها اكبر من الدرجة التى اعطيت لروؤساء الجمعية من الطلاب ٠٠ الذين ضاتوا ذرعا بهذا الاسلوب الذى حولهم تلاميذ صفارا من جديد وهم الذين اعتادوا ان يمتلوا ادوار البطولة فى روايات « محمود مراد » ، ولذلك فقد اعلنوا فجأة استغنائهم عن عزيز عيد ، واعراضهم عن هذا الاسلوب فى تعليم التمثيل ، كما اعلنوا عزمهم على اعادة تمثيل احدى روايات

محمود مراد علي أن يخصصوا إيرادها لورثته ومن غير شك أنني رحبت بهذا الاتجاه ، لأنني كنت لا أقل شغفا عن أي واحد فيهم عن الاشتراك في تمثيل رواية والاضطلاع بأحد الأدوار .

ورواية « مجد رمسيس » كما سبق أن أشرت هي رواية غنائية « تعد نوعا من الأوبرا » تعتمد على مجموعة من الأناشيد وأدوارها الرئيسية تؤدي عن طريق الغناء فيما خلا شخصيتين أو ثلاثا على وجه التحديد .

وكان دورها التمثيلي الأول هو للكاهن الأكبر وكان مقرر أن يقوم به رئيس الجمعية الأستاذ « عبد اللطيف شاش » وهو تلميذ كبير في السنة الرابعة ومن أقدم أعضاء الفرقة فلا محل لمنازعته في هذا الدور . وكان الدور الذي يليه دور مصري يسمى « ماشع » وهو جاسوس خائن ولهذا الدور رنوت بيسرى وتقدمت في الامتحان للحصول عليه .

ولكن رؤساء الفرقة كانوا قد اعترضوا اعطاء هذا الدور لأحد أسسناهم القدامى وهو الأستاذ « جلال الدين العروسي » الذي يحتل منسبا كبيرا الآن في وزارة الداخلية في قسم الجوازات والجنسية . ولكنهم كانوا محرجين إزاء تفوقني في أداء الدور ، فخرجوا من هذا المأزق بأن أعطوني الدور الثالث في الرواية بدون امتحان وهو دور لقائد يسمى (أونا) .

وقضى الأمر وأصبحت واحدا من ممثلي الرواية الذين يشار إليهم بالبنان والذين يخرجون كل يوم من الفصل للتمرين والتدريب وكان ذلك يملؤني زهوا .

ورواية مجد رمسيس شيء رائع من غير شك وقد كان لها أبعاد الأثر في نخرس بذور الوطنية في نفسي بأناشيدها الحماسية

التي تتحدث عن مجد مصر وعظمتها وقد ظلت هذه الأناشيد تصاحبني حيثما رحلت وأتى جنّت . حتى جاءت الساعاة التي تفجرت في نفسي ووطنية متدفقة على صورة جهاد ضد الانجليز من أجل الحرية ومجد البلاد .

وتتلخص الرواية في أن كاهن مصر الأعظم على أيام رمسيس الثالث لم يكن في حقيقته الا دخيلا أجنبيا وقع في أسر مصر ، ولكنه استطاع بدهائه ان يبدو كأنه مصري وأن يتدرج حتى يحصل على منصب الكاهن الأعظم ، ثم يعد لاستغلال هذا المنصب الخطير لايقاع الدسائس والفتن لخراب البلاد ودمارها ، وانتهاز فرصة انصار قائدين لرمسيس الثالث في فتحها لبلاد الشام فنسب اليها منشورا كاذبا يعلنان فيه عصيانهما وتمردهما على رمسيس ، واستقلالهما بملك الشام فيقبض عليهما رمسيس الثالث ويحكم عليهما بالاعدام . وفي ساعة التنفيذ تفتضح الدسيسة ويكشف الستار عن حقيقة الكاهن الأعظم ودسائسه فيطلق سراح القائدين البريئين ويقبض على هذا الدخيل الأجنبى ، ويقدم بسدلا من القائدين .

ويسدل الستار على هذه النصيحة الغالية التي يهتف بها الشعب في صورة نشيد رائع :

أيها المصري يا ابن النيل
يا قبيلى القصد
انت اولى الناس بالتجيبيل
يسا سليلى المجد
اطلب العليسا وحائز
خدعة الدخلاء

كلهم خيب وغاب
مصير للعداء
انتنا قوم كرام
نكرم الغرياء
والحر يابى أن يضام
ان ميداننا الابياء

ثم تنتقل المجموعة الى نشيد آخر أكثر دويأ يسدل على آثاره
الستار وهم من تلاميذ سيد درويش ويبدأ بهذا المطلع :

سودى على رغم الزمن
يا مصر يا نعم الوطن
دوسوا العدا يوم السرى
لبوا النداء كونوا فدا
وطنقى هى ذمتى
وعقيدتى هى امتى
والحر يفتت كالهزم
لتمتمس دانئت أمم
نلقى وان طال الزمن
والمجد باق للوطن

الى آخر هذا النشيد وغيره من عشرات الأناشيد التي ما فتئت
اترنم بها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم ، وعندما نجتمع في كل عام
عند سفح الهرم لنحتفل بالعيد ، لا أجد ما يشوقني أكثر من أن
انشد لأبناء مصر الفتاة هذه الأناشيد الأولى التي أبقت روحى
وغرست في نفسى مجد مصر .

ومن هذه الأناشيد ذلك النشيد الداوى الذى اتخذته بعد
عشر سنوات من هذا التاريخ نشيدا رسميا لمصر الفتاة وهو نشيد :
اسلمى يا مصر انشى القدا .

والحق أن ، مجد رمسيس ، باناشيدها وموسيقاها هي خالقة
مصر الفتاة ونهضتها وستظهر الصلة المباشرة بينها وبين فكرة
مصر الفتاة بعد ثلاث سنوات من هذا التاريخ ، عندما ذهبت الى
رحلة الأقصر وأسوان ، كما سأشرح ذلك بالتفصيل في حينه .
سارت تجارب الرواية في طريقها تحت اشراف عبد اللطيف شاش
الى أن اقترب اليوم المحدد للتمثيل ، فاستأجرت الجمعية مسرح
حديقة الأزبكية ، وكان من حقنا أن نجرى عليه تجربة قبل ليلسة
التمثيل . ولست أستطيع أن أتحدث عن مقدار سعادتى عندما وجدت
نفسى فوق مسرح حديقة الأزبكية الذى طالما هلت نفسى للوقوف
عليه منذ عرفت طريقى لمشاهدة رواياته . لم أكن أصدق نفسى
أنى فوق خشبة المسرح ، وأن حلمى قد تحقق أخيرا وهانذا أسير
فوقه .

ولم يكن هناك حد لنَيْض السعادة الذى أصبح يخرسنى لدى
كل خطوة جديدة نخطرها في هذه اللحظات الأخيرة .

فقد جاء دور توزيع الملابس علينا وباعتبارى أحد القائمين
الذين تدور عليهما حوادث الرواية فقد أعطيت لى بدلة فرعونية

فاخرة جعلتني أشعر بالعزة والياس بالنسبة لكل من يحيط بي من الجنود وأفراد الشعب .

وأجربنا الشجيرة الأخيرة ، كما ستمثل في اليوم التالي وصاحبنا فرقة موسيقى المدرسة برئاسة زين العابدين الذي كان يجيد قيادة الفرقة لعزف أناشيد الرواية وموسيقاها الصاعدة

وانصرفت الى بيتي وأنا أكاد أطير من فرط السعادة ولم أستطع النوم في هذه الليلة من شدة اللهفة على شروق شمس اليوم التالي .

وأشرقت الشمس وتوجهت الى المدرسة ومن المدرسة أخذنا طريقنا الى مسرح حديقة الأزليكية هيث فوجدت بما زاد في سعادتي اذ وجدت غرفة من غرف الممثلين قد خصصت لي ولزميلي القائد لخلع ملابسنا وكان ذلك آيه الأهمية التي وصلنا اليها .

ويعد ان غيرنا ملابسنا ارتدينا ملابس التمثيل جاء المختص في عمل « المكياج » وبدأ في صبغ وجهي بمختلف الأصباغ والأدهان ليخفي صورة الشاب الصغير ويرسم صورة القائد المغوار ، وهكذا كانت أحلامي كلها تتحقق خطوة خطوة .. فانا الآن ممثل خطير وان هي الا بضغ ساعات حتى تمتليء هذه الصالة بالمتفرجين ليشاهدوا تمثيلي وكانهم لم يجتمعوا الا ليشاهدوا تمثيلي أنا .

ورصلنا الى نروة الموقف .. وكان قلبي يخفق فالصالة الآن مليئة بطلاب المدرسة ورجال الصحافة وموظفي وزارة المعارف وأقاربنا وكل من يلود بنا وقد أطفئت الأنوار وعزفت الموسيقى نشيد الافتتاح ورفع الستار وبنا التمثيل .. وصباح بنا حدير المسرح أن استعدوا ، وجاءت الإشارة للعودة « ادخلوا »

ودخلنا وغمرتنا الأضواء واستقبلتنا الموسيقى التي كانت تعزف (مارشا) فقد كان دخولنا على المسرح على رأس فرقتنا حيث نصير في مركب عسكري وتعزف الموسيقى مارشا يشبه المارش الشهير في رواية عابدة ، حتى اذا وقفنا في حضرة رئيس اسرع الشعب الى ترتيل نشيد يمدح فيه أمون العظيم على ما اولى مصر من نصر على أيدينا .

ثم يشرح رئيس يهنئنا على ما أحرزنا من نصر ويسألنا ان نقص عليه تفاصيل المعركة . . وكان زميلي القائد يصف المعركة غدا . أما أنا فأصغها تمثيلا وكانت كلماتي تلقى بقوة كأنها قذائف .

وكان عبد اللطيف شاش رئيس الفرقة يأي الا أن يجعلني أبالغ في تضخيم الألفاظ والعبارات وان أبالغ في اظهار صرامتها وفي تقوية صوتي . . ولست أعرف ماذا فعلت في هذه الليلة وأنا تحت الأضواء وامام الجمهور . . والتعليق الوحيد الذي انتظرتة بفراغ الصبر جاء على لسان « الأحنف » محرر مجلة المسرح حيث وصفني في حديثه عن الرواية الذي استغرق صفحتين كاملتين من مجلة المسرح بأنني كنت القائد (الششلى) ، وقد سرتني هذا النقد وأحزنتني في ذات الوقت ، سرتني أنني استطعت على كل حال ان ألفت نظر الناقد الكبير وان يرى نفسه مضطرا للتبويه بي كبطل من أبطال الرواية ، وأن يظهر اسمي على مجلة المسرح ، وأحزنتني بطبيعة الحال أنه لم يستطع أن يصفني الا بهذه الكلمة كلمة (الششلى) ، ويظهر أننا دائما نتصور أنفسنا شيئا مذكورا والحقيقة تخالف ذلك الى حد بعيد .

وكيفما كان الأمر فقد انتهت الحفلة بنجاح في مجموعها . وقد أصبحت في النهاية ممثلا وقف تحت الأضواء ومثل أمام الجماهير ويلقى التصفيق والتهنئة . وأصبحت نجما من نجوم فرقة التمثيل

بالمدرسة الخديوية ولم تعد هذه المسألة محل شك أو مناقشة . حتى ان عبد اللطيف شاش عندما أراد قبيل آخر السنة ان يأخذ صورة تذكارية لأبطال الفرقة دعاني للاشتراك في الصورة وقد كانت هذه مفاجأة لي ، فقد كان رؤساء الفرقة لا يحبونني لاسستماعي ان افرض نفسي عليهم ، ولذلك فقد كانت مفاجأة لي دعوتي لصورة تؤخذ معهم ، واعتبرت ذلك قمة الناصر ، وان مركززي قد ثبت نهائيا في الفرقة كما قدمت .

وبدأت الأمور بعد ذلك تتطور من حسن إلى أحسن فلأمر ما فكر رؤساء الفرقة في عقد مباراة تمثيلية في آخر العام لأختيار أحسن ثلاثة في الفرقة كلها ، وأعد كل منا مقطورة لانقائها ، وكنت قد ازددت بعد التطورت السابقة ثقة بنفسى واعتزازا بمكانتى وسعيت ان اكون الأول في هذه المباراة ولكنى لم اكن الأول . واعتبر عبد اللطيف شاش هو الأول واعتبرت أنا وجمال العررسى في الدرجة الثانية . وعندما احتفلت المدرسة قبل اختتام الدراسة بتوزيع الجوائز على المتفوقين في مختلف نواحي النشاط المدرسى تناولت من يد الناظر وسط التصفيق جائزة التمثيل الثانية من عام ١٩٢٥ - ١٩٢٦ الدراسى ولست أذكر الآن بالضبط ماهية هذه الجائزة هل كانت حقيرة كتب أم أنها كانت ساعة .

لقد كانت هذه أول جائزة من نوعها أحصل عليها في حياتى الدراسية كلها ، وهكذا بدأ التمثيل وهواية التمثيل تبرزونسى الصغوف الأولى في المدرسة فضاغف ذلك فى حماسى ونشاطى واستغراقى فى فن التمثيل .

أنا والصديق ع ١٠١٠

على أننى لا أستطيع أن أذع موضوع هذه المباراة التمثيلية ينتهى بون أن أعرض لواقعة جرت بمناسبةها وكانى بدء صداقة

حادثة عنيفة بيني وبين الصديق ع ١٠١٠ ، والتي استمرت بضع سنوات كانت فيها صداقة كأجيل ما تكون الصداقة واستتمعت باخلاص ووفاء أخ كريم ، وكان من الممكن أن تقوى الزوابط بيني وبينه الى نهاية العمر لو اننى تزوجت أخته كما كان المنظور والمتوقع ، ولكن تصرفات القدر وحوادث الأيام احبطت هذا المشروع الأخير بعد عشر سنوات كاملة وعدت على هذه الصداقة الجميلة بحيث تمر الأعوام الآن تلو الأعوام . فلا أكاد أسمع عن هذا الصديق فضلا عن رؤيته ٠٠ ولكن في هذه الأيام التي أتحدث عنها وفي تاريخ السنوات المقبلة في هذه المذكرات سيحدث ع ١٠١٠ وستحتل أسرته وستحتل أخته أو بالأحرى أخوته جميعا من بنين وبنات جزءا كبيرا من هذه المذكرات .

وكان بدء هذه الصداقة الوطيدة التي استمرت عشر سنوات بمناسبة هذه المباراة التمثيلية التي تحدثت عنها ، فوجئت عندما أعلن عن هذه المباراة بطالب رقيق مؤدب يقترب منى ويقول لى انه يلتصق منى أن أعاونه على الاستعداد لهذه المباراة ، فأختار له القطعة التي يمثلها وأساعده على التمرن عليها ، وكان هذا الطلب مفاجأة شديدة الوقع على نفسى . لقد كان كل أعضاء جمعية التمثيل ينظرون الى شزرا ، فالأعضاء القدامى يضايقهم منى ما يعتبرونه غرورا ونجاحى في فرض نفسى عليهم وارغامهم على اعطائى دورا في الزاوية ٠٠ والأعضاء الجدد يغيظهم استطاعتى شق طريقى والوصول الى القمة ، ولذلك فقد كانوا يتحاشوننى جميعا ، ولم يكن لى بين هؤلاء أو هؤلاء صديق ولم أسمع فى أى يوم من الأيام كلمة تشجيع من واحد منهم أو كلمة طيبة على أى صورة من صورته .

وكان ذلك يحز فى نفسى ، فمنذ طفولتى المبكرة ، لم أكن أحس اننى ابيض أحدا أو اننى أكره أحدا وكنت على استعداد

دائما بأن أكون ناعما وصديقا لكل من يحيط بي فكان يؤذيني هذا النفور مني ، ومع ذلك فقد كنت ماضيا في طريقي أشقه بجهادى ،
فعندما جاء ع ١٠١٠ يطلب منى أن أكون مدرسا له عندما قال لى
انه اختارنى من بين جميع أعضاء فرقة التمثيل لأنه معجب بى كان
ذلك حفا في تاريخ حياتى في هذا الفترة ، كان نصرا وفورا مبينا ،
فهاذا في النهاية أجد واحدا يعترف لى بالأستاذية ويتحدث عن
الاعجاب بى ولا يجد غشاشة في أن أعلمه مقطوعة ليتقدم بها في
الامتحان .

وغنى عن البيان أن تلقيت الدعوة بترحاب شديد ولهفة
زائدة ، وعندما طلب منى أن أصبحه بعد انتهاء الدراسة الى منزله
لأشرح في تعليمه المقطوعة التي يريد القاءها ، أسرعت الى تلبية
الدعوة ، وذهبت معه الى بيتهم وكان في شارع يعقوب بالقرب من
وزارة المالية في إحدى العمارات الحديثة البناء ، وعندما دخلت
الى الشقة التي يقيم بها كان يظللها سكون عميق أشعرنى بالرهبة ،
وعندما دخلت حجرة الاستقبال التي كانت مفروشة في مستوى
أعلى من المستوى الذي أعيش فيه ازدادت رهبة على رهبة ، ولقد
علمت فيما بعد أن هذا البيت ليس بيته الرئيسي ، وإنما هو بيت
أخته الكبرى التي كانت ناظرة في إحدى مدارس البنات الشهيرة ،
وكانت متزوجة موظفا كبيرا من مرفقى وزارة المعارف ، وهو بدوره
ناظر إحدى المدارس الثانوية وكان ع.ا.ا. يقيم عندهما كضيف
ولذلك فلم نأخذ راحتنا الكاملة في « الزهيق » والحركة وكنا نتحرن
على القطعة التي اخترتها له فيما يشبه الهمس ، ولم تكن هذه
القطعة سوى هذا المنولوج الذي يلقيه « تيمور » في رواية لويس
الحادى عشر عندما ذهب ليتتقم من لويس الحادى عشر ، فإذا
الطبيب لويس يحاول أن يثنى تيمور عن عزمه ويطلب منه أن
يستغفر لويس الحادى عشر عما بدر منه فيشرع تيمور في القاء

مقطوعة من أروع المقطوعات التمثيلية ، وكنت أجد هذه المقطوعة التي الحد الذي أثار إعجاب ع 1٠1٠٠ وطلب مني أن أدريه على القائها ، وقد تقدم بها إلى الامتحان ولم يحصل كغيره على جائزة من الجوائز الثلاث ٠٠ ولكن هذا التلاقي بيني وبينه كان بدء هذه الصداقة الجميلة التي نشأت بيني وبينه ، والتي راحت تزداد تمكننا شهرا بعد شهرا أو يرعا بعد يوم ٠٠ حتى جاء وقت كنا لا نستطيع فيه الا يرى احدنا الآخر في اى يوم من الأيام .

رحلة الى أسيوط

وعلى ذكر صداقتي الوليدة مع ع ٠1٠1٠ فقد كانت صداقتي الكبرى لسيد « فتحى رضوان » لا تزال هي محور حياتي العاطفية ، وكانت الرسائل المطولة تترى بيني وبينه حيث نتحدث عن كل شيء من السياسة الى الأدب الى التمثيل حيث يقص على أبناء ما طالع من الكتب أو الروايات ويلخصها لي ، وحيث يصف لي مدرسيه وأصدقائه والحوادث اليومية وكنت أهابله ذلك كله فى رسائلى .

وكان لابد أن اسعى اليه فى أسيوط لأرى هذه البيئة الجديدة التي يعيش فيها زميل طفولتى وصديقى الحميم .

ولقد انتهزت فرصة عطلة نصف السنة الدراسية وذهبت اليه فى أسيوط ، وحدث عن سعادتنا باللقاء فقد راح يطوف بي فى أرجاء المدينة ويحدثنى عن كل شيء ورأيت لأول مرة قناطر أسيوط ومنطقة الحمراء ، وما بها من حدائق واستمتع بصحبة سيد وضيافته مدة ثلاثة أيام على ما أذكر ، وقد فهمت فيما بعد أن ذهبى لسيد قد أثار أزمة فى المنزل فلم تكن هذه الزيارة مرغوبا فيها من والدته الحازمة ، فقد كانت لا تتصور كيف أن صبيا صغيرا يهد من مصر الى أسيوط ليزور ابنها الصغير ويقبى فى البيت ،

ولكن ارادة سيد واصراره على الدعوة واسراعى للتفنيد وضعها امام الامر الواقع ، وعندما ذهبت لم أشعر بأى شيء غير عادى فى الجو ، بل لقد عوملت بكل الاكرام الذى جعلنى أعود من رحلتى سعيدا مقتبها بعد أن أصبحت صداقتى وسيد بعد هذه الرحلة شيئاً مثاليا منعدم النظر . وبعد فحسنت أعرف اذا كانت الذاكرة قد خانقتنى فجعلتني أذكر هذه الرحلة فى هذا العام أم انها كانت فى العام السابق ولعل الفرصة متاحة لى أن أقف من فتحى على تصويب موعد هذه الزيارة الخالدة .

لم يبق الا أن أشير الى الأحداث السياسية فى هذه الحقبة لكى نتم حديثنا عن هذا العام الدراسى . . . ولعلك قد لاحظت أيها القارىء أن شففى بالتمثيل قد بدأ يطفى على كل شيء بحيث أن ما ذكرته عن حياتى الدراسية لم يعد كلمات قلائل بينما ذكرت نشاطى المسرحى فى تفصيل كامل .

وما يقال عن حياتى الدراسية يقال عن ذكرياتى السياسية فقد بدأت أتلقى أثباء الأحداث السياسية كمتفرج منصرف انفس والفراد عن الاهتمام بما يشهه أو يسمع ، وان كانت الأحداث الجارية تضع بذورها فى نفسى من حيث لا أشعر حيث نامت هذه البذور وظلت فى حالة ركود وخمود ، حتى جاء الوقت الذى ازدهرت فيه ونمت فطبعت نشاطى السياسى أيام كفاخى فى مصر الفتاة .

لقد أجريت انتخابات لتشكيل برلمان بدلا من البرلمان الوفدى الذى حلته وزارة « زبير » وأشرف اسماعيل صدقى وزير الداخلية على الانتخابات لمجلس النواب الجديد . ولأول مرة استخدم اسماعيل صدقى أساليبه الشهيرة فى الضغط على الناخبين وعمل الناورات من ارهاب وترغيب للوصول الى نتيجة معينة . . . وتالف

في هذه الفترة مايسمى حزب الاتحاد وقيل وقتئذ انه حزب الملك
وقدم حزب الاتحاد مرشحيه الي جوار حزب الأحرار الدستوريين
الذين كانت تتألف منهم الوزارة .

وكانت الانتخابات على مرحلتين أي أن كل ثلاثين ناخباً
ينتخبون مندوباً وهؤلاء المندوبون هم الذين ينتخبون عضو مجلس
النواب .

وتمت الانتخابات أخيراً كان اسماعيل صمدقني هو وزير
الداخلية الذي أجرى الانتخابات وقد ابتداء تجاربه الرائدة في التزوير
والزيف في الانتخابات وهي التجارب التي صقلها فيما بعد ،
وعقد مجلس النواب وفي جلسته الأولى جرت الانتخابات لاختيار
رئيس المجلس ، وكان المرشحان هنا سعد زغلول زعيم الأمة وعبد
المالق ثروت مرشح أحزاب الأقلية ، أحزاب الانقلاب ، وأسفرت
نتيجة الانتخاب عن فوز سعد زغلول برئاسة المجلس بأغلبية بضعة
أصوات إذ أحرز مائة صوت وخمسة أو حوالي ذلك ، بينما أحرز
ثروت سبعة وتسعين صوتاً إذا لم تخنى الذاكرة فصعقت الحكومة
لهذه النتيجة التي خيبت آمالها بعد نكل الجهود التي بذلتها وبعد
كل صنوف المناورات والمؤامرات ، ولذلك فقد أسرعت إلى حل
مجلس النواب الجديد ، الذي لم يعض على انعقاده سوى بضع
ساعات حلته لنفس السبب الذي حلت من أجله المجلس الماضي .
فإذا علمت أن الدستور صريح في أنه لا يجوز حل مجلس النواب
مرتين لسبب واحد أدركت أن هذا الاجراء كان أول عدوان
سافر على نصوص الدستور ، ولم يلبث العدوان أن تواتر بعد ذلك
وأخذ عدة صور وأشكال واللوان حتى أصبح الدستور قصاصمة
الورق التي لا تصارى الحجر الذي كتبت به .

وقد حز في نفسي رغم عدم اشتغالي بالسياسة هذا التصرف
وتسللت الى نفسي أول بذرة من بذور الحق على الأوضاع السياسية
في البلاد .

وجرت الامتحانات لاختتام العام فاديتها بنجاح ومنتلت الى
السنة الثالثة وفقا للنظام الجديد الذي جعل الدراسة الثانوية
خمس سنوات لا اربعا ، وجعل امتحان الكفاءة - أو بالأحرى اتمام
المرحلة الأولى - من التعليم الثانوي بعد السنة الثالثة لا الثانية
كما كان الحال من قبل .

• واستقبلت الاجازة الصيفية بنشاط مضاعف .

صيف عام ١٩٢٦م

بمجيء الاجازة الصيفية جاء سيد فتيحي الى مصر ، وبدانا
نشاطنا المشترك في الحياة الأدبية والاجتماعية مع زميلنا الكبير
حافظ محمود في جمعية القلم ، ولقد تطورنا بجمعيتنا وبمخلفتها
السنية ، فبدلا من (حوش) بيت حافظ محمود استأجر لنا مسرحا
أو بالأحرى صالة يطلق عليها اسم « كوفاديس » وهي ملحقة
بالكنيسة التي تواجه بنك مصر في شارع عماد الدين ، وكان
البرنامج يتألف من خطاب أدبي اجتماعي يلقيه الرئيس حافظ
محمود ومن بعض خطب أخرى ثم فصل تمثيلي قمت فيه بالدور
الرئيسي .

ولم يلبث شهرا الصيف يوليو وأغسطس أن انصرف أوبحولول
شهر سبتمبر فخلت حياتي في نور جديد ففي هذا الشهر كان
يوسف وهبي يبدأ تجارب التمثيل لموسمه التمثيلي المقبل وكنت قد
اعتزمت الالتحاق بمسرحه « كهار » وأصبحت هذه أمنية حياتي

الكبرى ، وأريد بهذه المناسبة ان أنكر تاريخ علاقتي بمسرح رمسيس هذه العلاقة التي ظلت تتطور وتتطور حتى كانت تنتهي الى ان المنى في هذا المسرح لو ان يوسف وهبي قيل في لحظة من اللحظات التي سنعرض لها ان يلحقني بفرقته . .

كان بدء اتصالي بالتمثيل كما ذكرت من قبل بالتفصيل عن طريق فرقة عكاشة تياترو حديقة الأذربكية فكنت متعصبا لهذه الفرقة متحسبا لها الهج دائما بتفوقها وبدأ يوسف وهبي موسسه التمثيلى الأول عام ١٩٢٤ م دون أن أشهد رواية من رواياته ، وكان من حظ سيد فتحى أن يشهد روايته الكبرى في هذا الموسم واسمها رواية «المجنون» ، وهي من تأليف يوسف وهبي ، فكان يستطيع على برؤية هذه الرواية ، وكان يقصها على ويقلد يوسف وهبي في القائه فأحس بلذة الحرمان ، ولكن لم يكن هناك سبيل لمعالجة هذا الأمر ، فقد كان لابد من مبلغ لا يقل عن عشرة قروش لامكان مشاهدة احدى رواياته ، ولم يكن باستطاعتى توفير هذا المبلغ .

صحة قوية

وأعلن في موسم يوسف وهبي الثانى أن جورج أبيض سينضم اليه بفرقته وأنه سيبدأ بتمثيل رواية « سيرانو دي بروجراك » للشاعر الفرنسى الكبير أندمون رومستان ، ورواية سيرانو كانت قد ترجمت الى العربية وصاغها في أسلوب عربي مبدع الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطى وأطلق عليها اسم الشاعر . وروايات مصطفى لطفى المنفلوطى كانت هي الروايات التي كان ندرسها في الدروس ينصمون لنا بقراءتها لتحصين لغتنا ، وكان كل من يريد أن يتذوق الأدب أو أن يتصف بالأدب لابد له من قراءة هذه الروايات ، وكان أشهر هذه الروايات على الإطلاق

رواية « مجدولين » ، أو « تحت ظلال الزيزفون » ، ثم رواية الشاعر سيرانودي برجراله ورواية « العبرات » ، ثم رواية الفضيحة أو بول وفرجيني ، ورواية أخرى أسماها في سبيل التسامح وهي كلها عن عيون الأدب الفرنسي ، فكان بعض المصريين يترجمونها ثم يعيد مصطفى لطفى المنفلوطى صياغتها في قالب عربي مبين .

والحق أن المكتبة العربية لم تعرف منذ هذه الروايات ما يدانيتها في الجمال والروعة ، وقد كتبت مفتونا برواية سيرانو هذه فلم أكن أطلع الاعلانات الضخمة على الجدران تنبئ أن جورج أبيض سوف يمثل هذه الرواية على مسرح رمسيس حتى قررت أن أحضرها بأى ثمن من الأثمان .

وشرعت اقتصد وانخر طوال العام الدراسي حتى إذا جاء العيد أعلن عن تمثيل الرواية ، وكان قد اجتمع لى عشرة قروش ثمن التذكرة ، وهكذا جاء اليوم الموعود لأدخل فيه الى مسرح رمسيس وأشهد تمثيل هذه الفرقة التي ملأت الدنيا ضجيجا انها قمة التمثيل الحقيقية .

ومازلت أذكر بعد كل هذه السنين الطويلة كيف ارتديت ملابسى ونظفتها بقدر الامكان ثم ذهبت الى الدواب الذى كنت أخفى به هذا « النصف ريال » فأخذته من مكانه ووضعت فى جيبى ثم يمت صوب مسرح رمسيس سيرا على الأقدام من منزلنا بالسيدة ، وكانت الحفلة نهائية تبدأ فى الساعة الخامسة والنصف فبدأت رحلتى نحو المسرح فى الساعة الثانية ظهرا بعد أن تناولت طعام الغذاء ، وصلت الى باب المسرح ولم يكن هناك التذاكر قد فتح بعد فرحت أتسكح حول المسرح وفى شارع

عماد الدين ساعة كاملة فتح بعدها شباك التذاكر ، فذهبت إليه وقلبي يخفق كما لو كنت مقبلا على مضامرة كبرى .. كيف لا وقد كان هذا حلم عامين كاملين أن تتاح لي فرصة دخول مسرح رمسيس وما هي قد جاءت ..

واقتربت من شباك التذاكر وقد ازداد خفقان قلبي وتصيب العرق من جبیني وكانت تجلس في شباك التذاكر فتاة اجنبية . وكان كل ذلك جديدا بالنسبة لي وتقدمت بشجاعة الى النافذة وأبرزت النصف ريال الذي كان يلص نظرا لجذته وقلت لبائعية التذاكر أريد تذكرة بنصف ريال .. فابتسمت في وجهي وقالت لا توجد لدينا تذاكر بنصف ريال .. ان أقل تذكرة بخمسة عشر قرشا .

يا للهول .. يا لخيبة الأمل .. يا للخجل والعار .. يا للأحلام التي ضاعت والقصور التي انهارت .. لقد وفت مبهوتا أمام الفتاة لا أستطيع أن أجده جوابا ، ثم انسحبت في سكون أكاد اتوه تحت وقع الصدمة .

لقد انتظرت بضعة أشهر كاملة احتملت فيها وحرمت نفسي من كل مباحج الحياة حتى اقتصد هذه العشرة قروش ، ولمي نهاية الأمر لا يتحقق حلمي .

عدت الى البيت وأنا حزين كئيب وظل سيد فتحي يتفوق على برؤيته رواية « المجنون » ويأته رأى يوسف وهبي ولم أراه بل عمله في ذلك الوقت كان قد شهد له رواية ثانية .

وإحتاج الأمر الى بضعة أشهر أخرى قبل أن أيمم شطر مسرح يوسف وهبي ثانية ، وفي هذه المرة عندما قصصته كنت أكثر ثباتا وأقداما فقد كانت معي الخمسة عشر قرشاً ، بل ما هو أكثر منها . فقد كان رائجى الشهيرى قد زيد الى ثلاثين قرشاً فى الشهر بعد أن أصبحت طالبها فى الثانوى ، وكانت الرواية التى ذهبت الى رؤيتها هى رواية « غادة الكاميليا » التى طبقت شهرتها الخافقين .

وجاءت الساعة التى رأيت نفعى جالسا فى صالة مسرح رمسيس وقد أخذ يلبيى الصمت العميق الذى كان يسود المقرجين والذى كان من الواضح أنهم من طبقة أرسقراطية أكثر من طبقة رواد تياترو وحديقة الأزبكية .

وأطفئت الأنوار ورفح الستار وبدأ التمثيل .. كانت روزالبيوسف هى التى تمثل دور مرجريت جوتيه ويوسف وهبى يمثل دور أرمان ديفال ، وكان هذا اللون من التمثيل جديدا على ، فروايات تياترو حديقة الأزبكية فى أغلبها روايات شرقية أو مصرية أو غنائية ولم أشهد من قبل رواية الفرنجسية عصرية كغادة الكاميليا ، ولذلك فقد كنت مأخوذا بهذا الجو الجديد وبهذا التمثيل الرائع الذى لا يقارن به كل الذى شهدته حتى ذلك الوقت وعندما وصلت القصة الى الفصل الثالث وعندما وصلنا الى هذا الموقف الخالد موقف الأب ديفال وهو يحاول أن يقنع مرجريت أن تتخلى عن ولده هنا كان التمثيل قد وصل الى درجة لم تكن تطوف لى فى خيال ٠٠ وأخذ منى الناشر مبلغا عظيما فرحت الأذرف الدموع فى صمت وبدون انقطاع ، وأشهد أن ليس كل الروايات التمثيلية التى عرفتها للمسارح فى القديم أو الحديث مشهد يفوق هذا المشهد من حيث الكمال الفنى والتمثلى

ووصلت روز اليوسف الى ذروة المجد في هذا المشهد ، ولم يكن
يفعل عنها مجدا عزيز عيد الذي كان يمثل دور الاب ديفال * .

وعندما جاء الفصل الأخير ومرجريت جوتيه طريحة الفراش
يوشك المرض ان يفترسها ويضمها نورها الى الاب تحت اتعنب
هدايا حتى خيل الي انه قد يضمي علي من الام والتأثر .

ونزل المسار في النهاية وخرجت من المسرح وقد ولدت
من جديد ...

لم يرهنى يوسف وهبي في دور ارمان ديفال كما
راعته روز اليوسف والحق ان رواية غادة الكاميليا هي رواية
قد وضعت لابرار مواهب ، سارة برنار ، اي انها رواية يطلتها
امراة وليس رجلا ، ولذلك فلم يستطع يوسف وهبي ان يؤثر علي
كثيرا في هذه الرواية وان كان الجو كله قد اثر في نفس اعمق
تأثير .

توسكا

على أنني وقد دخلت مسرح رمسيس مرة فقد أصبح دخولي
بعد ذلك سهلا ميسورا بعد ان عرفت الطريق ، فان هي الا بضعة
اشهر اخرى حتى كنت اشهد رواية ثانية وهي رواية توسكا ،
وفي ذلك الوقت كانت روز اليوسف قد تركت مسرح رمسيس
واصدرت لنفسها مجلة هي المجلة المسماة باسمها حتى الآن ،
ويعد ان كانت مجلة المسرح هي المجلة الوحيدة التي تكتب عن
المسرح أصبحت روزاليوسف الي جوارها ، وعلى صفحاتها بدأ
التابعي نقده لفرقة يوسف وهبي وتعليقه على الحوادث الجارية

بأسلوبه المعروف ، وعلقت فاطمة رشدي محل روزاليوسف
وأصبحت بطلنة زمينيس الأولى واشتهرت برواية توسكا باعتبارها
رواية الموسم الثالث لسرح زمينيس فذهبت لرؤيتها .

ومرة أخرى رأيت عجباً ولما رأتها .. وفي هذه الرواية
تقوم فاطمة رشدي بدور ضخم بدلاً الرواية كلها ، ولكن يوسف وهبي
في نفس الوقت يقوم بدور من أدواره التي يظهر فيها امتيازه
وهو دور « سكاريسا » هذا الطاغية ، فقال اعجابي ، بل
ما هو أكثر من الاعجاب ، لقد افتتنت به وأصبح منذ ذلك اليوم
مثلي الأعلى الذي لا أتمنى من الحياة الا أن أصل في يوم من
الأيام الي بعض مكانته في عالم التمثيل ..

وفي هذه الاجازة الصيفية التي اتحدث عنها صيف عام
١٩٦٦ م قررت أن أصل المستحيل ولتحق بفرقة يوسف وهبي
كنلميذ متعمر .

لست أنكر الآن على وجه التحديد ما الاجراء الأول الذي
اتخذته لالتحق بالفرقة ، لست أذكر اذا كنت قد كتبت ليوسف وهبي
أم ان أحدا قدمني اليه أم أني ذهبت اليه مباشرة وطلبت
مقابلته .. لقد ضاعت من ذاكرتي هذه الخطوة ، ولكن الذي
أنكره أنه في صباح أحد الأيام اجتزت عتبة باب مسرح زمينيس
الخلفي وصعدت هذه الدرجات القلائل التي تؤدي بنا الي خشبة
المسرح ، كما يقولون ، وهناك لأول مرة وجدت الممثلين يموظون
بأحدى الموائد وفي يد كل منهم (نوتة) يطالع فيها نوره التمثيلي .

وكان ذلك شيئاً فوق احتمالى ، فهؤلاء هم نجوم المسرح الذين نتحدث عنهم البلاد ، هؤلاء هم الذين خلق قلبى وأنا أشاهدهم بالليل يمثلون ٠٠ هؤلاء هم الذين تنشر مجلة المسرح ويقام المجلات والصحف صورهم يوماً بعد آخر فى أوضاع مختلفة ٠ هذا هو حسين رياض الذى طالما هن نفسى هزاً فى دوره فى رواية لويىس الحادى عشر والذى كان أول ممثل قلندته فى تمثيله ٠ وهذا هو أحمد علام وهذه فاطمة رشدى ، وهذا هو شيخ المخرجين وأستاذ الأساتذة عزيز عيد ، وهذا فتوح نشاطى ، وهذه زينب صدقى ، وهذه أمينة رزق ٠٠ انهم جميعاً ٠٠ النجوم والكواكب يجلسون على بعد خطوات منى وانى أراهم الآن وأستطيع أن أراهم وأن ألتصق باليد ، بل وأستطيع بشيء من الشجاعة أن أخطبهم ٠

وأخيراً ٠٠ هذا هو يوسف وهبى بشعبه ولجمه ٠٠ هذا هو يوسف وهبى فى صورته الطبيعية وليس فى صورة « سكاريبيا » أو راسبيوتين أو أرمان ديفال ٠٠ انه يوسف وهبى ٠٠

وكم كان يوسف وهبى يملأ القلوب فى ذلك الوقت رهبة وروعة ، كان اذا حضر (البروفة) خفقت الأصوات وأرغفت الأذان وحبست الأنفاس ، فقد كان شديداً كان صارماً على كل من يتكلم فى أثناء (البروفة) أو يتأخر عنها كان يطرد من المسرح نهائياً فى بعض الأحيان ، وكان يخضع من المرتبات بضعة أيام ، وهكذا كان يملأ القلوب خوفاً ورعباً من ضرامته ٠٠ ما زلت أذكر فى مرة من المرات وكان يقوم بتمثيل أحد الأدوار فسمع بعض الأصوات من باقى الممثلين يهيمس هنا وهناك فما كان منه الا أن توقف عن التمثيل ووضع منظاره المفرد (المونوكل)

على حينه ثم راح يحرق في وجوه الممثلين واحدا بعد آخر في صمت فشحبت الوجوه وخلفت القلوب وحبست الأنفاس . فقد كانت هذه الحركة نذير الويل والثبور لكل من يوقه سوء الطالع تحت نظره متهددا أو متحركا أو هتسما .

وجال ببصره حول المسرح في تناقل وصمت وكان ذلك كافيا كما قدمت لكي يسكن الهواء نفسه ، فكاننا أصبحنا سكان عالم ثان ، وبعد أن اطمان إلى التأثير الذي أحدثه استأنف التمثيل من جديد ، حيث ظل الجميع بعد ذلك ساعتين كاملتين وكان على رؤوسهم الطير .

أنا في مسرح رمسيس أخيرا وأذهب إليه كل يوم في انتظام لحضور التجارب في الصباح أي في الساعة العاشرة وثمة تجربة أخرى في المساء ، ولكن لأمر ما كان بواب المسرح (اللعين) كثيرا ما يمنعني من الدخول في المساء .

وكم أشقاني هذا البواب الدكتاتور وكم سبب لي من الإلم عندما كنت أذهب فيمنعني من الدخول لغير سبب مفهوم مني في ذلك الوقت وأن كنت أفهمه الآن تمام الفهم ، لقد كان الرجل يريدني من غير شك أن أذفح له بعض النقود وقد كنت عاجزا عن ذلك بطبيعة الحال فكان يستخدم سلطاته ونفوذه في منعي من الدخول بالليل ، ففي هذه الفترة يكون أكثر سلطانا منه بالنهار ، لأنني بالنهار أستطيع أن أراقب يوسف وهبي عند حضوره أو أي ممثل من الممثلين الكبار وأدخل معه أو أن أشكو إليه إذا منعني ، أما في الليل فالجو متغير والليل يخلق رهبة أكثر من النهار ، فكان يمنعنا من دخول المسرح ، ولكن مع مرور

الزمن اندك الرجل انه لن يفلح في حمل على ان أضع له نفودا
فمن ناحية لم يكن معي نفود ومن ناحية أخرى كانت الفكرة أبعد
ما تكون عن ذهني وكنت أعزو تصرف الرجل الى انه سيخيف
او انه فظ وقاس وجلف الى آخر هذه النوع ، والمهم أنني ما أقبلت
على المسرح مرة الا وأنا امتلئ خوفًا من هذا الباب وهل سيصبح
لني بالدخول أم يمنعني وما دخلت مرة الا وتلست الصعداء
وشعرت بالسعادة التي يشعر بها كل من ينجح في اجتياز خط
النار .

وبدأت أتتبع نظام العمل في اعداد الروايات للمسرح وبدأت
أغرق في جو من السعادة وطوفان من النعيم وأنا اشهد الروايات
الضالدة التي ستعرض على الحضور واحدة بعد أخرى وكان
شأنى شأن هذا الشخص الذي يكبح للحصول على قرش صاغ
وفجأة يرى نفسه أمام كنز من ألوف الجنيهات في تناول يده .
أو كمن يشقى من أجل رغيف خبز ، وفجأة يرى (طابونة) خبز
تحت تصرفه . .

لقد شقيت وكسحت لأدخر عشرة قروش أتشهد بها احدي
روايات رمسيس وصدمت وقشلت في رؤية الرواية . . هانذا
غارقًا بين عشرات الروايات من كل الألوان والأنواع . . ما بين
مضحكة وحبكية وتاريخية وعصرية . . هانذا أسمع أسماء أعلام
التأليف العالميين وأعلام الممثلين والمخرجين . . هانذا في بحر
عجاج من رحيق الفن .

نظام العمل

ونظام العمل في اعداد الروايات يسير على الوتيرة الآتية
يجلس المشاؤون حول مائدة وعلى رأسهم المخرج عزيز عيد ومدير

المسرح ، وكان يسمى « هلالى » ثم يتلو عليهم مؤلف الرواية أو مترجمها الرواية ، وكنت استمتع الى أبعد الحدود بسماع الرواية على هذا الأسلوب .

وبعد أن يفرغ من تلاوة الرواية توزع الأدوار على الممثلين بمعرفة عزيز عيد وتكتب الأدوار فى كراسات صغيرة .

حتى إذا أخذ كل ممثل وقع عليه الاختيار كراسة نوره راج يطالعها فيما بينه وبين نفسه ، ثم يجتمع الممثلون بعد ذلك تحت إشراف المخرج ويشرحون وهم جلوس حول المائدة يطالعون أدوارهم وتسمى هذه المرحلة مرحلة (التفسير) ، ويقصدون بها أن يتفهم الممثل دوره وأن يضبط أواخر الكلمات وأن يعرف كيفية سير الحوار مع غيره من أبطال الرواية وذلك تمهيدا لحفظ دوره .

وتطالع الرواية بهذا الأسلوب مرة أو مرتين ، ثم تاتى فى مرحلة الإخراج ، حيث توضع على المسرح الأقمشة والأثاثات التى سيدور حولها التمثيل ويشرح المخرج يحرك الممثلين على المسرح وهم يلقون أدوارهم . وفى هذه المرحلة يتجلى إبداع المخرج وهو يعلم كل ممثل كيف يؤدي دوره . وكيف يتحرك خطواتين بعد هذه العبارة أو يجلس على هذا الكرسي . أو يتدفع نحو زميله أو زميلته وهكذا ، وتستمر التجارب فى هذه المرحلة مرتين أو ثلاثا ، بينما يقيد مدير المسرح كل ملاحظات المخرج التى يبديها فى أثناء هذه التجارب .

حتى إذا أخرجت فصول الرواية كلها بهذا الأسلوب جاءت المرحلة الأخيرة وهى ما تسمى (بروفة جنرال) أو التجربة الكاملة

أو الشاملة ، حيث يرتدى الممثلون أزياءهم التي سيرتدونها أمام الجمهور وتركب المناظر ويجري تمثيل الرواية كما لو كانت تمثل أمام الجمهور .

ولعله قد رأيت من هذا العرض كيف أن الفرصة كانت متاحة لي لكي أشرب هذه الروايات شربا واهضمها هضمًا ، فقد كانت تكرر أمامي خمس مرات أو ستا .

كنت أتحسر وأشعر بلذعة الحرمان كلما جاءت ساعة توزيع الأدوار فلا يكون لي نصيب فيها ولو دور خادم أو شحات ، وقد كانت الأدوار الكبيرة تكتب في كراسيات مجلدة بجلدة سوداء (نوتة) ، أما الأدوار الصغيرة التي تتألف من بضع عبارات وجمل فتكتب في ورق أبيض صغير ، ولم يدر بخلدني أن أعطي دورا مما يكتب في الكراسيات الصغيرة ذات الجلدة السوداء ، ولكن كنت أحلم باليوم الذي أظهر فيه بدور من بضع جمل ١٠٠ أو دور يتألف من جملة واحدة ، حتى ولو كانت « لا يا سيدي » أو « نعم يا سيدي » ، ولكن هذا الأمل لم يتحقق قط على مسرح رمسيس .

وهكذا فرض علي أن أقنع ، بالفرجة ، فقط طوال فترة التجارب في الصيف ، كما كان هناك الأمل عند بدء التمثيل أن أشترك في المjamيع (الكومبارس) وهم هؤلاء الأشخاص الذين يظهرون على المسرح يمثلون الشعب الرايح والغادي أو يمثلون فرقة من الجنود لا تتكلم ، ولذلك فقد كنت في شدة اللهفة على افتتاح الموسم التمثيلي لأرتدى الملابس التمثيلية ، وأظهر بها على المسرح وسط الحشود التي كانت تظهر في بعض المناظر في بعض الروايات .

وكانت هناك مجموعة من روائع روايات الغرب رواية اسماها « الشرق والغرب » تظهر عظمة اليابانيين ونهضتهم واحتفاظهم بكل مقوماتهم الشرقية وعاداتهم ، على الرغم من وجودهم في البيئات الغربية وأخذهم العلوم الغربية كلها .

ورواية عن الصورة الفرنسية وثالثة من تأليف « هنري برنشتين » من المؤلفين الفرنسيين اللامعين واسمها « شمشون الجبار » وقد كنت مفتونا بهذه الرواية الرائعة وبدور يوسف وهبي فيها ، ورواية رابعة مضحكة اسمها « أستاذ اللطافة » ، وخامسة اسمها « المريكز دي بيولا » ، وكانت هناك هذه الرواية التي قدر لها ان تكون أكثر روايات يوسف وهبي شهرة وهي « نرسى الاعتراف » ، ولكن أحدا لم يقدر لها في ذلك الوقت حدا النجاح الضخم الذي أحرزته فيما بعد ، وكانت هناك الرواية الكبرى « رواية النسر الصغير » أو « ابن نابليون » تأليف أدمون روستان وترجمة أحمد رامى .

وأخيرا اقترب موعد الافتتاح وبدأت التجارب على رواية الافتتاح الكبرى ، وكانت من تأليف يوسف وهبي واسمها « الصحراء » وتصور وقائعها حول كفاح المغاربة في منطقة الريف الاسلامي ، عندما قام عبد الكريم الخطابي يحارب الأسيان فانتصر وا عليه بعد أن أبدى من شجوب البسالة وأحرز من الانتصارات ما ملأ الدنيا اعجابا بالشعب المكافح .

وكان لنا نحن المراد (الكوميبارس) نشاط كبير في الفصل الاول ، فقد كنا نرتدى ملابس المغاربة ، ونعيش في الحيام وريح ونجى، لتمثيل حياة القبيلة ونجتمع في حلقات لنسبح آخر اخبار الحرب ، ثم يدخل علينا يوسف وهبي ليقص علينا قصة استسلام عبد الكريم فتمتلىء بالفزع وفيما يقص علينا القصة ونحن نحيط

به يدهنا جنود الأسبان وطائراتهم تقذف القذائف وتنفجر على
المرح القنابل ويدوي الرصاص وتشتمل النيران ويسفل الستار
وسط هذا الضجيج .

وقد كان المتفرجون عندما عرضت الرواية عليهم يدهلون
لهذه النهاية الرائعة لهذا الفصل فيقطعون أكفهم من التصفيق . .

واستحوذ يوسف وهبي على لبي وهو يؤلف هذه الرواية وهو
يسئلهما وهو يعاون عزيز عيد على إخراجها . .

وأصبحت أفلد يوسف وهبي في حركاته وصيحاته وإيماءاته .
وكان يطربني أن يقول لي القائلون : انني صورة طبق الأصل
منه ، ولم يهدأ لي بال حتى مثلت رواية في المدرسة جعلت فيها
دورا يحاكي دور يوسف وهبي في رواية الصحراء ، وعندما جاء
أوان تمثيل هذه الرواية حرصت على استئجار ملابس يوسف وهبي
في رواية الصحراء بالذات ورسمت صورة كأن كل من يراها يظنها
صورة يوسف وهبي ، مما ساقصه عليك بالتفصيل في الصفحات
القادمة .

وافتح يوسف وهبي موسم التمثيل في نفس الوقت الذي
استؤنفت فيه الدراسة ، وعلى الرغم من الحرج الذي كان يجب
أن أشعر به عندما أتقرب من البيت كل ليلة حتى ساعة متأخرة
فقد بدأت لا أقيم وزناً لما يقال عني في البيت ورحمت أتردد على
المرح كل ليلة لأشترك في تمثيل هذه المسرحية وأرتدي ملابس
أحد أفراد القبيلة الذين يروحون ويجيئون على المسرح طسوال
الفصل الأول .

قلت لك ان العام الدراسي كان قد استهل ، فدعيت ان المدرسة بنشاط وعزم وثقة تملأ نفسي لا من ناحية الدراسة التي انا بسبيلها ، وقد كان هذا العام هو عام الكفاءة ، بل من ناحية الدور الذي ساقوم به في فرقة التمثيل بعد ان اصبحت استاذا كبيرا ، فان انضمامي الي يوسف وهبي وما شهدته من دروس الاخراج والتمثيل جعلني أتصور نفسي استاذا لفرقة التمثيل بالمدرسة . ولذلك فقد كانت كل نفسي متجهة صوب التمثيل وفرقة التمثيل . ولم تكن للدراسة في نفسي أي ميل او اهتمام ، ولذلك فلست اذكر من انباء هذا العام الدراسي شيئا مما يتصل بالدراسة أو المدرسين . فلست اذكر الآن اسم أي مدرس واحد ممن درسوا لنا في هذا العام ، بل لست اذكر اسم أي طالب ممن كانوا معي في هذه الفترة الا ان يكون اسم همام محمد محمود ابن محمد باشا محمود الذي سيصبح رئيسا للوزارة بعد قليل ، وكان همام يشتهر بدعائه الخلق والأدب والحياء ، وكان طالبا مجتهدا ، وكان مرموق النظر لصفاته الحبيدة بأكثر من نسبتة الي ابيه الذي لم يكن قد أصبح وذيرا بعد في ذلك الوقت .

ولست اذكر من كان يدرس لنا اللغة العربية أو الرياضة مع خطورة هذين العليين ، ولست اذكر اسم مدرس اللغة الانجليزية ، وقد كان رجلا انجليزيا .

وذلك كله يعكس ذكرياتي عن نشاطي التمثيل وصلتي بمسرح رمسيس والتي مازالت منقوشة بأحرف ساطعة في ذاكرتي . ولعل هذا ما يظهر مدى استيلاء التمثيل على كل حواسي في هذا العام ، وانقطاع صلتى بالدراسة والمدرسة في الناحية التعليمة .

الأحداث السياسية

وما يقال عن الذكريات المدرسية يقال مثله عن ذكرياتي السياسية ، فليس في ذهني الا صورة باهتة عن أحداث هذا العام .
لقد تركتك في العام الماضي وقد حل البرلمان بعد انعاده
ببضع ساعات نور انتخاب سعد زغلول .

ولقد اختلف حزب الأحرار الدستوريين بعد ذلك مع حزب الاتحاد وقد كان الحزبان هما دعاة الوزارة ، فاستقال وزراء الأحرار الدستوريين وعلى رأسهم عبد العزيز فهمي .

ثم لم يلبث أن حدث تصارب بين الدستوريين والوفديين والوطنيين وتعاهد الجميع على اعادة البرلمان وعقد مؤتمر وطني في بيت محمد محمود .

وكان قد جاء مندوب سيام بريطاني جديد وهو اللورد جورج لويد ، ولم يعد هناك مناص من اجراء انتخابات جديدة ، فألف عدلي يكن وزارة محايدة لاجراء الانتخابات ، وانفقت الأحزاب المؤتلفة على توزيع مقاعد البرلمان فيما بينها على أن يكون للوفد الاغلبية بطبيعة الحال .

وقعت الانتخابات وأحرز الوفد الاغلبية وولى حزب الأحرار الدستوريين وبعض الوطنيين والمستقلين ، ونفى سعد زغلول عن رئاسة الوزارة تحت ضغط الانجليز الذين لم يكونوا يرضون به ونينسا للوزارة ، ولكنه بدلا من أن يضارح بذلك قبل أن يشترك في مهزلة تهرجية ، فقد أقيم له حفل تكريم بمناسبة

نجاحه ، ثم تقدم منه طبيبه الخاص ورجاه وسط الجوع الا يؤلف الوزارة رحمة بصحته . . وصاح المجتمعون بؤيدون الطبيب المقترح ، وهنا أعلن سعد زغلول انه لايسعه الا أنه ينزل عنسد مشيئة طبيبه ، ولذلك فسوف يعتذر عن تأليف الوزارة .

ودعى عدلي يكن لتأليف وزارة ائتلافية من جميع الأحزاب ، بينما تربع سعد زغلول على كرسى رئاسة مجلس النواب ، ولقد سميت للحصول على تذكرة لشهود جلسة من مجالس النواب لأرى سعد زغلول وقد رأيتة بالفصل ، وكانت هذه ثاني مرة رأيتة فيها ، وقد أشرت لرؤيائى اياه فى المرة الأولى عندما سمعته خطيباً عقب عودته لثاني مرة من المنفى ، وكانت هذه هى المرة الثانية .

وقد استقال عدلى باشا لما تصوره مساسا بكرامته وضغطا عليه من نواب الوفد وتدخل فى سلطته ، وألف ثروت وزارة أخرى ائتلافية أعقبت وزارة عدلي .

وهكذا كان سعد زغلول يختم حياته مصححاً هذه الأخطاء، الشديدة التى ارتكبها فى السنوات الماضية ، وهو يحمل بشدة وعنف على كل معارضيه ، وخاصة عدلي وثروت ، بل ان سعد زغلول انتهى فى ذلك الوقت على اسماعيل صدقى الذى كان يرأس اللجنة المالية بوصفه بالكفاءة والاقتدار . .

وهكذا كان سعد زغلول فى هذا العام الأخير من حياته يلعب دور والد الشمب المصرى الذى لا يفرق بين حزب وحزب أو بين شخص وشخص ، بل يظل الجميع بأبوتة ، ولا جدال أن هذه المرحلة بعد مرحلة الثورة الأولى فى عام ١٩١٩ من أحسن سنوات ومواقف سعد زغلول .

على أن هذه التطورات السياسية لم تكن تشغلني في قليل
أو كثير ، فقد كنت أشهدهما بدون تحزب أو انحياز لهذا الجانب
أو ذلك ، أو لهذه الفكرة أو تلك .

نحو الزعامة في فرقة التمثيل

عندما أخذت طريقى الى أول اجتماع دعت اليه الفرقة كنت
شخصا يختلف كل الاختلاف عن هذا الشباب الخجول المتهيب الذى
ذهب منذ عامين الى مثل هذا الاجتماع . أنا الآن أستنهل عامى
الثالث بالمدرسة ، فأنا أعرف فيها كل حجر وكل شبر من الأرض
وكل فراش وكل مدرس . . بل وأعرف كل وجه وأعرف مقدار
وزنه وثقله وكيف يعامل ويعالج هذا من الناحية العامة . أما من
الناحية الخاصة ناحية التمثيل فأنا الآن نجم من نجوم الفرقة
لا يمكن تجاهله ، بل وأنا الآن عضو في فرقة مسرح رسييس الأمر
الذى يعطينى التفوق والامتياز على سائر الطلاب . . وأخيرا وهو
أهم ما فى الموضوع فإن الطلاب الكبار الذين كانوا يسيطرون على
الفرقة وعمل رأسهم عبد اللطيف شاش فى التمثيل وزين العابدين
فى الموسيقى قد تخرجوا فى المدرسة ولم يعد فى الفرقة أحد من
الجنود القداماء .

لكل هذه العناصر مجتمعة كانت مكانتى فى فرقة التمثيل قد
تفررت على ضوء هذه الظروف ، بحيث بدأت تخالجنى فكرة تولي
رئاسة الجمعية بالذات وبالتأكيد كان صديقى الجديد ع . أ . أ
من قوى هذه الفكرة فى نفسى وأظهر استعدادا وحماسة للوقوف
الى جوارى والجهاد فى سبيل انجاسى . وعندما حضرنا الاجتماع
الذى كان مقررا لانتخاب رئيس الفرقة حبطت آمالنا وخطتنا فإن
الطلاب أسرعوا لانتخاب الزميل حسن جلال العروسي والذى

تنافست واياه في العام السابق حول أحد الأدوار الرئيسية في رواية « مجد رمسيس » وهو دور « عاشق » كما ذكرت . فائز الأعضاء القداسي على ٠٠ واليوم قدمه الأعضاء على في الرئاسة وقد كان الغراء في هذا التفضيل أنه كان أكبر مني سنا وكان في السنة النهائية أي في البكالوريا وعلى هذا فإن هذا الاختيار بدا طبيعيا الى حد كبير . وفرقة التمثيل دائما مدرس ينتدب للإشراف عليها وتولى أمورها الى جوار الطلاب وقد كان المدرس الذي عهد إليه بهذه المهمة منذ العام السابق هو العديوي أفندي أو بالأحرى أحمد محمد العديوي والذي سأحدث عنه في حوادث العام المقبل بمناسبة دروس الجغرافيا والتاريخ ، فقد كان أثره في نفسى من هذه الناحية كبيرا ٠٠ أما في فرقة التمثيل فقد كان دوره سطوحيًا أو بالأحرى شكليسا الى أبعد حد ولذلك فلم يكن له أى أثر محسوس .

وبدأنا نشاطنا الموسمي بأن أحضر العروسي الأستاذ أحمد علام ليكون مدرسا لنا يعلنا اللقاء ، وعلى الرغم من أن هذه التجربة قد فشلت في العام السابق عندما جرى تعزيز عيد فالطلاب جديما في شوق الى أن يمثلوا رواية وأن يكون كل نشاطهم في هذه الدائرة ولذلك فقد أبعد تعزيز عيد بعد حين كما ذكرت وشرعنا في تمثيل مجد رمسيس وقد جاءوا هذه المرة من جديد بأحمد علام وبدأنا نلقى أمامه بعض المقطوعات ويحاول أن يعلنا كيف نحسن أداءنا ٠٠ وبعد قليل بدأ الملل والسأم يتجلى على جميع الطلاب والانتقاد ينهال من هنا وهناك ٠٠ وبدأت الصيحة نريد رواية ٠٠ نريد رواية وكانت هذه فرصتى الكبرى ومنتهى أحلامي في ذلك الوقت ، فقد كانت لدى رواية وكنت أطمع في أن تكون هي المختارة لكي تمثل .

ابو مسلم الخراساني

كانت هذه الرواية تحمل اسم أبي مسلم الخراساني وقد جاءني بها في يوم من الأيام أحد زملائي في مدرسة محمد علي وهو من يسمى محمد كامل عبد السلام ، وكان قد التحق معنا بالمدرسة الخديوية كذلك .. وكانت الرواية مكتوبة في كراس من كرايس المدرسة ولم يقل لي انها من تأليفه وانما اكتفى بتقديمها لي في عبارة غامضة * وأسرت في ثلاثتها في لهفة فوجدتها رواية مدرسية من الدرجة الأولى تدور حول كارثة أبي مسلم الخراساني ، وكيف كان جزؤه بعد بلائه في تدعيم وانشاء الدولة العباسية الذبح ، ذبح الشياخ علي يد أبي جعفر المنصور * وكانت الرواية مؤلفة من ثلاثة فصول ولا عيب فيها الا أنني لم أجسد فيها دورا يشيع هوايتي ورغبتني في تمثيل دور كبير كأدوار يوسف وهبي الذي كنت أحلم بالليل والنهار في تمثيل دور من أدواره *

ففكرت في أن ادخل على الرواية بعض تعديلات واضافات لأخلق دورا يصلح لتمثيلي .. فرجعت الى كتب التاريخ الكبرى لاتقصي سيرة أبي مسلم الخراساني ، فكان من بين ما طالعت * ابن الأثير ، فاذا بي اكتشف أن الرواية الموجودة نعمت يدي بأخوذة بنصها تقريبا من ابن الأثير وإن كثيرا من محاوراتها منقولة بالنص * ثم طالعت رواية أبي مسلم الخراساني من تأليف جورجى زيدان فاذا بها تعتمد على ابن الأثير اعتمادا كلياً ، وإذا بالرواية التي قدمت الى منقولة من رواية جورجى زيدان تقريبا فسرت لي ذلك موقف صديقي عندما لم يقل لي ان الرواية من تأليفه * وسرعان ما شجعني ذلك على أن أعيد كتابة الرواية معتمد على المصادر التاريخية الأساسية وأن أصوغها بالأسلوب الذي أريد والتي يتفق مع المسرحيات الكبرى التي يمثلها يوسف وهبي والتي تهنئي *

واخذت لنفسى الدور الذى سأمثله وهو دور أحد الأمراء،
الخوارج الذى لعب دورا فى الايقاع بين المنصور وبين ابي مسلم
الخراسانى وهو شبيب الخارجى ، فبدأت أكتب الرواية جاعلا من
هذه الشخصية البطل الأكبر فى القصة .

وبدأت أحشد كل المواقف التى راعيتى من يوسف وهبى
فى رواياته المختلفة فأجعل شبيبا هذا يلقها ٠٠ ورحمت أضع على
لسانه كل المقطوعات التى تمكننى من محاكاة يوسف وهبى فى
مواقفه المشهورة وسرعان ما تكاملت لدى رواية من أربعة فصول
لا تكاد تمت الى الرواية التى قدمت الى بادى الامر بصلة الاصلة
الحقائق التاريخية المثبتة فى كل المراجع ٠٠ وعلى ذلك فقد وجدت
من حلى أن تحمل الرواية اسمى باعتبارى مؤلفها ، وان كان ضميرى
ظل يؤنبى الا اعترف لصاحب الرواية الأولى بفضلها فى اختيار
الموضوع وارشادى اليه .٠٠

لقد قابلته فى ذلك الوقت وقلت له اننى قد غيرت الرواية
واعدت ناليفها وقد شاهدت الرواية فيما بعد واقرا انها قلبت رأسا
على عقب ولم يعترض على نسبتها الى ٠٠ ولكننى على الرغم من ذلك
كله ظللت بينى وبين نفسى أشعر أننى اغتصبت شيئا ليس من
حلى وهو فكرة ذلك الزميل الأول من اقتباس هذه الرواية من
مصادرها الأولى والتي هيأت لى ولحياتى الطريق لاعداد روايتى
٠٠ وهانذا بعد خمس وعشرين سنة أجد بعض الراحة فى تسجيل
هذه الحقيقة وهذا الدين فى رقبتي .

كانت هذه هى الرواية التى عرضت عن الفرقة إن تقوم
بتمثيلها فأخذها الأستاذ حسن جلال العروسى ليطلبها باعتبارها
رئيس الفرقة ثم أعادها بعد قليل معلنا موافقته على أن تقوم بتمثيلها

وأخطر الأستاذ أحمد علام بالرواية والقرار بتمثيلها وأحبط المشرف على الفرقة الأستاذ العدوي بهذا القرار . . وهكذا قضى الأمر وتحقق نول وأضحى انتصار لى . . أن كانت أول رواية بعد روايات المرحوم محمود مراد تمثلها فرقة تمثيل المدرسة الخديوية من على وتاليفي .

نحو العمل

وبدى، في توزيع الأدوار وكانت هذه ثاني المسائل التي يجب تذليلها كرئيس الفرقة يجب أن يأخذ أكبر الأدوار بطبيعة الحال . . وأكبر الأدوار هو دور شبيب الذي وضعته وفصلته على نفسى ليلائم مزاجي ولأتمكن من إبراز مواهبى وقدرتى التمثيلية من خلال حركاته وأقواله . . ويأتى بعد هذا الدور دوران آخران على قدم المساواة تقريبا هما دور أبى جعفر المنصور ودور أبى مسلم ناقترحت على رئيس الفرقة أن يأخذ دور أبى مسلم باعتباراه بطل الرواية المسماة على اسمه . . وقد وجد في ذلك بالفعل ما يرضى كرامته فقبل العور . ولعبت الصداقة بينى وبين ع* ١٠ ١ دورها في اختياره مديرا للمسرح وقد كانت إدارة المسرح تعتبر شيئا كبير الخطر في مسرح رمسيس وبمئات التجارب لأعداد الرواية والتدريب علىلقاء أدوارها وحفظها . . وقد نظمت هذه التدريبات في طريقها تحت اشراف أحمد علام وقد كنت بطبيعة الحال لا أقيم وزنا لأرشاداته فيما يختص بى فقد كنت آراه كل يوم في مسرح رمسيس وكنت اعتبر نفسى قد وصلت الى درجة تفوق عليه . . كيف لا فأنا أقلد يوسف وهبى . . ويوسف وهبى في نظرى يتفوق على أحمد علام بكثير . . ولم أكن أتصور في ذلك الوقت أن التقليد في حد ذاته شيء قبيح . . بل كان كلى مبتغى أن يكون تنفيذى كاملا لاكون مستحفا بذلك أعظم الدرجات والمراتب .

ولقد شفى معى احمد علام وهو يحاول أن يخفف من حدة تقليدى ليوسف وهبى .. ومازلت أذكر كيف أنه لاحظ على أننى أقلد يوسف وهبى حتى فى حركات يده التى يقوم بها باعتباره (أفسر) .

كما كنت أرفع عقيرتى وكيف صوتى ليكون كصوته ولم يكن للملاحظات أى نتيجة ، فقد كنت كما قلت مقتنعا بضرورة هذا التقليد وحسبى أن أقلد أعظم من عرفته المسارح المصرية .

اقتربت النهاية بسرعة .. أو بالأحرى اقتربت القصة .. قصة النجاح وأعني بها ليلة التمثيل . استأجرنا مسرح حديقة الأزبكية وفتح المسرح مخازنه بالملابس العربية القديمة لنا .. ولكن مطمئنى كان فى مخزن آخر .. مخزن تياترو رمسيس حيث كنت قد اعترفت أن استأجر ملابس يوسف وهبى فى رواية الصحراء .. هذه الملابس الخشنة التى يلبسها فى الفصل الثانى والثالث من فصول الرواية والتى تتألف من جلباب أبيض وفوقه عمامة من الصوف الخشن لا أكمام لها . كان هذا الملابس البسيط بالإضافة الى عمامة بيضاء على الرأس هو كل مطمئنى لكى أبدو كيوسف وهبى تماما .. وعندما سمحوا فى مسرح رمسيس بتأجير هذه الملابس لى شعرت بسعادة لم أشعر بمثلتها فى يوم من الأيام .

ووزعت التذاكر على الطلاب .. ودعيت الصحافة وجميع النقاد المسرحيين .. وجاءت الليلة الموعودة ليلة فرجى وهبى .

وكان طبيعيا أننى كنت أشرف على كل صغيرة وكبيرة وارجع الى الجميع لأحل ما يعرض لهم من مشاكل .. فظلت مشغولا حتى آخر لحظة فلم أتمكن من اعداد المكياج الخاص بى وهو مكياج يحتاج الى مجهود وعمل كبير اذ تتألف من لحية بيضاء ضخمة ويجب

أن يرسم على وجهي تجاعيد الشيخوخة وما يعطى وجهي مظهر
الدعاء والدمس والقسوة .. ولم يكن شيء من ذلك كله قد تم اعداده
عندما فوجئت بالأخ المحترم جدا .. ع. ا. ا. مدير المسرح وهو
يعطى إشارة بدء التمثيل وذلك بالخط ثلاث مرات والأذن برفع
الستار ..

لقد وقع على ذلك وقع الصاعقة وكنت أجن .. فهذه الليلة
التي رحت استعد لها الشهور الطوال تجيء أخيرا ثم أرى نفسي
مضطرا أن أدخل المسرح بغير استعداد أو تهيز نفسي .. وبغير
المكياج الذي يتطلبه الدور .. لقد كانت هذه الكارثة ..

لم يكن ع. ا. ا. يتصور أنني لم أفرغ من عملية المكياج وكان
باعتباره مديرا للمسرح يريد أن يظهر مدى قدرته وروعته في رفع
الستار في الوقت المحدد تماما بقطع النظر عن أي اعتبار آخر ..
لقد كنا جميعا مفتونين بمسرح رمسيس وبالمثل الأعلى الذي رسمه
مسرح رمسيس وقد كانت إحدى مفاخر هذا المسرح أن ترفع الستارة
في الموعد المحدد لرفعها بالدقيقة والثانية .. وأراد ع. ا. ا. أن يكون
كمدبر مسرح رمسيس تماما فيرفع الستار في الموعد ضاربا عرض
الحائط حتى يبطل الرواية الذي لم يستكمل استعداده بعد ..
وكان على أن أدخل الى المسرح بعد بضعة دقائق من رفع الستار ..
وأمرع الفنيون يقومون لي بعملية (المكياج) على عجل وبأية الطريقة
وبأي أسلوب .. ونستطيع أن نتصور حالة الغضب التي كنت
عنيها . نستطيع أن نتصور مقدار الشعور بالغيظ والهزيمة وانقياد
آمالى في هذه اللحظات .. وأحسب أن لو وقع نظري في هذه
اللحظة على ع. ا. ا. (لشربت من دمه) على وجه التحقيق بمقدار
ما حطم آمالى .. فقد طارت الفاظ الدور من رأسي عندما وجدت
نفسى أهدو عدوا لأدخل المسرح وأنا في هذه الحالة العصبية ودخلت

المسرح وبدات التمثيل ولم أكن أعرف ماذا كنت أقول ، فقد كانت رأسي تقلى وجسدي ينتفض وأنا متصور أن الناس تشمر بحالتي وتعرف بما دهاني .

وانطلق الحوار بيني وبين جعفر المنصور وأنا أحرضه في دهاء على أبي مسلم الخراساني وأظهر له خطره على ملكه وعرشه . . وسار الفصل والتمثيل في طريقه المرسوم . . ويتركني المنصور في آخر الفصل وحيدا فانزع العصابة عن عيني التي أنظما عن طريقها بالعمى فأقوم بحركة من حركات يوسف وهبي وهو ينظر حوايه هنا وهناك في حبت ودهاء ثم أعلن الانتصاري وغيظني . أن المنصور قد وقع تحت تأثيري وإن أبا مسلم لن يلبث أن يهتك على يد المنصور جزءا وفاقا لما ارتكب من جرائم وأثام ضد الفرس والخوارج . . وعند هذا القدر أسدل الستار وانطلقت آكف المتفرجين بالتصفيق . . ولكنني كنت في شغل شاغل عن ذلك كله أريد أن يسدل الستار لأسرع لانزال جام غضبي على ع . . أ . . ذلك الذي فجعتني هذه الفجيعة في ليلة (عرس) ولذلك قام أهتم بتصفيق الجمهور على الرغم من أن الستار رجع مرتين فيما أذكر .

وكانت فجيعة ع . . ا . ا . اشد من فجيعتي . . فالرجل يحيني ما في ذلك شك . . والرجل يريد لي النجاح والتفوق وهو يشاطرنى سعادتي في النجاح ويبيني الآمال الكثيرة على نجاحنا هذه الليلة . . ولذلك كان احساسه بخطئه أشد من احساسي به . . وقد كان يقدر كل التقدير حزني وآلامي وغضبي ولذلك فقد اختفى تماما عن ناظري فلم أعثر عليه بعد انتهاء تمثيل الفصل الأول .

وراح صاحينا يستقدم أشخاصا من المتفرجين من أسدقائنا ويسألهم عن رأيهم فيما شاهدوه وعن تمثيل بصفة خاصة فيثنون ثناء طيبا فيوعز إليهم أن يقابلوني ويهتئوني على هذا النجاح . .

وراح يحشد على هذه الصورة المهينين واحدا بعد آخر حتى اذا اطمان الى انه خلق جوا طيبا وأن هذه التهنيئات قد خففت بعض ما فى نفسى . . . ظهر أمامى وقد كان مجرد ظهوره وصورة الحزن المرتسمة على وجهه كقيلة بأن يجعلنى أنسى كل شيء . . . فقد كان حزنا شديدا لما حدث .

وراح يعتذر ويصور الله واعتبرت المسألة منتهية وبدأت استعد للفصول التالية وكنت لا أظهر فى الفصل الثانى الذى يلعب فيه أبو مسلم الدور الرئيسى . ثم يحيى الفصل الثالث والذى افته على غرار رواية الصحراء والذى أملاء تمثيلا والقاء وتقليدا ليوسف وهبى فى دوره الخالد .

وأقبلت على التمثيل بكل روحى . وذهل المتفرجون وهم يسمعون يوسف وهبى يمثل فى فرقة المدرسة الخديوية . . . وعندما أسدل الستار صفق المتفرجون اعجابا وتشجيما . . . وكان الفصل الأخير حيث تصل الرواية الى ذروتها المسرحية ويقتل أبو مسلم الخراسانى ويكشف الستار عن شبيب الخارجى فيقتل بدوره .

وكان من الواضح أن الرواية قد نجحت نجاحا عظيما . . . وأن الجميع قد ذهلوا لهذا المستوى العالى من التمثيل بالنسبة لطلاب مدرسة .

وإذ حصلت على النجاح بالنسبة للنظارة فقد كنا فى انتظار النجاح الأدبى على لسان النقاد المسرحيين ولقد أثنت الصحف بمبارات عامة على حفلة المدرسة ولكن الذى كنا نترقبه فى شغف واهتمام هو مجلة المسرح التى كانت هى وحدها التى تقدر مقدار النجاح .

وجاءت مجلة المسرح ولم تخيب أملنا فقد كان فيها نقدٌ جليل
عريض من انشاء الأحنف ناقدها المسرحي ولم ينس أن يذكر قراءه
بالوصف الذي خلعه على في العام السابق من اننى القائد
الضفلى . ولكنه كعادته ساق مقدمة مرحة فكهة . . فذكر كيف
أنه كان يسر أمام تياترو حديقة الأزيكية فقيل له أن بها حنة
تمثيلية فدخلها فإذا به يفاجأ بيوسف وهبي يمثل على المسرح فظن
نفسه أنه قد أخطأ الطريق وأنه في مسرح رمسيس لا الأزيكية . .
ولكنه تأكد ممن بجواره أنه في تياترو حديقة الأزيكية لا رمسيس
وأن هذا الذى يمثل أمامه ليس يوسف وهبي وإنما طالب كانه
يوسف وهبي . . وقد اعتير ذلك بطبيعة الحال مأخذاً على فقد
كانوا يكرهون يوسف وهبي وينكرون عليه اقتداره . أما أنا فقد
اعتبرت مجرد قوله أنه تصورنى يوسف وهبي أن هذا هو النجاح .

ولم يفتنى أن أخطر بعض المصورين ليأخذوا لنا صوراً ونحن
بملايسل المسرح فى أثناء التمثيل . . وحملت إحدى هذه الصور إلى
يوسف وهبي فقدمتها له هدية وكان الرجل قد سمع بهذا الطالب
الذى يقلده باتقان عجيب . . فلما رأى الصورة وهى توشك أن
تكون صورته بملايسه ومكياجيه فى دوره فى رواية الصحراء
لم يستطع الرجل أن يخفى ابتهاجه ولأول مرة منذ التحقت بمسرح
رمسيس انفجرت شفتاه عن ابتسامة رهبا وتشجيع . لا أظن أن
أعظم الأوسمة أو النياشين أو الرتب أو المكافآت من أى نوع كان
يمكن أن تصل إلى مرتبة هذه البسمة التى ابتسمها يوسف وهبي
فى وجبى والسعادة التى أشعرتنى بها .

إن هذه البسمة وهذه النظرة المشجعة كادت تطلب حياتى
راسداً على عقب . . كادت تحول مجرى حياتى عن الطريق المرسوم
لها لتلقينى فى أحضان التمثيل إلى أبه الأبدىين مثلاً منحرفاً أبعد

ما يكون عن حياة الجهاد من أجل البلاد والشعب التي ملأت حياتي
في الخمس والعشرين سنة التالية * واليك التفاصيل *

الهرب من المدرسة

كان اعجابي بيوسف وهبي قد وصل الى حد الهيام * وكان
فنانى في هواية التمثيل قد وصل الى الحد الذي لم أعد أتصور فيه
الحياة بغير اشباع هذه الهواية * ولم يكن ثمة سبيل لاشباع
رغبتى في التمثيل الا ان اترك المدرسة نهائيا وان احترف مهنة
التمثيل * وقد كانت هذه الفكرة تراودنى وتلعب بلبى طوال
الاشهر الأخيرة *

واعلن يوسف وهبي عن اعتزامه القيام برحلة في شمال
أفريقيا يقدم فيها رواياته الشهيرة * وهنا فكرت الى خاطري ان
أذهب معه في هذه الرحلة بأى ثمن * وعندما فرغت من تمثيل
دورى في رواية أبى مسلم وقدمت صورتى ليوسف وهبي فتنبهها
بقبول حسن وهش في وجهي وبش * هنا كانت فرصتى لتحقيق
مشروعى الذى امتلأت به نفسى وهو ان اترك المدرسة وألتحق
بالعمل معه مبتدئا بهذه الرحلة خارج البلاد * وانظرت لأخطو
الخطوة الأخيرة ريثما تنتهى من اجازة نصف السنة التى كانت قد
بدأت في ذلك الوقت وبعد انتهاء الاجازة أعطانى والدى قسط
المصروفات الدراسية وقدره عشرة جنيهات لتسديده * وهذا
ما كنت في انتظاره فان هذه العشرة جنيهات هى الراسمال الذى
كنت في حاجة اليه لأبدا حياتى الجديدة *

ووضعت العشرة جنيهات في جيبى وهجرت المنزل لأول مرة
فتمت لى احدى اللوكائعات وفى الصباح يمت شطر مبرج
رمسيس لاقابل يوسف وهبي قبل بدء البروفة لأطلب منه ان

يلحنتني بمسرحه وأن يأخذني معه في رحلته فإن حياتي أصبحت
وفقاً على التمثيل .

وجاءت اللحظة التي كانت ستقرر حياتي ورأيت نفسي أصدق
الدرج المؤدى الى حجرة يوسف وهبي في المسرح وكان قلبي يخفق
بشدة لم يسبق لها مثيل وكان وجهي مصفراً والعرق يتساقط
من كل أطرافى .

ودفعت الباب في خوف ورهبة مضاعفة بالنسبة لما اعتدناه
من قبل كلما حاولنا الدخول على يوسف وهبي .

وقد احتجت لكل شجاعتي لكي أواجه الموقف . . . وأذن لي
يوسف وهبي بالدخول فدخلت ونظرت الى نظراته الصارمة والتي
بنت لي في هذه اللحظة أشد صرامة منها في أى وقت مضى .

قلت له على الفور لقد جئت لأرجوك ان تأخذني معك في رحلتك
الى شمال أفريقيا . . . رد الرجل في عبارة قصيرة هذا غير ممكن . . .
ولم يقدم أى حشيشات ولم يحاول ان يطيل الحديث معى .

فامتنع وجهي أكثر وأكثر وشعرت بالخجل والكسوف
وخيبة الأمل .

قلت ولكننى قد علقت كل آمالى على هذه الخطوة . . . فقال ولكن
للأسف أشد الأسف فهذا غير ممكن . . .

وثارت كرامتى فرأيت ان أقف عند هذا القدر فقلت له طيب
متشكراً وانسحبت من الحجرة على الأثر ونزلت على السلم وأنا أكاد
أتمتر واقع وأسهرت الى خسارح المسرح . . . الى الطريق الصام

والهم والياس يفران نفسى بصورة لم يسبق لها مثيل فى حياتى
حتى هذه اللحظة .

لقد شعرت فجأة أننى انسان ضائع ومحطم .. لقد هجرت
المنزل والمدرسة من أجل المسرح وهامو المسرح يلفظنى ولا يقبلنى
فى صفوفه .

فماذا عساي فاعل ؟ وكيف يمكن أن اتصرف ؟ ووقفت حائرا
وسط هذا العالم المضطرب .. وفجأة رأيت أمامى شخصا يتسم
فى وجهى ويدعونى للسير معه .. وكأنه كان ملاكا هبط على من
السماء لانتقادى .. ولم يكن هذا الشخص سوى (عمى) شقيق
والذى الأصغر .. وقد جاء ليبحث عنى فقد كان موضوع غيابى
عن البيت والمدرسة هو شغل الأسرة الشاغل بطبيعة الحال وقد
تطوع ليبحث عنى فى المكان الذى كان على ثقة بأن يرانى فيه ..
وقد وجدنى بالفعل على أبواب مسرح رمسيس فلم يكن فى حاجة
حتى الى مجرد السؤال .

كان عمى يعرف مقدار تعلقى بالتمثيل واصرارى على ما قد
أكون أنتويته من مشروعات .. وكان يعلم أنه سيكون من الصعب
ان لم يكن من المستحيل أن يثنى عزمى عن الخطوة التى قد أكون
اخترتها ولذلك فقد فوجئ عندما وجدنى سلس القيادة .. وعندما
طلب منى أن اذهب معه لمقابلة والذى فاذا بى أظهر على الفور
استعدادى للذهاب .

لم يكن يعرف انه جاءنى فى لحظة كنت فيها محطما تحت
وقع الصلصة .. وأننى كأتى شخص تائه أو غريق على استعداد أن
يتعلق بقشة .. وقد كان مجيء عمى فى هذه الساعة ليعود بى
الى المنزل أكثر من قشة .. لقد كان طوقا من أطواق النجاة .

العودة الى المنزل والمدرسة

ولست أريد أن أسرف في ذكر التفاصيل وكيف ذهبنا الى
والدى في وزارة المالية فحرص على أن يسترد أولا وقبل كل شيء
ما ممي من النقود من بقية المصروفات المدرسية حتى اذا أصبحت في
جيبه وكان لم ينقص منها سوى ثلاثين قرشا * الفجر في وجهي
معلنا اياي أنه باستطاعتي الآن أن أذهب الى حيث أشاء فلست
ولده وهو غير مستعد للاعتراف بي مادامت هذه خططي وهذه
أفصالي ..

وكان شجار بيني وبينه وتدخل الموظفون في الأمر وسوى
الموضوع وعدت الى البيت .. ثم الى المدرسة ، كنت قبل هذا
الحادث قد بلغ مني الاعتقاد مبلغا عظيما في أنني لم أعد أصلح
للدراية وأنه من المستحيل أن أنجح في الحصول على شهادة
الكفاءة بأى حال من الأحوال .

لقد كان علينا أن نمتحن في ثلاث لغات العربية والانجليزية
والفرنسية وعشرة علوم أخرى من بينها الرياضة بقروعها :
الحساب والجبر والهندسة والجغرافيا والتاريخ والترجمة والتربية
الوطنية والطبيعة والكيمياء وعلم الحيوان والنبات والجيولوجيا
.. وكان علينا أن نمتحن في مقررات السنوات الثلاث .. ففي
الجغرافيا يجب أن نستعد في دروس السنوات الثلاث ، وكذلك
في التاريخ وفي مختلف العلوم .. ولم يكن التمثيل قد ترك لي
فراغا لأذاكر أو لأحضر الدروس .. بل لم يكن قد ترك لي عقلا
لأتفهم هذه الدروس .. وشعرت بأن حياتي الدراسية قد انتهت
نهائيا .

ولم أكن أرى في ذلك أي عار أو شئار فأبطال التمثيل في العالم كله قد تركوا المدارس ، بل أن يوسف وهبي نفسه لم يحصل على الابتدائية ٠٠ والنبوغ الفني لا يتوقف على الحصول على الشهادات ٠٠ بل لعل تركي المدرسة هو علامة النبوغ والتفوق والامتياز في التمثيل ٠٠ وهكذا كنت أركي في نفسى هذا الاتجاه .

ثم كانت هذه الصدمة ٠٠ وكان أعنى عانى هذه الصدمة مانصورت أنه قد جرح كبريائى ومس كرامتى ٠٠ لقد لفظنى يوسف وهبي ومسرحة ٠٠ ولم يقدر انجايى به ٠٠ لم يقدر اخلاصى وتقانى للفن ورسالته ٠٠ لقد طردنى من حظيرة الفن ٠٠ فلم يبق امامى لاسترداد كرامتى الا أن أفيل على دروسى وأن أنجح فى الحصول على شهادتى فهذا هو الرد الوحيد على هذه الصدمة لاطن معدودا فى عداد التلاميذ الذين يعدون لمستقبلهم وبهذه الروح أقيمت على المذاكرة والاول مرة استعنت بأخى الأكبر عيد الانتاح ليمطينى دروسا فى الانجليزى ويذاكر معى .

وأقللت من اشتغالى بالتمثيل على الدراسة والمذاكرة ٠٠ حتى جاء آخر العام .. ثم كان الامتحان .. وكان أملى فى النجاح ضميما ٠٠ وكنت أتصور أننى اذا رسبت فى الامتحان لمن أستطيع أن أواصل الدراسة بعد ذلك أبدا ٠٠ وتم الامتحان وانتظرنا ظهور النتيجة ٠٠ الله أكبر لقد نجحت ٠٠ نجحت وأصبحت فى السنة الرابعة ٠٠ أى فى القسم الأدبى حيث لا رياضة ولا جبر ولا حساب ولا هندسة ٠٠ حيث العلوم أكثر جاذبية وأقل عددا .

حيث الطريق أصبح مرسوما ومعيدا نحو الجامعة ٠٠ واذن فقد نجوت ٠٠ نجوت والحمد لله من المصير الذى كان يترقبنى لو أن يوسف وهبي قبلى فى مسرح رمسيس ٠٠ أو لو أننى رسبت فى الامتحان .

لقد كان هذا النجاح بمثابة مرحلة انتقال كبيرى .. لقد ماتت
فى نفسى نهائيا فكرة الانصراف عن الدراسة واصبحت حياتى
كطالب هى الأساس الأول الذى يقوم عليه مستقبلى .. وكان ذلك
هو أول تطور نحو حياتى العامة التى انتهت إليها فيما بعد ولكن
خطوطها الكاملة لم تكن قد اتضحت بعد .. باستثناء هذا الخط
الوحيد الذى ذكرته وهو استعدادى تقنى بنفسى كطالب واتخاذ
المدرسة لحياتى المقبلة .

المذكرات السياسية

هذه المذكرات اشارة عابرة لأخطر فترة في حياة مصر الحديثة على الاطلاق ، انها رد الفعل لما حدث في مصر خلال نهضة عمالي والتي وقف لها الخديوي توفيق والانجليز بالمرصاد ، فأحبطوا هذه النهضة ، وحرقوا الاسكندرية واحتلوا البلاد عام ١٨٨٢ .

دخلت مصر في ظلام الاحتلال وثيود الرجعية .

دخلت مصر في عبودية المحتل الأجنبي وحليفه : خديوي سلطان فملك مصر ، حتى كانت هذه الفترة من حياة مصر والتي تشير اليها هذه المذكرات فرد لصر اعتبارها ، ونجا شعبها من المصير الحالك الذي كان يوشك أن يتردى فيه .

تبدأ هذه الفترة من الناحية الرسمية في ٨ من أكتوبر سنة ١٩٥١ ، وغشيتها الفوضى في ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ وتسجل انتصاراتها الكبرى ابتداء من ٢٣ من يوليو سنة ١٩٥٢ ، وما تلاه من أيام .

أيام ثلاثة متصلة الحلقات متبقي خالدة على مر التاريخ حيث يتألف منها ذلك العقد النضيد الذي يزدان به جبين مصر :

★ ٨ من أكتوبر حيث ألغيت المعاهدة المصرية الانجليزية واعلنت مصر الجهاد على الاستعمار .

★ و ٢٦ من يناير حيث حاول الاستعمار الرجعية أن يقضى على نهضة الشعب .

★ و ٢٣ من يوليو حيث سجل الشعب انتصاره الرائع عن طريق جيشه الذي أطاح بالملك الذي لخص الفساد وأصبح علما عليه ، بانهيار الملك انهارت دولة الفساد كلها وتحررت مصر وتحرر الشعب وإذا كانت لانزال على ضفاف القتال بقيسة من جيوش الانجليز ، وفي السودان طرف آخر من هذه الجيوش فإن ذلك ليس سوى التصفية الأخيرة لهذا الوباء .

هذه هي الحقبة المشرفة من تاريخ مصر التي تشير إليها هذه المذكرات .

وهي تشير إليها من خلال زاوية غريبة جدا .. زاوية رجل ناد حبل المشنقة يلق حول عنقه ، ويذهب مشيعا باللعنات وسخط الذين كرس حياته من أجلهم وهم جماهير الشعب الكادح والذين قيل لهم زورا وبهتانا انه هو الذي حرق مدينة القاهرة .. ولكن الحوادث لم تليث أن تطورت لتبديد هذه الظلمات المنكاثفة والسحب فراحت تنقشع رويدا .. رويدا .. وراح الباطل يزول أمام الحق .. حتى بلغ التطور ذروته وأسقط الملك وعهد الطغيان بأكمله عن عرشه فتبدد الاتهام ، وتجلت الحقائق ، وسطمت آيات الله .. فاذا بالسجين يعود طليقا وأسياد الأمتى يرسفون في القيود والأغلال وحبل المشنقة الذي كان يهدد المظلوم قد أصبح ظله يقع كئيبا على أعناق الفئة الباغية .

إنها آية من آيات الله .. انها معجزة وبائية تجلت فيها قدرة الله على عيبد من عبيده فرده الى الحياة والحرية والكرامة وأذل أعداءه وخصومه .. وليست هذه المذكرات سوى استعراض لهذه الآية الكبرى .

لقد كتبت هذه المذكرات يوماً بعد يوم وساعة بعد أخرى في وقتها ابتداءً من ٤ من أبريل سنة ١٩٥٢ حتى أول نوفمبر من العام نفسه . وهي وثيقة لا لأنها تؤرخ أمة فلسست أزعج أنني مؤرخ وليس دوري كتابة التاريخ . بل هي ليست تاريخية حتى بالنسبة للقضية الكبرى التي يدور حولها الحديث كله في المذكرات وأعنى بها قضية التحريض على حرق مدينة القاهرة . فإن شرح ذلك يطول ويحتاج إلى مجلدات تحتل المباحث القانونية جزءها الأكبر . ولكنها نافذة من حيث استعراضها لنفسية مواطن عاش هذه الحقبة من تاريخ مصر وهو متفاعل بالحوادث أشد الانفعال . أنها شريط يسجل أدق ما يدور في أغوار نفس رفعت لواء التمرد على فاروق ونسأذ نصره فبذل جهده للتخلص منها فكاد لها ولكن الله أحبط الكيد وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى .

واني أكتب هذه المقدمة الآن في العاشر من شهر نوفمبر ١٩٥٢ بعد أن ردت إلى الحرية وبعد أن بلفني خبر تأجيل قضية التحريض إلى يوم ٢ من ديسمبر وهو ما هيأ لي فرصة كتابة القسم الأول من هذه المذكرات الذي يجعل الحوادث السابقة على ٢٦ من يناير وما تلى ذلك اليوم من حوادث أدت بي إلى السجن حتى يوم ٤ من أبريل حيث يبدأ القسم الثاني من المذكرات وهو القسم العام والتاريخي والذي كتب في وقته وساعته فهو أشبه الأشياء بشرط مسجل .

ولقد أعدت تلاوة هذا القسم من المذكرات ولكنني آليت على نفسي ألا تمتد يدي إليه بأي تغيير أو تحوير . واني أقسم أمام الله الذي أنقذني وبعثني إلى الحياة من جديد أن هذا القسم من المذكرات - يقدم للطبعة كما كتب في وقته وساعته بدون إضافة كلمة واحدة أو حرف .

ولست أعرف الآن إذا كنت سأكتب لهذه المذكرات قائمة
أجمل فيها الحوادث التالية لها أم لا ، فاني شديد اللهفة على أن
تخرج هذه المذكرات الى النور بأسرع وقت ممكن ، ليكون في نشرها
آية تمجيد لله ومظهر من مظاهر عبوديتي لله الرحيم القوي القادر
المتعال ، ذلك الذي نصرني على الطاغية والذي أكرمني فجعل
الحوادث تصدقني حيث قلت بالحرف الواحد :

« سوف تدخل السجن اذا شاء الله ودخلنا لكننا على ثقة
لا تتزعزع باننا سنخرج منها بعد ذلك لنرى الحال غير الحال والحكام
غير الحكام ولنرى كلمة الشعب هي العليا وكلمة أعداء الشعب
هي السفلى » *

وتربصوا انا معكم متربصون *

من مصر الفتاة العدد ٢٦٢ يوم الجمعة ١٢ من يناير
سنة ١٩٥١ .

ولقد خرجت من السجن فوجدت الحال غير الحال والحكام
غير الحكام وكلمة خصوم الشعب هي السفلى وكلمة المؤمنين
هي العليا *

فالله أكبر .. الله أكبر .. صدق وعده ونصر عبده وأعز
جنده وهزم الطاغية وحده *

احمد حسين

١٩٥٢/١١/١٠ م

نحن الآن في يناير ١٩٥٠ الوفد مرة جديدة في الحكم ، وقد كان ذلك يشبه أن يكون انقلاباً ، ففي ختام ١٩٤٤ طرد الملك فاروق وزارة الوفد وعمل جاهدا منذ ذلك التاريخ على القضاء على الوفد بشتى الطرق والأشكال ، حتى وصل به الأمر الى حد اصطناع الجريمة لالغتيال النحاس شخصياً فشجع كل المحاولات على قتله هو ومن يلوذ به من رجال السياسة وعلى رأسهم أمين عثمان الذي قتل .

ولما فترت حماسة الشبان لمحاربة أعداء فاروق ، شكل حرساً سديدياً يتلقى الأوامر منه مباشرة لقتل من يريد من أعدائه ، واقتدم هذا الحرس على محاولتين خطيرتين لالغتيال النحاس ، كانت احدهما محاولة نسف بيته في جاردن سيتي ، ونسف الحي بأكمله توصلنا لتحقيق هذه الغاية .

وإذا كان فاروق قد وصل الى حد تبرير الجرائم توصلنا للتخلص من النحاس والوفد وحكم الوفد فباستطاعتنا أن نتصور الى أي حد استخدم كل سلطانه السياسي لتحطيم حزب الوفد وايقاف كل نشاطه . . . وقد نجح فاروق في ذلك الى حد كبير فقد وجد وزارات من احزاب الأقلية تبادر الى تلبية رغائبه ، وفي ظل هذه الوزارات بدأ فاروق يتحول بالتدريج الى طاغية ، ولقد عرف التاريخ طفافة ولكنهم كانوا الى حد ما مصلحين في ناحية من النواحي ، أما فاروق فقد كان طاغية مستبد ، وكان حاكماً منجلاً ، ولم تكن قصصه - التي عرفت عنه فيما بعد - قد ذاعت وشاعت ، ولكن روايتها بدأت تزكم الأنوف ، وراح الناس يتناقلون الأحاديث عن مغامراته في شتى الميادين وبدأت سمعته تتدهور في الوقت الذي كان يضاعف فيه طغيانه يوماً بعد يوم وساعة بعد أخرى . . . وكان الاصطدام مع حركة الاخوان المسلمين بحل الجمعية مما أدى الى اغتيال محمود فهمي النقراشي رئيس الحكومة ، واغتيال

حسن البنا رئيس الجماعة عقب ذلك ، وسادت البلاد موجة من
الارهاب ضرب فيها عرض الحائط بكل قانون وكل دستور وكل
عرف وتقليد .. وفي هذا الجو المضطرب أحسست بدافع غريزي
ملأني خوفا من أن يفكر فاروق في التخلص مني كما التخلص من
حسن البنا فأسررت لاخواني بهذا الشعور واتفقت معهم على مغادرة
القطر والسفر الى انجلترا للعناية للقضية المصرية ريثما
تستقر الأمور .

وفي انجلترا اكتشفت مقدار التدهور الذي أصاب سبعة مسر
نتيجة هزيمتها المزرية في حرب فلسطين ، هذه الهزيمة التي لم تكن
لتنقص في الشجاعة أو الكفاءة ، وإنما لفساد الأسلحة والذخائر
كما انتضحت الأمور فيما بعد . ولافراط الحكام المصريين في
الخيانة والفساد .

وجئت اسم مصر لأول مرة لا يثير إلا امتعاضا وسخرية ..
وشعرت بمقدار ازدياد الرأي العام العالمي لفاروق واندحاشهم
من سكوت الشعب على مبادئه . وفي إحدى المناسبات وقلب
خطيبا في حديقة هايد بارك داعيا الانجليز للجلاء عن مصر فادا
بأكثر من واحد من جمهور المستمعين يصيح بي منددا بفاروق
وباشوات مصر وكبرائها . وكان ذلك شيئا جديدا بالنسبة لي ..
ان أرى رجل الشارع في انجلترا يتندد بسادة مصر وأفهمني ذلك
مقدار التطور الذي طرأ على عقلية الشعوب وكيف أصبحت تكره
الملوك والرأسماليين والاقطاعيين ولا تطيق سماع أخبار البذخ
والسفه والاسراف الذي يعبد اليه أغنياء الشرق وكبرائه .

وفي انجلترا طالعت صحفا جعلت من الهجوم على فاروق
شأنيا المتداول .

وفي إنجلترا أبدى لي مسئول كبير دهشته لعدم قيام ثورة
في مصر ضد فاروق .

وبالرغم من ذلك كله ومن سوء سمعة فاروق فقد سمعت من
ناحية أخرى أنه متفق مع الانجليز على ألا يجلو عن مصر أبدا وأنه
عقد معهم عهدا أن يبذل كل سلطانه لعرقلة كل حركة ترمى
لاخراجهم من مصر أو اخراجهم بأي صورة من الصور .

وفي إنجلترا تعرضت لهجمات شديدة من الطلاب المصريين
نا تصوره من أنني موافق من قبل فاروق وأنتى صنيعة السراى
.. ولقد بذلت جهدا كبيرا جدا حتى بددت هذه الاشاعة وحصلتهم
على احترام جهادى .

ومن وراء ذلك كله أو قبل ذلك كله رأيت سيادة الاشتراكية
في إنجلترا ورأيت تطبيقاتها الرائعة ، بحيث تهيب لكل مقيم على
أرض الجزر البريطانية الأمان والضمآن ضد البطالة وضد المآفة
وضد المرض والشيخوخة .

وانتهت رحلتى بعد شهرين وقد فشلت الرحلة فشلا ذريعا
من حيث هدفها الأول وهو : العناية للقضية المصرية فلم ألق
سبيعا أو مجيبا .. ولم ألق أى تشجيع من أى ناحية .

ولكن الرحلة أفادتنى من ناحية أخرى فوائد جبة .. فقد
فتحت عيني على مقدار الهوة التى تردت فيها سمعة فاروق وبالتالي
سمعة مصر الخاضعة لفاروق المستكينة لسلطانه ، وملأنى الشعور
بان الأمور وقد وصلت الى هذا الحد فان أيام فاروق قد أصبحت
قريبة .

وأكملت اقتناعى بالنظام الاشتراكى وأنه لا علاج لمشاكل مصر
فى الداخل والخارج ولا سبيل لنجاتها الا باتخاذ النظم الاشتراكية
كاعادة توزيع الأراضى فى مصر والقضاء نهائيسا على نظام الاقطاع

والغاء الألقاب وإتاحة الفرص المتكافئة لجميع المصريين في التعليم
والعلاج وكسب الرزق .

وبهاتين الفكرتين عدت الى مصر في صيف عام ١٩٤٩ فنشرت
في جريدة المصري بيانا أخص فيه هذه الحقائق وأعلن فيه
احتجاجي على سوء أحوال البلاد وأحذر من العواقب الوخيمة التي
تهددها ، وكظهر من مظاهر الاحتجاج أعلنت انسحابي من
النشاط السياسي مؤقتا واعتكافي في الريف في عزبة
ابراهيم شكري بشربين .

وقد كان هذا البيان أشبه بقنبلة ودهش الكثيرون للجرأة
التي انطوى عليها فلأول مرة تحدث مصري بصراحة عن الجرائم
التي وقعت على النحاس وحسن البنا وعن جو الارهاب الذي يسود
مصر وأشار الى الناحية المسئولة عن هذه الجرائم وندد بها .

ويقيني أن هذا البيان لو لم يختم بإعلان انسحابي واعتكافي
في الريف لكن لغاروق ولابراهيم عبد الهادي الذي كان يحكم
البلاد في هذه الأيام شأن معي وأي شأن .

اعلان الحزب الاشتراكي

وان هو الا شهر واحد عقب اذاعة هذا البيان بل ما هو اقل
من الشهر حتى سقطت وزارة ابراهيم عبد الهادي ودعى حسين سرى
لتأليف الوزارة الجديدة . . وكان برنامج حسين سرى يتلخص في
اعادة الوفد الى الحكم .

وكان سقوط عبد الهادي مشجعا لنا لكي نستأنف نشاطنا
من جديد ، فعدت الى القاهرة والتفقت مع اخواني على تغيير اسم
الحزب من مصر الفتاة الى حزب الاشتراكي . وضعنا برنامجا
اشتراكيا جديدا يتألف من عشر نقاط تتضمن جوهر المبادئ
الاشتراكية على أن يكون تحقيقها بالطريق الدستوري البرلماني .

وحجر الزاوية في هذا البرنامج هو ما أشرت له فيما سبق من ضرورة تحديد الملكية بخمسين فدانا وتوزيع ما زاد في ملكية أي مصري على هذا القدر على صغار المزارعين ، وجعلنا شعار هذا المبدأ ، الأرض ملك لزارعيها ، وثبة مبدأ آخر يدور حول مجانية التعليم في جميع درجاته بالنسبة لجميع المصريين ومبدأ ثالث يدور حول تأمين كل مصري على توفير حد أدنى من المعيشة الكريمة اللائقة بالإنسان في القرن العشرين وتأمينه ضد المرض والبطالة والعجز والشيخوخة ، ومبدأ رابع يهدف للقضاء على الفوارق بين الطبقات بإلغاء الألقاب وملحقاتها وتقريب الثروات ، ومبدأ رئيسي يتحدث عن الانتاج الجماعي ووجوب وضع مشروع شامل كامل ينفذ في خمس سنوات لإعادة بناء المجتمع المصري والوصول به إلى أعلى الدرجات .

وبالرغم من أن حركتنا ديمقراطية قانونية فقد رأينا زيادة في الحرص أن نسجل أن وسيلتنا لتنفيذ هذا البرنامج أبعد ما تكون عن العنف أو الاكراه ، وأن الاقتناع عن طريق النشر والخطابة هو كل وسيلتنا لتحقيق هذه الأهداف .

وعلى الرغم من وجود الرقابة على الصحف والنشر فقد استطعنا أن ننشر هذا البرنامج بعد تعديلات طفيفة فرضتها الرقابة . وهكذا بدأ جهادنا الأخير صورته الناضجة المتكاملة تحت اسم الحزب الاشتراكي .

الانتخابات وعودة الوفد

وبدأت معركة الانتخابات فحضرناها بمشورة من المرشحين ، ولقد أسرف حسين في التحدث عن حرية الانتخابات وحيدهتها ونزاهتها .

واخترت لنفسى دائرة عابدين حيث رشح الوفد ضدى حافظ
شبيحا المعامى ، كما كان هناك مرشح آخر يمثل الأحرار الدستوريين
وهو على راتب *

وكان فوزى فى المعركة يبدو أمرا محققا ٠٠ فقد عقدت مايزيد
على خمسة اجتماعات عامة كان يحتشد فيها الوف من الناحيين
وغيرهم ، وكانت الحماسة تبلغ عنان السماء وعندما كنت امر فى
الدائرة كنت ألقى ما يشبه الأجماع على انتخابى ٠٠ وكانت مظاهر
التشجيع تترى من أنحاء القطر المصرى كله والذي كان يتمنى أن
يرانى عضوا فى مجلس النواب ليسمع صوتى الدارى دفاعا عن
الشعب ، تحت القبة ، ولكن كما حدث فى انتخابات سابقة قلب
البوليس لرجال وأنصارى يوم الانتخابات ظهر المنج ، فقبضوا
عل وكلائى فى اللجان واعتدوا بالضرب على كل من تصوروا أنه
سيصوت لى ، وهكذا استطاعوا فى اللحظة الأخيرة أن يزيئوا
النتيجة وأن ينجحوا حافظ شبيحا الذى كان كل من فى مصر يتراهن
أنه لن يحصل على تأييده *

واسقطت فى الانتخاب للمرة الثالثة بقوة الحديد والبار ،
ولو وقف الأمر عند حد الإسقاط لما كان له كل هذا الأثر البالغ
فى نفسى ٠٠ ولكن الشائعات التى تواترت كانت تصر على أن الملك
فاروق هو الذى أصدر أمره (الكريم) بإسقاط أحمد حسين *

وكانت هذه الصيحة تردد طوال المعركة الانتخابية ، فكانت
أكذبتها بكل شدة بطبيعة الحال ولا أقيم لها وزنا باعتبارها من
اشاعات منافس ، ولكن عندما أقدم البوليس يوم الانتخاب على
ما أقدم عليه لم أستطع إلا أن أصدق ما كذبه طوال المعركة ٠٠
واستقر فى خاطرى أن فاروق هو الذى أسقطنى *

وما حدث منى فى دائرتى حدث مع بقية زملائى مع تفاوت فى
شدة اضطهادهم تبعاً لقوتهم واحتمال نجاحهم *

ونجح بشق الأنفس إبراهيم شكري لوجود ميل جارف من
تأييد أهالي شربين وما يحيط بها له .

وفاز الوفد بإغلبية ساحقة وجاه النحاس الذي أقسم الملك
بالشياطين والجن والانس أنه لن يرتقى الحكم مرة ثانية . .
مصطفى النحاس الذي حاول الملك أن يقتله كما ذكرت . . جاء
النحاس الى الحكم من جديد وكان ذلك - كما قدمت - اشبه الاشيء
بانقلاب خطير . . ولقد كان انقلابا خطيرا بالفعل ولكن في الاتجاه
المضاد والمخالف لتصورات الشعب . . فقد جاء الشعب بمصطفى
النحاس لما اشتهر به من أنه عدو لفاروق . . جاء به ليحد من سلطان
الطاغية وليوقفه عند حده . ولكن النحاس الذي كان قد أصبح
المؤبة في يد سراج الدين خيب الآمال منذ اللحظة الأولى وأحدث
انقلابا بالفعل . . فقد تحول بارشاد سراج الدين الى عبد ذليل
لشبهوات فاروق بحيث انخلعت قلوب الناس منذ الأيام الأولى
لحكومة الوفد لهول الانقلاب . . انقلاب النحاس الى صنيعه من
صناع التصرف كاستقر رئيس حكومة من حكومات الأقليات التي
تعادي الشعب ولا تمت إليه بأى صلة .

اليأس الذي أدى الى ثورة

ووجدت نفسي في حالة تشبه اليأس فيماذا بعد ما يقرب من
عشرين عاما من الكفاح المتصل من أجل الشعب وحرية وكرامته
ومجده واستقلاله أرى نفسي وجميع قوات الدولة تحاربه بحيث
نأبى على أن أكون تابيا في البرلمان كأى نكرة من هذه النكرات
والشخصى التي تكتظ بها مقاعد البرلمان .

وغاضني في الدرجة الأولى هذا القول المكرر المعاد من أن الملك
هو الذي يحاربني وهو الذي عمل على إسقاطي .

ماذا فعلت لهذا الملك . . بأى شيء أذنته كذلك . . لقد كانت
حركة مصر الفتاة التي تالفت منذ ١٩٣٣ هي أول حركة في مصر

اتخذت شعار لها « الله والوطن والملك » وسعيها جاهدين لتقريب الملك الى الشعب واتخاذ رمزا لمكافحة الاستعمار .. وعندما جاء فاروق امرعنا للانتفاف حوله والاشترك مع باقي طوائف الأمة في تعليق الأمال عليه .. وآخر موقف لي مع الملك عندما ذهبت الى أمريكا للدعاية للقضية المصرية فصدرت كل مطبوعاتي بصورته وأهلتي من شأنه وكرامته ، وقد عرضني ذلك لتقد شديد من بعض الأمريكان الذين أزعجتهم صورته وهم يعرفون من أمره ما لم نعرف في ذلك الوقت . وعندما قامت حرب فلسطين وغنم مجاهدونا الأبطال التوراة اليهودية المقدسة والتي كان باستطاعتنا أن نحفظ بها وأن نبيعها بمشترات الألف من الجنيهات لليهود أنفسهم .. ولكننا آثرنا أن نهدياها للملك ليضعها في متحفه ، وعلى الرغم من أننا لم نطلق خطاب شكر على هذه الهدية فقد سكتنا على مضض .

اذن ماذا يريد هذا الرجل لكي يدخل أحد رعاياه في رحمته .. ان الاخلاص لا ينفذ .. ان الوطنية لا تنفع .. ان العمل للصالح العام لا ينفذ .. حتى الرغبة في خدمة الملك عن طريق تبصيره بالحقائق وحثه على خدمة الشعب لا تنفع .. لا يستطيع المجاهد الأمين أن ينفذ الى هذا الرجل الذي جمع في يده كل سلطان .. فهأنذا لم أستطع أن اطفر ببقابلة هذا الملك طوال سبعة عشر عاما قضيتها في الجهاد والاخلاص للوطن والملك .. فما السبيل اذن لكسب رضائه ونيل حظوته .

لقد رحمت اثلثت حول الملك وأدرسي حاشيته وكل الذين يحيطون به ويمثلونه هنا وهناك فلم أجد الا مجموعة من القوادين والمستهترين والشبان الأغرار المفتونين .. وجدت الملك لا تحيط به الا غانيات وراقصات ولاعبو القمار .. وأدركت على الفور أن هذا هو السبيل الوحيد للحصول على حظوة الملك .. فان لم يكن الانسان قوادا أو لاعب قمار أو زير نساء فلا سبيل له للاقتراب من هذا الملك .. فأى ملك هذا وأي شعب يرضى بأن تنتهي الأمور

الى أن يكون على رأسه ملك هذا شأنه .. لا مكان للنضيلة في بلاطه
.. لا مكان للاخلاص أو الوطنية الصادقة في بلاطه حتى ولو الى
جوار الطراز الآخرين المفسدين .

لقد أخافني هذا الملك أكثر من مرة فأحسست احساسا شديدا
انه يريد قتل وكانت رحلتي الى انجلترا - كما ذكرت - تحت تأثير
هذا الشعور .. وها هو يعمس على قتل معنويا بملاحقتي في
الانتخابات العامة لاسقاطي في نفس الوقت الذي يصل بالليل
والنهار على قتل هذه الأمة وهذا الشعب . واذن فلابد من أن أخوض
معركة مع هذا الملك وليكن ما يكون .

لقد قررت أن أموت في منتصف الطريق .. قررت أن يزع
بني الى السجن طوال حياتي أو أن أصرخ على الطريق العام برساسة
.. ولكن ذلك كله لم يزدني الا تشبثا واصرارا ورحمت أردت قول
الشاعر :

إذا لم يكن من الموت بد

فمن العار أن تموت جباناً

التي ميت .. ميت . بل لقد مت بالفعل مادياً وأدبياً .

فهاأنذا رجل فقير أعيش يوماً بعد يوم . وأحصل قوت اولادي
واسرتي يوماً بعد يوم .. وهاأنذا رجل على هامش الحياة السياسية
لا يسمح لي أن أكون مجرد نائب .. فماذا على لو مت .. ما الذي
ستخسره أسرتي .. بل ما الذي ستخسره بلادي .. بل ما الذي
سأخسره أنا ؟ لا شيء .. لا شيء . وعلى العكس من ذلك فان هناك
بعض الأرباح والمغانم اذا قتلت وصرعت في هذا السبيل . سوف
يقول التاريخ انه في منتصف القرن العشرين قام في مصر ملك
بامر طاغية مستبد .. ودع كل المصريين وأفرعهم ولكن فردا من

بين صفوفهم قد تحدها جهارا نهارا .. تحدى ظلمه وطفياته وقذى
في وجهه برأيه فيه ثم دفع حياته ثمنا لذلك . كانت هذه الصورة
تبهجنى وتملأ نفسى ارتياحا ان أرفع عن الشعب مسبة الا يخرج
من بين صفوفه من يتحدى الملك .. ففكرت أن أمضى في هذا
الطريق . وكنت أشعر كما قدمت ان هذه سياسة ياس ولكن
لم يكن أمامى سياسة غيرها .. لقد كان هذا هو الباب الوحيد
الذى ظل مفتوحا أمامى بعد أن سدت كل الأبواب فافتحمت الباب
وأنا مستعد للموت .

لم يكن لى من سبيل لخوض المعركة ضد فاروق سوى القلم
بطبيعة الحال .. ولم يكن لهذا القلم من مجال سوى جريدة مصر
الذاتة .. وكانت جريدة مصر الفتاة في ذلك الوقت مطبوعة لضرب
مواردنا تماما ولعدم ذبوعها وانتشارها الانتشار الذى يساعد على
مواصلة استمرارها .. ولكنى قررت أن أعاود اصداؤها بعزم
جديد وأن أجعل اسمها الاشتراكية بدلا من مصر الفتاة ، ولقد
قدمت لسراج الدين باعتباره وزيرا للداخلية طلبا بهذا التغيير
فرفض اجابتنا اليه ، فرأيت أن أسميها الاشتراكية رغم ذلك على
ان أنشر على رأس الصحيفة الاسم القديم مصر الفتاة على أنها لسان
حال « الاشتراكية » وأصبحت الاشتراكية هي العنوان البارز
للمجلة وأصدونا العدد الأول منها في صورته الجديدة وفيه حيلة
على كريم ثابت وغيره من رجالات القصر .

وكانت الجريدة كماداتها لا توزع شيئا يذكر .. بل ان ما كانت
توزعه في ذلك الوقت لا يكاد يصدق .. فلم تزد هذه المبيعات في
العدد الأول على ثلاثائة نسخة في كافة أنحاء القطر .. ومثل هذا
القدر الناقص من المبيعات لم نصل اليه في أى يوم من الأيام .
فلم يحدث أن نلص توزيع الجريدة عن ألف نسخة أو تسمائة ..

اما أن يكون التوزيع ثلثمائة نسخة فهذا شيء يفوق كل تصور في مدى الفشل ٠٠ ولكن نفسي كانت مبتلثة باصرار وعزم غريبين ٠٠ لئلا كان الاحساس يملأني أن هذه هي المعركة الأخيرة ٠٠ معركة الحياة والموت ، وانني يجب أن أعضى فيها حتى النهاية ٠٠ ولو لزم الأمر ألا أطبع من الجريدة سوى خمس نسخ ٠٠ ولكنني سأفعل ذلك ما استطعت إلى ذلك سبيلا ٠ وكالعادة دائما وقف إلى جوارى هؤلاء الاخوان الصناديد ٠٠ هؤلاء الأبطال والجنود المجهولون ٠٠ والذين مهما عرف الناس أسمائهم فهم مجهولون بالقياس إلى ما يعملون ويبدلون ٠٠ وقف إلى جوارى هذا الثغر من أبناء مصر الفتاة الأحرار الصادقين وعلى رأسهم ابراهيم شكري يشدون أزرى ويحمون ظهري ٠

فضائح حملة فلسطين

وانفجرت قبلة فضائح حملة فلسطين في ذلك الوقت ٠٠٠ وامتلا جو مصر بهذا الجو الذي تقشعر منه الأبدان ، جو المخازي والجرائم والأسرار التي سقط عنها الستار فجأة ٠

وهنا أريد أن أشير إلى جهد الأستاذ احسان عبد القدوس في هذه الناحية ٠٠٠ ان الأستاذ احسان عبد القدوس لا يحبني ٠٠ بل لا بد أن له رأيا سيئا في شخصي وفي كفاحي ٠٠٠ ولقد وقف مني دائما وخاصة في محنتي موقف المتربص المستعد للاجهاز على في أي فرصة مواتية ٠٠٠ وعندما أفرج عنى كان هو الوحيد الذي لم يذكر حرفا واحدا عن هذا الإفراج ٠٠ ومع ذلك فإن هذا كله لا يغير رأبي فيه ، وأنه قام بدور عظيم فكان صاحب الفضل في اثاره قضية الأسلحة والذخائر الفاسدة ٠٠ ثم تابع الحملة بعد ذلك مترجما باستمرار آلام الشعب وآماله ٠٠ وأشهد لقد كانت مقالاته كلها مستقيمة وصادقة وجريئة وقوية بحيث كنت دائما أبدا امتلي، اعجابا بها ٠٠

وأسرعت لاستغلال فرصة فضائح حملة فلسطين ٠٠ وثورة
الرأى العام الفكرية والنفسية ٠٠ بل ثورة الجيش فى ذات الوقت
لكى اضاعف من شدة هجومى على الملك وأن أسفر عن هذا الهجوم
وأجعله صريحا وعلنيا .

وليس من برنامج هذه المذكرات أن أضمنها نصوصا ووثائق
اد لو فعلت ذلك لتضخمت تضخما كبيرا جدا ولخرجت عن برنامجها
الرسوم ، وهى انها حديث نفسى قبل أن تكون حديث تاريخ ٠٠
ومع ذلك خلست أستطيع أن أقاوم الاغراء الذى يدلغنى لتسجيل
فقرات من هذا المقال الأول الذى تحديث الطاغية فيه وجها لوجه ٠٠
والذى ختمته بالانذار والوعيد ٠٠ الذى تحقق فيما بعد بنصه
وعرفه .

ضد فاروق وجها لوجه

لم يكن عنوان المقالة أقل من هذه الكلمات « حيدر - بولى -
كريم ثابت - النقيب - ينبغى تطهير أداة الحكم من هذه العصابة » .

وكان ذلك فى سبتمبر ١٩٥٠ م أو فى ٢٩ سبتمبر على وجه
التحديد أى قرابة عامين قبل انقلاب الجيش وذهل الناس القلائل
الذين وقعت فى أيديهم أعداد المجلة من هذا العنوان ٠٠ وذهلوا
بالأكثر وهم يطالعون لأول مرة فى تاريخ مصر التحدث عن حاشية
الملك بأنهم عصابة والاشارة الواضحة الى أن الملك هو رئيس هذه
العصابة بالرغم من محاولات النظام بالنصل بين الملك وهذه
العصابة واستبعاد أن يكون رئيسا لها .

واليك الآن فقرات من هذا المقال ٠٠ وقد تبدو لك أنها هيئة
لينة بالقياس الى ما رحمت تطالعها الآن عن الملك اللص والمجرم

والسفاح والقواد الى آخر هذه النوعت التي يكيها له اليوم انه
أنصاره بالأمس .. ولكن هذه الفترات قد قيلت في ١٩٥٠ م عندما
كان الملك في أوج سلطانه يعز ويذل ويقتل بدون رقيب أو
حسيب .

• فد ولي المرحوم أحمد حسنين وظيفته كرئيس للديوان
الملكى ، وقد بدأت مصر تشهد طلائع هذه المأساة التي يرفع عنها
الستار هذه الأيام من خلال تحقيقات الجيش فقد عمد هذا الراحل
الذى لا نملك الآن الا أن نطلب له الرحمة بعد أن أصبح في العالم
الأخر ، عمد الى خلق ما يسمى بحزب الملك ..

وكان حسنين على ما يبدو شخصا ضعيف النفسية عديم
الكفاءة قليل التجربة لم يستطع أن يصل الى مرتبة من سبقوه في
تجربة انشاء حزب الملك ، فهؤلاء قد حشدوا في أحزابهم أعظم
الكفاءات في البلاد ، وجمعوا نخبة من الوزراء وكبار الموظفين
ورؤساء الوزارات السابقة وبعض النواب والاكفاء والقوا منها هذه
الأحزاب ، أما حسنين فقد ألف حزب الملك من طراز غريب من
الناس أحسن من فيهم شيان أحداث لم يتحرسوا بعد بتجارب
الحياة وسوادهم الأعمم أفاقون مغامرون من العاملين في الظلام
وبدأنا نرى اعلام اللجون واللبو والقمار بصفة خاصة ، وقد أصبحوا
ينتمون الى هذا الحزب . ولعله من الأفضل أن نطلق عليه اسم
(العصابة) ، وبدأت هذه العصابة تجعل من مصر مسرحاً لآثامها
وجرائمها الخلقية والأدبية والمالية تحميه بهذا الاسم الذي أجله
الدستور ووضعته القوانين موضعاً كريماً .. وبذلك احتضت
العصابة من أن يوجه لها نقد أو يسلب الضوء عن أعمالها ، وساعد
على ذلك قيام الأحكام العرفية وفرض الرقابة على الصحف .

وبدأت هذه النجوم تلمع من أمثال كريم ثابت ، وبوللى
والنقيب .. وغيرهم . وكانت هذه العصابة في حاجة الى رجال

عسكري يجعل من الجيش أداة لتحقيق أغراضها ويخيف ويرعب كل من تحدته نفسه يوما ما بالتمرد على هذه العصاية فاختر حيدر ليقلب هذا الدور وليجعل من الجيش سندا ووقاية لهذه العصاية الخربة المدمرة ، وتحولت هذه العصاية الى كل شيء في حكم هذا البلد ، لا يمكن لرأس كريمة أن ترتفع الى جوارها ، لا يمكن لصوت صادق أن يصل الى حيث يجب أن يصل ، لا يمكن لشخص مستقيم أن ينقذ من هذا الستار الحديدي الذي أنشأته هذه العصاية لحكم البلاد .

ثم انطلق المقال بعد ذلك يشدد بحكومة الوفد وموقفها واستخذائها وهي التي رفعتها الشعب الى الحكم لمحاربة طغيان السراي ، واستطرد المقال يقول :

• وجاء الوفد الى الحكم وهو الذي كان هدفه محاربة هذه العصاية طوال خمس سنوات فديرت له المؤامرات التي وصلت الى حد الشروع في قتل النحاس أكثر من مرة بوسائل وحشية وقاسية .. وكان المفلتون أن الوفد وقد جاء الى الحكم فسنيجعل رسالته الأولى تنظيف أداة الحكم من هذه العصاية فلا نعود نسمع عن كريم ثابت أو بولبي أو حيدر وأضرابهم وأمثالهم .. فما راعنا الا أن وقع الوفد في أحبولة هذه العصاية .

انما لن ننسى ابدا أن الحكومة الحاضرة (حكومة الوفد) وقفت تدافع عن جرائم هذه العصاية في مجلس الشيوخ وتحول بين المجلس وبين تأليف لجنة لتحقيق هذه الجرائم .

ثم ختم المقال بهذه الفقرة :

• اننا نقولها كلمة صريحة عالية لهذه الحكومة : ان الحكومة ليست جادة في محاربة الفساد ، وان هذا الذي يجري من تحقيقات

ليس الا من قبيل ذر الرماد في العيون وان التحقيق لن يلبث ان ينتهي الى غير نتيجة مادام ان من يبدعهم الامر من افراد العصاية لا يزالون هم اصحاب النفوذ والسلطان .

• ان الجيش يريد اقصاء هذه العصاية والشعب قبل الجيش يريد هذا فلتحذر الحكومة مفية بقاء هذا النفر المملوث في مراكزه فان ذلك لن يلبث ان يهدد النظام باكماله .

ومرة اخرى قيل هذا في سبتمبر سنة ١٩٥٠ م وفي يوليو ١٩٥٢ م كان ينفذ بالحرف الواحد فزال النظام باكماله وقبض على افراد العصاية ورئيس العصاية .

ولنرجع الى سبتمبر سنة ١٩٥٠ بعد نشر هذا المقال . . لقد بهت الناس الذين طالعوا هذا المقال وبدأ يحدث بعضهم بعضا عن المجلة الاشتراكية وما يكتب فيها وبدأنا نشعر ان توزيع الجريدة أخذ في الزيادة بحيث ارتفع من بضع مئات الى الفين او ثلاثة آلاف فيما أذكر .

سراج الدين يتحرك

ولم يحل بيننا وبين تلقى الكوارث في ذلك الوقت وعقب نشر هذه السلسلة من المقالات التي وصلت الى ذروتها في هذا المقال، الا ان سياسة فزاد سراج الدين كانت ترمي الى الاقلال من شأننا والى ضالة جريدتنا وأنه من الخير ان لا يتعرض لها حتى لا يلفت اليها الأنظار .

لقد كان سراج الدين في ذلك الوقت في ذروة مجده . . لقد اتاد الوفد الى الحكم بعد ان يشس الوفديون من الحكم ، فأي

عبقرية ترقى الى مستوى هذه العبقرية ١٩ ٠٠ كانت مصر كلها تحت
أقدام سراج الدين تسبح بمجده وتشيده بنبوغته وعظمته ، ولم يكن
أحمد حسين سوى ناعوسة تظن ومن الخير أن يترك وشأنه ، ولكن
اللفظ زاد حول ما تنشره الجريدة . . والهجوم السافر على الملك
قد وصل الى حد لا يمكن السكوت عليه دون تعريض العلاقات الوطيدة
بين سراج الدين والقصر للخطر . . وأذن فيجب أن يتحرك
سراج الدين ويبدل جهدا معيناً لوضع حد لهذا الموقف . . فلؤاد
سراج الدين رجل نرى ، يؤمن بسلطان المال ويعرف أنه لا يوجد
في الدنيا ما لا يمكن شراؤه بالمال ، وأذن فليحل هذا الاشكال الجديد
عن طريق المال وليبعث الى أحمد حسين برسول من لدنه يسأومه
على القدر الذي يريد أحمد حسين للكف عن حملته على القصر
ولم يكن رسول سراج الدين لأحمد حسين سوى اللواء عمر حسن
- رئيس القسم الخصوصي في وزارة الداخلية والمختص بتوزيع
المصروفات السرية - وجاء عمر حسن لمقابلتي في المنزل بالرغم من
أنني حملت عليه حملة شعواء في التليفون عندما طلب هذه المقابلة .
وبالرغم من أن العدد من الجريدة الذي صدر في هذا اليوم كان
يتمتع بوزير الداخلية الذي يتعاون مع عمر حسن و ابراهيم امام .

وجاء عمر حسن وأسفر عن مهمته التي تتلخص في التفريب
بينى وبين وزير الداخلية سراج الدين . . الذي يسره أن يعلم
مقدار الأموال اللازمة لانعاش جريدتي وجعلها جريدة محترمة عزيزة
الجانب ، وكان زدى على هذا العرض بسيطا وهادئا قلت له : قل
لسراج الدين أن يطمئن فهو أهون من أن أهاجه لإثني جعلت
رسالتى تتلخص في هدف واحد وهو محاربة فاروق . (وهنا
استعملت كلمة بدئية) وصفا له وقد ظلت منذ ذلك التاريخ بكل
أسف استعمل هذه الكلمة في حديثى عن فاروق في مجالس الخاصة
ومع الرجال الرسميين . وكنت أعنف نفسى بشدة عل استعمال
هذا اللفظ الذى لا يليق بانسان مهذب أن يتلفظ به . ومع ذلك

فقد كان طفيان فاروق يفريني دائما باستعمال هذا الوصف عقب
ذكر اسمه .

قلت لعمر حسن : اذهب الى سيدك فقل له ان أحمد حسن
قد آل على نفسه ان يحارب فاروق وكل من يحاول التصدي دفاعا
عن فاروق .

وانا اعلم ان مصيرى هو الموت الذى قد أعدت نفسى له .

ولم يفتنى ان أقول لعمر حسن : انك لن تستطيع ان تكتب
فى تقريرك كلمة واحدة مما قلته لك عن فاروق لأن أحدا لن يصدقك
اذا كتبت هذا التقرير فمن غير المعقول أن أقول لرئيس القسم
الخصوصى عن الملك هذه العبارات والألفاظ . وأن أعلنه أنتى
سأحارب فاروق حتى اصبره أو يصرعنى . .

لقد كان هؤلاء النفر على شرط دناءتهم أجبن من أن يحصلوا
للطافية أن صعلوكا من رعایاه يقذف فى حقه هذا الاتقاد ويتجاه
هذا التحدى .

الرد على سراج الدين

وتلقى سراج الدين ردى على اسفاهه فى ايفاد هذا المندوب
وتصوره أنه من الممكن شرائى بالمال مقالا طنانا وناانا طبق الخائفين
فى ذلك الوقت باعتباره عنوانا على البذاءة والهوة التى تردت فيها
الصحافة المصرية وكان عنوان المقال : لن تحكنا أسرة سراج الدين .
وقد وصفت جاء سراج الدين وما وصل اليه من عظيمة وسلطان
وكيف أصبح أخوه رئيسا لمجلس النواب تقريبا . وأخوه الثانى
سكرتيرا للجنة المالية والثالث رئيسا لها وجنايه رئيسا للحكومة
وكيف تحول الى معبود يعبد . وختمت المقال بأننا كاتفرون بهذا الاله

الجديد وسوف نحطم الصنم ، بل وسوف نبول على هذا الصنم
المعبود .

وقامت القيامة . . واهتزت السموات والأرض كيف يصل
الأمر الى استعمال هذه الألقاظ والهجوم على سراج بهذا الأسلوب
ووقف سراج الدين في مجلس الشيوخ يبكي ويتباكى على ما وصل
اليه التدهور الخلقى في مصر ، وراح يتلو على أعضاء المجلس الوقور
فقرات من هذا المقال الثائر على أسرة سراج الدين والذي يسند
بالصنم المعبود ويعلم للدنيا الكفر والهرطقة بهذا الصنم ، بل
وينصب الى حد التبول فإنه سيبول على هذا الصنم ، كما كان يفعل
العرب بعد أن دخلوا في الإسلام اظهارا لاحتقارهم لألهتهم القديمة .

وفزع مجلس الشيوخ الوقور من أن يتدنس حرمة بسماع
هذه الأقوال ، فنشأ المنادى من بينهم بضرورة اعدام هذه
الصحيفة . . وبضرورة صلب الكاتب لهذا المقال .

وفزع مجلس الشيوخ الوقور من أن يتدنس حرمة بسماع
الذي لوث مهنة الصحافة الطاهرة وتنازل صاحب الاستجواب الذي
كان قد قدمه دفاعا عن حرية الصحافة بعد أن ظهر أن الصحافة
مائلة لمي الاشتراكية ولي شخص أحمد حسين قد وصلت الى هذا
الدرك الأسفل بحيث تسمى سراج الدين صنما وتعلن أنها ستحطمه
وستجعل الناس تبول عليه ولم يستطع سراج الدين المسكين أن
يهدى هذه الحملة الشعواء عليه من حضرات الشيوخ المحترمين
الا بعد أن وعدهم أنه يتخذ الاجراءات لكي يضع حدا لهذا الهوان
الذي يوشك أن يعرض سمعة البلاد للضياع .

تحقيق النيابة

وشرعت النيابة تحقق معي في كل الأعداد التي صدرت من
الجريدة حتى كتابة هذا المقال أي الأعداد التي صدرت خلال ثلاث

أشهر كاملة حاول فيها سراج الدين أن يظهر عدم الاكترات بشأنها ، فلم يطلب التحقيق فيها ، وعندما وجه إلى الاتهام بالغييب في الذات الملكية قلت : ان الأصح أن يقال انني عبت في الذات السراجية ، فمقالاتي القول انها ضد الملك قد كتبت منذ ثلاثة أشهر سابقة فلم تحرك النيابة ساكنا الا بعد أن عبت في الذات السراجية ، فقلت بالخط العريض لن تحكمننا أسرة سراج الدين ، وقد كان لهذه الحيلة أثرها البالغ في نفس مجلس الدولة عندما عرضت عليه قضية النساء « مصر الفتاة » فقد لمس مجلس الدولة ان اجراءات الاضطهاد لم تنهال على الجريدة وتصل الى حد الغائها الا منذ اليوم الذي هاجمت فيه سراج الدين بهذا العنف ، فمنذ ذلك اليوم اتحدت ارادة سراج الدين مع فاروق للخلاص من هذه الجريدة البادرة ومن محررها هذا المجرم العنيد أحمد حسين .

نوع وانتشار

وعند هذه المرحلة كانت الجريدة قد بدأت تلفت الأنظار ، فبدأت أرقام توزيعها في صعود مستمر ، وقد كان هذا الصعود في بادئ الأمر محدودا ولكنه كان مطردا بحيث بدأ كل عدد يزيد بضع مئات في كل أسبوع بعد أن كان يزيد بضع عشرات ، وصودرت الجريدة أسبوعا ، وأصدر القضاء أمره بتعطيلها أسبوعا آخر ، فقفز رقم التوزيع الى خمسة آلاف نسخة ، وكان هذا بالنسبة لنا يعتبر انتصارا لا مثيل له واضطررنا الى أن نستبدل الطبعة القديمة بطبعة جديدة لنواجه الانتشار المستمر فاتسعت لنا مطبعة جريدة الأساس وقد كان هذا تناقضا غريبا من ناحيتنا ومن ناحية اصحاب الأساس ، فنحن نعتبر انفسنا خصوما سياسيين للسمعيين وجريدتهم وما من عدد من الأعداد خلا من الهجوم عليهم ومع ذلك فلم يكن أمامنا مطبعة لطبع جريدتنا في عهدها الجديد غيرها ، والسمعيون

بطبيعة الحال يؤذيهم أن يطبعوا جريدة تهاجمهم ، ومع ذلك فيظهر أن ظروفهم المالية من ناحية ورغبتهم في تشجيع كل ما يصرح الحكومة الوفدية ويثير لها المتاعب من ناحية أخرى كل ذلك جعلهم يرضون هذا الوضع المجيب وهو أن يساهموا في طبع جريدة تخصمهم وكثيرا ما كان ابراهيم عبد الهادي يتن وتزوج لنا ينشر في الجريدة هجوما عليه او مساسا بنزاهته كما حدث في بعض الأحيان عندما نشرت الجريدة ممتلكاته من الأراضي ولكن الأمر قد وقف عند حد العقاب والتتمرد دون التفكير في إيقاف طبع الجريدة على مطابعهم . بل انه عندما جاء الوقت الذي ضاقت بنا مطبعة الأساس نفسها فانتقلنا الى مطبعة الأهرام كان كل من في الأساس يلح في الرجاء أن لا نترك المطبعة بعد أن كان يريدون من طبع الجريدة قد وصل الى مبلغ لا يمكن الاستغناء عنه لإدارة المطبعة نفسها .

والمهم أن مطبعة الأساس قد عاونتنا في هذه المرحلة معاونة جديرة بالذكر والتقوية .

فضيحة ميدان عابدين

وبدا ذبوع الجريدة وخطتها في محاربة مفاسد الملك تلفت اليها انظار كل القائمين على العهد من موظفي الدولة . فاتصل بنا بعض موظفي وزارة الأشغال ومهندسيها ولست في حل من نشر اسمائهم بدون استئذان . وبدأوا يقدمون لنا صورا وتقارير ورسومات عن مشروعات عثمان محرم الجنونية لأرضاء الملك السابق عن طريق انشاء التماثيل واصلاح القصور الأثرية والتي راح عثمان محرم يفتق عليها ملايين الجنيهات ، وكان على رأس هذه المشروعات انشاء تمثال الملك فؤاد في ميدان عابدين ونزع

ملكية ما يزيد على خمسمائة بيت تقيم بها الوف من الرجال والنساء والأطفال بحجة توسيع الميدان ليكون لانفا بعلمة التمثال . وقد كان ذلك جنونا مطبقا من غير شك وأية على ما وصل اليه العهد من انحلال واضطراب أن تشرد العشرات من الوف المواطنين وتنفق ملايين الجنيهات لانشاء تمثال للملك فؤاد تزلقا الى الملك فاروق ، وجاء لنا الموظف الوطني برسومات المشروع ، ونصوص المراسيم التي نزع ملكية البيوت وميزانية المشروع فأسرعنا الى نشر ذلك كله تحت عنوان فضيحة ميدان عابدين ، فكان لذلك دوى فى أرجاء البلاد وأسقط فى يد الملك ويد الحكومة وشعروا أن الجريمة قد أخذت يتلاببهم متسكين بهذه الجريمة الشنيعة ولذلك فقد أصدر الملك على ما نشرت صحف دار أخبار اليوم أمرا بإيقاف عدم المساكن ، فكان ذلك أول انتصار مادي حققته الجريمة الاشتراكية ، وكان انتقاد هذه البيوت والحيلولة دون هدمها هو أول معول فى هدم الملكية بالذات كما اثبت مسلسل الحوادث والنهاية التي انتهت اليها .

الغناء الاشتراكية

بدأ فاروق يدرك عقب هذه الهزيمة التي منى بها فيما أسميناه ه فضيحة ميدان عابدين ، وبدأت الحكومة وسراج الدين بصفة خاصة يدرك مع فاروق أن الاشتراكية خطر يجب القضاء عليه بصفة حاسمة ، لقد ثبت لهم أن مصادرة الجريدة قد ضاعف فى انتشارها ، وأن تعطيلها أسبوعا عن طريق القضاء قد لفت الأنظار اليها أكثر وأكثر وبلغت مبيعات الجريدة ثمانية آلاف نسخة بعد أن كانت بضعة مئات وكان العدد الواحد يتجمع حوله عشرات ، بل ومئات من الناس فى القرى والدماسك لكي يطالعوه فرأوا أن يضربوا ضربة حاسمة وهو الغناء الجريدة ، ولكنهم ظنوا بترددون بعض الوقت خوفا لما يتبره هذا الاجراء من انتقاد وهم المنساقون

بالمستور وحرية الصحافة ، وهم الذين أقاموا الدنيا وأقعدوها في مجلس الشيوخ عندما ألقي اسماعيل صدقي يوما من الأيام رخص بعض جرائدهم ومجلاتهم ، ولذلك فقد رأوا أن ينريشوا بعض الوقت ، وفي ٢٦ يناير سنة ١٩٥١ م صدرت مصر الفتاة الاشتراكية وهي تحمل بالخط العريض والمعاد الأحمر فوق رأسها « فضيحة شركة سعيدة » وهي هذه الفضائح التي لم تتحدث عنها الصحف وعن أفعالها إلا بعد سقوط الملك ، وكان عنوان مقالي « تحرك أيها الشعب » وفي العدد وعلى صدره حديث عن الدكتور زكي هاشم وخطوبته ، وقد كان فاروق لا يتصور حديث مجرد الإشارة لزكي هاشم فضلا عن الاشارة به على صفحات الاشتراكية لما يحمله ذلك من معاني التذكير بجريمة الملك الكبرى ..

وتضمن العدد فوق ذلك اعلانا ملفتا للنظر من مقال سينشر في العدد التالي وهذا نصه : « ملهى الاسكارايبه ينشر في العدد القادم معلومات وتفصيلات عن ملهى الاسكارايبه فنلفت اليها الأنظار » .

وملهى الاسكارايبه هو هذا الملهى الذى كان يسهر فيه فاروق كل ليلة ويقتنص منه فرائسه في الرقصات والمغنيات ومن على أشكالهن وكانت فضائحه في هذا الملهى قد أصبحت حديث العالمين . ومن العجيب أن المعلومات التي كنا سنشرها كنت قد استقيتها مباشرة من والد زوجة صاحب هذا الملهى والذي جاء يشكو لى كيف أن تردد فاروق على هذا الملهى لا يعود على صاحب الملهى بأى ربح مادي وأن الذين يستفيدون هم جماعة من اليهود الذين يشرفون على لعب القمار والذين بلغت أرباحهم في عام واحد خمسين ألفا من الجنيهات ، أما نصيب زوج ابنته من حصيلة لعب القمار فهو يتفقه على احتيراد الأرتستات اللاتي يسرن بهن فاروق

ويدفع لمن المرتبات المرتفعة ارضاءً لفاروق ، فهو لا يربح شيئاً في حقيقة الحال ، وقد رجاني الرجل أن أسائل الحكومة ووزير الداخلية كيف لا تتدخل في معرفة ما يجري في نادي القمار الملحق بهذا الملهى وعلى أى أساس تسمح لهؤلاء اليهود وهم من أصحاب السوابق أن يديروا هذا النادي ، وغنى عن البيان أن الحكومة ووزير الداخلية لم يكن يقترب من هذا الحرم المقدس الذى يظله فاروق برعايته الملكية السامية . ولم يكده هذا العدد يصدر في السوق في يوم الخميس ٢٥ يناير حتى كان بمثابة الفشة التى قصمت ظهر البعير أو النقطة التى طفحت بها الكاس ، كأس فاروق وسراج الدين وحكومة الوفه كلها فاجتمع مجلس أنوزراء في المساء وأصدر أمره الكريم بالفاء جريدة مصر الفتاة ، ولقد راح كل مصرى يعزو سبب الالفاء لهذا المقال أو هذا الخبر ، فالبعض يرى أن الاعلان عن اذاعة معلومات خاصة بملهى الاسكارابيه هو الذى عجل باعدام الجريدة ، والبعض يرى أن مقال تحرك أيها الشعب هو العامل الرئيسى لهذه العقوبة ، وثالث يقول بئ فضيحة شركة سعيدة وأشخاص يؤكدون أن الحديث عن زكى هاشم خطيب ناريمان السابق التى خطفها منه الملك هو على التحقيق سبب الفاء الجريدة ، ولكن كان من الواضح أن الفاء الجريدة كان مسألة مقررة منذ عدة أسابيع وانها كانت تؤجل من أسبوع لآخر .

وبلغ توزيع هذا العدد الذى ألقيت الجريدة على أتفه عشرة آلاف نسخة ، وكان ذلك بالنسبة لنا يعتبر شيئاً خيالياً .

غضبىة الرأى العام

ولم يحدث من قبل أن غضب الرأى العام كما غضب على الفاء مصر الفتاة ، لقد كان هناك اجماع على استنكار هذا التصرف ، وكان ذلك من الارعاصات التى تدل على أن نهاية فاروق قد بدأت تلوح على الأفق ، طبعاً لم تكن لتصور ذلك في هذا الوقت ، بل لعل الفاء الجريدة كان دليلاً على قوة

النظام وتقدمته على البطش ، فلم تخطر فكرة نهاية فاروق على البال ، ولكن الآن بعد أن ذهب فاروق فإن ذلك يفسر لنا هذه الظاهرة التي بدت في ذلك الوقت وكنا نقف أمامها مدهوشين ألا وهي اجماع الرأي العام بمختلف أحزابه وهيئاته ، الرواة على استنكار الغاء الجريدة . لقد عاصرت في مصر الغاء البرلمانات والغاء الدساتير من أساسها ، والغاء الحرمات المقدسة فكانت الأمة تنقسم حيالها الى قسمين فريق ساخط مستنكر وفريق راض مبتهج لهذا الذي حدث ، أما عندما الغيت مصر الفتاة فقد كان كل مصري على اختلاف منهاجه في سخط واستنكار لهذا التصرف ، ولم أدرك هذه الحقيقة بكل شمولها الا عندما اضهرتني الظروف تحت عامل الغضب الى التنازل عن قضيتي في مجلس الدولة ، فقد هاجمني الشعب بأكمله على هذا التنازل وانهالت على الاحتجاجات والاستنكارات من كل مكان ، فقد كان كل مصري يعتبر القضية قضيتي ، فعندما تنازلت عنها أحس الجميع كما لو كنت قد خنتهم ولم يكن هناك ما يثلج صدري في هذا الوقت أكثر من هذا السخط الاجماعي الذي انهال على بتنازلي عن الدعوة ، ولم يكن الناس يعلمون في ذلك الوقت انني تنازلت عن الدعوى عندما توجست خيفة أن يقر مجلس الدولة تصرف الحكومة فيكون ذلك قضاء على الدستور وحرية الصحافة الى الأبد ، فقد أسرع لرفع دعوى مستجلة في مجلس الدولة لايقاف تنفيذ قرار مجلس الوزراء وكان القاضي الذي سمع الدعوى هو السنهوري نفسه - رئيس المجلس - وقد ترانعت أمامه بكل أعصابي وبكل إيماني ، ترافعت أمامه وشرحت له خطورة القضية وأن تأييد الحكومة في تصرفها سيكون ضربة قاضية على الشعب ، ومع ذلك فقد أصدر السنهوري قراره برفض طلب ايقاف التنفيذ والتعجيل بنظر موضوع القضية ، ولقد صدمني هذا القرار صدمة عنيفة وخاصة لصدوره من السنهوري بالذات والذي أكن له في نفس اجلالا واحتراما عظيمين ، لم أكن أعلم ماذا يضر السنهوري

في نفسه ، وأنه أراد أن يكون دقيقاً وأن يجعل ابطال قرار مجلس الوزراء يصدر من المحكمة الادارية مجتمعة بدلاً من أن يقال انه اوقف بشخصه قراراً من مجلس الوزراء ، ولكن في ذلك الوقت تصورت عكس ذلك وأن السنهوري قد عمل حساباً لقاروق وغضبه وأن ذلك هو سبب قراره رفض إيقاف التنفيذ ولذلك فقد بادرت بإرسال خطاب اليه أعلنه فيه أن دعواي قد أصبحت غير ذات موضوع وأنتى بذلك متنازل عنها .

ولم يكن هذا الخبر يداع في الصحف حتى ضج الرأي العام على اختلاف مناهجه استنكاراً لهذا التنازل فأكف ذلك هذه الحقيقة المعجبية التي تجلت في هذه المناسبة وهو اجباغ الرأي العام على الالتفاف حول الاشتراكية باعتبارها الجريدة التي تصلت لحرب الملك وتحدية ، فكان ذلك كما قنمت ارضاً بأن أيام الملك قد أصبحت قريبة وأن كنا في ذلك الوقت لم تكن نتصور أن الاقتراب سيكون بهذه السرعة أو بهذه الكيفية .

جريدة الشعب الجديد

وكان طبيعياً وقد أقيمت مصر الفتاة أن نحاول الحصول على جريدة أخرى فتقدم ابراهيم شكوي الى وزارة الداخلية باخطار يعلنها فيه انه قد اعتزم اصدار مجلة جديدة باسم الشعب الجديد وكان من المستحيل قانوناً أن يأبى وزير الداخلية على نائب من نواب الأمة أن يصدر جريدة ومع ذلك فإن هذا المستحيل قد حدث فإذا بنا نفاجاً قبل انصرام الشهر المخصص لوزير الداخلية ليبارس فيه حق الاعتراض ، بيوم واحد أنه - أي الوزير - لا يوافق على اصدار الشعب الجديد بحجة أنها لن تكون سوى مصر الفتاة الملقاة تحت اسم جديد ، ولم يكن هناك في نفس ذرة من الأمل أن يصدر أمر من رئيس مجلس الدولة بإيقاف تنفيذ قرار وزير الداخلية

بالمعارضة في إصدار الجريدة . ولكني من ذلك قررت أن نرفع دعوى مستعجلة بهذا الطلب ليتسنى لي أن أواجه السنهوري مرة أخرى لكي أناقش حكمه السابق في قضية مصر الفتاة ، وقد حدث ذلك بالفعل فترافعت لي بحصية شديدة وقد رددت على الأسئلة التي وجهها الي السنهوري بصدد قضية مصر الفتاة ردودا جافة . وكانت هرافعتي كلها في طبيعتها ليست سوى نقده بحكمه السابق . وانتهت المرافعات وتأجل إصدار الحكم أسبوعا ، ولم أحاول أن أتقرب الحكم أو أعلق عليه أي اهتمام ، فلم يكن في نفوسنا أي ذرة من الشك أن مصيره سيكون هو الرفض المخفق .

وفي ذات يوم عند الظهر أو بالأحرى في الساعة الثانية والنصف بعد ظهر يوم الأربعاء ١١ أبريل كنت جالسا في دار الحزب ونجاة وجدت سيارة قد رقت على باب الحزب ونزل منها بعض شبان الحزب من طلاب كلية الحقوق ، وكانوا في عجلة شديدة ولم يكذبصرهم يقع على حتى صاحوا مبروك .. مبروك .. ولم أفهم في أول الأمر على أي شيء يهتفون حتى قالوا لقد صدر حكم رئيس مجلس الدولة بإيقاف تنفيذ قرار وزير الداخلية .

وكانت هذه مفاجأة قوية ، وكانت هذه لحظة من أسعد لحظات حياتي ، هذه اللحظات التي ينتصر فيها الإنسان على قوى الظلم والظفیان والاستبداد ، لقد كنت أطير من الفرح ، ولم أكنه أصدق هذا النبأ .

ومع ذلك فقد كان حقا ، وكانت حيشيات الحكم لا تقل روعة عن الحكم ذاته فقد سجل لنا حلنا كحزب سياسي مشروع يجب أن يعبر عن رأيه وأن تهيأ له فرصة هذا التعبير ، لقد قال بصريح اللفظ :

• ومن حيث انه لا يقدح في جدية هذه الأسباب القول بأن
اصدار جريدة الشعب الجديد يعتبر محاولة لاعادة جريدة مصر
الفتاة الملقاة بقرار من مجلس الوزراء ، ذلك لأن الجريدة اذا كانت
تمثل رأى حزب معين ، فإن الغاءها لا يقتضى حتما منع هذا الحزب
من اصدار جريدة أخرى للتعبير عن رأيه ، حتى لو أريد بها أن
تحل محل الجريدة الملقاة مادام الاخطار من الجريدة الجديدة
مستوفيا لجميع الشروط القانونية ، وما دامت هذه الجريدة تصدر
خاضعة للقيود التى فرضها القانون ، والا كان فى الغاء جريدة
لأحد الأحزاب الغاء لهذا الحزب فى حق من أهم حقوقه الدستورية ،
وهو حق التعبير عن رأيه والدعوة الى مبادئه •

وهكذا لم يعد السنهورى بهذا الحكم الرافع الاشتراكية
للظهور فحسب ، بل وكرم جهاد الحزب الاشتراكي واعترف
بمشروعيته وضرورة حمايته بالقانون والدستور ، وهكذا صدرت
الشعب الجديد حاملة اسم الاشتراكية بخط عريض كرميلتها مصر
الفتاة فى يوم الخميس ١٩ أبريل وكانت تحمل هدية الى العهد
القديم مشروع قانون مقدم من ابراهيم شكرى يطلب فيه تعديل
الدستور لاقاء الرتب والألقاب •

وكان هذا ثالث قانون يتقدم به ابراهيم شكرى فقد سبغه
قانون تحديد الملكية الزراعية بخمسين فدانا وقانون آخر لتنظيم
نقابات العمال والسماح للعمال الزراعيين بتأليفها وإباحة تأليف
اتحادات العمال ، ثم كان هذا القانون القاضى بالغاء الألقاب والرتب ،
وكانت هذه المشروعات قديلا بالسخرية والزراية من ناحية ،
وتؤجج سخط الملك وحاشيته وأذنا به ضد الاشتراكية من ناحية
أخرى فى نفس الوقت •

استئناف المعركة

واستأنفنا النضال ، حيث وقفنا في ٢٦ يناير ١٩٥١ م ،
وإذا كانت مصر الفتاة قد ألغيت وقد بلغ توزيعها عشرة آلاف نسخة
فقد بدأت هذه حياتها بتوزيع خمسة عشر ألف نسخة ، وكان
ذلك أشبه ما يكون بالاستفتاء ، ولم تكن خطورة الجريدة في كمية
النسخ التي توزعها ، بمقدار ما كان في تهافت الجماهير عليها
ومطالعة العشرات والمئات للنسخة الواحدة .

وراحت المقالات تتوالى تحمل العناوين التي كانت تخلع قلوب
الطفلة لما تنطوي عليه من تحد واني اذ اكتب هذه السطور أرى
أمامي إحدى هذه المجلات وهي تحمل بالخط العريض « دعونا نحارب
أخطاكم بالقلم والا حاربكم غيرنا بالقنابل والرصاص » .

نحن والفتى سراج الدين - عصاة الراسمالية ترفع رأسها -
ولم تكن هذه العصاة في سياق المقال سوى حافظ عفيفي والياس
أندراوس وأمثالهم « نحن والوزير الأخرق عثمان محرم » و « استج
يا سراج الدين » و « اغضب أيها الشعب » .

ولكن المقالات التي هزت ضمير الشعب كتبها تحت عنوان
من أحمد حسين الى ناظر الخاصة الملكية وفي هذه المقالات رحبت
أهاجم الملك في شخص ناظر خاصته لجشعه واستبداده بالفلاحين ،
واغتصابه الأراضي وتجميعها حتى بلغ عدة ما يملك أو يدير فوق
مائتي ألف فدان ، وكان الموظفون المختصون يحيطونني علما بجرائم
الملك السابق كامتناعه عن دفع الضرائب وتقديم الإفراجات الخاصة
بها وتضمنت هذه المقالات إشارة الى ذلك ودعوت الى ضرورة أن
يدفع الملك الضرائب ، بل أن يوزع أراضيه على الفلاحين ، فكان
لذلك تأثيره من جديد لدى الملك الذي أرغى وأزهد واضطرت

الحكومة لتهديته أن تسجنني وأن توجه الي من جديد تهمة المييب
في الذات الملكية ، بالإضافة الي التهمة السابقة ، وهكذا أصبح عنى
عائقي جنايتان بدلا من جناية واحدة ، ولكن القضاء أفرج عنى فكان
ذلك بذكى فى لهيب المعركة ويرفع فى حساسة الشعب ويزيد من
الدفاعى فى مهاجمة الملك ، وفى خلال ذلك كله توسعت الجريدة فى
نطاق انتشارها فأصبحت توزع خمسا وعشرين ألف نسخة .

عودة عصر الفتاة

وقفت بك عند ارسال خطاب أعلن فيه تنازلى عن قضية مصر
الفتاة ، وما أحدثه ذلك من موجة سخط واستنكار فى الرأى العام .
ولكن ما أن صدر حكم السنهورى بالفاء اعتراض وزير الداخلية
على صدور الشعب الجديد ، حتى بادرت بسحب النازل الذى سبق
أن قدمته عن قضية مصر الفتاة ، ومن حسن الحظ أو بالأحرى
شاء الله أن تهمل الحكومة فى تسجيل هذا التنازل واعلاتها قبوله
على الفور ، فالقانون يعتبر تنازل أحد الخصمين لا يكون تاما وناقذا
الا اذا أسرع الخصم الآخر يقبوله وهو ما لم يلتفت اليه فلم قضايا
الحكومة وبهذا كان من المستطاع أن أسحب التنازل ، وعندما
اجتمعت المحكمة الادارية للفصل فى هذا الموضوع وقضت بأن
القضية لا تزال قائمة امامها وصالحة للفصل ، كان ذلك بمثابة
حكم تمهيدى أنها ستحكم بالفاء قرار مجلس الوزراء .

وكان من المظاهر الرائعة أن تدخلت نقابة الصحفيين فى القضية
كخصم ثالث وأوفدت محامياها الأستاذ فتحى رضوان ، كما تدخل
الأستاذ أبو الخير عيسى نقاذا للدعوى فى حالة تخل عنها ، وتدخل
مواطن من أبناء الشعب يسمى عنتر الحسينى لذات الغرض .
وهكذا راحت الصحافة والأمة تعبر عن رغبتها فى إعادة مصر الفتاة
الى الوجود بشتى الطرق والأشكال .

وفي يوم الثلاثاء، ٢٦ يونيو سنة ١٩٥١ م صدر الحكم الذي كانت البلاد تنتظره بفارغ الصبر ، والذي يسجل حدثا تاريخيا ضخما في حياة مصر الحديثة وفي كفاحها من أجل الدستور والحرية واعلاء سلطان الشعب . ولذلك فليست استطيع الا ان اسجل منطوق الحكم بنصه :

« وبناء على ما تقدم فقد حكمت المحكمة برفض الدفع بعدم الاختصاص وفي الموضوع بالغاء القرار الصادر من مجلس الوزراء في ٢٨ يناير سنة ١٩٥١ م بالغاء جريدة مصر الفتاة ، والزمت الحكومة بالمصروفات و ٥٠٠ قرش مقابل أتعاب المحاماة » .

وكان مجلس الدولة وهو يصدد هذا الحكم يعرف تمام المعرفة انه يتحدى به الحكومة ومجلس الوزراء ، بل ويتحدى قبل ذلك وبعد ذلك فاروق (ملك مصر والسودان ٠٠ كذا) وان هذا الحكم قد يكلف مجلس الدولة حياته بأكملها ، فقد كاز فاروق ينذر ويهرق ويتوعد وكان صسدى هذا التذير يصل ال اسماح هؤلاء القضاة المغاوير ، ولكن الله - سبحانه وتعالى - عندما يريد احداث حدث يهيبه له اسبابه ، ولقد كان في مكنون علم الله ان أيام فاروق في طريقها الى النهاية ، فسخر الرجال والأبطال الذين يقوضون عرشه ، وسببتي السنهورى وكل قضاة محكمة القضاء الادارى في مجلس الدولة على رأس المجاهدين الأحرار الذين قاموا بكل شئ من أجل وضع حد لطغيان فاروق وحكومته ونظامه وليقولوا له في شجاعة وقوة : « قف ٠٠٠ من أنت » .

وانى اذ اخط هذه السطور لآتحنى اجلالا لهؤلاء الرجال ويسعدنى أن اسجل في مذكراتى عنهم هذا الاعتراف بفضلهم علينا بصفة خاصة وعلى الأمة بصفة عامة .

ذروة المعركة

وبعودة مصر الفتاة الاشتراكية الى الوجود كانت المعركة بيننا وبين فاروق والتحاسي وفؤاد سراج الدين قد وصلت الى ذروتها . وبدأت أحس احساسا قويا ان فاروق لا يمكن أن يدعى حيا أسير على قدمي وأنه لابد سيعمل على اغتيالي وقد بدأ أثر ذلك يظهر في مقالاتي في مصر الفتاة بعد عودتها فقد جعلت عنوان أحد المقالات « انصبوا المشاتق ولكن الشعب ينتصر » وفي هذا المقالات تحدثت عن المحاولات المقبلة لاغتيالي ٠٠٠٠ بل وأشارت بالذات الى أن فاروق سوف يعمد الى محاولة اغتيال قضائيا أي عن طريق القضاء .

كانت شهرة مصر الفتاة قد طبقت الخافقين وعندما أعدناها للصدور مع زميلتها الشعب الجديد بدأت توزيعها بثلاثين ألف نسخة وظلت موجة الصدور مستمرة حتى بلغ توزيع كل من الجريدتين خمسين ألف نسخة فأصبح ما توزعه أسبوعيا من الجريدتين هو مائة ألف ٠٠٠ ولقد أربى ذلك فيما بعد على مائة وعشرين ألف نسخة للجريدتين .

ولقد دفعنا ذلك للامعان في تحدي الملك بصورة تجاوزت في سفورها وصراحتها كل ما يطوف بالخيال حتى ان مصر الفتاة في عددها الأول في عهدها الجديد عندما صدرت في ١٥ يوليو نشرت بالخط العريض « نصيحة الى لاعبي القمار » ثم كتبنا ما يلي بالحرف الواحد :

« صرح أحد كبار لاعبي القمار لمراسل صحيفة أجنبية أنه ليس صحيحا من أنه يخسر مبالغ طائلة على موائد القمار فقد وضع لنفسه قاعدة يلتزمها ولا يخرج عنها بحال من الأحوال فهو يقرر قبل أن يشرع في اللعب مقدار المبلغ الذي يقف عنده في حالة

الخسارة ولم يحدث أن خالف هذه القاعدة ويقول حضرة القاهر
المصري الكبير انه ينصح كل لاعبي القمار أن يلتزموا هذه القاعدة
فيأمنوا جانب الكوارث .

ومما جاء في هذا الحديث أيضا ان زوجته اي زوجة حضرة
القاهر تلعب الورق بدورها ولكن للتسلية ولا تستعمل مبالغ كثيرة
في اللعب .

ولما كان هذا الحديث الثمين قد اقتصرنا فائدته على الصحف
الانجليزية فقد رأينا تعديبا للفائدة أن نشر هذه النصيحة الغالية
لحضرات المقامرين الذين لم يطلعوا عليها في مصر ، وفي الوقت
الذي كانت مصر الفتاة تنشر هذا الحديث الذي أدل به فاروق
لصحيفة انجليزية كان ابراهيم شكري في مجلس النواب يقدم
استجابا للحكومة عن هذا الحديث وكيف جاز للملك ان يقول
هذه السخافات التي هي في صيغتها جرائم ، وعمل عبد السلام
فهو جمعة كعادته على وأد هذا الاستجاب فهاجمناء بشدة على
صفحات الجريدة .

وبدأنا نستعرض المخصصات الملكية وميزانية القصر ومنتقد
ما بها من اسراف معيب يصل الى حد الانحاش ورحنا نندد بالنواب
والبرلمان الذي يسمح بهذا السفه في الاتفاق . . . وتجاوب بعض
الشيوخ مع حملاتنا فبدأوا يقدمون الملاحظات . . . بينما كان ابراهيم
شكري في مجلس النواب يصول ويجول ضد اعتمادات اصلاح
المحروسة ويقذف في وجوه النواب بأبشع التهم .

وعندما زف الملك الى العروسة الجديدة وتبارت الحكومة
والهيئات في تقديم الهدايا . . . رفض ابراهيم شكري كتائب من
نواب الأمة أن يخضم مليم واحد من مكافآته للمساهمة في هدية

مجلس النواب الى فاروق ، وعبثا حاول رئيس المجلس ان يهدد
او ان ينفذ ، لقد احمر ابراهيم شكري على ان يقضي مكافأته كاملة
وعندما استلمها وزعها في التو على الفراشين والسعاة في المجلس
فكان ذلك امعانا في التحدى . وكانت الاشتراكية تنشر كل ذلك
وجماهير الشعب تزداد اشتعالا والمثك وعصابته يزدادون حقنا
وغيظا وكندا . . . وحكومة الوفد تزداد انهيارا وانحلالا بحيث
اصبحت مضفة في الاثواء ، ولم يعد الشعب يعرف باى شيء يصف
هذه الحكومة واعمالها حتى لقد اضطرتت تعبيرا عما يدور في خواطر
الشعب الى ان اكتب مقالا تحت عنوان « وزراء ام لصوص وحكومة
ام عصابة ؟ ! » .

وهكذا كانت المعركة قد وصلت الى ذروتها وكان من الواضح
ان احدانا جساما لايد ستقع وان تطورا وانقلابا من اخطر ما يكون
في طريقه الى الحياة وهذا ما جعلنى اكتب في سبتمبر سنة ١٩٥١
تحت عنوان « الثورة ، الثورة ، الثورة » مقالا مندويا ايسط فيه
منه الحقائق واعلن أننا قد اصبحنا على ابواب ثورة . . . ولكن
هذا المقال على خطورته لم يثر الناس بقدر ما اثارهم صفحتنا صور
نشرتها في داخل الجريدة تحت عنوان « رعايك يا مولاي » وكانت
هذه الصورة تمثل يؤس المواطنين وما يعانونه من ذل وفقر ومرضى .

لم يكف هذا العدد يصل الى الجمهور حتى كان كل من في
مصر يترنم بهذه العبارة « رعايك يا مولاي » ورفعت هذه الصور
على جدران المنازل والحوانيت وفي صالونات الحلاقة .

وللمرة التالية في عام واحد قبض على من جديد وزج بي في
السجن ووجهت الى تهمة التحريض على قلب نظام الحكم ووجه الى
رئيس التحرير الأستاذ عبد الخالق التكية تهمة العيب في الذات
الملكية لنشره هذه الصورة تحت عنوان « رعايك يا مولاي » .

دخلت السجن وفي خلال هذه الفترة وقبل دخول السجن هذه المرة كانت الحصانة قد رفعت عن الأستاذ ابراهيم شكرى وحقق معه ووجهت اليه تهمة العيب فى الذات الملكية وزج به فى السجن ، كما قبض على الأستاذ محمد حلى الفندور ووجهت اليه التهمة كذلك وزج به فى السجن .. وهكذا أصبح أكثر من خمسة من كبار أعضاء الحزب ، ومحرمى جريدته متهمين بهذه التهمة .. أما أنا فكانت متهما بها ثلاث مرات أى ثلاث جنایات ثم جاءت هذه الجنایة الأخيرة ، واعنى بها تهمة قلب نظام الحكم وذلك بالإضافة الى نصف دستة من القضايا الأخرى من عيار (الجنح) ما بين سب وامانة لمجلس الوزراء ، والوزراء .. وتحريض على جنایات القتل والحرق والنهب .. ولذلك فقد دخلت السجن هذه المرة وقد بدأت الهواجس تساورني اذا كنت سأتشهد الحرية من جديد ..

الفاء المعاهدة

منذ أبرمت معاهدة سنة ١٩٣٦ وحزب مصر الفتاة حرب على هذه المعاهدة ، وبينما كان مصطفى النحاس يصمها بأنها معاهدة الشرف والاستقلال ، أطلقنا عليها معاهدة الخزي والاحتلال ولقد عقدنا اجتماعا عاما ضخما فى عام ١٩٣٦ بجمعية الشبان المسلمين حينلنا فيه على هذه المعاهدة حملة شعواء وسجلنا مساوئها وشروورها وكيف أنها جعلت احتلال مصر مشروعا ومنذ ذلك التاريخ ونحن نشن على هذه المعاهدة غارة شعواء ، ولقد سافرت إنجلترا ثلاث مرات ، وسافرت خلال ذلك الى أمريكا منددا بهذه المعاهدة ، داعيا الى قانون البرلمان بالفاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتى سنتي ١٨٩٨ ،

وعندما ولى النحاس الحكم نى مستهل سنة ١٩٥٠ راح يشر بفكرة الفاء المعاهدة بعد أن استنفدت أغراضها كما قال النقراش

وغيره وأنه إذا لم يجل الانجليز عن مصر فإنه سيلخى هذه المعاهدة .
وقد استمر يلوح بهذا الالفاء طوال أيامه في الحكم حتى سئم
الناس الكلام في هذا الموضوع ومجوه ، خاصة أن أعمال الوفد
وحكومته وبرلمانه كانت تدل على عكس ذلك .

فمن ذلك أن نائبنا الاشتراكي ابراهيم شكري تقدم بمشروع
قانون للبرلمان بالغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقيتي سنتي ١٨٩٨ .
١٨٩٩ ، ولكن رئيس المجلس اعتبر تقديم هذا المشروع اخلالا بأمن
الدولة ، فوضع المشروع في درج مكتبه ولم ير النور . وكان رجالات
الانجليز ووزرائهم يفتنون الى مصر فيقابلون بالتكريم الذي لا أول
له ولا آخر .

وكانت الحكومة تضطهد الأحرار والمجاهدين ، وعلى رأسهم
الاشتراكيون المناهضون بالغاء المعاهدة ، وكان ذلك يحمل على اسامة
الطن بالحكومة . . وكانت المفاوضات السخيفة بين مصر وانجلترا
قد استتطالت وهي تدور في حلقة مفرغة . . فلا عجب إذا
تصورنا جميعا أن الحكومة غير جادة في انهاء المعاهدة ، وكان
ذلك أحد الأخذ التي أخذها الشعب على حكومة الوفد وأحد المطامع
القوية التي توجه الى حكم الوفد . .

وقد انتهزنا - نحن الاشتراكيين - حلول موعد ابرام هذه
المعاهدة في ٢٦ أغسطس . فدعونا الى عقد اجتماع عام وراينا أن
نضفي على الاجتماع لونا قوميا ، فدعونا للاشتراك فيه الأستاذ
فتحي رضوان مثلا للحزب الوطني ، والأستاذ يوسف حلي منلا
لانسار السلام ، كما دعونا الأستاذ سيد قطب . وعندما حل موعد
الاجتماع فوجئنا بالحشود التي لا أول لها ولا آخر والتي جاءت
للاشتراك في الاجتماع لقد قدرت الصحف انجتميين بثلاثين
الفا . وكان لهذا الزحام غير المتوقع أثره في نظام الحفلة . . فآثر

على جلالها في بادئ الأمر ، ولكن ضخامة الاجتياح وهذه الحشود المتكاثفة كانت تغني عن كل قول أو خطابة من حيث دلالتها على ثورة الشعب على معاهدة ١٩٣٦ ، بل ثورته على كل الأوضاع القائمة .

وبعد ان القيت خطابي النائر هتف في ذلك اليوم بسقوط الملك ولو هتفنا ، الموت للملك ، لرددت الجموع هذا الهتاف ولو خرجنا بهذه الجموع في مظاهرة جامعة لما استطاعت كل قوات بوليس مصر ان تتصدى لها ، ولكن حرصى على أن يمر اليوم بسلام جعلنى أختتم الاجتياح قبيل منتصف الليل وأن يطلب من هذه الجموع أن تنصرف متفرقة في سلام . . .

وكان ذلك مظهرا من مظاهر ما وصلت اليه الحركة الاشتراكية من تأثير في الرأي العام وكيف بدأت الجماهير تلتف حول لوائها في قوة وتكتل .

ولم يفت الحكومة مغزى هذا الاجتياح ودلالته الخطيرة ومقدار التدهور الذى وصلت اليه سمعة الحكومة وثورة الشعب المكتومة التي توشك أن تنفجر في أى لحظة .

وقد تلا هذا الاجتياح تضاعف قوة الحزب الاشتراكي وانتشار الجريدة بصورة لم يسبق لها مثيل ولذلك فقد زج بي في السجن بمناسبة هذا العدد الذى أشرت اليه كما سبق والذي تضمن مقال الثورة ، الثورة ، الثورة ، والصورة المعنونة بـ « عايبك يا مولاي » .

وفي ذات الوقت كان فاروق قد ضاق ذرعا بحكومة النحاس وبدأ يحاول استرداد بعض الأرض التي فقدتها بأن يهاجم حكومة النحاس مطالب من الحكومة أن تصدر قانون من أين لك هذا . . .

وبدأ الجو يكفهر بين السراي والحكومة مما جعل النحاس يدرك بأحاساسه أنه نرى طريقته لأن يطرد من الوزارة مرة أخرى . . . وهكذا أصبح بين شقى الرسى بين غضب الشعب الذى يتمثل فى نجاح الحزب الاشتراكى والاشتراكية والصحف المعارضة بصفة عامة وبين زهد العصر فى حكمه ورقيته فى التخلص منه . وأدرك مصطفى النحاس أنه لو أخرج من الحكم على هذه الصورة فإنه يكون قد خسر الدنيا والدين معا . . . قد خسر الشعب والملك فى ذات الوقت . . .

فلم يجد الوليد أمامه مخرجا من هذا المأزق الا أن يسرع بإلغاء المعاهدة ليسترد ثقة الجماهير به . ويثبت الأرض تحت أقدامه ولن يجروا غاروق على اقالة النحاس بعد إلغاء المعاهدة . وفى ١ أكتوبر أعلن النحاس فى البرلمان إلغاء المعاهدة وقدم للبرلمان مشروعات القوانين اللازمة لهذا الإلغاء ولم يقف الإلغاء عند حد . معاهدة سنة ١٩٢٦ بل واتفاقيتى سنة ١٨٩٨ . وسنة ١٨٩٩ الخاصة بالسودان . . . وذهبت مشروعات النحاس الى أبعد من ذلك كله فقد أعلنت الأساس اللازمة لوضع دستور جديد للسودان يحقق له الحياة الديمقراطية الكاملة .

وصفق مجلس النواب لهذه المشروعات الرائعة . . . وكان ابراهيم شكرى أول من خف من النواب المعارضين لتأييد الحكومة فى خطوتها الحاسمة فدعا لها بالتوفيق وأعلن تضامنا من الحزب الاشتراكى مع الحكومة فى كفاحها النبيل ضد الانجليز . وكان ابراهيم شكرى يعبر فى ذلك عن الحزب الاشتراكى أمسك تعبير فلم يكن فى مصر كلها من يرحب بإلغاء المعاهدة كما يرحب الحزب الاشتراكى الذى كافح فى هذا السبيل من سنة ١٩٢٦ . . . أى خمسة عشر عاما كاملة .

وقد كان هذا الإلقاء انتصارا رائعا لهذا الكفاح ولقد أدركت الأمة هذه الحقيقة ، ولذلك فقد تحول سجن الأجناب حيث كنت مسجوناً الى هدف من أهداف المظاهرات العامة .. فكانت الجموع تحتشد حول السجن وهي تهتف « افرجوا عن احمد حسين .. احمد حسين زعيم الثورة .. » ، وكانت هذه المظاهرات محدودة العدد في بادئ الأمر ولكنني لئن أنسى ما حيينت عندما أحاط المتظاهرون بسجن الأجناب في أحد الأيام وكانهم البحر الزاخر .. وهم يهتفون مطالبين بالافراج عن أحمد حسين زعيم الثورة وخادم الشعب . واضطرت الى ان اكتب لرئيس محكمة الاستئناف اطلب منه تحديد جلسة للنظر في الافراج عني والا سوف أضرب عن الطعام حتى الموت فلقد عشت طول حياتي مجاهداً من أجل مصر وحريتها ، وانه لأمر فوق احتمال أن أظل مقيداً بالسلاسل والأغلال في الساعة التي دوى فيها ناقوس الجهاد . وأفرجت عني محكمة الجنايات برئاسة الأستاذ محمد صادق وعادت الى الحرية في مرحلة الجهاد ضد الانجليز .. وكان الشعب في حالة غليان .. وسرعان ما قذفت نفسي مع التيار وأن هو الا ايسر الوقت حتى أمسكنا نحن الاشتراكيين بزمام هذه الحركة الضخمة التاريخية في تاريخ البلاد .

لم تكن المعاهدة تلقى حتى أسرع الشعب الى تحويل هذا الإلقاء من حبر على ورق الى حقيقة مادية . فقامت المظاهرات في مدن القنال : الاسماعيلية وبورسعيد واصطدمت بالانجليز فحرقت بعض منشآتهم ورد الانجليز عليهم بقتل بعض المواطنين والعلماء والنساء وهكذا أريقت الدماء وفتحت المعركة .. وأسرع الحزب الاشتراكي وكنيت لا تزال في السجن الى فتح باب التطوع لانشاء كتائب التحرير فاندفعت الجموع الى دار الحزب وكلها تتسابق للحصول على هذا الشرف .. وفي يومين أو ثلاثة كان مجموع من سجل اسمه في هذه الكتائب لا يقل في المركز العام عن خمسة آلاف . وحدث مثل هذا الاندفاع في جميع لجان الحزب وشعبه

في الأقاليم فكان ذلك مظهر التطور الشعبي الذي وصل اليه الحزب الاشتراكي وأنه امتزج بالشعب الى أبعد الحدود .

وقد كان من الظواهر الواضحة التي تدل على انعكاس الحال بالنسبة لحزب الوفد أن داره التي تواجه دار الحزب - أو بالأحرى النادي السعدي كانت خالية شأوية لا يقصدها الا بعض أفراد يعدون على الأصابع بالرغم من أن ادارة النادي كانت قد وجهت الدعوة للتطوع أسوة بالحزب الاشتراكي .

وكان هذا التفاوت العجيب بين اندفاع الجموع على دار الحزب الاشتراكي وانصرافهم عن دار الوفد سبباً جديداً لمضاعفة حقد سراج الدين والوفد ضد الحزب الاشتراكي ، وعصراً جديداً من عناصر الفلق في نفس فاروق .

وفي أول نوفمبر ١٩٥١ أفرج عنى من السجن ولم أكد أصل الى دار الحزب حتى وجدت شعلة متقدة من الحياصة ، وفي المساء كانت الألوף تفر دارة الحزب وبدأت أخطب في هذه الجموع لأبصرها بدورنا الجديد وأن حرب الانجليز هي التي كنا ننتظرها منذ سبعين سنة ، وأنها تحتاج منا الى نظام واعداد وتضحية . وأن الحزب الاشتراكي سيقود المعركة وهو يدعو المصريين جميعاً للتكاتف حول لواء الحكومة التي ألغت المعاهدة .

ولقد حاول الشانترن والحاسدون أن يمزقوا موقفنا من حيث تأييد الحكومة وأن يروا فيه مظهراً من مظاهر التقلب في الرأي والانتقال من النقيض الى النقيض فمن حرب شعواء على الحكومة الى تأييد مطلق لها في حربها ضد الانجليز ، ولم يكن ذلك في الواقع الا ثمرة التربية السياسية الفاسدة في البلاد التي جعلت الكثيرين لا يدركون معنى المعارضة الصادقة والوطنية الخالصة

التي تنسى نفسها ساعة الخطر لقد كانت المعركة ضد الانجليز هي منتهى آمالنا وكان من العيب أن نحارب الانجليز وأن نحارب الحكومة في ذات الوقت ومادامت الحكومة أعلنت الكفاح ضد الانجليز فقد أصبح واجب كل مواطن أن ينسى الخلافات الداخلية وأن يتحد صفا واحدا خلف الحكومة للانتصار في المعركة .

ولكن هذا الموقف انبئيل من ناحيتنا لم يلق التقدير الكافي من السياسة فاتخذوه سبيلا للظلم . . بل ان الحوادث أثبتت أن الحكومة نفسها أو بالأحرى فؤاد سراج الدين قد اتخذت من موقفنا الجديد في تأييد الحكومة سبيلا للفساد لنا والكلية . . حيث أبلغ السلطات أو بالأحرى أبلغ فاروق بأن هذا التأييد قد دفع ثمنه من المصروفات السرية . .

وعمل أذئاب سراج الدين ، وحقالات الوفد على ترويض هذه الاشاعة من أن أحمد حسين قد قبض خيصة آلاف أو عشرة آلاف من الحكوما مقابل تأييده . .

ولم ألق بالي في بادئ الأمر لهذه الاشاعة لكثرة ما اعتدت هذه الاشاعات في تاريخ كفاحي الطويل . . ولكن الاشاعة راحت تضغط وتلج حتى اقتنعت أن يدا معينة تسعى لترويجها وأن هذه اليد لم تكن سوى يد فؤاد سراج الدين بالذات . . وعندما دارت الأيام دورتها وظن البعض أن نهايتنا قد قربت بعد حرق مدينة القاهرة وقف عبد الفتاح حسن يشهد أمام المحكمة العسكرية العليا أن أموالا من المصاريف السرية قد أعطيت لي لتغيير ذمتي ولكتابة مقالات مديح وثناء على الملك . .

وهكذا انكشف المستور والتضحيت أركان المؤامرة : ولكن في ذلك الوقت الذي أتحدث عنه عقب خروجي من السجن أي في نوفمبر

سنة ١٩٥١ لم تكن هذه الحقيقة قد انضحت لي .. ولذلك فقد انطلقت بكل اخلاص في تأييدي للحكومة .. فتوقفت عن كل معارضة لها في الجريدة الاشتراكية واكثرت من اتصالي بالوزراء وعلى رأسهم سراج الدين وعبد الفتاح حسن لكن انصحهم بما يجب عمله وارسم لهم الخطط ويشهد الله وابراهيم شكرى الذى كان يصاحبني في كل مقابلاتي لسراج الدين اننى اخلصت له النصيحة ولو قد استمع للاحذاتى وتوجيهاتى لانتصر في هذه المعركة الكبرى ونصر البلاد معه ضد الانجليز .

ولكن نؤاد سراج الدين كان خبيث الطوية وقد تصور ان اتصالي به هو الدليل على اكتمال عبقريته ، وحرص كل الحرص على ان يجعل من مقابلاتى معه سبيلا للتبيل منى والكيد لي .

معركة العمال

لو ان الامر ترك الى الحكومة بعد الغاء المعاهدة لما زادت عن هذه المراسيم التى أصدرتها خطوة واحدة ، فقد كانت تصور انها ابرأت ذمتها بصدور هذه المراسيم .. ولكن الشعب كما ذكرت قد حول هذه المراسيم الى معركة حقيقية باسراعه بالاشتباك مع الانجليز واخذت المعركة الشعبية روعتها عندما بدأ العمال المصريون في معسكرات الانجليز يتخلون عن العمل ، وقد بدأ هذا التخلي في بادىء الامر بصورة محدودة ثم لم يلبث ان اتسع نطاقه وتضاعفت اعداد المنسحبين وتحولوا من العشرات الى المئات فالآلاف .. وان هو الا بعض الوقت حتى أصبحت هذه المعسكرات قاعا صافصفا وتخل عنها ما يزيد على سبعين الف عامل كانوا يعملون من منطقتى انال السويس ترسانة للجيش الانجليزية ويؤكدون بوجودهم ونشاطهم ان الانجليز لن يجدوا في الدنيا كلها قاعدة حربية كهذه القاعدة .

وكان للحزب الاشتراكي في مديرية الشرقية فضل كبير في تاجيج نيران هذه المعركة فقد أسرع متطوعوه الى الطرقات المؤدية الى معسكرات الانجليز وخاصة في قلب التل الكبير وراحوا يستحيون من العمال المشتغلين بهذه المعسكرات بطاقتهم الشخصية المعطاة لهم من الانجليز وبهذا تتمتع عليهم العودة الى هذه المعسكرات حتى لو ازدادو هذه العودة ، كما حال المتطوعون كذلك دون وصول الاقوات والاعذية الى هذه المعسكرات وذلك كله قبل أن تتحرك الحكومة وتتدخل لجعل هذه التصرفات شرعية بموجب القانون . .

وقد تدخلت الحكومة أخيرا ، ومن العيب أن ننكر عليها هذه الخطوة الموفقة فقد أعلنت استعدادها لتشغيل كل العمال الذين تخلوا عن المعسكرات الانجليزية وأن تعيينهم بمرتباتهم التي كانوا يحصلون بها لدى الانجليز . وقد كان هذا القرار كانيا لكي يقضي على كل تردد في نفس اضعف عامل تحدثه نفسه بالبقاء مع الانجليز ، وبذلت الحكومة جهدا مشكورا لالحاق هذا الحشد الضخم من العمال الذي باع التسعين ألف بمصالح الحكومة المختلفة في فترة وجيزة لا تزيد على شهر واحد ، كما أصدرت بعد ذلك قانونا يعاقب على التعاون مع الانجليز والتعامل معهم ، وكانت وطنية الشعب قد سبقت هذا القانون فتوقف العمال في بورسعيد والسويس وعلى طول القناة عن تفريغ السفن المارة في القناة أو معاونتها بأي وسيلة . . وحصد المقاومين الذين يتعاونون مع الانجليز بالقتل . . ولم ينته شهر ديسمبر سنة ١٩٥١ حتى كان الانجليز قد بدأوا يشعرون بأنهم محاصرون في قلعة وبدأوا يمانون كل ما يعانيه الجيش المحصور من ضيق وقلق وفرح من المستقبل .

الحكومة تقلب ظهر المجن للحزب

ويتطور المعركة ضد الانجليز ووجهان كفة الحزب الاشتراكي بدأت الحكومة تقلب ظهر المجن للحزب فلم يكن يسم سراج الذين

في قليل أو كثير الانتصار على الانجليز وانما الذي كان يهيم هو
انتصار الحكومة وتثبيت الأرض تحت أقدامها . . وفي سبيل هذه
الغاية ألقيت المعاهدة ولكن توالى الحوادث فبدأ يظهر الحكومة
بمظهر العجز عن معالجة الموقف ويزيد في قوة الحزب الاشتراكي
وكانت مظاهر هذه القوة تنجلي يوما بعد آخر . .

تجلت أول ما تجلت في هذه الجموع التي انضوت تحت لواء
الحزب لتدريبها وتسييرها نحو القنال وقد احتج الحزب لذلك
معسكرا في ازوع بقعة صالحة لهذا الغرض وهي أرض (مولد النبي)
في العباسية حيث تتدرب عساكر بولكات النظام بالذات . وقد
أشرف على إنشاء هذا المعسكر ضابط من أكفأ ضباط الجيش المصري
علما وخلقا و إخلاصا وهو اليكباشي جلال ندا الذي أصيب في
حرب فلسطين اصابات قاتلة ولكنه شفي منها ثم أحيل الى المعاش
وعاونه في الاشراف على المعسكر ضابط آخر من أكفأ الضباط وهو
اليوزباشي محمد أحمد رياض ذلك الذي يشرف على حراسة الرئيس
محمد نجيب في الوقت الحاضر ، وقد تعاون الرجلان على جعل
معسكرا نموذجيا . وكان المتطوعون على درجة عالية من الحماسة
بحيث كانوا يتقنون تدريبات (التكتيك العنيف) التي تحتاج في
الكلية الحربية وفي الجيش الى بضعة أسابيع لاتقانها فكانت
لا تستغرق من المتطوعين الا بضع ساعات . وكان زوار الحزب
من العسكريين أمثال عزيز المصري وصالح حرب يبهروهم هذا
الاستعداد . .

وكانت تفاصيل هذا النجاح تعسل الى الحكومة وتصل الى
فاروق فلا يكون لها سوى اثر واحد وهو تضاعف الشعور بالقلق
وضرورة التخلص من الحزب الاشتراكي .

مظاهرة ١٤ نوفمبر

ثم جاءت مظاهرة ١٤ نوفمبر وهي المظاهرة المنبوية التي دعا لها الحزب الاشتراكي ووجه الدعوة الى باقى الأحزاب للاشتراك فيها وقد أسرعت الهيئات والأحزاب الى تلبية الدعوة ثم حرصت الحكومة بعد ذلك على تبني هذه المظاهرة لتجذب الحزب الاشتراكي .. ولم يكن يعيننا فى ذلك الوقت الا أن تتم المظاهرة بالصورة التي رسمناها لها وقد تمت بالفعل هذه المظاهرة السلمية الكبرى التي لم تشهد البلاد لها مثيلا فى تاريخها ، حيث سار واحتشد ما يقرب من مليون من المصريين على رأسهم الوزراء والأمرء ورجال الأحزاب والهيئات والمستشارون والرجال والأطفال والعساكر والفلاحون والشيوخ والاعوان المسلمون والأرمن والكاثوليك وكل من يعيش على ظهر هذه البلاد .. وسار الجميع فى مظاهرة تحدث عنها العالم كله فقد سارت فى صمت ونظام وهدوء فلم يرتفع فيها هتاف واحد ولم يشذ عن ذلك وسط هذه الألوف المؤلفة انسان واحد وكانت التعليمات للجماهير تعطى من الميكروفونات ليلبها الجميع على الفور .

وقد سرت فى مؤخرة هذه المظاهرة وسط عمال بورسعيد وقطعت المسافة من ميدان الاسماعيلية - ميدان التحرير حاليا - الى قبيل ميدان عابدين فيما يزيد على ست ساعات وأحسست أثناء سيرى لأول مرة بمقدار ائتلافى مع الشعب الذى كان لا يكاد يكتشف مكانى حتى ينتظر الى محييا فى صمت أبلغ من القول .. حتى اذا اقتربت من ميدان عابدين لم يستطع الجمهور أن يضبط أعصابه فأحاط بى ودلعنى على الأعناق وانطلق هائلا وكان ذلك يخالف التعليمات التي حرصنا على أن نتبع فى هذا اليوم فتخلصت من هذه الجموع بشق النفس وهربت الى المبنى المقابل للقسم عابدين وهو الدار المسماة بدار مدرسة عبد العزيز وهي الآن مقر ادارة

العلاج المدرسي . . فأحاطت الجموع بهذه الدار وظللت محاصرا
بها حتى ساعة متأخرة حيث أمكنني أن أتسلل وأنجو بنفسى من
ضغط الجماهير التى ازدادت أن تحيبنى .

وكان خبر ذلك يصل بطبيعة الحال الى سراج الدين والى
فاروق .

اجتماعات فى البلاد

ودعيت الى البلاد فى الاسكندرية وفى الشرقية وفى طنطا وفى
المنصورة . . ولأول مرة فى تاريخ هذه البلاد تعقد هذه الاجتماعات
الحاشدة . . فى الاسكندرية بلغ مقدار المحترمين مائة ألف وفى
طنطا ستين ألفا أو سبعين وفى الزقازيق أقل من ذلك وفى المنصورة
مثل ذلك وكان سبيلنا لتقدير عدد الحضور بالغأ منتهى الدقة
فقد كانت الجموع تكتظ فى ميادين هذه المدن الكبرى وتملؤها عن
بكرة أبيها فكنا نقيس طول الميدان وعرضه ثم نضرب ذلك كله فى
عدد الأشخاص فى المتر المربع فتكون النتيجة هذا القدر الذى ذكرته
من قبل وهو مائة ألف فى الاسكندرية وستين أو سبعين ألفا فى
طنطا . وحسبك أن تتصور أنه فى الاسكندرية كان ميدان محطة
مصر الكبير قد التحمت فيه الأجساد من القطار حتى منصة الخطابة
التي أقيمت فى مرادق فى نهاية هذا الميدان من الطرف المقابل
للمحطة وقد اجتزت هذه المسافة فى نصف ساعة كاملة وكان الناس
ينقلوننى فوق رؤوسهم لاستحالة شق طريق لى وسط هذه الكتل
البشرية .

وقد كان كل ذلك يفاجئنى وقد هالنى فلم أكن أتصور أن
يكون تفاعل مع الشعب قد وصل الى هذا الحد . . ولكن كان
من الواضح أن هجومى على الملك قد أكمبى كل هذا الرضا

الشعبي وأن محاربتى للاقطاعيين والأغنياء المرئيين ودعوتنا لاعادة توزيع الثروات وانصاف العمال والفلاحين وحرينا العتيقة على الطغيان والفساد والانحلال قد قرب بيننا وبين جماهير الشعب . .

وكننت في كل هذه الاجتماعات أروح أبسط للمجتمعين ضرورة محاربة الانجليز اذا أردنا أن نتحرر من الفقر والمرض . . اذا أردنا أن نعيد العدالة الى بلادنا . . وأن نرتفع بمستوى الشعب . . وكننت الحظ أن الجماهير لا تتفاعل كثيرا معي الا عندما أخرج من طرف خفي الى أن الخلاص من الانجليز هو سبيلنا للخلاص من الاقطاع والحكام المستبدين فالانجليز هم دعاة هؤلاء الحكام وهم سند الاقطاعيين والراسماليين . . عند هذه الاشارات كانت الجماهير يجهن جنونها من الحاسة فكان هذا هو الدليل على ان الشعب وصل الى ذروة الحساسية بالنسبة لمستغليه من أعداء الشعب . . وأن الملك وأشياعه وأذنايه قد أصبحوا يعيشون على شفا بركان .

وكانت انباء هذه الاجتماعات الضخمة تصل بطبيعة الحال الى سراج الدين والى فاروق فكانت تزيد في قلقهما .

وكانت الأنباء تصل مشوهة ومحرقة وانتم ادعو في هذه الاجتماعات الى الثورة وهو ادعاء كاذب بطبيعة الحال فقد كان كل جهدي موجها الى حشد الجمهور ضد الانجليز وفي سبيل تشجيع الناس على التضحية في حرب الانجليز كنت أعدمهم بمجتمع أرقى بعد اخراج الانجليز مجتمع يختفي فيه الارصاف والاعنسات والاستغلال . وما لم يدرك الناس ذلك فلم يكن هناك قوة على ظهر الأرض تدفعهم لحرب الانجليز فقد كانوا يشنون من الأعباء التي يرزحون تحت كاهلها . كان الناس يكتوون بنار الفلأه ويمانون شظف العيش والظلم والاستبداد فأى حافز يدفعهم لحرب الانجليز الا أن يدركوا أن طرد الانجليز هو السبيل لانقاذهم مما يعانونه .

.. ولكن الأغنياء والاقطاعيين امتلأوا فرحا من هذه الاجتماعات وطلب القصر من سراج الدين إيقافها . ولما ذات يوم ذهبت الى وزارة المالية لتقابلة سراج الدين فذهبت أنا وابراهيم شكري وهناك دارت مناقشة حامية الوطيس بيني وبينه حول هذه الاجتماعات .. وأعلننى انه أصدر امره بالفاء اجتماع المتصورة فنشبت بضرورة عقد هذا الاجتماع لأنه قد أعلن عنه وتمت الاستعدادات له والغاؤه يعنى الحرب بيننا وبين الحكومة وهو ما لا أريده بحال من الأحوال .. وبعد مناقشة عاصفة بصرت فيها الوزير بالأخطاء التي يرتكبها في إشرافه على المعركة .. وحذرتني من المخاطر التي يعرض لها البلاد وهو يشمل نيران معركة ضد الانجليز ثم يخوضها في نفس الوقت في هوادة ولين ومثل هذا الأسلوب يؤدي الى كوارث فالعرب هي الحرب والكفاح هو الكفاح ..

أخذت على الوزير سكوته عن الأغنياء وموقفهم السلبي من المعركة في الوقت الذي يضحى فيه العمال بأرواحهم وقوت عيالهم من أجل هذه المعركة .. أخذت عليه سماحة بدور اللهو والكباريات أن تمضي في لهوها وهذرها كأن ليس هناك ضحايا تتساقط بالعشرات من دم الشباب .. أخذت عليه استمرار الحكومة في الاتجار مع الانجليز وبيع القطن لهم في الوقت الذي يعتبر خائنا من يقدم لهم بعض البيض أو الطماطم .. أخذت عليه سماحة للانجليز المترفين بالانامة في القاهرة بهذا الألف وهم متمتعون بكل الرفاهية في الوقت الذي يدكون فيه مدنا وقرانا في منطقة القتال يقتلون ويطردون أبناءنا . أخذت عليه ذلك كله ودعوت الى تصحيح الموقف والا فستسوء العاقبة ..

ولكن الوزير أصم أذنيه بطبيعة الحال عن كل هذه الملحوظات. وأكد أنه المسيطر على الموقف لأنه يعرف ما لا تعرف وأن النجاح

مضمون وكل ما في الأمر أنني أجعل مهنته صعبة بهذه الاجتماعات الشعبية التي اعتقدها وأنه يخشى أن تنقلب إلى حرب أهلية .

تطلبت منه أن يتر عقد اجتماع المتصورة ثم نؤجل باقي الاجتماعات في البلاد الأخرى فوافق على ذلك . وعقد اجتماع المتصورة وكان شيئاً لم يسبق له مثيل من غير شك في تاريخها واني ما زلت أذكر حتى الآن والدموع تملأ عيني كيف بادرت السيدات الحاضرات للنزول عن حليهن من أجل حركة التحرير وعندما تقدمت لي سيدة في (ملائتها اللقب) وقدمت كل أساور يدها التي لا تملك غيرها فاعتذرت لها عن قبول هذه الحبل وتقدم رجل فتبرع بشمها على أن نرد لها ثانية إذا بهذه السيدة ثور وتحجج وتعتبر ذلك اعتداء على كرامتها فان من حقها أن تحظى بهذا الشرف شرف التضحية بكل ما تملك من أجل معركة التحرير .

وعقب هذا الاجتماع اصدر وزير الداخلية امره الصريح برفض كل اجتماعات وكان ذلك هو بدء اعلان الحرب .

الفناء الكتائب

كان الحزب الاشتراكي - كما قدمت - أول من وجه الدعوة لانشاء الكتائب ، وكان معسكره في العباسية هو أول معسكرات التدريب في مصر كلها .

وحمل أبناؤه في الشرقية السلاح ووقفوا على مفارق الطرق يقطعون الطريق على الخونة المتاملين مع الانجليز وبدأت عمليات الفدائيين في منطقة الدنال على وجه الحرارة التي بعثها الحزب الاشتراكي قبل الفاء المعاهدة وبعدها .

وبدأت الهيئات الأخرى تحاول مناقشة الحزب الاشتراكي في موضوع الكتابات وعلى رأسها الوفد ، ولكنها خابت . . وظل الحزب الاشتراكي هو الذي يحمل لواء الحركة . . وتقاسم الاخوان المسلمون في بادئ الأمر خوفا من أن تكرر معهم مأساة فلسطين عندما اعتقلوا وكل بهم في أعقابها ولكن ضغط الرأي العام وخوفهم من انفراد الحزب الاشتراكي بهذه المقاومة جعلهم يرجعون عن ترددهم واتخذوا من الجامعة ميدانا لنشاطهم . فقام بظلمهم حسن دوح بأعداد معسكر في جامعة فؤاد . ونسج الاخوان على منواله في جامعة ابراهيم وفي الأزهر . . وبدأت حركة التطوع والتدريب تزدهر في كل مكان ولم يكن هناك ما يصبو له الحزب الاشتراكي أكثر من ذلك فقد كان دائما دائما أن تتحرك الأمة في الاتجاه السليم دون أن يعيننا أحد بنسب الفضل لنا أو أن يحتكره .

وقد انتهالت علينا التبرعات من كل جانب ومن كل صنف . تبرعات نقدية وأخرى عينية كالملابس والمهمات التي تبرع بها صاحب محلات افرينو وعند هذا الحد امتلا فاروق بالفزع ما هذه الكتابات ، وواقفه سراج الدين فبدأت تصريحات الحكومة تنهال بتجريح هذه الكتابات وأنها تضم بين صفوفها مجرمين وأرهاب السوابق وتستشهد على ذلك بحادث فردي وقع هنا أو هناك مما يحدث بين أعظم الجيوش النظامية ، وكان ذلك هو نذير الشر لهذه الكتابات . . وفكرت الحكومة في إلغاء هذه الكتابات ، ولكنها تخشى ثورة الرأي العام . . فرأت حلا للاشكال أن تزعم أنها ستتولى هذا التدريب بنفسها ليكون أكثر دقة ونظاما و لا تتبع هذه التشكيلات أحزابا وهيئات . . وديننا لهذا الغرض إلى وزارة الداخلية ، حيث عقدت لجنة من ستة وزراء يرأسهم فؤاد سراج الدين

ومن بينهم عبد الفتاح حسن والطويل والوكيل وغنام وعبد المجيد عبد الحق .

ودعيت وصالح حرب وعزيز المصري والهضيبي ممثل الاخوان المسلمين ومحمد بلال ممثل الكتائب الوفدية وعرض علينا الموضوع . فاسرعت لاعلان ترحيبي بأن تتولى الحكومة الاشراف على الكتائب اذا كانت في نيتها بالفعل محاربة الانجليز بها . اما اذا كان هدفها من هذا الاجراء هو اخضاع حركة الكتائب فقد اعلنت في صراحة وقوة اني سأعارض الحكومة في جريدتي بكل شدة وسوف ائدد بتصريحها وان كنت لن اقاوم تسليم الكتائب للحكومة بالقوة بطبيعة الحال .

ودارت مناقشة حادة بيني وبين بعض الوزراء الذين سامعهم ان اعلن انني سأقف للحكومة بالمرصاد اذا هي لم تستخدم الكتائب في حرب الانجليز . وكان على رأس هؤلاء عبد انجيد عبد الحق وعلى الرغم من أنه لم يتخذ قرار في هذه الجلسة . وقيل انها ممتدة الى جلسة اخرى فقد صدر في اليوم التالي قرار بالفناء للكتائب المتضوية تحت لواء الأحزاب والهيئات ويحظر جمع اي تبرعات لحركة التحرير يدعى أن الحكومة هي التي ستتولى هذه العمليات بنفسها . وقد عين عبد المجيد عبد الحق - وزير الدولة - ليكون مشرفا على التدريب العسكري .

وشكلت لجنة للاشراف على الكتائب على رأسها صالح حرب واللواء المرادي مندوبا عن الاخوان المسلمين . وبعض التوية اخرى تمثل بعض الاتجاهات الأخرى وأنفل الحزب الاشتراكي من أن يكون له مندوب في هذه اللجنة فعد ذلك على أن هذه الحركة كلها انما قصد بها ابعاد الحزب الاشتراكي عن الميدان . وكيفما كان الأمر فقد أسرعنا الى تنفيذ أمر الحكومة . بل ان سراج الدين لم

ينتظر الموعد المحدد لالغساء الكتائب فبعث بالبونيس السرى الى معسكرنا بالعباسية للبحث والتفتيش عن أسلحة ، والقبض على القائمين بالأمر ، وقد عثر المفتشون على بضع قنابل يدوية كانت تستعمل للتدريب فأخذوها ولم يجدوا أى أسلحة أخرى . وكان ذلك بمثابة اشارة لبده الهجوم ، فلم أنتظر الى ما هر أيهد من ذلك وأصدرت تعليماتى بتصفية المعسكر ، ونقل ما به من خيام وادارات ومهمات الى دار الحزب وتحويل المتطوعين الى معسكرات الحكومة المنتظرة .

وقد حدثت قبل ذلك فى أنحاء البلاد كلها تصفية معسكرات التدريب التابعة للحزب .

ختمت هذه الصفحة المشرفة من كتاب الكفاح ضد الانجليز .

وهكذا الغيت الاجتماعات ثم الغيت الكتائب ولم يعد باقيا لدى الحزب سوى جرائده التى أصبحت تصدر ثلاث مرات فى الأسبوع فى ذلك الوقت . . وقد جاء دور هذه الصحف بعد الكتائب والاجتماعات .

مصادرة جريدة

أخذت الجريدة الاشتراكية كل خطورتها قبل الغاء المعاهدة عندما كانت تهاجم الملك والانتطاعيين والحكومة فلما ألغت الحكومة المعاهدة ، وفرض التوقف علينا أن نهادن الملك والحكومة وأن نتجه لحرب الانجليز كان لذلك اثره بطبيعة الحال على الجريدة الاشتراكية من حيث اتساع دائرة التوزيع ، وبدأت الصحف اليومية تكون اكثر انتشارا من جريدتنا ، فبينما كان يتزايد توزيع الصحف اليومية لما تحمله من اخبار وانباء معارك الفدائيين فى القتال ، كان

توزيع الاشتراكية الواسع النطاق ينكمش بعض الشيء وكان ذلك أكبر تضحية يمكن أن يقدمها مواطن من أجل حرية بلاده .

إن صحف الرأي (كالأشترائية) يتوقع انتشارها وتأثيرها على ما تقوم به من المعارضة لخطط الحكومة . فإذا كفت عن هذه المعارضة فإنها لا تلبث أن تفقد الكثير من قلوبها ، وقد أحسنا بذلك بقوة ، ولكنني لم أشأ في سبيل المكسب الصحفي أن لا أضرب المثال في الميدان الوطني بمهادنة الحكومة . وبدأت أفكر في إصدار الجريدة يومية لنستطيع أن نتابع المعركة من الناحية الخيرية . وابتدأت بإصدارها ثلاث مرات في الأسبوع بدلا من مرتين واعتمدنا على دار أخبار اليوم في أعداد الجريدة ، وعلى مطبعة الأهرام في طبعتها ، زهنا لا أستطيع مرة أخرى إلا أن أسجل لأخبار اليوم معونتها الثمينة لنا في هذه الفترة ، وكيف وضعت كل استعداداتها الضخمة وتسهيلاتنا الفنية تحت تصرفنا ، بل أنها سخرت جهازها الفني الكبير بالمجان لخدمة مشروعنا ، كما أن جريدة الأهرام لأول مرة خالفت مبدأها في عدم طبوع أي مجلة في مطابعها وبدأت تطبع لنا الجريدة طبعا جيلا أنيقا ، وكان المستحيل لولا مطبعة الأهرام أن نتسكن من طبوع هذا القدر الضخم من الجريدة بسرعة والذي وصل في يادي الأمر إلى تسعين ألف نسخة في المرة الواحدة وإن كان هذا القدر قد انكمش فيما بعد .

ولم يكن العنصر الذي أثر على انتشار الجريدة هو توقفها عن المعارضة لحسب والهجوم على الملك الذي كان هو رأس ماله بل كان يرجع من ناحية أخرى إلى حرصنا الشديد على ألا تضلل الأمة والشعب في حقيقة جهاد الفدائيين الذي كانت تنسج منه الصحف اليومية روايات وهمية كان الناس بطربون لها كل الطرب . ولكننا كنا نقدر ما بها من خطر لأنها توهم الناس ، والحكومة

مما بأن المعركة بيننا وبين الانجليز سهلة هينة .. وأنه ما على الشعب الا أن يتابع الصحف ويصفق للفدائيين كى يخرج الانجليز من مصر . وكذلك فقد امتنعنا عن نشر هذه المسخانات كالكقول بأن بعض الفدائيين أشعل النيران فى عشرات القطط اطلقها على مطارات الانجليز فأحرقت مئات الطائرات التى كانت جاثمة على الأرض . وأن بعض الفدائيين قد نسف معسكرا على كل من كان يضمه من الانجليز الذين بلغ عددهم بضع مئات .. وهكذا .

وكانت حجة الصحف التى تنشر هذه الأخبار أنها ترفع معنوية الشعب وتحرض الفدائيين على عمل ذلك .. ولكننا كنا نرى فيها تهويئا من شأن المعركة ، دفعا للحكومة والشعب الى الكسل ولذلك فلم نلقف عند عدم نشر هذه الأقاصيص بل رحنا نلقت الأنظار الى خطورة التمادى فيها ووجوب الاقلال منها وتحرى الحقائق .. رحنا نذكر الوقائع الحقيقية كما تصل اليها وقد كانت هذه الحقائق تنطوى على حقيقتين واضحتين الأولى هى شدة معنوية الفدائيين واستعدادهم لتحقيق المعجزات ، والحقيقة الثانية هى قلة مواردهم وانعدام امكاناتهم تقريبا وهذا هو ما لم تعمل الحكومة على علاجه ، ولذلك فقد بدأنا بالتدرج ننتقد الحكومة لتفاعسها عن مد هؤلاء الفدائيين بالمساعدات الحقيقية .. ولما أقدمت الحكومة على حظر اجتماعاتنا تم على الغاء الكتاب فقد زاد ذلك بطبيعة الحال فى حرارة النقد ولكننا ظللنا حريصين على موقفنا القومى الكريم وهو أن نجعل محور المعركة بيننا وبين الحكومة فيما يتصل بانجاح المعركة ضد الانجليز فلم نعرض لها بنقد الا بالنسبة لهذه المعركة .

وعندما بدأ سراج الدين يعتمد على بلوكات النظام فى عراكه ضد الانجليز أدركنا منذ وقت مبكر ما فى هذا الاجراء من شذوذ وهو أن تحارب مصر الانجليز بواسطة عمساكر البوليس فى الوقت الذى يلف فيه الجيش موقف المتفرج برغم انه لو اصطدم مع

الانجليز فان ذلك يعنى اعلان الحرب على الانجليز . . ويرغم ان جيشنا لا قبل له بمواجهة الانجليز ، واذا كان الجيش لا قدرة له على هذه المواجهة فمن باب اولى يكون عساكر بلوكات النظام ، واذا كان الأمر قد وصل الى حشد ألف عسكري من رجال البوليس مسلحين ثم يعطى لهم الأمر باطلاق النار على الانجليز فان هذه هى الحرب من غير شك ولا فرق بين أن يكون ألف عسكري يقسمون باسم البوليس أو الجيش .

واخيرا فلم يكن هناك من يطلب تدخل الجيش المصرى فى صورة نظامية ضد الانجليز وانما كان المطلوب أن يمد الجيش الفدائيين ببعض ما عنده من أسلحة وذخيرة قرر الاستغناء عنها وأن يسمح لبعض الضباط بالانصراف على هؤلاء الفدائيين وهم بملابسهم المدنية . . ولكن ذلك كله كان ممنوعا على رجال الجيش . . وكان على الفدائيين من ناحية وعلى رجال بلوكات النظام أن يتغذوا أوامر وزير الداخلية فيقابلوا الدبابات الضخمة والطائرات والمدافع الثقيلة ببنادقهم المتينة ويرصاصانهم التى تعد على الاصابع .

ولقد حملت على وزير الداخلية وعلى مجلس الوزراء اصداره الأوامر لمحافظة السويس بمقاومة الجيوش الانجليزية عندما قررت الزحف على كفر عبيد لهدمه فكتبت مقالا فى ٩ من ديسمبر بعنوان « وأمرنا المحافظ أن يقاوم كل اعتداء » ، وقد ملأته بالتهكم على قرار مجلس الوزراء الذى يشبه أن يكون عبثا ولهوا ولهذا بينت أن خيرا من ذلك الاجراء أن تقطع العلاقات السياسية مع الانجليز أو أن تقرر الحكومة مقاطعة البضائع الانجليزية . . أو أن تطرد الانجليز المدنيين من مصر . . ومع ارتفاع حرارة النقد وشدة هذه التوجهات بدأ سراج الدين وبدأ فاروق يضيقان ذرعا بالاشتراكيين من جديد ، فقد كان كل منهما إن ينرا الرماد فى العيون ، وكانت الاشتراكية قد بدأت تلقى الضوء على هذه التصرفات وتظهر

ما فيها من تناقض وتهاكت .. فقرر سراج الدين - بتحريض من فاروق - أن يلغى الاشتراكية من جديد بطريقة عملية .

ولقد جرب سراج الدين من قبل إلغاء الجريدة بواسطة مجلس الوزراء فأعادها مجلس الدولة الى الحياة .. وجرب محاولة إصدار تشريعات جديدة لألفانها فقابلها الرأي العام بموجة استنكار .. فرأى سراج الدين أن يجرب أسلوبا جديدا منتهزا فرصة انشغال البلاد بالمعركة الكبرى ضد الانجليز .. فأصدر أوامره بمصادرة الاشتراكية عددا اثر عدد .. وكان العدد الواحد من الجريدة في ذلك الوقت يكلفنا ما بين ورق وطبع ومصروفات أخرى ما يناهز الخمسمائة جنيه .. فقرر سراج الدين أن يعدمنا من الناحية المالية .

وقد كان .. وصودر عدد من الاشتراكية ومعنى هذا خسارة خمسمائة جنيه ثم صودر العدد الثاني فالثالث على التعاقب فوجدنا أنفسنا في حالة عجز تام عن مواصلة الإصدار فرأيت أن نتوقف عن الصدور لفترة من الزمن أسبوعا أو أسبوعين احتجاجا على هذا الظلم الصارخ . وهكذا لم توشك سنة ١٩٥١ على نهايتها حتى كانت اجتماعاتنا معطلة وجريدتنا معطلة ونشاطنا السياسي معطلا وكتابتنا محظورة ولم يكن هناك سوى هذه المعركة الدائرة على ضفتي القنال وفي مديرية الشرقية ، فرأيت أن نتجه صوت هذه المعركة بكياننا تاركين ما عدا ذلك .

كان أول اتصال لي بخط القنال في الشرقية عندما انتهزت فرصة الاجتماع العام الذي عقد بها في شهر نوفمبر ، فقصدت أنا وإبراهيم شكرى وبعض أعضاء الحزب في الشرقية ساعة متأخرة من الليل الى بلدة القورين التي تناخم المعسكر الانجليزى الكبير فوجدت عددا كبيرا من أهل البلدة يرابط على حدودها وهو مدمج

بالسلاح فجلسنا والفر يضى، ما حولنا والأنوار الانجليزية الكشانة
 نغمنا ، جلسنا نتحدث عن المعركة وتطوراتها وما الذى نستطيع
 ان نعلمه . وكان أهل القرية فى هذه الليلة كثيرى الاعتداد بأنفسهم،
 وكيف أنه باستطاعتهم أن يحدثوا فى هذا المسكر الانجليزى من
 الفساد والاتلاف ما لا يخطر على البال . فسألتهم وما الذى يؤخركم
 عن عمل ذلك فأجابوا : يؤخرنا الخوف من بطش الانجليز بنا بعد
 ذلك عندما يزحفون بدباباتهم على المدينة ويدكونها بمدافعهم
 الثقيلة . فقلت لهم اذن ما الذى تطلبونه أو تقترحونه . قالوا
 نحن نريد أن تجهزنا الحكومة ببعض ما ينقصنا من السلاح كالفنابل
 اليدوية وبعض الألقام والتفجرات ، ونريد مدفعا مضادا للدبابات ،
 ونريد قبل ذلك ضابطا من الجيش يقودنا وهذه هي كل مطالبنا
 لكي ننسف هذا المسكر - الذى يعتبر أكبر معسكر فى الشرق -
 نسفا .

وقد وجدت هذه الطلبات متواضعة جدا فأسرعت بنقلها الى
 الوزراء بل واقترحت عليهم أن يعمم هذا النظام فى كل البلاد
 المتاخمة للمعسكرات الانجليزية بحيث يزود أهلها بالسلاح ويوضع
 على رأسهم بعض الضباط فيتألف من ذلك جيش شعبي بايسر
 الطرق ، ولكن عيها أن يستمعوا لنصح أو ارشاد . واحتدمت
 بعد ذلك معركة القتال فى الاسماعيليه ، حيث كان الانجليز
 يهاجمون دار المحافظة فترد عليهم بلوكات النظام فى بطولة وشجاعة
 هزت ضمير الشعب وضمير العالم بأكمله لما انطوت عليه من شجاعة
 وجرأة وتضحية ، ففى احدى المارك التى اصطدم بها بلوكات
 النظام بأسلحتهم الخفيفة التى لا تزيد على البندقية بقوات
 الانجليز المدججة بكل صنوف الأسلحة الثقيلة . قتل الصناكر
 ما يزيد على خمسين انجليزيا من بينهم عدد كبير من الضباط ، وكان
 الانجليز يردون على ذلك بقذف دار المحافظة بالمدافع وامطار بعض
 أجزاء من المدينة بوابل من الرصاص مما جعل مدينة الاسماعيليه

تبدو وكأنها جسيم بالنسبة للمصريين الذين فرضت عليهم الظروف أن يقيموا بها . فاعتزمت أن أسافر خلسة الى الاسماعيلية لاكتشف أحوال الفدائيين بنفسى ولاقضى بها ردها من الزمن وسط هذه المخاطر التي يعانيها أهلها . ولم يكن هناك طريق للذهاب الى الاسماعيلية دون الوقوع فى أيدي الانجليز الا أن استقل الطائرة الى بور سعيد ومن بور سعيد استعمل السيارة حتى الاسماعيلية فقد قيل لنا ان الطريق فى هذا الجزء مفتوح وليست به نقاط للتفتيش ، وكان من المستحيل أن تنجح هذه الخطة الا اذا أحيطت بالكتمان التام . ولذلك فلم أخطر بها أحدا واخترت زميلين ليصحباني وهما محمود الدسوقي وجمال طولان ولم يعلم شيئا عن رحلتي الا بعد أن وحدا نفسيهما فى الطائرة . وبدأت أشرح لهما أننا ذاهبون الى بور سعيد ووصلنا بور سعيد فى ساعة مبكرة وبالرغم من كل المحاولات التي بذلتها لإخفاء شخصيتى فقد عرف أمرنا بعد وصولنا ببضع دقائق ، وعندما حاولنا أن نحصل على سيارة للذهاب الى الاسماعيلية قيل لنا ان الانجليز قد انتشروا على الطريق بصورة مفاجئة وأن تفتيشا دقيقا يجرى الآن بالنسبة لكل سائر فى الطريق بين بورسعيد والاسماعيلية .

ورفض سائقو التاكسي أن ينقلونا ، ففكرت فى الاتصال بحافظ بور سعيد لأركب فى إحدى سيارات البوليس فلم أكد أتصل به حتى فوجئت بأنه يعرف كل شيء عن وصولى وأن خير وصولى قد بلغ مسامع الانجليز وأنهم بدأوا يفتشون المسافرين بطريقة لم يسبق لها مثيل بغية القبض على وأنه من المستحيل أن أفكر فى هذه الرحلة .

وهكذا فشلت الخطة وعرف أمر وجودى فى بور سعيد ولم يبق أمامى الا العودة الى القاهرة . . . وهكذا لم تتح فرصة الاتصال بالفدائيين والعسكريين فى منطقة الاسماعيلية أو السويس .

ولكنني ظلمت أشعر بالتقصير المييب كلما رأيت نفسي نائما
على فراشي وفي داخل بيتي بين أولادي وزوجي وأخيار المجاهدين
والفدائيين تترى لما يقاسونه من أهوال وما يقومون به من ضروب
الشجاعة البسالة .

فلما أن حالت الحكومة بيننا وبين القيام بأي نشاط ووجدت
نفسى لا عمل لى فى القاهرة وتوقفت الاشتراكية عن الصدور
استقر عزمى على أن أنقل مقر اقامتى الى مديرية الشرقية باعتبارها
المديرية الأولى المهتدة بزحف الانجليز عليها واحتلالها بمجرد تطور
الكفاح ورأيت أن الواجب يحتم علينا جميعا أن نشاطر أهل
الشرقية مصيرهم ومستقبلهم وأن نحولهم بقدر الامكان الى قوة
مكافحة ، والاستعداد لكل الاحتمالات .

فأصدر الحزب الاشتراكي قرارا أعلن فيه هذه الرغبة .
ومن ناحيتى أذعت بيانا وجهته الى أهل القنال والشرقية نشرته
الجريدة الاشتراكية التى عاودت الظهور بعد سفرى فى ٢٥ من
ديسمبر سنة ١٩٥١ وقد ختمت هذا البيان بالعبارة التالية :
• لكل هذه الأسباب رأيت أن أجعل من الشرقية مقرا ثابتا أفضى
فيه معظم أيامى لأكون أقرب ما أكون من أبناء القتال المجاهدين ،
ولأبتعد ما استطعت عن مفانى القاهرة وملاهيها هذه الأيام ،
لأبتعد عن أضوائها وعن نواديها وسهراتها ، لأبتعد عن ثورتها
وهذياتها حزلقتها وعن رجال سياستها ، لأبتعد عن اللاهين
والماهين الفارقين فى الراحة والدعة والإحيا بين الشعب : شعب
الفلاحين والعمال ، الذين هم فى القاهرة ، وهم فى الشرقية
وفى كل شبر من أرض مصر ، هم الصابرون المكافحة المجاهدون
من أجل الحرية والكرامة .

يا أهل الشرقية وأبناء القنال : إن الساعة ليست ساعة
الحزبية أو ساعة الخلافات الداخلية ولو كان الأمر كذلك لما تركت

القاهرة بنشاطها وجئت الى مديريتكم . فما أنا بين ظهرايكم
الا مواطن يريد أن يعيش بين المواطنين الذين اعتزموا أن يعيشوا
كراما وأن يتمتعوا بحرياتهم . ما أنا الا مصرى بين مصريين لا فرق
بين فقير ولنى أو بين عمدة وغفير أو بين موظف وعامل . ما أنا
الا واحد منكم ، لا أريد منكم شيئا ولا أطلب منكم شيئا ولا أدعوكم
لشيء الا هذا الذى أجمعتم عليه جميعا وهو أننا لن نسمح للانجليز
بأن يمروا الا على جثتنا ، ولن نسمح لهم بأن يطيلوا مدة تدريسهم
لبلدنا واضطهادهم لآخواننا .

يا أهل الشرقية أبناء القتال : عدونى واحدا منكم ، عدونى
خادما لكم ، هينوا لى مكانا بين العاملين منكم .

تعيين حافظ عفيفى

وعبد الفتاح عمرو

هذا هو ختام النداء الذى نشرته جريدة مصر الفتاة الاشتراكية
بعد أن سافرت الى الشرقية وأقيمت بمدينة الزقازيق وانقضى أكثر
من أسبوع على إقامتى بها . . . ولعله من المفارقات العجيبة انه فى
الوقت الذى نشرت فيه الجريدة هذا البيان الذى يدل على رغبتى
فى التطور مع معركة الكفاح ضد الانجليز فى الشرقية . . . نشرت
الجريدة خبرا خطيرا فى الاتجاه المضاد لهذا التصرف الا وهو نيا
تعيين حافظ عفيفى رئيسا للديوان الملكى وما أدراك ما حافظ
عفيفى ! انه الرجل الذى طلع على البلاد فى صيف هذا العام بحديث
اهتز له الشعب استنكارا واحتجاجا عليهم ، فقد راح يشيد بمعاملة
١٩٣٦ ويدعو للتحالف والتعاون مع الانجليز والأمريكان ويندد
بنظام الانتخاب المباشر ويصم الشعب بالجهل . لقد كان حديثنا
يفيض بالقل والحقد ضد الشعب وضد كل الأفكار والآراء التقدمية
فيجملت عليه جريدة الاشتراكية حملة شعواء تابعتها عليه باقى

الصحف وكان مقالنا بعنوان « نهاية حافظ عفيفي » ، ولقد أسرع حافظ عفيفي بالهرب من البلاد وظل غالبا عن النظر بضعة أشهر حتى هدأت الحملة فعاد الى مصر من جديد وحاول أن يفسر حديثه السابق بما يخفف من حدته مع الاصرار على الخطوط الرئيسية فيه . فكان تعيين حافظ عفيفي في هذه الفترة العصبية من حياة البلاد مفضوح الدلالة وهي أن فاروق قد قرر أن يخون جهاد الشعب وأن يظلم الأمة من الخلف فجاء بهذا الضبح العجوز ليتحدى به ارادة الشعب في مواصلة المعركة ضد الانجليز .

لم يقف الأمر - بالملك فاروق - عند حد تعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان بل لقد شفعه فاروق بتصرف آخر لا يقل شناعة عنه الا وهو انتداب عبد الفتاح عمرو سفير مصر في انجلترا مستشارا للقصر في السياسة الخارجية . وقد كانت الحكومة المصرية سحبت عبد الفتاح عمرو من لندن كاحتجاج على الانجليز لاعتدائهم على كفر عيه فاذا بفاروق يرد على هذا السحب بتعيينه مستشارا خاصا له . وكان هذا شذوذا ما بعده شذوذ من الناحية الدستورية ، فعبد الفتاح عمرو كان لا يزال سفيرا أي مؤمسا لوزير الخارجية المصرية ومع ذلك فقد عينه فاروق مستشارا له في الشؤون الخارجية فأصبح بهذه الصفة يتكلم باسم فاروق مباشرة وأصبح رئيسا لوزير الخارجية يضرب بأرائه وأوامره عرض الحائط . وقد ابتلعت حكومة الوفد هاتين الضربتين وأعنى بهما تعيين حافظ عفيفي رئيسا للديوان الملكي بدون علمها فضلا عن موافقتها ، وتعيين عبد الفتاح عمرو مستشارا للملك . ولكن ذلك لم يكن جديدا على حكومة الوفد ومصطفى النحاس وسراج الدين فقد كانت سياستهم استقرت على قبول كل اللطعات التي يوجهها لهم القصر دون احتجاج او اعتراض بل برضاء وفرح وسرور . . . أما نحن فقد نظرنا الى هذه الخطوة من ناحية الملك بمنظارها الصحيح وهي أنها بدء الخيانة السافرة لكفاح الشعب ولذلك فقد

بادرت بالرغم من انتقالى الى الشرقية وكتبت مقالين اهتمت لهما البلاد ، اعماد للاشتراكية كل دويها وانتشارها المنقطع النظير . .
وذكرت البلاد من جديد باننا دون غيرنا من يقف للاروق بالمرصاد
كما ذكرناه هاتان المقالتان - فاروق نفسه - بأنه لن يدوق طعم
الراحة ما بقيت الاشتراكية وما بقى أحمد حسين .

أما هذان المقالان فقد كانا بعنوان « الجلاء لا الاستقلال
يا رئيس الديوان » وذلك ردا على تصريح له قال فيه : انه يريد
لمصر الاستقلال . أما المقال الثانى فيعنوان « البول لمن يقف في
وجه الطونان » . وقد ختم المقال الأول بالعبارة التالية : « ان
رئيس الديوان يذيع بيانا رسميا يسقط فيه لأول مرة كلمة الجلاء
ويستبدل بها كلمة الاستقلال ولذلك فمن حقنا ان نقول ان اول
القسيمة كثر ونحن نعظم انها كثر في اولها وكثر في وسطها وكثر
في آخرها . انه كثر لأنها تتحدى للشعب الذى بعثت حافظ
عليه الذى يئل في مصر اقبح ما ييفضه المصريون . . لتعيين
هذا الرجل انها هو لعب بالنار ولعبة خطيرة . وما نحن نحذر
للمرة الأخيرة بان هذا الشعب لن يسمح لاية قوة على ظهر الأرض
بان تتحكم فيه ولن تصادر مشيئته . . وكل من يتصور انه
قادر على الوقوف في وجه الشعب فسوف يكتسحه تيار الشعب
الفاضب ولا يلومن الا نفسه فعل نفسه جنت براقش » .

أما المقال الثانى « البول لمن يقف في وجه الطونان » فقد كان
أكثر صراحة من هذا المقال . . وكان التحدى سافرا ومفتوحا . .
وعلى اثر مصر الفتاة جاءت باقى الصحف والمجلات تنتقد تعيين
حافظ عليه ، ولكن بأسلوب أقل حدة بطبيعة الحال ، ولكن
الشعب ، وبارك الله في الشعب المصرى . . الشعب هو الذى
اتنجرت براكين غضبه في كل مكان فانطلقت مظاهرات الطلاب
تعبير عن غضب الشعب ، وراحت تهتف لأول مرة في مظاهرات

عارمة بسقوط حافظ عفيفي ، وسقوط حامي حافظ عفيفي
أو بالأحرى سقوط فاروق ، وكانت التهافت تكفي عن ذلك
بقولها « سقط عفيفي وحافظ عفيفي » أو بسقط « حافظ حافظ
عفيفي » ويقصدون بكلمة حافظ الملك فاروق باعتباره يحى حافظ
عفيفي .

وكاد فاروق يجن بطبيعة الحال للاجتراء عليه الى هذه
الدرجة ، وقد وجد في هذه المرة (ضيعا) مفترسا يشد أزره
وهو حافظ عفيفي الذي انفجر في وجه رجال الداخلية مسائلا ..
كيف لم يصرع مائة أو مائتان من الطلاب وهم يلفظون هذه
التهافتات ؟! واعتبر الحزب الاشتراكي هو مدبر المظاهرات واعتبر
أحمد حسين هو المسئول عن هذه الثورة ، ولم يكن في حاجة الى
دليل أو برهان لمقالات الاشتراكية تغني عن كل دليل وبرهان ،
حيث هاجمت الملك وحافظ عفيفي عيانا بيانا ، وفي وضوح النهار
ولذلك فإن حافظ عفيفي لم يحاول أن يخفي سخطه أو انهاله لأحمد
حسين فكان ينتهز فرصة مقابلته مع هؤلاء الذين ذهبوا
لتهنئته أو سماع لقواله التي يشتر بها ، لكن يعصب جام
غضبه على أحمد حسين ويسأل في دهشة كيف أنه لا يزال
حرا طليقا ؟! وزعم في كثير من المرات أن أحمد حسين يريد أن
يقتله ثم ذكر في خطاب رسمي أن ابراهيم شكري يحرض على
قتله ، فقد أرسل له البوليس السياسي تقريرا يتضمن هذا المعنى .
فبعث حافظ عفيفي بهذا التقرير الى والد ابراهيم شكري ، وهكذا
أصبح عداء القصر للحزب الاشتراكي والحديث عن القتل حديثا
يردد ويذاع على رؤوس الأشهاد .. ولولا أن الله سلم لسقطت
صريحا في مدينة الزقازيق حيث كنت أقيم وانتقل بين صفوف
المجاهدين . ولنتنقل الآن الى مديرية الشرقية لنشهد الفترة
السابقة مباشرة على حوادث ٢٦ من يناير .

تطور معارك الفدائيين

بازلت أفكار بوضوح وأنا أكتب هذه السطور بعد عام كامل من هذه الحوادث التي نحن بسبيلها كيف تطورت المعارك ضد الإنجليز في منطقة القنال أولاً ثم في الشرقية ثانياً .

بدأت المعركة بهذه الصورة الجماهيرية التي أخذت شكل المظاهرات العنيفة ، ثم تلتها حركة انسحاب العمال ومقاطعة الإنجليز وقطع مواردهم من التموين والبضائع ، ثم توقف تطارات المسك الحديد عن أن تنقل مهماتهم أو أفرادهم .

ثم بدأت حركة الفدائيين الفردية .. وبدأت في صورة متواضعة صورة هؤلاء الغلمان الذين يقاتلون الحراس الإنجليز ويخطفون منهم أسلحتهم وقد حاول الإنجليز والرجعيون أن يشوهوا هذه الحركة نقلوا عن هؤلاء الخاطئين أنهم من المنشائين أو أنهم من الموسوس ولو صحح هذا لكان هذا أعظم شهادة لإنشاء الشعب . فالصم والنشال لا يخطر بحياته من أجل بلاده ومن أجل حريتها فإذا ارتفع نشالوا مصر ولصوصها إلى مستوى التضحية بالحياة من أجل معركة التحرير فليس وراء ذلك مجد .

كيفما كان الأمر فسوف يسجل تاريخ الجهاد أن أول مراحل جهاد الشعب الفدائي ضد الإنجليز قد تم على يد هذا النفر الذي كان ينقض على الإنجليز في وضوح النهار ليخطف منهم أسلحتهم المعلقة على أذرعتهم . وتطورت العملية بعد ذلك فلم تعد مجرد خطف يعقبه فرار سريع بل نزع بالقوة لهذه الأسلحة تحت التهديد إذ كنت واثقاً تمام الثقة بأن هذه هي الخطوة الأولى فإن

من وصل اليهم هذا السلاح المخطوف لابد ان يستعملوه ..
وما هو الا بعض الوقت حتى تحقق ذلك فبدأ بعض الجنود الانجليز
يصرمون برصاصات طلّاع الفدائيين اول من استعمل هذا
السلاح المخطوف .

وكان الحزب الاشتراكي كما ذكرت من قبل يخص بمئات
والوف من الراغبين في التطوع وقد كنت اعلم ان عددا كبيرا جدا
من هؤلاء المتطوعين يتصور انه سينتظم في سلك العسكرية
وسيتقاضى اجرا ويتناول الطعام والشراب . ولكن الذي لاشك
فيه انه كان في صفوف هذا العدد الكبير افراد تنطوي انفسهم
على ذروة الفدائية وكان من بينهم من سبق له الكفاح في فلسطين
فعرف أساليب حرب العصابات ولذلك فقد كنا نوجه هذه
الجوع نحو منطقة القتال بغير سلاح أو عتاد تاركين الى
الحوادث انتقاء العناصر الصالحة .

وهذا هو ما حدث بالفعل فان الكثيرين ممن كانوا لا يتركون
طبيعة العملية سرعان ما عادوا الى بلادهم او الى قواعدهم
الأولى . ولكن نريفا آخر قليلا في العدد استطاع ان يغلب على
كل الصعوبات .. استطاع ان يناقلم مع البيئة فيعيش على
الطوي في بعض الأحيان وينام في إحدى الخرائب ثم يسعى بعد
ذلك لخطف سلاح من الانجليز أو سرقة ماذا ثم له ذلك جعل
من نفسه نواة عصبة وبدات ظروفه تتحسن . وعلى هذه
الوتيرة تألفت عدة عصابات في السويس وفي الاسماعيلية تألفت
من هؤلاء الذين وفدوا على دار الحزب الاشتراكي متطوعين فأرسل
بهم الى ميدان القتال بغير سلاح أو عتاد أو زاد الا المعونة الأدبية
التي يلتقونها على طول الطريق ان كانوا صادقين .. وبعض الجماعات
التي تألفت بهذه الصورة ظلت تعمل في الميدان حتى اللحظة الأخيرة
من المعركة وقامت بأعمال جليلة .

ومن هذا النفر تألفت الطبقة الثانية من الفدائيين الذين أزعجوا الإنجليز بنشاطهم .

وفي خلال هذه الفترة كان الإحساس العام في الهيئات المجاهدة قد بدأ يشعر بضرورة تنظيم عمليات الفدائيين وتوحيدهم وتدريب صفوفهم والارتفاع إلى مستواهم ، ونزل إلى الميدان عنصر جديد هو بعض الضباط الأحرار الذين كانوا يتسللون من وحداتهم ويهرون إلى ميادين العمليات بملابسهم المدنية ليقومون ببعض الأعمال التي ظلت تتطور حتى وصلت إلى درجة رائعة .

ونزل شبيب الجامعة إلى الميدان تحت قيادة الأخوان المسلمين وتطور الموقف بالنسبة للإنجليز من سيء إلى أسوأ فاضطروا للاقتدام على أعمال وحشية كهتم كثر عبده ومهاجبة محافظة الاسماعيلية مما جعل سراج الدين يأمر البوليس بالاشتباك معهم فارتفعت حرارة العمليات واتسع نطاقها وزادت ضحاياها وتكلفتها .

ومنذ اللحظة الأولى لانهاء المعاهدة كان للاشتراكيين في الزقازيق نشاط ايجابي رائع وقد تدفقت غيرهم جموع المتطوعين بين انحاء البلاد حتى وصلوا بضعة آلاف وقد عجز الاشتراكيون بطبيعة الحال عن ايوائهم او اطعامهم .

فنفرقوا وتبددت جموعهم ثم انتهى الأمر بتأليف جماعتين مسلحتين لا يتجاوز عدد أفرادهما مما عشرين متطوعا . . وكان يشرف على قيادة هاتين الجاعتين الدكتور محمود زيتون وقد نبغ من بين هاتين الجاعتين اشتراكي فدائي يسمى الدرداش سبق له الجهاد في حرب فلسطين . . وكان هو العمود الفقري لجميع الأعمال الهجومية على الإنجليز في الشرقية .

وكانت اخبار نجاحه تصل الى نقلا عن الآخرين .

وكان هذا هو الموقف عندما قررت الانتقال الى مديرية الشرقية للاقامة بها .

اتخذت من منزل الدكتور محمود زيتون في خارج مدينة الزقازيق مقرا لي وصحبي في اقلبي البكباشي جلال ندا .

وسرعان ما اكتشفت انه الى جوار جماعتنا الاشتراكية كانت توجد جماعة اخرى يشرف عليها ويوجهها البكباشي وجيه اباطة سميت للاتصال به لكي نتعاون على تنظيم العمليات . ثم وفدت جماعة تحمل اسم كتبية الجامعة .

وفي هذه الاثناء تالفت في الشرقية لجنة عاية للدفاع عن الشرقية ، راي الاباطية كعادتهم ان يسيطروا ايديهم عليها فعمدت اجتماعاتها الاولى في دار سوقى اباطة ثم انتخب وكيلها عبد الله نكرى اباطة وبدات هذه اللجنة تجمع التبرعات وتشرف على التدريبات ثم وقعت الواقعة في ٢٦ من يناير فتمطلت اعمال اللجنة وتنظيماتها بحيث يمكن القول انها لم تفعل شيئا البتة باستثناء جمع مبالغ ضخمة من البنوك لان الفرصة لم تنح لها . .

طواف في البلاد ومعارك

وقد جعلت مهني الاسلحة نور وصولي الى مدينة الزقازيق ان اطوف مدينتها وقراها لأرفع فيها الروح المعنوية . ولأبصر المواطنين بواجباتهم وان عليهم في الدرجة الاولى ان يستعدوا للكفاح ضد الانجليز بالتجهز بالسلاح والعتاد واليقظة الدائمة وبالتدريب العسكري ما استطاعوا الى ذلك سبيلا وكان الفلاحون يستقبلونني في كل مكان بالترحيب ويظهر عليهم بوضوح

تأثرهم بنوجهاتى وعزمهم وتصميمهم على العمل بها . وفى خلال هذه الجولات كنت أدرس الموقف العسكرى فاستحضرتنا الخرائط العسكرية للمنطقة . . وتناولنا جولات استكشافية لمرنة النقط التى نتألم فيها بلدنا وترانا بمسكرات الانجليز .

ثم بدأت بعض المغامرات العسكرية التى قلم بها الديراداش وجبال طولان وكان من بين هذه المغامرات مهاجمة منطقة التفتيش الانجليزية فيما يسمى الحجر ومازلت أفكر حتى الآن كيف ظلت طول ليلى أصلى وأدعو الله أن يحمى هؤلاء المجاهدين والا يعجزنى فى واحد منهم ، وعندما جئنى جلال ندا بخبرتى بأن العملية تمت بنجاح وأن الجميع قد عادوا سالمين شعرت بألماء شديد نتيجة هذا الضغط الذى عاثفته طوال الليل من الانتظار والخوف من أن يصاب أحد الفدائيين بسوء .

وقد حرصت منذ وصلت الى الشرقية على أن تذيب البلاغات رسمية عن العمليات وأن تراعى فيها الدقة الكاملة والبعد عن التهويل أو المبالغة بل وأن تذكر فيها خسائرنا بالذات إذا أصابنا خسارة ليعلم الانجليز أنهم أصبحوا يواجهون عمليات حقيقية تدار بروح عسكرية .

وكانت هذه البلاغات تطبع فى إحدى مطابع الزقازيق وتوزع على المقامى والحوائث فى كل يوم فيما الجمهور يترقبها بفارغ صبر وينتق بها . . وقد حرصنا من ناحية أخرى على ألا ننسب هذه الأعمال للاشتراكيين فقد كنت حريصا كل الحرص على توحيد أعمال الفدائيين والابتعاد عن الحزبية فأتخذنا عنوانا لهذه البلاغات « القيادة السرية للكفاح الشعبى » وقد استطعنا بهذا الأسلوب أن نقتنع الآخرين بتجردنا عن كل مطمح حزبي ولذلك فقد أذعننا تمت

هذا العنوان بعض العمليات المشتركة التي قمنا بها مع جماعة
وجبه اباطة .

ولعله من الخير أن أثبت هنا البلاغ الخاص بهاجمة نقطة
التفتيش كنموذج لهذه البلاغات التي أصدرناها عقب مختلف
العمليات .

بلاغ من القيادة

السرية للكفاح الشعبي

بلاغ رقم ٥

جبهة الشرقية في يوم ١٩٥١/١٢/٢٨

في الساعة الواحدة والدقيقة الخمسين من صباح اليوم هاجمت
قوة مكونة من اثني عشر فدائيا نقطة تفتيش الحجر (العباسية)
الانجليزية والمعتبرة نقطة أمامية للدفاع عن مصسكات التل الكبير
والحصنة تحصينا قويا لاحتوالها على مدفعين من طراز التيكروز
وسبعة مدافع برن ومدفعين من طراز الهاون ومدفعين من عيار ستة
أرطال وجهاز لاسلكي عدا مصفحتين وفصيلة من الجنود المتأزيين ،
فاقتحمنا القوة المهاجمة في شجاعة وبسالة وقذفت عليها القنابل
اليدوية فقتلت ثلاثة من الجنود على وجه التحقيق وأصابت كثيرين
بجراح لم يكن من اليسور احصاؤهم وحطمت أحد مدافع التيكروز
وأشعلت النار في بعض الخيام .

وقد خفت على أثر الانفجارات الأولى قوات كبيرة من المسكات
المجاورة لنجدة زملائهم . فاستعملت كل أسلحتها بما في ذلك
مدافع الهاون ومدافع ٦ أرطال واستعملت بالمصفحات واستمر إطلاق

النيران حتى الساعة الثانية والدقيقة ٤٠ مما ارتجت له البلاد
الجاورة كلها وكانت الاشارات الضوئية من ذات البارشوت تحيل
سواد الليل الى نهار وعلى الرغم من ذلك فقد تمكنت القوة من
الانسحاب بعد تحقيق اهدافها بدون اى خسارة فى الأرواح أو فى
الأسلحة عدا مدفع برن حالت الأوجال دون سحبه .

وتعتبر هذه العملية الليلية فى الأولى من نوعها من حيث
مهاجمتها لموقع محصن وقد قصد بها تأكيد سيادة الدولة المصرية
على أراضيها والنار لكرامة المواطنين الذين نفتهم هذه القوة وليكون
ذلك بمثابة انذار للقوات البريطانية لتكف عن التعرض للمواطنين
فى أثناء تنقلهم داخل البلاد .

سوء حالة الفدائيين :

على ان هذه العملية التى تمت بنجاح كبير سرعان ما كشفت
لى عن حقيقة موقف الفدائيين وانهم فى أسوأ حال يمكن أن يطوف
بالذهن . فان خلف هذا النجاح الذى يتحدث عنه البلاغ معجزة
الهيئة فى التى ردت هؤلاء الاثنى عشر سالمين والا فقد كان الموت
المحقق هو مصيرهم المحتوم فان الأسلحة التى كانت بأيدى الكثيرين
منهم كانت غير صالحة للاستعمال . وهذا المدفع البرن الذى
أشار البلاغ الى ضياعه لم يكن مدفعا الا بالاسم وقد حملته الفدائيون
لرفع معنوية بعضهم البعض ، وكان السبب فى نجاحهم هو وجود
ثلاث قنابل يدوية معهم استخدمت بنجاح فى الوقت المناسب
فقتلت الجنود الثلاثة وأشاعت الفوضى فى المنطقة وبعد ذلك فلم
يكن لدى هؤلاء المهاجمين سلاح يدافعون به عن أنفسهم . .
فانسحبوا تحت وابل من الرصاص والقنابل وليس سوى حياة
الله من ردتهم سالمين .

وكانت هذه القنابل الثلاث هي كل بضاعتهم ، وعينا حاولنا ان نحصل بعد ذلك على قنابل يدوية بعد ان اكتشفنا مقولها - الذريع وانها السلاح الهجومي الوحيد .

ولم تكن هذه الحالة خاصة بنا بل لقد كانت حالة الجماعات الاخرى كذلك فقد استطاع وجيه اباطة في مرة من المرات أن يستحضر بنادق جديدة وبعض مدافع البرن الجيدة على سبيل الاستعارة من احدى وحدات الجيش ولكنه لم يستطع ان يحضر قنابل يدوية فراح يسألنا عما في حوزتنا من هذه القنابل .

ولم يستطع أن يكرر استعارة هذا المدفع البرن الذي جاء به في احدى المرات فأصبحنا نحن الجماعة الوحيدة التي تملك مدفعا فكان البوليس يستنجد بنا في بعض المناسبات لنحضر هذا المدفع . . فدلني ذلك على شناعة الموقف . . فاذا كان المدفع البرن ضروريا جدا وهو سلاح فتاك في هذه المعارك واذا كانت القنبلة اليدوية ضرورية بدورها لأعمال العصابات فلماذا لا تزود الحكومة جماعات الفدائيين ببعض هذه المدافع وبعض هذه القنابل ولديها في الجيش كميات ضخمة منها وهي معطلة لا عمل لها . . بل اني علمت أن مصانع محمد سالم كانت تصنع هذه القنابل للانجليز في خلال الحرب وللجيش المصري في خلال حملة فلسطين وانها تقدمت تعرض على الحكومة أن تزودها بهذه القنابل ولكن الحكومة لم تطلب منها قنبلة واحدة . . وظل الفدائيون يناقشون بغير سلاح .

اعتبرت أنه من الاجرام أن أزج بالفدائيين في اي معركة بعد ذلك دون أن تكون لديهم أسلحة حقيقية وليس مجرد صور واشباح فعلمت الى القاهرة وجمعتا مائتي جنيه لشترى بها بعض البنادق ومدافع البرن وكان ثمن البندقية حوالي عشرين جنيتها والمدفع ثلاثين جنيتها . . وقادونا الى المقابر للحصول على هذه الأسلحة

فاشترينا ثلاث بنادق ومدفعين ولم تكن لي خبرة بالسلاح ولكن كان معي من يدعي الخبرة بالسلاح وكان من يبيعون لنا يقسمون بالطلاق أنهم يقدمون مسئوليتهم وأنهم يساهمون في معركة التحرير بتقديم هذا السلاح الجيد الرخيص ٠٠ ولما كنا في لهفة على هذه الأسلحة فقد اسرعنا بها الى الزقازيق ٠٠ ولم أكد اصل حتى قيل لنا ان الانجليز يضربون النيل الكبير وهم في حاجة الى النجدة فرأيت قبل أن تستخدم هذه الأسلحة الجديدة ان تجربها ٠٠ وكان أحد النواب الوفديين قد قدم للحزب في إحدى المناسبات كمية من الرصاص فرحنا تجربته فاذا به رصاص لا ينطلق بعضه ٠٠ وبعضه ينطلق ولكن يهشم البندقية ٠٠ وسرعان ما اكتشفنا ان استعمال هذه الأسلحة اخطر على حاملها من الأعداء وهكذا ضاع الجهد والمال والوقت وصدمنا في عواطفنا هذه الصدمة القوية فهؤلاء الذين باعونا هذه الأسلحة ليسوا سوى مجرمين عتاة سخروا منا واستغلوا جهل بأنواع السلاح واضطرونا من جديد لأن نخف الى ميدان المعركة بالأسلحة التي كانت عندنا والتي لا تفنى شيئا الا ان يستر الله ويحقق معجزاته ففي كل مرة لانعرف اذا كانت البندقية ستنتقل أم لا وفي كل مرة لانعرف اذا كان مدفع البرن الذي نملكه سيلبى الرجاء ويطلق الرصاص أم لا يطلقه ١٢ .

ولعله من الطريف ان اذكر هنا ان قطعة السلاح الوحيدة الممتازة التي كانت الجماعة تشيد بها هي بندقية سريعة الطلقات من نوع (الاستن) وهي من هذه الأسلحة التي خلقت من الانجليز في بادىء المعركة ووصلت اليها ٠ كان كل فرد في الجماعة يتنافس على أن يكون هو حامل هذه القطعة ٠٠ لأنها كانت قطعة السلاح الوحيدة التي يمكن أن يعتمد عليها حاملها ٠

ومرة أخرى لم تكن هذه الحالة التي أصلها من حيث ندرة السلاح الجيد واستعمال أسلحة فاسدة هي حالة خاصة بنا بل كانت حالة كل من في الميدان .. فقد كان كل فدائي يشكو .. من أنه لا يجد السلاح فإن وجده فسلح فاسد أو ناقص .. بل لقد كان الفدائيون يشكون من أنهم لا يجدون الطعام في كثير من الأحيان .

ومع ذلك فقد كان الشبان يقامرون بسلاح فاسد وبغير سلاح فكانوا يتساقطون ويتهاوون كأنهم فراشات تحترق بالنار .. ومن ذلك هذه الضربة التي نزلت بكتيبة الجامعة عندما سقط من خيرة أبنائها النيسى وشاهين وعباس الأعرس وغيرهم إلى تسام التسعة الشهداء التي يجب أن تعتبر ذروة البذل والتضحية .

معركة التل الكبير

تم بدأ ما ينبغي أن يسمى بمعركة التل الكبير التي خسرها في الانجليز على يد حفنة من الشبان أضعاف أضعاف ما خسروه في معركة التل الكبير التي واجهوا فيها جيش مصر أيام عرابي .. ففي هذه المعركة لم يخسروا سوى جنديين أو ثلاثة ، أما هذه المرة فقد خسروا عشرات وعشرات ، بل بدأ الانجليز ينزعجون من نشاط الفدائيين .. وتعرضهم لقطارهم الحربي الذي يصل ما بين الاسماعيلية والتل الكبير فقرروا أن يحتلوا هذه البلدة التي يتخذها الفدائيون مركزا لنشاطهم فوجهوا الانذارات لرجال البوليس ، ثم أصلوها نارا حامية فخرج منها سكانها يهيمون على وجوههم وهم يفرّون مذعورين وينشرون جيشا ساروا وأنى اتجهوا الرعب والغزع من أن يكون مصير باقي البلدان وسكانها كمصيرهم . وعندما وصلت اليها هذه الأخبار وقيل لنا ان وجهه أباطة محاصر وان الجميع يجب أن يخلوا لتجدته فركبنا السيارات محملين

يكل ما لدينا من أسلحة وأسرعنا في الطريق لانعرف ماذا تفعل .
ولكننا كنا نتطلق لنتفلس عن مشاعرنا ولنتفلس أنفسنا أننا نؤدي
الواجب . وسرعان ما قابلنا وجهه أباطة في الطريق وتبين أن الأمر
كان إشاعة ولكنه طلب منا أن نتوجه الى مركز بوليس أبو حماد
وإن ننظره ريشا يحضر رجاله . . فقصدها الى مركز البوليس
فوجدنا هذا اللواء المسمى عبد الرؤوف الذي استسلم هو وقواته
بعد يومين من هذه المقاتلة ورأينا في حجرته الأستاذ حسين فهمي .
وكنت أسمع عن دوره في تنظيم الكفاح ولكني كنت أراه لأول مرة
في هذه المناسبة وعلينا في هذه الفترة أن الانجليز يهاجمون الثل
الكبير وأن البوليس صاعد لهم وإن المأمور والمعاون وغريق من
المساكر يقاومون . . وبعد قليل وصل المأمور وهو غارق في الوحل
وكذلك بقية من معه فلم أتمالك نفسي من أن أعانق الجميع لهذا
المظهر الرائع فلقد أدى القوم رسالتهم على أحسن وجه ولم يفروا
كالجرذان وعندما ولقت وسط الجنود العائدين من المعركة وعليهم
أحوال المعركة وآثارها وقد اشتعلت أعينهم تحت حرارة الكفاح
لم أتمالك نفسي من أن أعانق الجميع وأن أحس احساسا عميقا
بأن روحا جديدة قد دبت في أوصال البلاد .

وجلسنا بعد تناول الغذاء ندرس ما الذي نستطيع عمله
وسرعان ما اكتشفت أن الرجال الذين كانوا يحيطون بوجهه أباطة
قد تفرقوا وأنه لم يستطع أن يحشد رجالا غير رجالنا . . بل فهمت
أن بعض الأسلحة الجيدة التي أعطيت لهم وسبق لهم أن وزعوها
على بعض الأفراد قد تبدت . وأن العلية التي تطوف برؤوسهم
ليس هناك من يقوم بها غيرنا . وقد أظهرت استعدادي لأن يساهم
مجاهدونا في كل ما يطلب منهم على شريطة أن يتسلموا أسلحة
جيدة . . وقد أجبته الى طلبتي وسرعان ما رأيت لأول مرة كيف
تكون البندقية الجديدة وما خصائصها . وقد فهمت فيما بعد أن
هذه البنادق التي أعطيت لمجاهدينا لاستعمالها في هذه المعركة هي

جزء من خمسين بندقية كان سراج الدين قد سلمها لحسين فهني
وكانت هذه هي المعونة الوحيدة التي قدمها الوزير لمركبة التحرير
حتى ذلك الوقت . وكان هناك حديث عن قرب وصول مدافع برن
ومدافع هاون وأن الأسلحة سوف تتدفق . ولكن هذا الوعد
لم يقدر له أن يشهد النور . وضعت جماعتنا وعلى رأسهم المرشدان
وبصحبتهم بعض رجال حسين فهني من الفلاحين ليهاجموا مولعا
انجليزيا في الليل .

ولكن حراسة الانجليز كانت قوية فلم يستطيعوا عمل شيء
. وكان على أن يعود الى الزقازيق فقد كان سيحتفل في اليوم
التالي بجنائز الشهداء التسعة الذين أشرت اليهم . وكان شاهين
والمسيحي قد نقل جثمانهما للاحتفال بهما في القاهرة وباقي الشهداء
وبعضهم ليس من الجامعة تقرر الاحتفال به في الزقازيق .

وكانت الزقازيق تشهد من يوم لآخر جنازات هؤلاء الشهداء
فبدأت أسئلة بيني وبين نفسي عما إذا كان هذا المظهر يزكي
الشعور القومي أم يضعفه والجنازات تشيخ في كل يوم على هذا
النطاق الواسع .

على أن هذه الجنازة الكبرى كانت أعظم ما شهدته الزقازيق
وما يمكن أن نشهده الى وقت بعيد ، وعندما سارت النعوش مجللة
بالأعلام الخضراء كانت عشرات الألوف تزرف الدموع أما أنا فقد
كنت أشعر بالغيظ والقهر والكمد أن يحرق الانجليز أكبادنا بقتل
هذا العدد من الشهداء الذي قيل لنا أن الكلاب قد مثلت بجثث
بعضهم . فصعدت من أعماق قلبي صيحة الى الله أن ينتقم وأن
يتأثر لهذا الدم الزكي الطاهر ، ولقد حرت في حياتي قبل ذلك وبعد
ذلك لحظات عجيبة أتمنى فيها الشيء بقوة فلا أثبت أن أراء محققا
ولعل ما حدث في اليوم هو صورة من أنصح صور هذا الاحساس

العجيب . ففي ذات اللحظة التي كان الفيظ يكاد يمزق قلبي . .
 في ذات اللحظة التي كنت أدعو الله أن ينتقم . . ربما كانت جماعتنا
 تمك بهذا العدد الضخم من الانجليز كما - علمنا فيما بعد - فلم
 تكه الجنانة تفرغ حتى قيل لنا ان جماعتنا التي ذهبت بالأس
 لم ترجع وان أخبارها انقطعت وربما تكون قد قتلت أو وقعت في
 أسر الانجليز وعندهما كان يطرق آذاننا خبر كهذا الخبر يصيبنا
 الفزع ولا يكون له الا رد فعل واحد وهو أن نمتطي السيارة ونسرع
 الى المكان الذي وقع فيه الخطر وبعد ان تنطلق السيارة كنت
 اسائل نفسي ما هذا الذي أفعله وما جدواه وما الذي أستطيع أن
 أقوم به ؟ ! ولكنني كنت أهديء نفسي بأنني أسعى خلف الأخبار
 ولا يمكن معالجة أي أمر الا اذا وقفنا على الأخبار الصحيحة أولا .

ومن ناحية اخرى فان اسراعي الى منطقة الخطر فيه شيء من
 التنفيس لما يعانيه الانسان من شعور بالمشولية . وانطلقت
 السيارة متجهة نحو أبو حماد في الطريق الى التل الكبير وكان وجهي
 مستقما والخوف يمتلكني من أن تكون الجماعة قد أصيبت بسوء
 . . وكان كل متر تخطوه السيارة الى الامام يزيد في توتر الأعصاب
 خوفا من صياح الثبا . . وفجأة وجدنا في الاتجاه المضاد سيارة
 أضرار من فيها اليئا فوقفنا ولم تكه السيارة تقف حتى سمعنا منها
 اصواتا تكلمنا . . فنزلت من السيارة واقتربت منها لاستجلاء الخبر
 فاذا بي أتلقى نيا من أسعد الأنبا، التي تلقيتها في حياتي . . كان
 في السيارة فدائي صغير مصاب بجرح سطحي وكان يتكلم ويريد
 ان يقول كل شيء في كلمة واحدة : لقد قتلنا عشرة من الانجليز
 واخذنا أسلحتهم . . والجميع بخير ولم نصب بسوء . . ولقد
 جرحت جرحا صغيرا سطحيًا ، وأسرعت الى السجود شكرا لله فقد
 كان هذا النبا يحل الى عدة بلدات ، فهو يخرجني من حالة
 الفزع خوفا على الجماعة . . وهو يبشرنا بقتل عدد ضخم من
 الانجليز والاستيلاء على أسلحتهم . . وهو في ذات الوقت يدل عل

ان الله قد استجاب لدعائى فانتقم لهؤلاء الشهداء الذين كنا نحفظ
بجنازتهم منذ قليل .

واستأنفت مسيرة المجاهد طريقها نحو الزقازيق ليدخل
المستشفى . بينما واصلنا الطريق لنقابل المنتصرين .

وقابلناهم عند العباسية ولكن الدمرداش لم يكن فيهم وقيل لنا
انه سالم ولا به سيصل . وعلى قارعة الطريق جلسنا لنسمع انباء
المركة . كانت الجماعة قد عدلت في الليل عن القيام بأى نشاط .
وعند الصباح بينما كانت تتناول طعام الفطور اذا ببعض الانجليز
يقتربون من موضع الجماعة وهم لا يحسون بأى خطر وكان ذلك
صبيدا تمينا وأسرع أحد الفدائيين - وكان يجيد استعمال
البرن - الى استعماله فاذا بالجميع يسقطون على الأرض من حول
المفاجأة وراحت الجماعة تطلق عليهم الرصاص دون أن يجابوا
عليه . ثم أوفدت الجماعة واحدا لمعرفة ما أصابهم فاذا به يجدهم
وقد ماتوا عن بكرة أبيهم ووجد فيهم ضابطا قد صوب مسدسه
اليه فأرداه قتيلًا بيندقيته ثم انزع منه المسدس وفتش ملابسه
فاخذ مفكرته التي كانت في جيبه وبعض أدوات التزين التي كان
يحملها وعندما هم بتجريد باقى القتل ولحقه باقى زملائه اذا برتل
من الدبابات الانجليزية يقترب وكان معنى ذلك سحق الجماعة وهنا
تجلت روعة الدمرداش وعظمته فقد ظل كامنا حتى اقتربت الدبابات
وأصبحت على بعد أمتار قليلة فقفز بقنبلة يدوية كانت معه على
الصفحة الأولى فوقفت باقى المصفحات لتستجلى الخير ونرى
ظل هذا الارتباك للمفاجأة انسحب المجاهدون وهكذا عادوا
سالمين جميعا من أعظم مخاطرة وان كنا قد فقدنا مدفع البرن
الذى استعملته الجماعة في كل محاولاتها حتى الآن وعندما جاء
الدمرداش أخيرا وتحققت من سلامته لم يكن هناك حد
لفرحنا وسعادتنا وسرعان ما أحسنا بغضب الانجليز لهذه

الكارثة فرأينا الطائرات تجوم فوقنا في غضب ونحن على قارعة الطريق فتبهننا للخطر وامتنطينا السيارة وأسرعنا بالابتعاد عن المكان بكل سرعة ونحن نمسك بقلوبنا خوفا من أن تسقط علينا قنبلة في أية لحظة .

وكانت الأنباء قد سبقتنا الى الزقازيق .. فدخلناها دخول الظافر المنتصر .. ولم أسالك شعوري من أن أطوف بأنحاء المدينة فوق السيارة لأزف للناس بشرى الانتقام لهم وأن الله قد مكثنا من الأخذ بالتأثر للشهداء قبل أن توارى أجسادهم بالتراب .. وعندما كنت ألوح لهم بمسدس الكابتن الانجليزي الذي انتزع منه كانت الجماهير تضح بالهتاف والتهليل والتكبير .. ثم رأيت ان أعهد بهذه الصلوة لجمال طولان فجاب المجاهدون بهذا النبا أنحاء الزقازيق فتحولت الأحزان الى أفراح .. ولكن الحوادث كانت تتوالى بسرعة هجينة ووصلت المعركة الى ذروتها بحيث ان كل ساعة كانت تحمل نبا جديدا .

أحمد عصمت

في نفس اللحظة التي كانت تجري فيها هذه المعركة .. كان بطل مجاهد آخر وهو أحمد عصمت يقوم بعملية تشبه عمليات اليابانيين عندما يقومون بعمليات انتحارية من أجل وطنهم ، فان هذا الفدائي بكل ما تحمله هذه الكلية من معنى آل على نفسه أن يقتل بعض الانجليز وأن يدفع حياته ثمنا لذلك ، فركب أحمد الأتوبيسات المارة على نقطة تفتيش الانجليز في منطقة الحجر التي اشترت اليها فيما سبق وعندما جاءه الجندي المختص بالتفتيش أسرع فأرداه قتيلا ثم قتل غيره قبل أن يشبه الانجليز وكان يمكن لأحمد عصمت أن يهرب أو يفر ولكنسه أدرك أن باقي المصريين

سيذهبون نحن ذلك فأنتصر أن يظل واقفاً في مكانه يفرغ رصاص
مستصه ، حتى تمكن الإنجليز منه فأردوه قتيلاً .

وكان حدث هذا البطل الجديد أسطورة خيالية الهبت اعصابنا
وزادت في حماسنا .

ذلك مدينة التل الكبير

وجن جنون الانجليز وأدركوا أنهم أصبحوا يواجهون حالة
عصبية يجب أن يضعوا لها حداً بأسرع وقت باستخدام أسب
الوسائل الوحشية ولذلك فقد أسرعت مدافعهم الثقيلة لتتصف
ما بقي من بلدة التل الكبير وما يسمى بلدة حمادة المناخنة لها .

وبينما كانت المدافع تتصف البلدة في الليل كان الراديو
يذيع من القاهرة إحدى مسرحيات نجيب الريحاني وجمهور
الحاضرين يضحون بالضحك فكان هذا الموقف أشبه نكابة على
المنكوبين من أهل الشرقية من مدافع الانجليز نفسها وأدركت مدى
جريمة حكام القاهرة الذين يدعون الحياة في مصر تسير في طريقها
العادي بينما يسيطر الخراب في الشرقية وتتفزع الأرض بفناء
الشهداء .

وعدت في هذه الليلة إلى القاهرة لأشترك في جنازة
أحمد عصمت ولأطلع اخواننا وزملائنا في القاهرة على أسلاب هذه
المعركة الأخيرة وعلى رأسها سيدس الضابط وأوراقه وأذرات
زينتسه .

ونشرت ، آخر لحظة ، تفاصيل هذه المعركة وقد حرصت
كالعادة على ألا يظهر فيها اسم الاشتراكيين فضلاً عن اسمي أو اسم
أي واحد من الغدائيين . . ونشرت القصة والصور بما لا يشعر
الناس بدورنا في الموضوع .

وبينما كنا نسير في جنازة أحمد عيسى وصلت إلينا أنباء احتلال الانجليز لبلدة التل الكبير ووقوع ثلثمائة عسكري يوليى وعي راسهم شابطوم الكبير اللواء عبد الرؤوف في الأسر .

فانخلع قلبي لهذا الخبر فقد رأيت هذه القوة وهي تحصد أمامي بالدليل لتسافر إلى التل الكبير .. وقد وقفت أشهد صناديق الذخيرة وهي توضع في السيارات المكتظة بالجنود الذين كانوا ينطلقون بعد ذلك وسط هتاف اخوانه .

وإذن فقد سقط هؤلاء في الأسر وضاعت هذه الذخائر وهذه الأسلحة التي لو أعطى بعض منها للفدائيين لفساموا بالعجب العجائب .

وبدأت السى التخطيط الشديد الذى تعانىه والارتباك الذى ألمرت الحكومة فيه البلاد ، فنحن في حالة حرب ولا حرب .. نحارب بمسافر البوليس ونباعد بين عساكر الجيش وبين الحرب . فبم اذن كان هذا الجيش ولاى شيء أهد اذا لم يكن للدفاع عن البلاد في هذا الطرف العصيب على أي صورة من الصور ؟! لقد بدأت أتصور أنه ليس جيش مصر ولا جيش الوطن أو الشعب .. أنه جيش فاروق .. ولا دور له إلا حماية فاروق .. وكان الانجليز يتنون على هذا الجيش فى تصريحاتهم ويزعمون أنه حليف لهم ولم يكن هناك فى الجيش من يحاول أن يدحض هذه التهمة الشائنة إلا هؤلاء الضباط القلائل الأحرار الذين كانوا يتسملون كما قدمت إلى منطقة السويس وتحت اسم كتبية الشهيد أحمد عبد العزيز وقاموا بأعمال رائجة .. وهذا الثغر الآخر الذى كان يتصل بنا ويحاول أن يقدم لنا بعض الخدمات والمونة .. فيما خلا هذا العدد

المحدود من الضباط البواسل فقد وقفت كتلة الجيش تشبه هذا الصراع بين الشعب الأعزل وبين قوات البوليس غير المدربة وبين الانجليز الغاشمين وكان التناقض يبدو كذلك في هذه الصورة الدامية التي تعيش فيها منطقتا القتال والشرقية ٠٠ بينما القاهرة تعيش كما لو كان هذا الذي يجري في الشرقية انما يقع في كوربا التي تبعد اكثر من عشرة آلاف ميل عنا ٠٠ فاللهي على اشدها والاذاعات المأجبة تصابح الناس وتماسيهم والكبار والاعتياء لم يكفوا لحظة واحدة عن ممارسة مجونهم وسخافاتهم وتبدلاتهم ٠ وكان رجال ممن يتصلون بالحكومة ومن صميم حزبها يتاجرون مع الانجليز جهارا نهارا ٠٠ بل ان وزير الداخلية الذي قتل الانجليز رجاله وتكبوا عصر وأسألوا دعاءها وحفظوا مدنها - يختار هذا الوقت بالذات لزفاف ابنته علي ابن عبد العزيز اليدراوي ثم يسافر العروسان لقضاء شهر العسل في انجلترا مصحوبين بحاشية ضخمة من الخدم والحشم ، علي ان الذي كان يروعي في الدرجة الاولى هو سوء حالة الفدائيين من حيث السلاح وانهم يتعرضون للخطر والموت والحكومة أصبحت تعيش على تضحياتهم دون ان تقدم لهم أي لون من الوان المعونة - وبدأ الشك يداخل في ان من بيدهم الامر ابتداء من الملك فاروق حتى سراج الدين يسعدهم كل السعادة ان يفنى هؤلاء الفدائيون ، وان يبطش الانجليز بهم لتتخلص البلاد - او بالأحرى ليتخلص فاروق - منهم *

فتنة السويس

وبينما كانت الحوادث تتوالى في مديرية الشرقية وقع حادث رهيب في مدينة السويس كاد يكون الشرارة التي تندلع منها نيران الفتنة بين المسلمين والأقباط فقد حرقت كنيسة في مدينة السويس وحرق بها بعض الأقباط ومثل بحثهم دون أن تتدخل قوات البوليس لمنع وقوع الحادث أو للقبض على المسؤولين عنه بعد

وقوعه . وقد أدركت أن هذا الحادث سيؤدي إلى تصدع كبير في
جبهة الوحدة المصرية لما راغني إلا أن أرى التفاعس من جانب
الحكومة في معالجة الموضوع مع أن الأقباط لم يدخروا وسعاً في
ذلك الوقت في التعبير عن سخطهم واستنكارهم . . حتى لقد رفض
امطران الشرقية أن يقابلني واعتذر بأكثر من حجة لولا أنني ذهبت
إليه على حين غرة ومكثت معه طويلاً حتى أهدى بعض ما في نفسه
ولو في الظاهر . ثم أسرعت إلى مصر وقابلت من استطعت إلى ذلك
سبيلاً في دار البطريركية . . وهكذا كانت الأمور قد بدأت ترتبك
. . ويتجلى التخطيط في سياسة الحكومة التي كان من الواضح أنها
تريد أن ترضى الشعب بالمضي في الكفاح من ناحية . ثم تخشى
على نفسها من الملك وعلى مصالح الطبقات التي تتألف منها فتتخذ
إجراءات ضد الشعب . . وإجراءات في الاتجاه المضاد للكفاح .
وكان هذا التراجع وهذا التناقض نذير كوارث . فليس أخطر من
السياسة المذبذبة .

ورأيت أن أبعث بخطاب لأرسكين أندرو فيه بماقبة طيشه
وايقاره صدور المصريين إلى هذا الحد بتعذيب الشهداء ورمي جثثهم
إلى الكلاب وهدم بلدة الثل الكبير واحتلالها . ورأيت أن يأخذ
الانذار طابعا عسكريا ليتسم بالشجاعة والجرأة التي اتصف بها
فدائيو الاشتراكيين وليكون أبلغ في التأثير سواء في معنوية
الانجليز أم في رفع حماسة المصريين .

ففكرت أن يحمل الانذار مجاهد مصري وأن يتقدم إلى خطوط
الانجليز حاملا علما أبيض طبقا للنظام المتبع بين الجيوش .

وأعدت الخطاب وهو مكتوب بالعربية وعنوانه : من عبد الله
أحمد حسين إلى أرسكين قائد القوات الانجليزية . واستغرقت في
الخطاب تاريخ العلاقات المصرية الانجليزية . وأن انجلترا بدأت

بالاعتداء على مصر وأن استمرار وجود جنودها في مصر هو استمرار لهذا العدوان ، وأن مصر اذا قامت اليوم تعمل على اجلاء الجيوش البريطانية عن ارضها فهي تقوم بعمل مشروع فكيف يسمح الانجليز لانفسهم ان يعاملوا الفدائيين الذين يقعون في ايديهم معاملة وحشية ليعذبوهم ثم يقتلوهم ؟ وكيف يسمح الانجليز لانفسهم ان يحاربوا المدنيين فيخربوا بيوتهم ويدكروا قراهم وذلك في الوقت الذي لا يزال فيه المصريون يعاملون المدنيين الانجليز بكل انسانية وبكل الكرام ففي مصر يعيش ثلاثون الف انجليز في رعاية الحكومة المصرية والشعب المصري .

وحذرت ارسكين اذا هو ايتبير على ابيالبيه الفاشية بان غضب الشعب المصري سينفجر ولا يعلم سوى الله مدى الكوارث التي تقع نتيجة ذلك وأن توسيع نطاق الحركة والكوارث التي ستحدث انما يقع وزرها على رأس الانجليز الذين يابون أي يسموا صوت القفل .

ومازلت اذكر حتى الآن كيف حبلينا الجمعة في مسجد السيدة زينب ثم خطبت بعد الصلاة شارحا حالة الفدائيين وسوء حالتهم وما يعانونه من نقص في النخائر والاسلحة وكيف بدأ الانجليز يضغطون علينا . وبعد الخطبة وكنا مسواة ابراهيم شكري وقصدنا الى مقر قيادتنا في الزقازيق فوصلنا في ساعة متأخرة قبيل الغروب وأردنا أن نؤجل ارسال الخطاب ، ولكن ضايا تقديم واعلن ابراهيم على أن يحمل الخطاب فوراً فاستقرنا الله ثم قلنا له مير علي بركة الله وأعطاه ابراهيم شكري مندبه ليكون بمثابة الراية وأعطى خيزرانة صغيرة ليرفع عليها المندبل . ثم كان في صحبته بعض الفدائيين فركبوا عربة جيب وسأروا به الى قبيل نقطة التفتيش ، فانزلوه من العربة وبدأ يتقدم صوب الخطوط الانجليزية التي كان الاقتراب منها ممنوعا بعد الغروب . . وظللنا

نتظر عودة الجماعة فهاجوا على ساعة متأخرة من الليل وليس معهم المجاهد ، فسألناهم عنه فقالوا لقد أنزلناهم على بعد نصف كيلو من النقطة الانجليزية فراح يقترب منها حاملا علمه الأبيض وظلنا ننظر اليه حتى اختفى عن أبصارنا وظلنا نتظر فلم نسمع أى حركة أو صوت ولم يرجع لنا فرائنا أن نعود أدراجنا .

وكان علينا وقد أرسلت الرسالة أن نوزعها على الصحف وأن نشرح خطتنا ولماذا اخترنا هذا الأسلوب لتوصيل الرسالة فعدنا إلى القاهرة وقصدنا جريدة الأهرام لننشر الخبر بطريقة تساعد على حماية الشاب من أن يتعرض لأي إيذاء وعندما اتصلنا من جديد بالزقازيق وسألنا إذا كانت هناك معلومات عن الشاب فقبل لنا أنهم لم يتلقوا أى معلومات فبدأ القلق يساورني بشدة . وعندما عدت إلى منزلي استقبلتني زوجتي بانتقاد مسلكي والطريقة التي اخترتها لتوصيل الرسالة وأني قد عرضت حياة شاب للخطر وكان يقنى عن ذلك كله إرسال الخطاب في البريد . ثم استعملت كلمة كان وفيها شديدا على نفسي لأنها كانت تطابق الواقع إذ قالت ما هذا أنت عامل ، تياترو ، ١٩ .

ولم يكن هناك جدال أن الحركة كانت حركة مسرحية قصد بها خلق تأثير للدعاية . ولا بأس في حركات الكفاح أن تستخدم المؤثرات من هذا السبيل ولكن إذا كلفتنا حياة مجاهد فانه يكون ثمنا باعظا وأكون مسئولا أمام الله عن دم هذا الشاب مسئولية لا أستطيع الفكك منها . . فهاكذا جالس في بيتي مع زوجتي ثم أرسل شابا ليقتل بين براثن الانجليز .

وأصابني الفزع من أن يحدث ذلك بالفعل فبدأت اتصل بالهاتفون مع الزقازيق ولم يكن هناك خير جديد فطلبت من (تونك) الزقازيق أن يصلني برئيس الجمعية التعاونية في

الإسماعيلية فابقظه من النوم فحدثته بالخبر وطلبت منه أن يتصل بالبوليس المصرى ليتصل بالانجليز ويسأل عن الشاب ومصره وسرعان ما عقدنا مؤتمرا تليفونيا فكان هناك أشخاص فى الرقازيق وفى الإسماعيلية وفى مصر ، الجميع يتدارسون معى هذه المشكلة ، وقد هدأ نفسى أحد ضباط البوليس فى الإسماعيلية وأن الشاب لن يسه أى خطر واننا يجب أن نتنظر الى الصباح .

وظللت طول الليل ساهراً وقد تعبت اعصابى وانهدارت معنوياتى كلما تصورت أن يموت هذا الشاب .

لا أصلح للقتال

وفى وسط هذه الحالة السيئة التى غرقت فيها ، قلت لنفسى اننى لا أصلح لأن أكون قائدا عسكريا .. فبعد أن فرحت لقتل الانجليز تاراً للشهداء المصريين بدأت أشعر باشفاق شديد على هذا الكاتب الانجليزى الذى قتلوه عنسما رحمت ألقاب فى مفكرته الجيبية . وقد أثبت فى هذه المفكرة عيد ميلاد زوجته وعيد ميلاد والده وعيد ميلاد أمه وتاريخ زواجه .. كان مجرد استعراضى لهذه التواريخ كافيا لكى يشمرنى بالحزن للمصير الذى انتهى اليه .. ورحمت أتصور كيف سيبيكته الآن أمه وأبوه وزوجته وفكرت أن أبعث اليهم بمفكرته ومخلفاته وأن أقول لهم اننا نحن المصريين شديدو الحزن لقتل أولادهم ولكن المسئول عن موتهم هو تشرشل وهم جماعة الاستعماريين الذين أرسلوا بهم الى بلادنا لكى يقتلونا ويسلبونا حريتنا ، فأصبحنا مضطرين لأن ندافع عن الشعب بقتلهم .

وراح يلح على هذا الخاطر وتنجسم فى نفسى - ولم تكن هذه أول مرة تنجسم فى نفسى - فكرة استماعة أن يكون على

« يدى » موت أى انسان . . فمن قبل تطوعت فى حرب فلسطين
وكننت فى طبيعة من دخلوا الى فلسطين وكان قائدا هو اديب
الشيشيكلى - رئيس سوريا الآن - . . وبعد قليل اكتشفت
فى اعماق نفسى اننى مستعد لان اموت فى بسر وسهولة ولكن
الذى لا اتصوره ان ارى نفسى مضطرا لان اقتتل انسانا وان
طبيعتى لا يلائها ذلك . ولذلك فقد انسحبت . . وعندما دخلت
فلسطين بعد ذلك مرتين دخلتها وانا غير مدجج بالسلاح وكننت
اشعر اننى اكثر قوة وانا اهزل من كل سلاح مما لو كنت مسلحا
بالفعل .

هذا هو الشعور الذى عاودنى ابان اقامتى فى الشرقية وقد
بدأت احرض المجاهدين واوراهم وهم ذاهبون ليقتلوا والفرح واظرب
عندما يقولون لى انهم قتلوا . . لم يلبث ان توالت نفسى الشعور
القديم الذى احسسته فى فلسطين وهو اننى اؤثر ان اموت انا
من ان اصدر امرا يقتل انسان . وقد يكون ذلك ضعفا فى
نفسى لا يتفق مع قائد حركة . . ولكنها حقيقة يجب ان اعترف
بها . . والآن عندما حدثت حادث هذا الشناب وبدأت المخاوف
تسارونى ان يكون قد مات . . وكان مبعث الخوف ان يكون قد
قتل قبل ان يصل الى الانجليز . كان يكونوا خائفوا منه وهو
يتقدم فى الظلام . . او ظنوا ان المسلم الأبيض هو خدعة وانه
فدائى يريد ان يقترب منهم لكن يقذف بقنبلة قفصلوا ان يقتلوه
قبل ان يقتلهم . كان هذا هو مصدر مخاوفى وهو اجسى .
اما لو وصل اليهم سالما فلم اكن اشك انهم لا يقتلونه لان مثل
هذا القتل يكون جريمة يهتز لها العالم بأكمله فمنذ بدء الخليقة
والرسول يحترم . . حتى بين الكنوحشين .

ومع ذلك فقد ظلت المخاوف تتعاظم فى نفسى فيرتجف جسدى
لهول المسئولية وبدأت حرارتى ترتفع وبدأت اشعر بالمرض يدب

الى نفسى .. وسرعان ما قطعت باننى لا أصلح لهذا النوع من الحياة العسكرية التى تستلزم قتل الأعداء واحتمال خسر موت الأضرار . وقد كان لهذا الحالة التى امت بى بسبب تأخر هذا الشاب تأثير ليمما تولد فى نفسى بعد ذلك من خواطر أدت الى السحابى من الميدان .

ومن الصباح جاءت الأنباء أن الشاب قد عاد سليما معاف فحمدت الله عز وجل أن جنبني هذا الألم الشديد والياس القاتل فيما لو كان هذا الشاب قد قتل .

اعادة مصر الفتاة ومصادرتها

وعند هذا الحد أدركت أننى لن أستطيع أن أكون ذا جدوى فى ميدان القتال وأن ميدانى الحقيقى الذى أستطيع أن أخدم به المعركة هو الصحافة ويجب أن يؤدى كل انسان دوره الذى يحذقه أكثر من غيره . فللحرب اقوام وللقلم اقوام .. واننى قد أخفت نصيبي من المخاطر وهانذا تحدثت الانجليز حتى درجة الاثذار فلو كان هناك انسان اول مهدد بالقتل فى مصر على يد الانجليز فسوف أكون هذا الانسان .. فيجب أن يطمن ضميرى الى أننى شريك فى مخاطر المجاهدين وأن على أن أعود اصدار الجريدة بعد أن اتضح لى خطوط المعركة وبعد أن ظهرت لى الحقائق وأصبح من الجلى أن الحركة الوطنية ستطعن من الخلف فقد كان حافظ عطفى يضاعف نشاطه يوما بعد يوم وساعة بعد أخرى .. وكان عبد الفتاح عمرو يتفاوض الانجليز من وراء ظهر الحكومة .. وكان سراج الدين لا يزال عند موقفه المائم بالنسبة للمجاهدين .. كل ذلك جعلنى أعتزم اصدار الجريدة التى كنا قد اوقفناها احتجاجيا على توالى المصادرات التى عادت على أشدها بعد هجومنا على حافظ عطفى وتعيينه .

فوجدتنا بظن المال لتبوء الورق اللازم ، وحيث في أعداد
الجريدة إلا تتضمن هجوما على الملك أو على الحكومة بطريقة
شديدة وذلك لتفادي مصادرتها وكان أهم ما يحتويه العدد هو
نفس الأنداز الذي بحث به الي أرسكين

وبعضنا كنا نطمح الجريدة حوصنا على أن نتصل برجال
وزارة الداخلية لكي يوفدوا من لديهم من يطلع على العدد ويرى
إذا كان به ما لا يوافقون على نشره . ولكنهم راحوا يراوغوننا
حتى فرغنا من طبع العدد ثم جاءوا لمصادرتها فكان ذلك هو
الدليل على أن القوم لا يريدون لنا أي مظهر من الحياة أو النشاط
أو الحرية الا حرية الموت في الشرقية فقد أصبح محظورا علينا
أن نجتمع أصغر اجتماع . محظورا علينا أن نكتب أي لون من
الكتابة .. والشئ الوحيد الذي ظل مصرحا لي به أن أذهب الي
الشرقية عساي أن أموت بها برصاصاً من الإنجليز أو رصاصاً
من غير الإنجليز كما كشفت الحوادث فيما بعد .

وكانت مصادرة هذا العدد صدمة شديدة لي حتى أنني
عندما ذهبت الي المحكمة وراح مثل الثيابة يترافع ضدلا على
وجوب مصادر العدد جلست وقد وضعت يدي على خدي ..
وعندما فرغ من مراقبته نظر الي رئيس المحكمة وسألني اذا كان
لدي ما أقوله فأجبت بالنفي وظللت أنظر اليه وأنا تائه شارد
اللب .. لقد كان القهر يبلا نفسي ، لم آكن أعرف ماذا أقص
حيال هذا التحكم .. ان مصادرة العدد تعني مصادرة
خمسائة جنيه كما قدمت جمعناها بشق النفس .

ومواصلة المصادرة بهذا الأسلوب التمسحي فلما حاولنا
أن نعاود اصدار الجريدة معناه الحكم علينا بالاعدام الأبدى ..
ولذلك فقد كان الموقف لا ينفع فيه قول أو حديث .. وانصرفت

من المحكمة بعد أن أصدر رئيسها امره بمصادرة العدد وأنا معتزم أن اعتزل كل شيء وأن اعتكف احتجاجاً واستنكاراً لهذا المسلك الذي تسلكه الحكومة حيالنا . . . وأن هذا هو السبيل الوحيد لمعاقبة الحكومة لموقفها . . . وقد يدعش الكثيرون كما دعشوا دائماً عندما كنت اعتبر انسحابي من الميدان أو تعطيل الجريدة هو عقاب للحكومة مع أن هذا هو أقصى ما تمناء ، ولكني كنت أحس احساساً عميقاً أنني إذا انسحبت واعتزلت أو اعتكفت وتوقفت عن الكتابة وإصدار الجريدة فإن الحكومة لابد أن تدفع ثمن ذلك وأن تدفعه غالباً . . .

شعور بالخوف

على أن فكرة الاحتجاج والاستنكار لم تكن وحدها هي الحافز لي على التفكير في الانسحاب والاعتزال ولكن عاطفة أخرى ملأت نفسي هي التي عززت هذا الخاطر وقوته في نفسي وذلك هو الاحساس بالخوف . . . لقد كنت منطلقاً في كفاحي ضد الملك وضد الإنجليز بعد ذلك وانتهيت وأنا أهاجم تعيين حافظ عفيفي بهذه الشدة التي أعلنت الحرب على الاثنين معا ، ومع ذلك فلم تتسرب إلى نفسي ذرة من الخوف . . . وقد أرسلت انذارى لأرسكين بهذا الأسلوب من التحدي دون أن استشعر أي خوف إلا هذا الذي وصفته من أن يعتدى على الشاب الذي يعتت به . . . وعندما صودرت الاشتراكية بهذا الأسلوب البشع إذا بي امتلئ بالخوف فجاءت واستشعر أن كوارث ونكبات ستحل بنا . . .

وجرياً على سنتي ومنهجي فقد بادرت بإخطار اخواني وبصفة خاصة إبراهيم شكري وحليبي مراد بما اعتزاني من الإجساسات وقلت لهم في عبارة واضحة صريحة : . . . أنني أتصور

ان طوفانا ضخما من الكوارث والألام والمصائب يوشك أن يحل
بأبلاذ وان هذا الطوفان سيكتسحنا في طريقه ومصائبه ٠٠ وان
قلبي قد امتلأ بالخوف فجاءة وليس لذلك من تعليل الا هذا
المجهول الذي يوشك أن يقع . واقترحت عليهم أن نتفادي وقوع
الكوارث بأن أسرع الى الانسحاب من الميدان وأن الجأ الى
الاعتكاف في الريف او بالأحرى في شربين عند ابراهيم شكري .
ولقد بهت اخواني الذين سمعوا هذا العزم ولم يتقبلوه بسهولة .
وكان ابراهيم شكري هو أكثر الجميع معارضة وراح يتساءل
ماذا سيقول الناس في هذا التصرف المساجيء الذي لا مقدمات
له . ان احدا لن يستنصفه ولن يفهمه وسوف يسوء الجميع
تفسيره . قلت له سوف يفهمون التصرف على حقيقته عندما تقع
الكوارث التي أحس أنها واقعة وعندها فسوف نسترد كل الأرض
التي فقدناها . ولكن الدكتور محمد حلمي مراد انضم الى ابراهيم
شكري في تنبيط عزمي وأسرع حلمي الفندوز الى موافقتي بغير تفكير
او مناقشة استنادا الى أن الحوادث قد دلت على أن احساسى
لا يخطئ . . وانتهت المناقشة الى فكرة وسط اقترحها
ابراهيم شكري لتكون بمثابة تهينة لفنن الراى العام وهي أن
أعد بيانا مفصلا يصلح أن يكون حشيات لهذا القرار دون
أن أعلن القرار نفسه ونكتفى باذاعة هذا البيان على الراى العام
ولا بأس بعد ذلك أن انسحب في هدوء وفى غير ضجيج وبدون
اعلان .

فاقتنعت بهذا الراى ووضعت هذا البيان أو بالأحرى هذه
الحشيات التي تدين الحكومة وتشجب موقفها وتثبت بالدليل
والبرهان وتحليل الوقائع أن استمرار الوزارة في الحكم واستمرار
هذه السياسة التي تسير عليها سينتهى بالبلاد الى كارثة محققة
ومصائب وجرائم يقشعر لهولها الولدان وبعد أن فرغت من اعداد

البيان رأيت أن اضيف اليه في النهاية النتيجة الطبيعية له . وهو اعلان انسحابي .

واسرعت بعد اعداد البيان الي دار اخبار اليوم لتطبع لنا بعض نسخ منه وحددنا يوم الخميس ٢٤ من يناير لاذاعة البيان ودعونا الي عقد مؤتمر صحفي لتلاوة البيان عليهم ثم اعطائهم صورة منه بعد المناقشة فيه .

واسرع مصطفى امين الي معاونتي في طبع البيان بالدقة والسرية اللازمين فقد كنا نخشى ان تدهام الحكومة المطبعة وان تصادر البيان وبالتالي الاجتماع .

وفي الساعة الثانية صباحا فرغنا من اعداد البيان الذي استغرق صفحة كاملة من صفحات الجرائد اليومية واسرعت به الي البيت وكنا في صبيحة الأربعاء .

وجاءني ابراهيم شكري ليزورني في البيت وكنت قد بدأت أحس بالتوعك فوجدت البيان قد اشتمل على اعلان موضوع الانسحاب والاعتزال السياسي المؤقت .

فقال لي أو لم نتفق على الا يتضمن البيان هذه الفقرة فرحت أذعه بوجوبها وأن احساسى يدفعني اليها ولكن من آثارها ما يكون . . ولكنه استطاع باصراره أن يقنعني من جديد على ضرورة حذفها من البيان .

واخلص ابراهيم شكري لي وللحركة وتقانيه في سبيلها يجعلني لا استطع الا أن أوافق على أي من آرائه اذا أصر عليه فوافقت على أن نحذف هذه الفقرة .

وجاء محمد حلمي مراد وكمال سعد وراح ثلاثتهم (يشطبيون) بالحبر الأسود على نص عبارة الانسحاب وكانت في البيان

وفي ختامه بينما جلست مستلقيا على أحد المقاعد وقد ارتفعت
حرارتي وزادت وطأة المرض .

وفي ساعة متأخرة من الليل تم تصحيح كل النسخ التي
كانت تبلغ المائتين أو الثلاثمائة .

وزيادة في الحرص دعا ابراهيم شكرى الأستاذ محمد أبو ثريا
ناظر مدرسة مصطفى الوكيل وكلفه أن يعمل على طبع البيان
(بالرونيو) خاليا من هذه الفقرة الأخيرة فأسرع الى تنفيذ هذا
الأمر وأعد بالفعل نسخة من البيان على الآلة الكاتبة فالرونيو
خالية من قرار الانسحاب والاعتزال .. وقد كانت إحدى هذه
النسخ هي التي وقعت في يد النيابة بعد ذلك والتي انخلت منها
دليلا على مسئوليتي عن حوادث يوم ٢٦ من يناير بعد ذلك .

يوم الخميس ٢٤ من يناير

وأخيرا جاء يوم الخميس ٢٤ من يناير وكانت الساعة
الخامسة بعد الظهر معدة للاجتماع بالصحفيين وأذاعة البيان .
وكانت حالتى العامة قد ازدادت سوءا فلازمت الفراش طوال النهار
ووحث أتناول الأشرطة الساخنة وحببات الأسيرين استعدادا
للمساء . وفي الساعة المقررة توجهت فى سيارتى الى دار الحزب
حيث كان يقص بالحركة والنشاط وجاء حشد من الصحفيين الذين
يمثلون مختلف الصحف وكان على رأسهم الأستاذ مصطفى
القشاشى سكرتير النقابة وأسرة التحرير فى جريدة الأساس
وعلى رأسهم الدكتور على الرجال وأبو طالب والأستاذ حسنين
هيكل ممثل دار أخبار اليوم وعشرات من المنوبين الآخرين .

ويعد أن تناول الجميع فنجانا من الشاي بدأت أطالع البيان وقد كانت المطالعة مرهقة لحالتي الصحية من ناحية وطول البيان من ناحية ثانية ولكنني فرغت منه في النهاية فسفق الحاضرون تصفيقا شديدا ثم راحوا يناقشونني عن تفاصيل بعض ما جاء فيه وكان من الواضح أن جميع الحاضرين يوافقون على ما جاء في البيان وأن كل مناقشاتهم كانت تدور حول المزيد من سماع تفاصيل سوء حالة الفدائيين ، أو ما أشرت إليه من المؤامرات التي تدور في الخفاء والتي تعمل على طعن الحركة الوطنية ٠٠ وكانت بعض الأسئلة تدور حول ما هي الوزارة التي تعقب هذه الوزارة إن هي سقطت وما نوع السياسة التي تنتهجها وكان ردي على ذلك قويا وحازما ٠٠ ألا وهو أن الوزارة بحالتها الحاضرة وسياستها يجب أن تسقط فوراً إذا أريد تجنب البلاد الكوارث والأخطار ٠٠ أما نوع الوزارة التي تليها فعمالة لانهمنا قدر ما بهمنا الآن إيقاف هذه السياسة ذات الوجهين والتي تقابل الشعب بوجه والانجليز بوجه آخر والمك بوجه ثالث فإن ذلك سيكون هو مبعث الكوارث ٠ وعقب انتهاء المناقشات وزع البيان على الحاضرين فأمرعوا به إلى نور صمغهم ٠

وكانت الجموع التي اعتادت الاجتماع كل خميس في دار الحزب الاشتراكي متجمعة في انتظار سماع البيان بصورها ٠

وكانت المناقشة وما ولدته في نفسي من الحرارة الصحية قد حسنت حالتي فنزلت إلى الدور الأرضي ورحمت أتلو عليهم بعض فقرات من البيان وأفسره وأشرحه بما يتناسب مع الاشتراكيين الذين سمعوا هذا الكلام من قبل أكثر من مرة ٠

ومرة أخرى طفي على هذا الشعور بضرورة إعلان انسحابي واعتكافي فإذا بي أقول لهذه الجموع المحتشدة إن هذا البيان

الذي وزعته على الصحفيين ينقصه فقرة تتضمن قرارى بالنسبة للموقف وهو انسحابى من ميدان المركة احتجاجا على التصرفات الحكومية ضدنا وسياستها العامة واننى سوف ائتكف فى الريف لاكون بريئا من مسئولية ما سوف يقع على البلاد من كوارث ونكبات .

وانتهى الحديث وسط التصفيق والتهاتفات وصعدت الى حجرتى فى الدور الأعلى بينما لاحقنى ابراهيم شكرى ليعتقب على عودتى الى اذاعة حديث الانسحاب والاعتزال . . فقلت له يا ابراهيم انت تعرف ان نفسى عندما تنبض بشئ فليست أستطيع ان اكتب هذا النبضان أو ارقطه . اننى اشعر بالكآبة تزحف على نفسى وتقمرنى بصورة عجيبة وليس من سبيل لكى اخلص من هذا الشعور الا ان انسحب فوراً وسريعاً .

وفيما نحن نتحدث كان المنصرفون من أعضاء الحزب يهتفون هتافات عدائية لسراج الدين وللحكومة فانزعجت من هذه الهتافات وزادت الكآبة فى نفسى ، فبعثت للأعضاء من يأمرهم بالاخلاص الى السكنة والانصراف فى هدوء ونظام بعيدا عن كل هتاف واخلاق خاصة ان البوليس كان يحيط بالدار بكميات ضخمة .

ولم يكذ الرسول الذى اوفدته يخادع الحجرة حتى سمعنا صوت جلبة فى الطريق وكثر وفر وصراخ فتصورت ان ماحدثه قد وقع وأن البوليس اعتدى على الأعضاء ولكن ابراهيم شكرى نظر من خلال النافذة المغلقة فاذا به يقول لى ان المعتدى ليس البوليس ولكنهم بعض الشبان الوفديين الذين كانوا مجتمعين فى النادي السعدى هم الذين يهاجمون اعضاءنا الذين ارتدوا الى دار الحزب ليحتموا بها وكان ذلك نذيرا بقيام معركة استعمل فيها الطوب الذى انهال على دار الحزب كالمطر من دار النادي السعدى

وبدا أعضاء الحزب الاشتراكي ينازرون ويخالفون والوفديين يهاجمون حتى خيف أن يهاجموا الحزب من الداخل . . فطلبت من جميع الأعضاء الذين جاءوا ليحيطوا بي أن ينزلوا ويخرجوا الى الشارع والا ضربوا وذبحوا لي عقد دارهم . . وفيما هم ينزلون سمعت صوت طلقات نارية فصرخت أسأل عن مصدر هذه الطلقات وخفت أن يكون أحد أعضاء الحزب مصدرها فأنقسموا لي أن الوفديين هم الذين أطلقوا النيران . .

وهكذا وجدت نفسي فجأة وسط معركة حامية الوطيس لاتعرف كيف تنتهي ولامدى المسئوليات التي ستتربط عليها فغمرتني الاستسلام وانتظرت ماتجرى به المقابيل وطلبت أن يعد لي فراش لأنام عليه فقد شعرت بازدياد وطأة المرض وطلبت الاتصال بالنيابة وإبراهيم امام في المحافظة .

وكان اطلاق الرصاص قد جعل البوليس يتدخل في الأمر منعا لتفاقم السائل فحال بين الوفديين وبين معاودة الهجوم وهدأت الأحوال وضرب البوليس الحصار على الحزب ليمنع خروج أي واحد منه ريثما تأتي النيابة وتضبط الواقعة الخطيرة .

ولست أعرف عندما انسحبت الي حجرة النوم لأرقد فيها اذا كنت قد نمت ام لا . . ولكني حوالي الساعة الثانية صباحا أو قبل ذلك بقليل أخطرت أن النيابة الآن تفتش الحزب وتعاينه فارتديت ملابس على عجل وذهبت الي حيث كان ركيل أول نيابة جنوب القاهرة الأستاذ عدلى نسيم يعاين الائتلافات التي أصابها الحزب ومن حوله إبراهيم شكري وباتي الأعضاء . . فسلمت عليه وأخبرته بنبا مرضي فتمنى لي السلامة . وبعد ذلك بسا البوليس في تفتيش أعضاء الحزب تمهيدا للسماح لهم بالانصراف بعد قيد أسمائهم وعناوينهم . وقد انتهت هذه العملية في الساعة

الثالثة صباحا وسمح لنا جميعا بالانصراف بعد ذلك فوصلت الى الجراج الخاصى يعربتى فى هذا الوقت المبكر من صباح يوم الجمعة ٢٥ من يناير وسألنى صاحب الجراج عن الوقت الذى احتاج فيه الى العربية فقلت له اننى مريض ولن احتاج الى العربية ٠٠ وقد شهد الرجل بذلك عندما سألته الجوليس . فلما علموا ان شهادته لصالحى وثبت عدم خروجى من البيت هدفوه اذا هو تقدم للشهادة بعد ذلك .

وعندما آويت الى فراشى كان عزمى وتصميمى قد استقر على وجوب تنفيذ عزمى بالانسحاب فورا وكنت قد سمعت ابراهيم شكرى يعلن عزمه على السفر الى شربين فقررت أنه فور أن ارتاح قليلا اتصل به فى التليفون واطلب منه أن يحضر لأخذنى معه الى شربين فورا .

وعلى هذا العزم نمت بضع ساعات واستيقظت فى الساعة الثامنة على ما أذكر حيث قيل لى أن بعض الطلاب ومعهم ضابط من الجيش يطلبون مقابلتى . فقابلتهم وأنا فى شدة الضجر لتعبى فأخبرونى أنهم فى طريقهم الى الشرقية وأنهم فى حاجة الى بعض اشياء . ولم يكانوا ينصرفون من عندى حتى طلبت ابراهيم شكرى فى التليفون فاذا بهم يقولون لى انه قد سافر الى شربين فعجبت لذلك متى وكيف سافر وقد غادرنا بعضنا فى الساعة الثالثة صباحا ونحن الآن قبيل التاسعة ولم أعرف كيف سافر الا بعد أن اتصلت به فى شربين تليفونيا بعد ساعة وفهمت منه أنه سافر بعد أن غادرنى فى الثالثة صباحا على الفور .

فعميت عليه لماذا لم يأخذنى معه فقال لى انه لم يكن يتصور وأنا متعب بهذه الصورة أن يأخذنى معه فى هذه الساعة المبكرة من الصباح وأنه سيعود الى مصر قريبا جدا ليأخذنى الى شربين .

وانقضى اليوم في هدوء نسبي وارسلت لى السيدة بهيئة
البيكرى فيما اذكر دواء (لانغرفر به) ولكنى لم استعمله .
واعترضت عن مقابلة احد وارفعت حرارتي الى ٢٨.٥ وعند المساء
ترامت الينا الاخبار بما حدث في الاسماعيلية حيث طلب الانجليز
من قوات البرلين المراقبة بها ان تسلم لهم دار المحافظة وان
يسلموا اسلحتهم للانجليز . وقد صبرت الأوامر لهؤلاء اليؤساء
بالمقاومة حتى النهاية . . . وقد قاوموا في بسالة حتى النهاية
فقتل منهم اربعون وجرح فريق آخر واسر باقي القوة وعددها
الف جندي بضابطها ورؤسائها واستولى الانجليز على دار
المحافظة . وهكذا وقعت أولى الكوارث التي توقعتها من هذه
السياسة الشاذة سياسة فؤاد سراج الدين والذي يريد ان يحارب
الانجليز بعساكر بلوكات النظام .

وقد أدركت على الفور ان هذا الخير سيكون له وقع سيء في
النفوس وستهيج مشاعر الشعب في اليوم التالي . . . ولكنى مع
كل حساباتي وتقديراتي لم اتخيل قط ان يحدث بعض هذا الذي حدث
في اليوم التالي . . . يوم السبت ٢٦ من يناير سنة ١٩٥٢ .

٢٦ يناير ١٩٥٢ . .

أطول يوم في التاريخ

٢٦ من يناير ١٩٥٢

استيقظت في صبيحة السبت ٢٦ من يناير في ساعة متأخرة
من غير شك - لتقول لى زوجتى : أن محمود وصفى قد تكلم في
التليفون وأخبرها بأنه قد شاهد مظاهرة من عساكر بلوكات النظام
وهم يهتفون : « نريد السلاح » نريد السلاح » أين السلاح
يا نحاس ؟ « والجماهير تحيط بهم وتهتف معهم .

كان هذا هو الخبر الذى لفته لى زوجتى في هدوء وبساطة ،
ولم تكن تعرف - من غير شك - أنها بهذا الخبر تخط السطر الأول
في سلسلة متاعبها وآلامها التى تجرعتها طوال عام تقريبا لم يكن
في مصر كلها من عانى هذا الذى عانته .

وكان ردى عليها « ماذا تقولين » عساكر يتظاهرون ؟! هذه
ثورة « ولقد كانت ثورة بالفعل وأدركت ذلك في التاسعة من صباح
يوم السبت ٢٦ من يناير ، حيث لم يدرك هذا المعنى سراج الدين
أو حكومة الوفد الا في آخر النهار على اطلال مدينة القاهرة .

ومضت زوجتى تحدثنى عن ملاحظة أخرى لاحظتها وهى خلر الميدان أمام بيتنا من العساكر كما هى العسادة فى مثل هذه الظروف . فان بيتنا يقع عند نهاية كوبرى عباس من ناحية الروضة . وفى هذه المنطقة ترابط دائما قوات البوليس فى انتظار مظاهرات الجامعة فى طريقها نحو القاهرة لتصدعها وتمنعها . وفى هذا المكان وقعت واقعتا كوبرى عباس الأولى والثانية . . الأولى عندما سقط شهداء « مصر الفتاة » والجامعة فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ ، وعلى رأسهم عبد المجيد مرسى وعبد الحكيم الجراحى ، ومن بينهم ابراهيم شكرى الذى انجاه الله . والثانية فى ١٩٤٥ خلال حكم النقراشى .

لذلك فقد اعتدنا ان نرى هذا المكان مكتظا بكل صنوف الجند فى حالات الطوارئ . . وكانت زوجتى دقيقة فى ملاحظتها عندما رأت المكان خاليا من جميع الجنود . . وكان ذلك - بالاضافة الى خير محمرد وصفى - يدل على أن رد فعل حادث الاسماعيلية قد ظهر بكل عنف بين صفوف عساكر البوليس بالذات . . وان كان ذلك وضعا طبيعيا باعتبارهم ضحية الحادث ، ولكن لم اكن اتوقع شيئا من ذلك .

وظالعت الصحف - الأهرام والمصرى - وكانت عناوينهما ضخمة ومثيرة ، وبمجرد القاء نظرى على هذه العناوين قدرت تأثيرها الخيف وأن اليوم سيكون يوما مضطربا لا يعلم سوى الله ماذا تكون نتيجته . . ولكن أيا كان الاضطراب وصوره التى دارت فى ذهنى ، فقد كانت الصورة التى وقعت بالفعل هى ابعده ماتكون عن تفكيرى .

وكانت حالتى الصحية احسن حالا - من غير شك - بعد الراحة الكاملة فى اليوم السابق ، ولكننى شعرت بضرورة

الاستمرار في الفراش .. وقد زادتني هذه الأتياء رغبة في التمسك
بعدم مبارحة الفراش فتناولت طعام الطيور في الفراش بالذات ..
وبدا جرس التليفون يدق وقد كان مقفرا لهذا الجرس الا يهدأ بعد
ذلك لحظة واحدة .

وقد نصيت الآن أسماء هؤلاء اللذين راخوا يحدثونني في هذا
اليوم ويصفون لي ما يروونه .. مظاهرات عارمة يتوسطها العساكر
ويحيط بها الجمهور .. هذه مظاهرة في ساحة الجامعة .. وهذه
مظاهرة أخرى تنحدر من الأزهر نحو العقبة الخضراء . وهذه
مظاهرة ثالثة تأتي من بولاق يؤلفها عمال العنابر والثوانة ..
والبوليس في كل مكان جزء لا يتجزأ من المظاهرات .. والصيحة
في كل مكان « نريد السلاح .. نريد السلاح .. أين السلاح
يا نحاس ؟ » .

ضرورة اسقاط الوزارة

وعندما ينضم البوليس الى الشعب فهذه هي الثورة ، أو
هذه هي الفوضى ، ولا يحق لحكومة أن تبقى لحظة واحدة في
الحكم اذا اقلت الزمام من يدها ، وانقلب عليها البوليس لأنه أداتها
في حفظ الأمن واعلاء سلطان الدولة .. فاذا تمرد البوليس عليها
فقد انتهت الدولة .. ولذلك فلم يعد هناك أي مبرر في نظري لأن
تستمر الوزارة في الحكم اذا أريد تفادي كوارث خطيرة .

وأسرعت بالاتصال بالأستاذ مصطفى أمين في اخبار اليوم ..
وسألته عما لديه من أخبار ؟ فوجدتها تطابق ما عندي من الأخبار
فسألته اذا كان يقرر خطورة هذا الذي يجري ؟ فأجابني بالإيجاب
فقلت له : ان البلاد معرضة لخطر جسيم ولست أرى سبيلا لاطفاء
نيران الفتنة الا اقالة الوزارة أو اقالة سراج الدين علي الأقل باعتباره

وزير الداخلية الذي انتهت سياسته الى هذه النتيجة المخزية . .
وظليت منه ان يتصل بحافظ عفيفى الذى طالما طلب منى مصطفى
أمين ان اقبله لأشرح له وجهة نظرى ، فرفضت ذلك باصرار ، ولكن
ازاء هذه الحوادث لم يسعنى الا ان اطلب من مصطفى أمين ان يبلغ
حافظ عفيفى على لسانى بان الحالة خطيرة جدا ، وأنه لا بد لانقاذ
البلد من اقالة الوزارة او على الأقل اقالة سراج الدين باعتباره
وزير الداخلية وتعيين وزير داخلية جديد . . فوعدنى مصطفى أمين
بأنه سيفعل ذلك .

وعادت التليفونات تنق . . تتحدث عن تطور المظاهرات
وتفاقمها وكيف انضم اليها ضباط وعساكر من الجيش يعيطون
بمجلس الوزارة احاطة السوار بالمعصم وأن الهياج قد بلغ أشده .

واتصل بى بعض طلاب الجامعة وطلبوا منى ان انزل لى
التي نظرة على هذه المظاهرات الشعبية التي لا مثيل لها ، فصرخت
فيهم محمدا ومآلتهم اذا كانوا مجانين ليقترحوا هذا الاقتراح ؟
وأفهمتهم اننى مريض وملازم الفراش وانى لو كنت سليما معاف
لما نزلت الى الشارع فى هذا اليوم المصيب الذى لا يعلم سوى
الله كيف ينتهى .

حريق كازينو اوبرا

ثم جاء الخبر المشوم نذير الشر المستطير . . لقد حدثنى
محدث وأخبرنى بان المتظاهرين اشعلوا النار فى كازينو اوبرا .
ووصف لى المحدث كيف أن رجال البوليس يقفون جامدين لا يحركون
سباتنا ، بل ان بعضهم يشترك فى تعريض المتظاهرين ، و زاد
محدثى . . ان رجال المطافئ انفسهم - وهم على بعد خطوات من
المكان - لم يتحمسوا للاسراع نحو المكان لاطفاء النيران . .

وتملكني الخوف لدى سماع هذا التبا وكأن احساسى الغريزى قد بدأ يتنبه فاشعر بالخطر الذى يزحف نحوى .

وعاودتني فكرة ضرورة انصاء وزير الداخلية واقصاء الوزارة كلها لانتاذ البلاد . . . وحاولت الاتصال بمصطفى امين لاسأله عما فعله فلم أجده في الدار . وحدثني الأستاذ حسنين هيكل ولم يكن الخبر قد وصل اليه فحدثته عنه وعما يجرى من مظاهرات حول مجلس الوزراء فعلق على ذلك بقوله : لقد اضطرت للسفر الى ايران أو الى سوريا لكنى اكتب مقالا مثيرا . أما الآن فما على الا أن اتزل الى الشارع لكنى أرى مثل هذه الحوادث . . فطلبت منه أن يتصل بى وأن يخبرنى أولا بأول بما يرى ويسمع .

وأسرعت للاتصال بانجار جلاذ لأحملة نفس الرسالة التى حملتها لمصطفى امين ولم أعرف ماذا فعل بها .

وقد كنت اختار الأشخاص الذين أعلم أنهم على صلوات وثيقة بالقصر ورجاله . فانه باستطاعتهم أن يعلموا طريق الاتصال السريع سواء عن طريق التليفون أم غيره . وقد فانتسى أنه في الأزمات وفي المواقف الدقيقة كان المتصلون بالقصر يصبحون أعجز الناس عن أن ينقلوا خبر أو يقوموا بأى مهمة من أى نوع كان ولو كانت لصالح القصر الذى يعيشون في ظل نعمائه . .

اتصلت بانجار جلاذ عقب حرق كازينو اوبرا فعلمت منه انه قادم من الاسكندرية ولا يعرف مدى خطورة الموقف . . وكل الذى يعرفه أن البوليس هم بمصادرة جريدة الزمان . ثم احتج عليه فارقف مصادرة الطبعة الأولى التى كانت تتضمن انباء مظاهرات رجال البوليس وتمردهم . . فحدثته عن خطورة الموقف وأن حريق كازينو اوبرا يندرج بالمدح الكوارث اذا لم يتداركه المسئولون الأمر

بكل شدة ، وان وزير الداخلية مسئول عن هذه الحالة بسياسته
المرجاء المذبذبة ، وانه يجب ان يسقط حالا ليقولى مقاليد الداخلية
رجل يعيد الأمن والنظام ويهدى الحالة .

فقال امجار جلاذ ان مثل هذه الموضوعات لا يتكلم فيها فى
التليفون وانه يريد ان يرانى ٠٠ فأخبرته باننى مريض وملزم
بالفراش وحيدا لو زارنى . . فأخذ نمره البيت على أن يزورنى فى
اليوم التالى .

وكان عندى اثناء هذه المكالمة الأستاذ اسماعيل عامر الذى
جاء بدرره يصف لى مايجزى فى انحاء القاهرة ، ويطنئن على
صحتى وقد جاءنى بأحد العقاقير الطبية .

وكان حريق كازينو أوبرا بمثابة اشعال عود الثقاب ٠٠ فقد
تلاه حريق سينما ريفولى ، ولم يكف يصلنى ثبا حريق سينما
ريفولى ، وكيف أن ابراهيم امام والبوليس ينفون مرقفا سليبا ،
حتى وصلنى ثبا حريق سينما مترو ، وأحسست بلفح النار يغمرنى
شخصيا ٠٠ فازددت تشبثا بالفراش وتصرفت كما يتصرف الأطفال
عندما يخافون بالليل أو يسمعون خيرا مثيرا فيفطون وجوههم
بالحاف . وفى ذلك الوقت تمنيت لو أستطيع ان أعمل ذلك .

وانتقلت الحرائق - كما هو شأنها دائما - من هذه الأمانة
الركزة الى سائر انحاء القاهرة وتسامع اللصوص والسراق
والعاطلون والقتلديون أن البوليس لا يتعرض للذين يحرقون أو
يسرقون أو يذهبون ٠٠ فاستغلوا فرصتهم وراحوا فى كل مكان
يحرقون السينما والحانات كذرية لسرقتها ونهبها .

مخاطبة على ماهر

وعند هذا الحد أدركت أن القاهرة كلها قد تلتهمها النيران إذا لم يظهر على المسرح عنصر يعيد النظام والهدوء .. بل إن الانجليز انفسهم قد يحتلون المدينة انقادا لأرواح مواطنيهم ، أو بالأحرى استغلالا للفرصة لكي يضربوا حركة الجهاد الشعبي ضدهم .. فأسرعت بالاتصال بعلى ماهر لكي أقف على رأيه في الموضوع وأطالبه بأن يعمل شيئا لانقاذ البلاد .

وكان قد انقضى على زمن طويل لم أخاطب فيه على ماهر لجنوحه المستمر نحو تأييد مدرسة الجيل القديم من الساسة ، ولأنه يأخذ بالأساليب الرأسمالية كغيره من الرأسماليين سواء في تفكيره أم في خطبه ، ولذلك فقد كتبت منتقدا بعض تصوراتاه وحدثت بيننا تبعا لذلك شبه جفوة ..

وكانت أخبار اليوم أو آخر ساعة قد أجرت استفتاء للشعب فيمن يقترحه رئيسا للوزارة في ذلك الوقت .. وحدث أن كنت في الحجرة المخصصة لجمع أوراق هذا الاستفتاء ، فرجدت اكداسا من الأجوبة التي انتهالت على الصحيفة من الرأي العام ، وكان التيار الغالب في الآراء هو ترشيح على ماهر لرئاسة وزارة قومية .. ولما كنت اتأثر الى حد بعيد بأراء الرأي العام فلم يسعني إلا أن انضم الى هذا الرأي .

فلما أن وقعت حوادث القاهرة وبدأت تنفر بكوارث يشيب لهولها الولدان ، كما حدثت وانتشرت .. فقد اتجه فكري على الفور الى على ماهر ليقوم بدور في هذا اليوم لانقاذ البلاد .

فاتصلت به وكان هو الذى رد على ولم تكن فكرته عن الموقف تزيد على أن هناك بعض المظاهرات العادية .. فشرحت له ما يجرى وكيف أن العساكر من البوليس والجيش يحيطون بمجلس الوزراء فى مظاهرة صاخبة ويطلقون السلاح لأجابتى : هذه ثورة ، فقلت له انها كذلك ، ثم حدثته عن الحرائق وخطورتها وامتدادها السريع من مكان الى مكان ، وطلبت منه باعتباره من أكبر ساسة مصر أن يتجه فوراً الى القصر ، ويصر على وجوب مقابلة الملك لافهامه خطورة الموقف وضرورة العمل السريع لاجراء حل ، وذكرت له أن رأيى الشخصى هو اسقاط وزارة الوفد وتأليف وزارة قومية .. فوعدتنى بأن تتصل على كل حال بحافظ عفيفى وانتهت المكالمة عند هذا الحد .

وبعد قليل من هذه المكالمة اتصل بى حلمى الفنودر وهو فى حالة فرح من تطور الموقف ، وكيف أصبح النهب والسلب والحرق يتم بواسطة عصابات لا تجد من يردعها وأن القاهرة توشك باكتمالها أن تصبح طعمه للفيران .

وخاطبتى آخرون فى مثل هذا المعنى .. ودق التليفون من جديد لتخبرنى زوجتى بأن المتكلم هو على ماهر نفسه فاغتبطت بهذه المكالمة التى دلتنى على شديد اهتمامه وان كان قد شهد بعد ذلك أمام المحكمة أنه كان فى هذه المكالمة الثانية إنما يقوم باجراء بوليسى . فقد استراب فى المكان الذى خاطبته منه فأراد أن يتحقق من وجودى بالمنزل فاتصل بى وهكذا كشف الرجل عن سريرته ونفسيته ، ولكن فى ذلك الوقت لم اتصور الا أنه خاطبنى اهتماما بالموضوع الذى حدثته فيه .. وقد بدأ حديثه بأنه لم يستطع الاتصال بحافظ عفيفى ثم سألنى عما اذا كانت لدى معلومات جديدة فأنهيت اليه آخر ما وصل الى من معلومات ، وقلت له اننى أخشى اذا استمر الحال على هذا المنوال أن تحتل الجيوش

الانجليزية القاهرة ٠٠ فأجابني : أوصلت الأمور الى هذه الدرجة ١٢
فقلت له هل كلها أسوأ مما أتخيل وكررت أن الحل الوحيد هو أن
تتألف وزارة قومية برئاسة وحذرته من أن تتألف الوزارة برئاسة
حافظ عفيفي ، فهو شخص قد أصبح معقوتا ومكروها من الشعب ،
وعائته في صداقته عفيفي التي يتشبت بها ، فأجابني بأنني
لم أقل شيئا عن حافظ عفيفي الا انه وطني ، وكان يشير بذلك الى
حديث جرى له مع إحدى الصحف وكنت لم أطلع على هذا الحديث
وقد تصور انني أشير الى هذا الحديث ٠٠ فرحت أشرح له كيف
ان الموقف الآن في السياسة أصبح يتلخص في حقيقة واحدة الا
وهي « مع الشعب أو ضد الشعب » ، وأن أي سياسي يجب أن
يقاس بهذا المقياس ٠٠ واسترسلنا في الحديث طويلا ثم قلت له اذا
كانت صحتي ستساعدني غدا فاني أرجو أن أتمكن من المرور عليك
لنتحدث في كل ذلك ٠٠ وعند هذا القدر انتهت المكالمة ٠٠ واستمرت
الأحاديث التي تحمل لي الأنباء أو تسألني عما أعلم من أنباء
تتوالى ٠٠ ولكن كنت قد بدأت أستشعر خوفا غامضا من انني
لا بد ساصاب بأذى من جراء هذه الحوادث ، وقد بدأ هذا الشعور
يتزايد حتى جاءني ما يؤكد ذلك المعنى وما يدعوني لمبارحة المنزل
خوفا من جريمة قتل تدبر لي وسط هذه الغموضي ٠٠ وكان آخر
من جاءني هو الأستاذ على الغاياتي الذي تزر أمام المحكمة أنه
خاطبني في الرابعة والنصف ، وكان كثيره يقص على ما يراه من
مناظر المظاهرات ويسأل عن صحتي ٠٠ وقد فاتتني أن أذكر أن
جريدة الأهرام نشرت في صباح ذلك اليوم نبا اعتكافي ومرضي
فكان ذلك مدعاة لكثيرين للسؤال عن صحتي ، وبالتالي كنت أتلقى
منهم مألديهم من أنباء .

وتلقيت هذه المكالمة التي أشرت اليها فيما سبق والتي حذرتني
فيها مجهول من خطر سيصيبني فأسرعت وارديت ملابس على
عجل وقلت لزوجتي ان بقائي في المنزل بعد ذلك يعرضني لخطر

جسيم . . ففى وسط هذه الفوضى قد يجيئون لاعتقالى وقد يقتلونى خلال ذلك . . فانتزعجت المسكينة وأسهرت سماعدى على ارتداء ملابسى فى ليلته ونزلت الى الشارع حيث أحضر لى ابنى مصطفى سيارة تاكسى ، فنقلنى الى منزل الدكتور محمد حنسى مراد بشارع قصر العيني رقم ٤٦ ، وعندما صعدت الى شققته فى الدور الثالث وسألت عنه وجدته قد نزل وذهب لمقابلتى بالمنزل للسؤال عن صحتى ولتحذيرى من البقاء بالمنزل وسط هذه الفوضى التى تؤشك ان تفر كل شيء . .

فلم يكد يصل الى بيتى حتى علم اننى فى بيته للدق بى وأبدي عجبه لهذا القرار الفكرى العجيب .

ولم يكد يستقر بنا المقام حتى كان ابراهيم شكرى - الذى دعوته من شربين - وقد وصل ، وحلسنا نستعرض الحوادث التى وقعت ، كيف اتنا تنبأنا بوقوعها ، ولو كان قد سمع لاندارتنا وتحذيراتنا لنجت البلاد من هذه الكارثة .

وبينما كنا نتحدث دق جرس التليفون وسرعان ما أدركنا أن ما كنت أتوقعه وأحذره قد وقع بالفعل ، فقد قصصت الى بيتى مجموعة من ضباط البوليس والجيش ليتبضروا على وقد ارتعدت فرانسى عندما سمعت نيا ضباط الجيش الذين ذهبوا لاعتقالى ، فلم يكن هناك أى مبرر لذهابهم الا أن يكون ذلك مصداقا لهذا التحذير الذى وصل الى ، وقد زادنى ذلك اصرارا على ألا أتبع فى قبضة أيديهم فى هذه الفترة ، وتجسم فى خاطرى أن ذلك يعنى موتى المحقق ، ولذلك فقد أعلمت ابراهيم شكرى بعزمسى على الاختفاء من وجه الحاكم العسكري ، وقد فاتنى أن أذكر اننى كنت قد اتصلت فى ذلك الوقت بمصطفى أمين فى أخبار اليوم فأخبرنى

بأن سراج الدين قد ابلغ السراي بأن الاشتراكيين هم المسؤولون عما حدث في هذا اليوم ، فبلاني ذلك ذعرا لا زيادة بعده لمستزيد من ان تنسب اليها هذه الكوارث ، وأنا مريض في فراشي وابراهيم شكرى في شربين وقد فاجأتنا كما فاجأت أى مصرى آخر .

وقد ضاعف ذلك فى اعتقادى بأنه يراد التخلص منا بمناسبة هذه الحوادث .

ولذلك قد واقنى ابراهيم شكرى والدكتور محمد حلمى مراد على ضرورة الاختفاء ريثما تستقر الأحوال وتتضح الحقائق وعلى ذلك فقد نزلنا من البيت وركبنا لحدى سيارات الأجرة أنا وابراهيم شكرى ٠٠ فنقلتنا الى منيل الروضة حيث يقيم الدكتور محمود فهمى ابن أخت ابراهيم شكرى ٠٠

وفى بيت الدكتور سمعنا الاذاعة التى حملت اليها انباء اعلان الأحكام العرفية وتعيين مصطفى النحاس حاكما عسكريا ٠٠ وسمعنا فى الاذاعة المنطق الملكى الكريم الموجه لضباطه الذين دعاهم للمأدبة فى قصر عابدين بمناسبة « سنوح » ولئى العهد . لقد كان المنطق الملكى الكريم يفيض بالقحة والتحدى والاستهتار ، وقد أحسست وأنا أستمع اليه وكان الملك يتحدثنى به ويقصدنى بما تناضح به عباراته من الحقد ضد هذا الشعب ٠٠ وكان يتكلم عن الاضطرابات التى وقعت فى هذا اليوم ، وأنه نكس فى الغاء هذه المأدبة بمناسبة هذه الحوادث ولكنه رجع عن فكره وقرر أن يقبها ، فليس أبلغ من اظهار سلطانه وقوته وأنه لا يتأثر بهذه الغزيبات من أن تقام الحفلة فى موعدها المقرر ٠٠

وهكذا أقيمت المأدبة على وهج حريق القاهرة . ولست
انصوّر أن هناك جريمة من جرائم فاروق تفوق هذا الموقف الذي
يذكرنا بفعنة نيرون عندما حرق روما وهو يقني على قيثارته . . .
وإذا كان نيرون قد هالته جريمته بعد ذلك فحرص على أن يلصق
هذه الفعلة بدماء المسيحية في ذلك الوقت ، فالتقى بهم إلى الأسود
الجماعة وسط شعب روما المتعطش للانتقام ، فكذلك كان شأن
فاروق عندما حاول أن يلصق بالحزب الاشتراكي وبمن بصفة خاصة
هذه التهمة الشنعاء ليتخلص منا وسط لعنات الشعب وسخطه .

السفر إلى الاسكندرية

وبعد تردد طويل في هل الأفضل أن نبقى في القاهرة وفي
هذا البيت الذي وصلناه بالذات أم نسافر إلى خارج القاهرة ،
استقر رأينا على أن نبرحها على الفور إلى الاسكندرية ، وقد قرر
ابراهيم شكري أن يزاملني في الاختفاء وفي المصير . فكان لذلك
أعظم الأثر في نفسي فليس هناك ما يقوى جنان المجاهد أكثر من
أن يجد إلى جواره رفيقاً مخلصاً أميناً كابراهيم شكري . . . وفي
الأيام المقبلة لم أكن أفتأ أتذكر موقف الرسول وهو يهاجر خفية
من المدينة وإلى جواره أبو بكر الصديق يشاطره الأمان ومتاعبه
وكنتم أتمثل بنص القرآن « ثانی اثنین اذ هما فی الغار اذ یقول
لصاحبه لا تحزن ان الله معنا » .

وبدأنا رحلتنا في حذر شديد خوفاً من أن تكون هناك
أرصاء حول مدينة القاهرة ، ولذلك فقد درنا دورة طويلة جداً
لنتفادي نقاط المرور التي يعرف ابراهيم شكري مواضعها لكثرة
ما يذرع هذه الطرقات وقد أمكن بالفعل أن نخرج من نطاق

القاهرة دون أن نرى أنفسنا مضطربين للوقوف في أي نقطة من النقط ٠٠ وكان لنجاح إقامتنا في الاسكندرية لابد لنا من رفيق يعد لنا الطعام ويتصل بالخارج ويشترى لنا الحاجات ٠٠ فكان من برامجنا أن نقصد الى عزبة ابراهيم شكري في شربين لاستصحاب احد رجاله الأمناء الذين يعتمد عليهم في هذا الطرف ويسمى صادق ٠ وعلى هذا بدأنا رحلتنا في اتجاه شربين ، وكانت السيارة التي تستعملها أو بالأحرى سيارة الدكتور محمود فهمي من النوع الصغير جدا اشته ما تكون « بالجرادة » وكان يدهشني أنها تحملنا وتسير بنا وننتقل من بلد الى بلد في جنح الليل على الرغم من أننا كنا نسير ببطء وحذر . وكان خوفنا يتجدد كلما اقتربنا من حدود بلد من البلاد خوفا من تقطع المرور ، ولكن كان كل شيء يبدو عاديا . وعندما وصلنا الى طنطا في منتصف الليل بدأنا نتردد في الذهاب الى شربين وهل نذهب اليها بأنفسنا أم نرسل شخصا آخر لانجاز المهمة ونبقى في انتظاره .. ولكننا خرجنا من هذا التردد بانطلاق السيارة بالفعل نحو شربين .

وقبل الثانية صباحا كنا نقرب من شربين وبدافع احساس غريزي قلت لصاحبي يجب الا ندخل عزبة ابراهيم شكري من الطريق الطبيعي بل لابد لنا من اختيار طريق لايقربنا من بلدة شربين نفسها وسرعان ما رسم ابراهيم الطريق الجديد الذي نسلكه للاقتراب من العزبة دون اجتياز الطرق العادية ٠٠ وهنا تجلت فائدة هذه السيارة (الجرادة) فقد بدأت تسير في طريق لا تصلح لغير سير الدواب تقريبا وساعد ظلام الليل على مضاعفة وعورة الطريق وصعوبته حيث احتجنا الى ما يقرب من المساعتين لاجتياز مسافة لا تزيد على بضعة كيلو مترات ٠٠ وكادت السيارة تسقط بنا أكثر من مرة في بعض الترع أو الصاريف ٠ وأخيرا

ويعد جهد استطعنا أن نقرب من العزبة من الخلف ، فواقفنا السيارة على بعد كيلو متر ونزل مصمود فهمي ليندو من منازل القرية ٠٠ وكان أول من صادفه بطبيعة الحال الخفراء فطلب منهم وإيقاظ صادق وبعد لحظات أدركنا سر هذا الحذر الشديد الذي استولى علينا ونحن نقرب من شربين فقد علمنا أن البوليس قد سبقنا إليها أو وصلها في الساعة الواحدة صباحا وسأل عن ابراهيم شكري وفتش القرية ثم عاد ثانية بعد ساعة أخرى ، واننا لو اقتربنا من القرية بالطريق العادي لصادفنا في الطريق على وجه التحقيق ٠٠ وهكذا صدقتني احساسى بنعمة من الله كما صدقتني دائما .

وعلى الرغم من اننا كنا في صباح ٢٧ يناير اى اننا في صميم الشتاء والشمس تشرق متأخرة فقد انسحبنا من شربين وقد بدأ النهار يسفر .

وعدنا مرة أخرى من هذا الطريق الوعر الذى سلكناه للاقترب من العزبة ٠٠ ثم الى الطريق العام وبدأنا الرحلة نحو الاسكندرية .

وفي طريقنا نحو طنطا مرة أخرى كان علينا أن نجتاز المحلة الكبرى وأن نشقها في وضح النهار ، وأن نأخذ منها بفرشنا و ابراهيم شكري معروف لكل الناس ولذلك فقد وضعت منظارا على عيني وامسكت بصحيفة الأهرام الصادرة في ذلك اليوم وحيبت وجهي متظاهرا بالمطالعة فيها وكذلك فعل ابراهيم ٠٠ بينما كان الدكتور مصمود فهمي يفرغ البليزين المطلوب ٠٠ وأخيرا وبعد فترة مرهقة على اعصابنا خرجنا من المحلة ، وتجددت

المحنة في طنطا ولم تبدأ أعصابنا بعض الشيء إلا بعد أن اجتزنا
طنطا في جو عادي وبارحنا إلى الاسكندرية .

واستأنفنا الرحلة في جو عادي ولكن القلق كان يغرنا
ونوتر الأعصاب على أشده وكان ذلك يزداد كلما اقتربنا من
حدود الاسكندرية . فلا شك أننا سنلقى عند هذه الحدود من
ينتظرنا للقبض علينا ولذلك فقد اتفقنا أن نوقف السيارة قبل
نقطة المرور وأن ينزل الدكتور محمود فهمي ليقرب من النقطة
سيراً على الأقدام لاستطلاع ما بها . ولكننا لم ننفذ هذه الخطة
خوفاً من أن يلفت النظر بهذه الحركة ، ورأينا أن نجازف بمصيرنا
فواصلنا السير ولم نقف عند نقطة المرور ولم يستوقفنا أحد
وهكذا دخلنا الاسكندرية في الساعة الحادية عشرة صباحاً ،
ووجهنا مصفرة من السهر والقلق والمجهود المتواصل . . ولم
نكف نسير على الكورنيش ونلمح زرقة البحر حتى أحسنا
بالراحة وخفت حدة التوتر الشديد التي كنا نعانيها .

وفي النهاية وصلنا إلى البيت المقصود في مصيف سيدي
بشر وفي إحدى شققه المغلقة وجدنا مستقرنا في النهاية .

وكان أول همنا أن نأكل حتى إذا أكلنا تركنا الدكتور محمود
فهمي ليعود لمزاولة عمله في القاهرة . ثم أومنا إلى فراش النوم
وكان الوقت عصراً فرحنا في سبات عميق . وقد نكون استيقظنا
مرة بعد ذلك في الليل ثم نمنا من جديد وأخيراً فتحنا أعيننا فإذا
بتور الشمس يتفد من خلال النوافذ المغلقة فدلنا ذلك على أننا
واصلنا النهار بالليل نوماً واننا الآن أصبحنا في يوم الاثنين
٢٨ من يناير .

وأرسلنا رجلاً ليشتري لنا طعام الفطور وقد غاب طويلاً
ولكنه عندما عاد لم يكن يحمل فطوراً فقط (ولكنه كان يحمل نياً
ضخماً جداً كآسعد ما يمكن أن يسمح للإنسان من أنباء ، لقد
سمع الناس تتحدث عن أن الوزارة وزارة النحاس قد سقطت
وأن على ماهر قد الف الوزارة الجديدة ٠٠ ولم أكد أصدق أنني
وأنا أسمع هذا النبا فقد كان آخر ما أتصوره وأتمناه ٠ أن على
ماهر هو الرجل الوحيد في مصر الذي يشهد لي أنني لم أكن ملازماً
بيتي في يوم ٢٦ من يناير فحسب بل إنه الرجل الذي يشهد
كيف كنت أنكر الحوادث وأسمي جاهداً لانقاذ البلاد ما بعدها ٠٠
أن شاهد براءتي الأول قد أصبح هو رئيس الحكومة فأي فضل
وأي نعمة جزيلة قد أسبغها الله علي ٠٠٠ ما أعجب الحوادث
عندما تؤيد وجهة نظره الي هذا الحد ٠٠ لقد خاطبت على ماهر
في يوم ٢٦ لكي يكون رئيساً للحكومة وها هو لا تكاد تمضي
أربع وعشرون ساعة علي مكالمتي له حتى يصبح رئيس وزيراً
بالفعل فكانت كنت أصدر مرسوماً بتعيينه عندما خاطبته ٠ لقد
كان علي ماهر في مقر داره وأبعد الأشياء عن خاطره أن يكون
رئيساً للحكومة ، فكنت أنا أول من اتصل به في هذا اليوم ليؤكد
له الا حل لانقاذ البلاد الا أن يتولى الوزارة ٠٠ فكان هذا الذي
اقترحته ولا بد أن علي ماهر سيذكر لي ذلك ٠٠ ولا بد أنه سبقني
لي ذلك ولست أطمع في أن أكون وزيراً ، أو أن ألقى منه جزءاً
أو شكوراً ٠٠ وكل الذي أطمع فيه وقد أصبح الرجل رئيساً
للحكومة أن يلغي الأمر الصادر باعتقالى ، وتحول كل هذا بعد
سماع هذه الأخبار والتأكد منها أن نسرع الي القاهرة على أجنحة
الريح بعد أن أصبحنا في أمن وسلام بتولية علي ماهر رئاسة
الحكومة ٠

ولم تكن لدينا سيارة ٠٠ وكانت سيارة ابراهيم شكرى متصل ولكننا لا نعرف في اى ساعة تصل من القاهرة فاتصلنا بالذكور صالح مهدى وطلبنا منه أن يترك كل شيء وأن يسرع بنا بسيارته الى مصر ٠ ولقد لبي الرجل ولم يتردد لحظة في أن يتخلى عن عيادته وعن مستشفاه ليوصلنا الى القاهرة ٠٠ فاعطى أوامره وتعليماته ، وعند ظهر يوم ٢٨ من يناير كنا في طريقنا من جديد الى القاهرة ولكن شيطان ما بين رحلتنا الماضية وهذه الرحلة ٠٠ ففي هذه المرة لم يكن هناك فى نفوسنا اى خوف أو قلق ٠٠ لقد سقط سراج الدين الذى كان يقف لنا بالرصاص وأصبح على رأس الحكومة صديق ٠٠ على رأسها على ماهر الذى يعرف من دون المصريين جميعا اننى كنت فى بيتى يوم ٢٦ من يناير ٠

وكان يجب علينا أن نصل الى القاهرة قبل الليل فالجيتى كان محتلا للقاهرة والتجول ممنوع من العاصمة مساء حتى السادسة صباحا ، وان كنا علينا فور وصولنا الى القاهرة أن أول عمل لعلى ماهر كان جعل منع التجول يبدأ من التاسعة مساء ٠ ووصلنا الى القاهرة وأخذنى ابراهيم شكرى الى أحد منازل العائلة وقد كان خاليا من سكانه وهو بيت عظيم رائع شعرنا فى داخله بالاطمئنان ٠

حملة الاتصالات

الثلاثاء، ٢٩ من يناير

وبدا من هذا الكمن ما يمكن أن يوصف بأنه حملة الاتصالات التليفونية ٠٠ اتصالات بالوزارة واتصالات بالصحف واتصالات بكل انسان له رأى وذلك لمعرفة آخر ما تكشف من حقائق يوم

٢٦ من يناير ومعرفة التفاصيل الكاملة عما حدث في هذا اليوم وعن تفسيره وتعليقه ٠٠ واتصالات ببعض معارفي من الوزراء ليتصلوا بعلى ماهر ليعمل على تصفية موقفى وكان على رأس هؤلاء الوزراء محمود حسن سفير مصر السابق فى أمريكا الذى خاطبته أكثر من مرة فى كل يوم ٠٠ كما اتصلت بكريم ثابت وادجار جلاذ ومصطفى أمين ليتذكروا الحقائق عن موقفى وبراءتى من حوادث ذلك اليوم ٠٠ واتصلت بصالح حرب ٠٠ يل ويعبد الفتاح حسن الوزير الوفدى السابق وعن طريقه اكملت معلوماتى عن ذلك اليوم فقد أمدنى ببعض التفاصيل التى شاهدها بنفسه .

وجرت لنا فى التليفون مناقشات حادة حملت فيها على فؤاد سراج الدين حملات شعواء واعتبرته المسئول عن كل هذا الذى حدث :

واتصلت بالصحف وهى التى تعكس ما يدور فى الزاى العام فهالنى ما لسته من حملة الأكاذيب والإشاعات التى فجرها حول ما قمت به فى ذلك اليوم ٠٠ على أننى لم أدرك مدى التأثير العميق بهذه الاتهامات وما وصلت اليه من تواتر الا عندما اتصلت بالدكتور حلمى مراد فوجدته فى فزع من أن تصل الأمور الى هذا الحد ٠٠ فالعامة يتحدثون عن الخمسين ألف جنيه التى قبضتها نينا لحرق القاهرة ٠٠ وهناك أناس تقسم انهم شاهدونى أخرج من السفارة الانجليزية أو أحتفى بها وآخرون فى الطرف الآخر يقولون بل شوهدت أخرج من المفوضية الرومانية ٠٠ واقوام يصلون الى حد ذكر رقم الشيك الذى أعطى لى ٠٠

وحكيه الأناصيص متصلة عن الطريقة التي قدمت بها
 المتظاهرين وعن نوع المواد الحارقة التي استعملت وكان اسم
 ابراهيم شكري يستغل كذلك . وكيف حرق ونمر ٥٥ وكان طبيعياً
 أن تحدث هذه الأناصيص والأقاويل أثرها في نفس الدكتور محمد
 حلمي مراد خوفاً واشفاقاً على ٥٥ ولكني رددت عليه في التليفون
 أن يكون عليه فكل ذلك سوف ينتهي فور أن تهدأ النفوس . وكل
 يوم يمر بل كل ساعة تنقضي وسوف تظهر الحقائق وتقضي على
 إشاعات أسوأ ، فإن للشعوب فريضة لا تخطيء في الحكم بصديق
 على الأشياء ٥٥ وأن حالة الفرع والفوضى والاضطراب هي التي
 مكنت أعدائي من نشر هذه الخرافات وفور زوال الفرع والفوضى
 ستظهر الحقائق .

وخطب ابراهيم شكري على ماهر فاذا به يطمئنه ويقول
 له انه يعتبره ابنه وأن المسائل ستنتهي بالنسبة لنا بعد بضعة أيام
 وأنه أصدر أمره للبوليس ألا يفتش علينا وكلف النيابة بأن تسرع
 في التحقيق لتجلية الموقف .

وكان هذا القول الذي قاله على ماهر لإبراهيم شكري مباشرة
 هو ذات القول الذي قاله لكل من اتصل به وحادثه في الموضوع
 كادجار جلال ومحمود حسن وصالح حرب فقد ذكر لهؤلاء الثلاثة
 انه يشق بوطنيتي . ويرى أن أبقى حيث أنا بضعة أيام حتى يصفى
 الموقف ، ولقد كان من أشد الصدمات وقعا على نفسي أن على ماهر
 قد أنكر كل هذه الحقائق فيما بعد أمام المحكمة العسكرية العليا .

وانتهز فرصة غيابي عن المحكمة لكي يقول أقوالاً سخيفة
 لا تليق برجل صغير أن يقولها فضلاً عن رجل ولي القضاء
 ووزارة العدل ورئاسة الحكومة ويزعم انه على خلق عظيم .

تسليم نفسى

على أية حال فقد اكتشفنا فى هذا الوقت المبكر أن أقوال على ماهر لم تكن الا تفريرا أو خداعا كما زعمه من أنه اصدر تعليماته لرجال البوليس الا يبحثوا عنا لم نجد له صدى بين صلفهم فكان البحث يدور على سباق وقدم .

وبدا المؤلف يسوء فان اختفائى قد هيا السبيل لتدعيم الاشاعات وبدأت اشعر باننى يجب أن أظهر على الفور للقضاء على هذه الاشاعات ولاظهار براءتى بل والكشف عن الفاعلين والمسئولين الحقيقيين عن هذه الحوادث وتزويد السلطات بما لدى من معلومات .

وقد أسرعت فأعدت مذكرة أسرد فيها حقيقة موقفى من حوادث هذا اليوم والأسباب الحقيقية التى أدت الى هذه الكارثة بحسب تصورى .

وأرسلت هذه المذكرة للدكتور فخرى أسعد وحسين حمدى فقاما بطبعها على الرونيور وشرعوا فى توزيعها ، وقابل حسين حمدى على ماهر فى مجلس الوزراء وقدم له هذه المذكرة كما قابل سكرتير النائب العام وقدم له صورة أخرى .

ولكن الحوادث بدأت تتطور بسرعة بحيث صممت على وجوب الظهور وتسليم نفسى بأى شكل أو طريق . فاتصلت فى مساء أول فبراير بحمود حسن وقلت له اننى أريد أن أضح نفسى تحت تصرف على ماهر فوراً فلن أستطيع الاستمرار فى هذا الجو الشانق ، فطلب منى من جديد أن أنتظر يوماً آخر حتى

يتصل بعلى ماهر ويحبره برغبتي هوعدته بذلك . ولكن لم أكد أفرغ من الحديث معه حتى اتصلت بزميلتي اسماعيل عامر فاذا به يلقي الي حديثا جرى له مع صلاح مرتجى الذى كان قد عين مدير للأمن العام فرر تعيين الوزير الجديد مرتضى المرغى وهو بنت له بصلة النسب . ذهب اسماعيل عامل لينبئ صلاح مرتجى بمنصبه الجديد وحدثه عن رغبة الحزب الاشتراكي من التعاون مع وزارة على ماهر . وذكر في خلال حديثه انه كان يزورنى فى المنزل بمناسبة مرضى يوم ٢٦ من يناير فذا بصلاح مرتجى يستوقفه ويتأسده انه أن يصدقه الحق بخصوصى وجودى فى المنزل يوم ٢٦ من يناير فاذا باسماعيل يقسم له على المصحف اننى كنت مريضا فى ذلك اليوم . وأنه زارنى واعطانى دواء . فأتيدى صلاح مرتجى شديد دهشته لذلك وقال له أن تقارير جميع المسئولين من الضباط ورجال النيابة تقول انه كان على رأس المظاهرات فى ذلك اليوم . وان رأى المجمع عليه لدى المسئولين هو أن أحمد حسين هو الذى قام بهذا للعمل . ولم أكد اسمع هذه الأقوال حتى أحسست بالنار تكاد تشتعل فى جسدى فقد مضى لنا ثلاثة أيام ونحن فى محادثات هنا وهناك مع الوزراء ومع على ماهر ونتصور أن المسألة فى طريقها الى الحل فاذا بمدير الأمن العام الجديد يؤكد العكس أن التقارير لدى النيابة ولدى البوليس تجمع على أننى المسئول عما حدث . ولذلك فقد قررت أن أتقدم فوراً للنيابة بغير إبطاء حتى أضع حدا لكل ذلك وأواجه هذه الأكاذيب والانتهاكات .

وعلى الرغم من أن الساعة كانت بعد العاشرة مساء فقد قررت أن أسلم نفسى على الغور فاتصلت بمنزل النائب العام عبد الرحمن غنيم وبعد قليل من الانتظار جاوبنى فسألته اذا

كانت النياية تطلبني فإذا به يرتبك ولا يستطيع الجواب عن هذا السؤال وتعلم بأنه لا يستطيع في التليفون أن يرد على هذا السؤال فهو على اقل تقدير لا يعرف اننى أحمد حسين بالذات ، فأسرعت وسمردت عليه ما وصل الى علمي من أقوال صلاح مرتجى وقلت له اننى اريد أن أضع نفسي تحت تصرفه فوراً .

فقال لى انه لا شأن له بذلك وأستطيع أن أئدم نفسي للبوليس ، فاعترضت على ذلك بأن البوليس هو عدوى الذى أخشاه وأخشى ما يصيبني من سوء على يديه . فقال لى على كل حال اذا قدمت نفسك لى الآن فسوف أسلمك للبوليس ثم أشار من طرف خفى الى أنه موجود في مكتبه صباحاً وأن بابهُ مفتوح لاستقبال كل طارق . ففهمت من ذلك اننى يجب أن أنتظر الى الصباح حتى لا أسبب له ازعاجاً في هذا الوقت المتأخر وفهمت منه كذلك بصفة عامة انه ليس متلهفاً على اعتقالى وعند هذا القدر انتهت المكالمة .

وفي اليوم التالي في صباح السبت ٢ من فبراير أعددت نفسي نهائياً لوضع نفسي تحت تصرف السلطات وبدأت أحاول اختيار الجهة التي أسلم نفسي لها . وكان كل ما يشغل ذهني بطبيعة الحال هو الاطمئنان الى ألا أقتل غيلة بأي حجة من الحجج .

ورأيت من جديد أن أتصل بصلاح مرتجى في منزله وتم الاتصال وحدثته عن موقفى واستعدائى لتسليم نفسي ، فعرض على أن أحضر لوزارة الداخلية لمقابله مرتضى المرغمي وزير الداخلية وأنه سيعرض عليه الأمر وأنقلنا على أن أخاطبه ثانية في الساعة الثالثة بعد الظهر بعد أن يعرض الأمر على الوزير .

اتصلت بالمنزل بعد ذلك ليعودوا لى حقيبة ملائسى ومصحنى استعدادا للسجن * وانتقلنا من المكان الذى كنا فيه الى منزل الدكتور محمود فهمى لتكون قريبين من منزلنا عند احضار الحبيبة ولنتناول طعام الغداء الأخير فى ظل الحرية * * وكنا قد اتفقنا على الا يسلم ابراهيم شكرى نفسه ليراقب الحالة بعد تسليم نفسى وليدافع عنى وعن الحزب ويواصل نشاطه السياسى مع على ماهر وغيره *

وتناولنا طعام الغداء وسط جو مرح بقدر الامكان ولكن شبح المستقبل كان يكمن لى خلف كل كلمة تخرج من فم احدنا * * خلف كل لقمة * * خلف كل ضحكة * * ترى ماذا سيكون مصيرى هذه الليلة * * اين ساكون غدا * * ما الذى سيفعلونه بى * * ولم اكن أستطيع الجواب عن أى سؤال من هذه الاسئلة *

وكانت عقارب الساعة تقترب من الثالثة وهى الموعد المحدد لخاطبة صلاح مرتضى وفور أن نقت الثالثة كنت قد اتصلت به ففاجأنى بقوله ان الوزير رفض أن اقبله وصرح بأننى اذا كنت أريد أن أسلم نفسى فأمامى النيابة ، فثرت على هذا القول وقلت له اننى أعجب لهذا الموقف * * فمن ناحية تقولون ان الحاكم العسكري أصدر أمرا باعتقالى وأن النيابة تريدنى * فإذا خاطبت النائب العام قال لى قدم نفسك للبوليس وإذا خاطبت البوليس قال قدم نفسك للنيابة * * ان هذا وضع شاذ ولا أستطيع أن أفهمه ، ولذلك فانتى ابنتك بصفتك مدير الأمن العام باننى سأحضر لى منزلك فى الساعة الخامسة مع الأستاذ اسماعيل عامر وعليك ان تتصرف بالصورة التى تراها وانى أحملك كل مسئولية *

وبعد ذلك اتصلت بإسماعيل عامر وطلبت منه أن ينتظرني بسيارته لدى محطة البنزين القريبة من منزله في شارع الجزيرة . . . وقد كان ، ووصلت اليه في الموعد في عربة ابراهيم شكري ومازلت أنكر حتى الآن كيف كان المطر ينهمر في هذه اللحظة مدرارا وكيف نقلوا حقيبة ملابس من عربة ابراهيم شكري الي عريته التي أصبحت تقريني من هذه النهاية . . . من الموت . . . عندما أدار محرك السيارة لتشرع في رحلتها نحو حدائق القبة حيث منزل صلاح مرتجي . . . كانت السماء مليئة بالغيوم والمطر فيها مدرارا وجو النساء القاتم بصيفته يزحف على الكون فجعلني ذلك أنقبض وأزداد انقباضا كلما درجت بنا السيارة نحو الأمام .

وأخيرا وصلنا الى حدائق القبة وبحثنا عن بيت صلاح مرتجي على الرغم من أن اسماعيل عامر يتردد على ذلك البيت كثيرا فقد جعلته عصبيته لا يكاد يعرف البيت مما اضطرنا الى السير في الطريق حتى نهايته ، ولم تكن هذه النهاية سوى استوديو جلال الذي حرق في ذلك اليوم ، وكان جنود من الجيش يرابطون حول المكان قبلاني ذلك رهبة ، وعرف اسماعيل عامر البيت أخيرا ولم تكن هناك أي حركة غير عادية في انتظارنا . وصعد اسماعيل عامر الى صلاح مرتجي وبعد فترة قصيرة ولكنها تبنت لي في ذلك الوقت وكأنها دهر طويل . عاد اسماعيل عامر وأخبرني بأن صلاح مرتجي طلب منه أن نذهب الى مكتب النائب العام فهو في انتظارنا وسوف يلحق بنا صلاح مرتجي .

ولقد ارتاحت نفسي لهذا التصرف وارتحت بالأكثر عندما وجدتنا نمود بالسيارة من جديد بدون حراسة ، بدون عساكر أو جنود أحرارا طلقاء لنصل الى النائب العام . . . وكانت السماء لا تزال تمطر وموكب الفلام يزحف . . . جاش في نفسي من جديد أن أحرص على هذه الحرية التي مازلت فيها وأن أعود من منتصف الطريق الى حيث كنت .

وأخبرت اسماعيل عامر بهذه الخواطر وأنتى فى خوف من
المصير الذى ينتظرني فقال لى انه على استعداد أن يذهب بى الى
حيث أشاء وعادمت غير مطمئن فلا ضرورة للتسليم . . ولكنى لم
أعتمد فى حياتى أن أرجع الى الوراى قط . . وأن أعدل عن القرارات
النهائية التى أصدرها ولذلك فقد قررت المضى . . ورفعت بصرى
نحو السماء هاتفا لتكن مشيئتك يارب اننى أضح نفسى تحت
حياتك . .

وصلت الى حجرة سكرتير النائب العام وكان كل شىء عادنا
والسكون يخيم على أرجاء المكان ، وقدمت نفسى للسكرتير وطلبت
مقابلة النائب العام فدخل الى حجرته ثم عاد الى وطلب منى الانتظار
قليلا فجلست وجلس الى جوارى اسماعيل عامر ومضى كل شىء
كأيسر ما يكون وكأبسط ما يكون وبدأت أتمالك نفسى ، ثم ظهر
صلاح مرتجى خارجا من حجرة النائب العام فسلم على ثم تركنى
قليلا ليصدر أوامره وتعليماته فيما يختص بالقبض على وطريقته ،
وان كنت لم أتبين ذلك الوقت ، وبعد قليل عباد الى من جديد
وأصطحبني معه الى إحدى الحجرات وجلسنا نتحدث فى موضوع
الحوادث ورأبى فيها ، وانتهى الحديث بيننا بأن أظهرت له مخاوفى
من أن تساء معاملتى فى السجن أو يعتدى على ، فقال لى : لا تخف
ولكن عليك أن توطن نفسك لاحتجال بعض المضايقات ، فدهشت
لذلك وقلت له : أى مضايقات تفصد ومن أى طراز ستكون هذه
المضايقات ، فاستدرك قائلا : مضايقات السجن ، اليس السجن
مضايقة ؟ قلت له : أما السجن فهو ليس مضايقة بالنسبة لى ،
فإذا كان هناك شىء آخر غير السجن فهذه مسألة أخرى ، فأجابنى
بالأ مجمل لهواجسى .

وعندما عدت الى حجرة سكرتير النائب العام رأيت بها عمر
حسن مدير القسم الخصوصى بالداخلية ، ثم ظهر على الأفق ابراهيم

امام ولم يلبث أن اختفى ثم حدثت مفاجأة طريفة عندما اكتشف
سكرتير النائب العام أن اسماعيل عامر الذي يلازمي ليس أحد
ضباط البوليس وأننى حتى ذلك الوقت حر طليق أستطيع
الانصراف فى أى وقت ، فاذا بالانزعاج يبدو على وجه ويسأل ،
اسماعيل عامر الست ضابطا فلما أجاهه بالنفى وأنه رقيقى اذا
بوجه يصفر ويسرع الى الخارج وان هى الا لحظات حتى بدأنا نجد
حركات الضباط والإقدام العسكرية نتردد خارج الحجرة ، والبعض
يطل علينا من حين لآخر ودخل السكرتير بعد ذلك راضيا مطمئنا
أننى لن أستطيع الإفلات بعد ذلك ، وعند هذا الحد رأينا أن
يتسحب اسماعيل عامر فى سلام قبل أن يقبض عليه فانسحب
وبقيت وحدى فى انتظار مهل ، ولكن الذى كان يخفف منه بعض
الشيء اننى كنت قد بدأت أعتبر نفسى سجيناً واستسلمت استسلام
السجين .

وأخيرا دعيت لمقابلة النائب العام وكانت حجرته مكتظة بكثير
رجال النيابة فاستقبلنى الرجل واقفا وقد كان لهاته الحركة الصغيرة
أثر كبير فى نفسى لم يبرحتى وقد خلف دائما شعورى ضد هذا
الرجل فى أخرج الأوقات ، فقد كان أقصى ما أتمناه منذ هذه
اللحظة ألا أعامل الا باحترام ، فليس هناك ما يؤرق مضجعى ويجعل
الجزع يدب الى نفسى أكثر من أن أتخيل الاعتداء على كرامتى ، ان
الموت وشبح الموت لا يمكن أن يفزعانى بمقدار ما يفزعنى فكرة
الاعتداء على كرامتى بقول أو إشارة .

وجلس النائب العام بعد أن حيايى وقال لى : « نعم ، ماذا
تريد أن تقول لى ؟! وكانت هذه مفاجأة ، فالرجل يريد أن يسمع
ما عندى ، ومعنى ذلك ان ليس عنده شيء ضدى ، وبدأت ألقى على
مسامحة تفاصيل حياتى يوم ٢٦ من يناير وكيف كان على ماهر
رئيس الحكومة والحاكم العسكري أحد الذين اتصلوا بى واتصلت

بهم في ذلك اليوم ، وسمع منى تفاضيل ما جرى من اتصالات ومحاورات بمسد تولى على ماهر الوزارة حتى انتهى بي الأمر الى الاتصال به تليفونيا كما يعرف ، وعقب انتهاء حديثي قال لى : وهو كذلك ان عندنا تحفيقا مفتوحا ومادمت قد تقدمت من تلقاء نفسك فلا مانع عندنا من سماع ما لديك من اقوال ، وعلى اثر ذلك استدعى عبد الحميد لطفى - رئيس نيابة جنوب القاهرة - وطلب منه ان يفتح محضرا لسماع اقوالى وان يبدأه باننى اتصلت بالنائب العام أمس مساء وعرضت عليه ان اسلم نفسى فطلب منى الحضور الى مكتبه اليوم وفي الساعة الخامسة قدمت نفسى له للادلاء بما لدى من اقوال .

وقبل ان اغادر مكتب النائب العام من جديد قلت له : اننى اضح نفسى تحت حثاية القانون وارجو ان تحموني من المؤامرات والاعتقالات ، فاجابنى : نحن قوم نقوم بتحقيق قضائى ولا شأن لنا بما عدا ذلك ، زاد هذا التصريح من هواجسى لانه رفض احتمال اى مسئولية فى غير نطاق ما سناء التحقيق القضائى ، وعدت من جديد الى حجرة السكرتير تمهيدا لانتقالى الى دار نخبكية مصر فى باب الخلق وبعد ساعة من الزمن بدأنا رحلتنا وفجأة وجدت خمسة من الضباط المدجنين بالمستندات يحيطون بى وبدانا الموكب على هذه الصورة ، وقد بدت لى فى ذلك الوقت ضورة مضنخة تدعو للسخرية فمن لحظات جئت من تلقاء نفسى للنائب العام وها هم يتظاهرون الآن باننى قد اقر أو اعزب ولو كان فرانتى الفراد أو الهرب ، فلماذا تقدمت للنائب العام ولكن هو القسم السياسى واساليبه ولايد ان عرضهم كان فى ذلك الوقت هو ان يضربونى بالرصاص ثم يزعمون اننى فكرت فى الهرب ، ولكن الله ملا قلوبهم خشية وروعة وترددا فلم يقدم احدهم على هذه الجريمة التى كان الملك يشنها من غير شك .

ووصلت الى مقر النيابة في محكمة مصر للشروع في التحقيق ، وكانت كل خطوة جديدة تبدد بعض الخوف والقلق من المجهول فما هي الأمور تسير سيرا عاديا .

جلست في الحجرة المجاورة لمكتب عبد الحميد لطفى وكنت أتصور أنني سادخلها بعد قليل ، ولكن الانتظار طال بنا ثم استطال حتى زاد على أكثر من ساعتين وقد ضايقتني ذلك وانتابني القلق من جديد ، ثم تبين أن عبد الحميد لطفى كان في ذلك الوقت يسمع أول الشهود الذين تقدم بهم البوليس السياسى ، والذي زعم أنه رأى في اليوم السابق على الحادث أطوف ببعض الأمكنة في سيارة ستروين سوداء ، وكان هذا الشاهد ايطاليا يدعى أوجيبنى روميللو ، وعندما دخل على عبد الحميد لطفى أخيرا ليخبرني بذلك وأنه يريد أن يقوم بإجراء عملية عرض ليتعرف على هذا الشاهد بغضب لهذه المفاجآت ولعملية العرض ، ورفضت أن أعرض على أحد ، واعتبرت أن في ذلك مساسا بكرامتى وأظهرت سخف عملية العرض وأنا رجل ترى صورته في كل مكان وتراء عشرات الألوف من الناس شخصيا في الاجتماعات العامة ، ولكن عبد الحميد لطفى راح يرجونى ويلج في عمل عملية العرض لصالحى فلو قدر أن لم يستطع الشاهد أن يتعرف على فان ذلك يجهز على الاتهام بصورة قاطعة ، أما اذا تعرف على فلن يكون لذلك أى تأثير ، ولم يستطع اقناعى بقبول العرض ، ولكن حالة الاستسلام التى وطدت نفسى عليها باعتبارى سجيناً ومتهما جعلتني أرضخ في النهاية على أساس أننى يجب أن أهين نفسى لاحتمال كثير من الأدللات التى يفرضها مجرد قيام الاتهام .

ودخلت الى حجرة رئيس النيابة ، حيث كان قد حشد بها عدد كبير من موظفي النيابة جلوساً على المقاعد فأخفت مكانا بينهم وجلست بانسا من هذه العملية مشفقا من هذه اللحظة السخيفة

عندما يشير الى الرجل ويقول هذا هو أحمد حسين ، ودخل الرجل ولم أكن أعرف عنه شيئا بطبيعة الحال ، وراح يتفرس في الوجودين ويا لها من لحظات ادعو الله - سبحانه وتعالى - ان يجنب كل قارئ، لهذه المذكرات هولها ، لحظات حاسمة في حياة الانسان عندما يقف في عرض جنائي ليتعرف عليه شخص من الأشخاص ، ان هذا التعرف أول خطوة نحو المشنقة اذا كانت الجريمة معاقبا عليها باعدام ، فاذا لم يتعرف الشخص على الانسان فهي البراءة ، ولقد كنت يائسا من ألا يعرفني الرجل ، ولكنه جال فينا جولة والتقت عينانا ووقف أمامي بعض لحظات وخيل الى أن كل شيء قد انتهى ، ولكنه تركني الى غيري وراح يتفرس فيه ، يا ربى العظيم أياكون الرجل لا يعرفني ، أنتم المعجزة !؟ فانها لن تكون أقل من معجزة ، وعاد الرجل يستعرض الموجودين ثم وقف أمام أحد مواطني النيابة وقال هذا هو أحمد حسين وضحك كل من في القاعة ، وتنفسوا الصعداء ، أما أنا فقد كان قلبي مضمورا في التسييح بالمظلة الالهية ، وأبي عبد الحميد لطفي الا أن يؤكد الانتصار فقال للرجل لا ، وهكذا انتهت هذه المحنة على خير ما يرام وتحولت الشبهة ضدني الى دليل براءة قاطع .

وعندما بدأ التحقيق معي ظهر أن هذا الرجل قال انه يعرفني وأنه كان معي في مستشفى الدمرداش ابان اعتقال بها وأنه رأى في يوم الجمعة أشير الى بعض المحلات التي أحرقت يوم السبت وعندما سألتني عنه المحقق وعن معلوماته لم أزد في ردي على أن عدم تعرفه على يهدم كل مزاعمه ، وشرعت بعد ذلك في الادلاء بما لدى من أقوال وقد استغرق سردها وكتابتها بضع ساعات حتى اننا فرغنا منها في الساعة الثانية صباحا ، وفي ختام التحقيق قال لي عبد الحميد لطفي : نحن لا نريد منك شيئا ولست مقبوضا عليك لحساب النيابة ، ولكن لحساب الحاكم العسكري ، وقد كانت

هذه البداية بداية مشجعة جدا بددت آخر ما كنت أشعر به من قلق وأنا أسلم نفسي .

وبعد قليل أخذنا طريقنا الى سجن الأجناب ، ورأيت لأول مرة بطبيعة الحال جنود الجيش وهم يقطعون الطرق ويصيحون بالعربات فف من أنت فاعاد ذلك الى ذاكرتي جو القاهرة الرهيب وخطورة موقفى ، ولكن عندما أودعت فى إحدى حجرات سجن الأجناب وأغلق على الباب وصلت الفجر استلقت على الفراش كرجل سعيد اجتاز محنة من أكبر المحن ، ولم أكن أعرف أنه لا يزال أمامى بحر ، بل محيط من المحن والويلات .

شاهد جديد

استيقظت قبيل الظهر بعد أن أخذت حظى من النوم فعلمت ان النيابة فى انتظارى لاستئناف التحقيق فدهشت لهذه السرعة فى موالة التحقيق .

وعندما وصلت الى النيابة وعلمت من عبد الحميد لطفى أننى استدعيت لاجراء عملية عرض جديدة بالنسبة لشاهد جديد انفجرت مراجل غضبى ، فقد شعرت أن البوليس سيبدأ فى تلفيقاته ضدى وسيضمرنى بطوفان من الشهود الذين يتصيدهم من هنا وهناك ، فرأيت أن أضع حدا لذلك بأن أرفض رفضا باتا عملية العرض ، وعيشا حاول عبد الحميد لطفى أن يقتنعى بالنتيجة الباهرة التى وصلنا اليها بالأمس ، عندما عجز الشاهد عن التعرف على ، ولكنى فى أعماق نفسى أدركت أنه ما كل مرة تسلم الحرة ، وأن ما حدث بالأمس لا يمكن أن يتكرر ثانية ، فقد كانت معجزة والمهجرات لا تتكرر بسهولة .

وأصررت على موقفى فى رفض عملية العرض ، وطلبت منه ان يحضر هذا الشاهد وأن يسأله عما اذا كنت أنا أحمد حسين وهذا هو كل ما فى الأمر ، ولم يستطع عبد الحميد لطفى الا أن ينزل عند رأى ، فأدخل الشاهد ، وكان نوبيا واذا كانت القاهرة لا يوجد فيها شخص يطلع على الصحف فانه لم ير صورتي فانه يكاد لا يوجد نوبى بصفة خاصة لا يعرفنى معرفة شخصية ، فقد نزلت الى الانتخابات وكان النوبيون هم اشد الناس حماسة لى ، وكان هذا الرجل قد ذكر فى أقواله أنه يعرفنى بالذات من أيام الانتخابات ، وأنه انتخبنى فكان من العيب الا يعرفنى الرجل على الفور ، ونظرت اليه وكزيميله بالأمس لم أعرفه ، وسأله عبد الحميد لطفى عما اذا كان أحمد حسين الذى رآه فى الغرفة ، فابتسم الرجل ابتسامة الشخص الواسع الذكى مدركا أن رئيس النيابة يقرر به ، وقال على الفور لا .. أحمد حسين ليس هنا ، وذهل رئيس النيابة لهذه الاجابة وأسرع لتسجيل ذلك ، وبعد أن سجله أشار على وقال اليس هذا هو أحمد حسين ؟ واسقط فى يد الرجل وبدا عليه الانزعاج أن يخطئنى الى هذا الحد ، وهم أن يتراجع بأن يقول اننى الآن ارتدى الطربوش ، أما عندما رانى فلم أكن ارتدى طربوشا ، فطلب منى رئيس النيابة أن أخلع الطربوش ، ثم طلب منه أن يقرر الحقيقة فهو رجل طيب وكان هذا التوجيه قد رده الى صوابه فأذا بالفكرة العارضة تذهب من رأسه ثم يقول : « لا ليس هو الرجل الذى رأيت » .

وهكذا تمت معجزة أكبر من معجزة الأمس ، فقد كان شاهد الأمس أجنبيا أما شاهد اليوم فوطنى ، فالله أكبر .. الله أكبر .

وقال لى عبد الحميد لطفى : ان هذا هو كل ما عنده ، وان الأمر بالنسبة له قد انتهى عند هذا الحد ، ورجعت الى السجن وأنا أكاد أطير من الفرح .. لا الفرح بالبراءة فهذه مسألة لم أكن

أتشكك فيها ، ولكن الفرح بنعمة الله الكبرى التي نجلت علي عندما
جعل هذين الشاهدين لا يعرفاني .

كانت هذه الفاتحة للتحقيق بمثابة اجراء وضع في بطني
بطيخة صيفي من ناحية التحقيق ، وقد ظلت هذه البطيخة الصيفي
طوال شهرين كاملين عندما اكتشفت انها لم تكن بطيخة صيفي
ولكنها كانت قنبلة . . قنبلة لن تليث تنفجر في ذات اللحظة
التي أوشكت فيها أن اعتبر موضوع الاتهام قد انتهى نهائيا .

٥ من فبراير مناوشات في السجن

عدت الى السجن ظهر يوم الأحد ٢ من فبراير لأراهم وقد
نقلوا حجرتي من الدور العلوي الى الدور الأرضي ، وأنتى محاط
بنظام دقيق وقاس من حيث الحراسة لم يسبق له مثيل في كل
تاريخ حياتي ، فباب حجرتي يجب أن يكون مغلقا طول النهار
فلا يفتح الا بضع دقائق ريثما أذهب الى دورة المياه ، ولم يسمح
لي لأول مرة في التاريخ بأي كتب أو صحف ، بل ان الصحف ذاته
رفض الضابط أن يسمح به الا بعد أن كنت أتشاجر معه ،
أما نظام الحرس الذي يحيط بي فكان يتألف من مأمور أحد
الأقسام وبعاونه كونستابل ومخبر من القسم السياسي ليكون
رقيبا علي هذين الضابطين ، وكان هؤلاء الثلاثة يتغيرون كل ثماني
ساعات ، وكان يعني ذلك أن هناك ثلاثة مأمور من أقسام البوليس
قد خصصوا للتناوب علي حراستي داخل حجرة مغلقة داخل سجن ،
وكان هناك فوق ذلك ثمانية عساكر من رجال البوليس يحملون
البنادق السريعة الطلقات ، وكانوا يستبدلون كغيرهم كل ثماني
ساعات أي أن عددهم ٢٤ جنديا ، وكان هناك فوق ذلك كله قوة
من جنود الجيش تبلغ الخمسين جنديا برئاسة ضابط تحيط
بالسجن من الخارج ، وكانت هناك دبابة ومصفحة تحت تصرف

رئيس هذه القوة ، وذلك كله لحراسة أحمد حسين ، ولغور أن
اكتشفت هذه الترتيبات أوجست خيفة من جديد لما فيها من شذوذ
يلوق كل تصور ، على أن الذي كان يضايقتني أكثر من كل شيء
آخر هو حظر المطالعة على وهي السبيل الوحيد لقطع الوقت ، ولذلك
فقد رأيت أن أضرب عن الطعام احتجاجا على هذه المعاملة فامتنعت
عن تناول الطعام ، ولكن خشيت أن أصغه بأنه اضرب عن الطعام
فيتحدوني ولا يهتمون بأمري فلا أقوى على الاستمرار ، ولذلك
فكرت أن اعتبر نفسي مريضا وأن امتناعي عن الطعام هو لفقدان
الشهية الناشئة من هذا الحبس الانفرادي الذي لا يسمح لي فيه
بمجرد المطالعة ، ولم أدرك في ذلك الوقت ان هذا الأسلوب سيكون
هو السلاح الوحيد الذي سأخوض به هذه المعركة الخطيرة ، وأنه
إذا كان قد قدر لي أن أحيأ وإن أعيش وأكتب هذه السطور ، فذلك
بفضل هذا السلاح .. سلاح الامتناع عن الطعام .

وان هي الا أيام حتى انتج الاضراب تأثيره فنقلت من جديد
الى الدور الأعلى في حجرة تدخلها الشمس وتطل على الشارع ،
وكان سعودي الى الدور الأعلى هو أحد طلباتي ، فقد كانت الهواجس
بدأت تساورني وأنا أقيم في هذه الحجرة الأرضية وجنود الجيش
يحيطون بها من الخارج ، فما وقفت مرة للصلاة مديرا ظهري لهذا
الحارس الذي يقف محملا ببندقيته الا وتصورت أنه من الممكن
الهارب رأسي برصاصة ، ثم يقال بعد ذلك انها رصاصة طائشة ،
ولذلك فقد أصبحت أصبى وأنا جالس لأنفادي ظهور رأسي في
النافذة ، فعندما نقلوني الى الدور العلوي كان لذلك تأثير كبير من
الفرح في نفسي خاصة وأنه كان يوجد في الدور العلوي زملائي
في الحزب حلمي الغندور واسماعيل عامر ومحبي الدين فهيم ،
وكان يوجد به كذلك فتحى رضوان وسعد كامل ويوسف حلمي ،
وكان في وجودي معهم بطبيعة الحال ما يسعدني كل السعادة
ويزيل من نفسي كل قلق أو اضطراب من ناحية التأمر على الغيتالي ،

على الرغم من أن ظروف الحراسة المشددة ظلت هي كما وصفتها من حيث غلق الحجرة بالليل والنهار باستثناء اللحظات القليلة الخاصة بالذهاب الى دورة المياه ، وصرح في ذات الوقت بالكتب والصحف لبيدات حياتي تاخذ اللون العادي الذي تاخذه في السجن وهو هدوء اليال التام والتفرغ للصلاة والصوم والمطالعة ، واتجه كل همي ونشاطي الى التخفيف من شدة القيود التي تحول بيني وبين الاتصال بزملاني .

وفي هذه الفترة أعيد أحمد طلعت ليكون حكمدار للعاصمة وأعيد معه أخوه محمود طلعت فجاء لتقابلتي في السجن ليشرح لي القيام بدوره كضابط من ضباط القسم السياسي ، ولايد أنه كان يتصور أنني سأقابله مقابلة سيئة لهذه الشهرة الفظيعة التي كان قد حازها في قضايا الاخوان المسلمين واتهامهم له وأخاه أحمد طلعت بتعذيبهم ، ولكنني اعتدت دائما أن استغل مجاملات ضباط القسم السياسي ، ولذلك فقد أسرعت بمقابلته ورحبت به وأعربت عن ارتياحي لوجوده نظرا لما بيننا من معرفة سابقة ، ورحت أذكره بجلساتنا خلال الحرب عندما كنت ممتقلا وكان مكلفا بالاشراف على شئوننا ففرح لذلك كل الفرح ، ثم قال لي : انه موفد من قبل أخيه الحكمدار لتحقيق أي شكوى مني فأجيبه بأنني حصلت على مطالبتي من حيث الاطلاع على الصحف والقراءة ، ولكنني مازلت أشكو من حبس انفرادي ، حيث لا تفتح الحجرة على الاطلاق ، فأسرع محمود طلعت طالبا من مأمور السجن أن أعطي حتى من القسحة نصف ساعة في الصباح وأخرى بعد الظهر ، وعندما انصرف محمود طلعت كنت مفتبظا كل الالتباط متصورا أن الأمور تسير في طريق التطور الطبيعي ، وأنه كما حدث في كل مرة سابقة عندما كان السجن وقيوده يتلاشيان بالترديج فإنه سيحدث هذه المرة أيضا .

وسرعان ما علق الزملاء الأمانى الكبار على هذه المقابلة ، حتى
لقد انطلقت الاضاعات أن موعد الافراج عنا قد أصبح وشيكاً
ولكن هذا الاسراف فى التفاؤل قد نفى رد الفعل سريعاً جداً ، ففي
المساء حدث أن تقابلت مع حلمى الغندور واسماعيل عامر مقابلة
عابرة فى حجرة الصاغ المكلف بحراستى داخل السجن ، فعلمنا
فى اليوم التالى أن ذلك كان محل تحقيق خطير ، وان هذا الضابط
قد صدر الأمر بنقله الى اسيوط عمقاً له على ذلك ، وفوجئت بأجراء
جديد فى السجن لم يسبق له مثيل من حيث التشديد اذ جاء
بأمور السجن بدفتر خاص ليوضع فى الحجرة المجاورة لى ويرصد
به الضابط المكلف بحراستى كل حركاتى وسكناتى ويسجل به
الساعة والدقيقة التى فتح فيها باب حجرى ولماذا فتح ، وكم دقيقة
ظل مفتوحاً وهكذا .

ومرة أخرى تارت براكين غضبى وحلقى فكتبت خطاباً شديداً
التهجاً لأحمد طلعت - الحكمدار - شخصياً وأبدت دهشتى أن
هذا التطور عقب زيارة محمود طلعت لى ، وتساءلت : عما اذا كان
هذا هو بدء الأساليب المتتوية التى اشتهر بها الشقيقان ، وأحدث
الخطاب تأثيره ، فان الدوى الذى أثير حول أحمد طلعت ورغبته
الشديدة فى الدفاع عن نفسه جعلاه يبادر بالحضور الى السجن
بنفسه لينظر فى شكواى ، والحق انه لم ينج أعضاء الحزب
الاشتراكى من التعذيب والتنكيل الذى أتبع مع الاخوان المسلمين
الا ورغبة أحمد طلعت وضباط القسم السياسى الذين كانوا قد
أقصوا من المحافظة وأعيدوا اليها بعد ٢٦ من يناير هؤلاء جميعاً قد
حرصوا على ألا يقعوا فى الخطأ الذى وقعوا فيه أول مرة فيتباحشوا
التورط فى الضغط على المتهمين أو ايذائهم ، وقد انتفعنا كل
الإنتفاع بهذا الطرف الخاص ، وذلك فى وقت كان فاروق يتبنى
فيه لو وجد من يبذبن بالليل والنهار كل صنوف العذاب .

جائني أحمد طلعت يسألني : عما أشكو منه وأبدي استعدادي لإحضار الكتب التي أريدها على نفقتهم الخاصة وألح علي أن أكتب له قائمة بأسماء الكتب التي أريدها لشراؤها من المكتبة ، فكتبت لهم أسماء بعض مؤلفات تولستوي وهي « أنا كارينينا » و « البحث » و « الحرب والسلام » ، ولكن عندما حدثته بصدد الحراسة المشددة وأنها تضغط على أنفاسي أبدى اعتذاره عن إمكان عمل أي شيء في هذا الصدد .

وقال لي كيف أستطيع أنا الحكمدار أن أقول للأمر السجين ألا يشدد الحراسة ، وماذا تكون النتيجة لو فر أحد المساجين غيرك ، ثم زعم أن هذه الحراسة المشددة ليست من أجل ، ولكنها من أجل جميع المسجونين ، وقد كنت أعرف أن ذلك كتب صريح ، ولكن لم يكن باستطاعتي أن أurd على ذلك ، وانتهت المقابلة عند هذا الحد .

ومضت الأيام والساعات بعد ذلك في سجن الأجانب بين مد وجزر ، كانت الصحف تشير باستمرار إلى أن التحقيق في موضوع التحريض على حوادث ٢٦ من يناير ماض في طريقه ، وأنه قد عهد به إلى عبد الحميد أبو شنيف - رئيس نيابة الصحافة فكان ذلك بمثابة ندير شر ، فاختيار رئيس نيابة الصحافة بالذات لتحقيق موضوع التحريض معناه أنه سيتخذ مما نشر في الجريدة مادة لهذا التحريض ، فبدأت الهواجس تتناوب في هذه الناحية ، ولكن سرعان ما استبدت هذا الخاطر .

وفي ذات يوم قابل محمود طلعت حلمي القندوز في السجن فقال له عبارة لم تكذب تنقل إلى حتى كانت أشبه بالقبيلة ، وكانت هذه العبارة ردا على احتجاج القندوز لعدم تلقيه أي زيارة من الخارج ،

فقال له محمود طلعت : زيارات ايه ، ده فيسه ثلاثة من اعضاء
الحزب اعترفوا ضد الحزب ، وقالوا كل شيء .

اعترفوا ؟ اعترفوا على اى شيء ؟ ومن هم هؤلاء الذين
اعترفوا ؟ هذه هي الأسئلة التي طلت بغير جواب وظللت معها في
قلبي متزايدة .

ثم بدأت تأتينا الأسماء انهم بسيم السعيد ومحمد الحلو ،
ومع ذكر الأسماء خف وقع النيا فليس لأيهما اى خطر وماذا يمكن
أن يقول بسيم السعيد ؟ وماذا يمكن أن يقول محمد الحلو ؟ ولكن
أقوال بسيم السعيد لم تلبث أن أصبحت ذات خطر شديد ، فقد
قبضت النيابة على بضع وعشرين شخصا من بين المعتقلين وأودعتهم
سجن مصر كنتيجة لاتهامات بسيم ، وبدأت الصحف تذيب
التصريحات لمرضى المراغى أن الحكومة قد وضعت يدها على
المحرضين نهائيا ، وكان معنى ذلك أنه يعنينا نحن الاشتراكيين .

ولكن الخبر جاء بعد ذلك أن بسيم السعيد قد فر وهرب من
يد البوليس ، وبهذا أصبحت أقواله معلقة في الفضاء ، ان هذه
الأقوال ذاتها قد كشفت التحقيق عن تفاهتها وافلاسها وهكذا كان
المد والجزر من يوم لآخر ومن ساعة لأخرى هي طابع الحياة في
هذه الفترة ، ومع ذلك فقد كنت أشعر بهدوء غريب وبتسقة
بالمستقبل ، حتى أنني شرعت أتابع مذكراتي عن طفولتي ، وهي
مذكرات كنت قد بدأتها قبل ذلك ببضعة أشهر في سجن الأجانب ،
وكان ذلك آية هدوء أعصابي .

وقام نزاع بين سراج الدين وبين الحكومة حول المسئولية
عن حوادث ٢٦ من يناير ، فنشر بيانا مدويا في جريدة المصري
فرض فيه بمسئولية القصر ورجاله عن عدم انزال الجيش في

موعده لقمع هذه الحركات ، وقد رد عليه الجانب الحكومي ردا
عنيفا ، وطلب من النائب العام تحقيق هذه الناحية فشرع في
تحقيقها .

ثم أصدر تقريرا ضخما حلل فيه حوادث يوم ٢٦ من يناير .
وانتهى فيه الى ذات النتائج التي انتهت اليها في تقريرى عن
حوادث هذا اليوم ، وهو أن حوادث الاسماعيلية كانت هي العنصر
الفعال لاهاجة شعور الجنود والمساکر ، وأن مظاهرة عساكر
البوليس وتردهم في صباح يوم ٢٦ من يناير هو السبب في هذه
الكارثة ، وأشار الى تفصيل المسئولين وعلى رأسهم وزير الداخلية
من علاج الأمر في الوقت المناسب .

ولقد نزل هذا التقرير على قلبي بردا وسلاما ، فقد تصورت
أنه فصل في موضوع التحريض نهائيا ، وأرجع الحوادث الى
اسبابها الطبيعية ، فمن المستحيل أن تعود النياية بعد ذلك الى القاء
المسئولية علينا ، وفاتنى كما يفوتنى دائما ان احسان الظن بالناس
هو أحد أخطائى التي طالما سببت لى المتاعب ، ولكن الحوادث
لا تزيدنى الا اصرارا على هذا الخطأ ، فسوف أظل احسن الظن
بالناس وليكن ما يكون .

تصورت ان النائب العام الذى كتب هذا التقرير لن يسمح
له ضميره بعد ذلك أن يقول : ان سبب الحوادث في يوم ٢٦ من
يناير هو مقالات أحمد حسين ، ولكن ضميره قد طوع له ذلك كما
سنرى ، بل طوع له ما هو أكثر من ذلك ، طوع له أن يصدع بأمر
نجيب الهلال ، عندما طلب منه أن يضيف الى قرار الاتهام مادة
الاعدام ليتمكن حسين طنطاوى قاضيه من تطبيقها ، ولكنى في
ذلك الوقت الذى اتحدث عنه فى أواخر فبراير سنة ١٩٥٢ م
لم اكن أتصور ذلك ، ومن هنا فقد عادت الطمأنينة الى قلبي ، وفى

ذلك الوقت كان ضباط البوليس المخصصين لحراستي الذين القوني
والفتيم . وكذلك ضباط الجيش ، وكان من بينهم ضابط رقيق
يدعى راضي ، فكانت أحاديثنا في الشؤون العامة تتطور يوما بعد
يوم ، بحيث أصبح بيننا ما يشبه الإلفة والصدقة فخفف ذلك من
وحشة السجن والحوادث .

شهر مارس

واستهل شهر مارس ويحلول هذا الشهر بدأ الجو يكفهر
ويتبدد وتتبدد عناصر التفاوض والثقة بنفسى ، فقد سقطت وزارة
على ماهر ، ولم أكن مفتيحا باستمرارها بعد أن رأيتنى لم أستفد
فى قليل أو كثير بعلاقتى بنفى ماهر ، ولكن الوزارة التى خلقتة
وزارة نجيب الهلال كان مقدرها لها أن تكون لعبة للسراى أكثر
وأكثر ، وبالتالى سبيلا للتكبير بنى بأشد ما كانت الوزارة
الناضية ، ولم يتكشف ذلك فى بادىء الأمر ، بل لعل هذا التغيير
التجديدي وما يقصاحبة من تصريحات يتولاه قد أدخل فى نفسى بعض
التفاوض أن تتحسن الأحوال .

بيد أن مجرد التغيير فى حد ذاته كان يحتل فى طياته عنصرا
من عناصر الأمل ، فقد دلتنى ذلك على أن الأمور أبقت ما تكون عن
الاستقرار وأن الصعوبات تتراكم يوما بعد يوم .

ولكن الأيام الأولى من وزارة نجيب الهلال قد أثبتت إلا محل
للتفاوض وإن التشاؤم هو الذى سيكون سيد الموقف بعد قليل ،
فقد بدأت تصريحات مرتضى الراعى من جديد تتوالى من أنه قنقن
على المرخصين الذين عاشت الجريمة فى رؤوسهم ، وقد اتى بهذا
التصريح الى مجلة المصور ، فشمعت بضيق شديد وأنا أظلمه
واحسست أن المؤامرة تسع فى طريقها خلدنا .

وبدأت أراجع الموقف من أوله إلى آخره ، فوجدت استمرار الحراسة الشديدة بل ومضاعفتها من حين لآخر لا يحمل في طياته غير نذير الشر ، وأضفت إلى ذلك رفضهم مقابلة زوجتي لي وهو ما لم يحدث من قبل ، وكان اسماعيل عامر ومحسن الدين فهم يدعيان من حين لآخر للتحقيق معهما ، فكان يحملان إلى بعض الأبناء التي يفهم منها أن التحقيق مستمر وأن مقالتي محل بحث ودراسة لجعلها مادة اتهام ، وهكذا تراكمت العناصر على .

ووصلني في ذلك الوقت إعلان لحضور المحاكمة عن قضايانا الخمس التي كانت مؤجلة من قبل وهي الخاصة بالميب في الذات الملكية والتحرير على قلب نظام الحكم والتحرير على ما سموه جرائم النهب والحرق والقتل وبغض الطوائف وإهانة الوزراء والحكومة والبرلمان . . عشرات من التهم تأخذ بعضها برقاب بعض وحدد لنظر هذه القضايا يوم ٥ مارس بالذات ، ولم يكن هناك جو أسوأ من هذا الجو يمكن أن تنظر فيه هذه القضايا ، ولذلك فقد تراكمت على الظلمات فوق بعضها ووجدتني مدفوعا للاضراب عن الطعام من جديد .

وكانت مطالبتي من وراء هذا الاضراب بضرورة تحقيق دفاعي الذي أبديته عند اعتقال وسماع كل الشهود الذين طالبت بسماحهم وضرورة السماح لزوجتي بزيارتي ووضع حد لهذا الجو الإرهابي الذي يحيط بي بصفة عامة . .

أوجهني أبو شنيف ليخبرني بأنه سيحقق الدفاع بالفعل . . ولكن مضيبت في الاضراب . . فجاءوني بزيارتي تزورني وكان موقفهم في هذه الناحية طريفا ، فقد كانوا يرفضون التصريح لها بزيارتي ، وعيننا حاولت الحصول على هذا التصريح فإذا بها تفاجأ

بهم وهم يطلبون منها أن تحضر لزيارتي ومع شدة لهفتها على رؤيتي
فقد أحسست بفريرتها أن هذه الدعوة لزيارتي لا يمكن أن تكون
لمصلحتي ولذلك فقد اعتذرت عنها وأجلتها يوما بعد آخر .

ثم جاءني بجياعة من الأطباء وعلى رأسهم الدكتور محمد
ابراهيم والدكتور عادل الأزهرى ومعهم كبير الأطباء الشرعيين ،
وذلك لكتابة تقرير عن حالتى الصحية وقد ظهر لى بعد قليل أن هذا
الاهتمام إنما يرجع الى رغبتهم فى حضورى المحاكمة التى حدد لها
يوم ٥ من مارس ، فكتب الأطباء تقريرا يفيد بأن حالتى الصحية
لا تسمح لى بالذهاب الى المحكمة ، وذلك بسبب امتناعى عن الطعام
وأخيرا زارتنى زوجتى لأول مرة بحضور وكيل النيابة على نور الدين
وابراهيم امام ٠٠ وكانت هذه أول مقابلة لنا منذ يوم ٢٦ من
يناير ، ولم نستطع أن نتبادل أى كلام خاص بالقضية فاكثفت
بالأسئلة العامة عن صحتها وأحوالها ، وكان لابد وقد أجيبت كل
طلباتى وسمع شهودى وسجلت أقوالى فى الاحتجاج على مرتضى
المرامى والاشارة من طرف خفى الى مسئولية الملك عن هذه الحوادث
فلم يكن هناك مبرر للمضى فى الاضراب خاصة وقد أصبح من المقرر
الا أحضر جلسات المحاكمة يوم ٥ من مارس ، وعلى ذلك فقد كتبت
للمحكمة معتذرا عن الحضور ، وطالبا تأجيل القضايا بعض الوقت
على أن تنظر فى خلال الدور نفسه ، وعلى هذا فقد عدلت عن
الاضراب وشرعت فى تناول الطعام ، ولكنى فوجئت بعد ذلك بأن
القضايا قد تأجلت الى يوم ١٠ من مارس ٠٠ أى بعد خمسة أيام
فقط وقد أخفوا هذا التبا عنى فى بادئ الأمر كى لا أواصل
الاضراب ، وقد صدمتني هذا الاجراء صدمة عنيفة وأحسست ما فيه
من الكيد لى ولكنى قررت أن أواجه هذه المحاكمات بعزم وشجاعة
وأن أحاول تصفيتها بأى ثمن من الأثمان وأن أوصل نفسى على
احتمال بعض سنوات من السجن .

وجاء اليوم المحدد لنظر مجموعة القضايا وهي مجموعة يتخلع لها قلب أى انسان ولطالما تصورت اليوم الذى تنكس فيه هذه القضايا فوق رأسى وتمسك بتلابيبى ولم أتخيل فى يوم من الأيام كيف سيكون المخرج منها وكان الحل الوحيد فى نظرى هو أن أمضى .. أمضى حتى النهاية حتى أنفجر وأنزق اربا . ولكن الذى لم يطف بخيالى ولا دار فى حسابى فى أى يوم من الأيام أن تتجمع هذه القضايا وتنظر وسط هذا الجو الرهيب الذى أصبح يكتنفنى وهذه التهمة الشنيعة تهمة حريق القاهرة تلقى على ظمى الكثيف .

لقد نظرت هذه القضايا من قبل وسط جو صاحب ينبض بالحرارة وثورة الشعب .. كانت قاعة المحكمة تكتظ بأفراد الشعب وكانت المحكمة عندما تصدر أمرها بإخلاء القاعة لنظر القضية فى جلسة سرية يبدو عليها أنها ترتكب أمرا أدا وكانت المحكمة لا تلبث أن تؤجل نظر القضية لتتخلص منها وتنجو من الحرج الذى يسببه الفصل فى القضية بالأداة أو البراءة .. أما الآن فقاعة الجلسة خالية خاوية على عروشها ليس هناك من يجرؤ على الاقتراب منها حتى المحامون ممنوع عليهم أن يحضروا الجلسة الا اذا كانوا ممن سيترافعون عنى بالفعل .. وحتى هؤلاء لا يسمح لهم بالاقتراب منى أو التحدث معى . وكان ذلك شيئا لم يسبق له مثيل فى تاريخ القضاء فى مصر أن لا يستطيع المتهم أن يخاطب محاميه حتى أمام المحكمة .. ولكن هكذا شاعت تنظيمات ابراهيم امام الذى كان يشرف بنفسه على هذه الترتيبات والذى صحبنى من السجن الى المحكمة بالاضافة الى مجموعة من ضباط البوليس الكبار ما بين قائم مقام وبكباشى وصاغ ويوزباشى ومع هؤلاء سيارة مليئة بالجنود المدججين بالسلاح .

وكان الذى يعينى من ذلك كله أن لا تخدش كرامتى .
بأن يفكروا فى وضع القيود الحديدية فى يدي أو أن يزجوا بى فى
قفص الاتهام وكان وجود ابراهيم امام معى ضامه كبرى لكيلا
يحدث شئ من ذلك فهذه الحية الرقطاء تحب دائما أن تبدو
ناعمة المنس مع فرائسها ولقد رحبت دائما أبدا بهذه النوعية
فكل الذى كان يعينى هو أن اعامل معاملة طيبة شالية من الخشونة
ولقد كان ظهوره على المسرح فى أى موقف من مواقف القبض على
أو تفتيش بيتى أو محاكمتى هو ضمان لحدوث ذلك .

ولذلك فعندما وجدت نفسى فى آخر الأمر مستنقرا فى مقعد
المحامين فى محكمة الجنايات وقد وصلت اليها معززا مكرما لم يعنى
فى شئ، هذا الشذوذ المحيط بى من حيث شدة الحراسة والحيلولة
دون أى انسان والاقتراب منى . وقد بدأت محاكمتى فى ذات
الوقت الذى بدأت فيه المحكمة العسكرية العليا برئاسة حسين
طنطاوى فى نظر قضايا ٢٦ يناير وقد ضاعف ذلك فى الجو الارهابى
المحيط بدار المحكمة فكانت ساحة باب الخلق أشبه بميدان حربى
وكذلك المحكمة من الداخل بل وقاعة الجلسة ذاتها . وأخيرا عقدت
الجلسة برئاسة هذا الرجل الطيب محمد صادق . ولقد شعرت
دائما أن هذا الرجل طيب القلب وقد أيدت الحوادث مسدق
احساسى .

ولم يكن معى من المحامين سوى عبد المحمد نافع ومحمد
عصفور أما الأول فانه يحلو لى دائما أن أصفه بالأسد القضنفر
ولا شك أن فيه من الأسد منظره وعندما يهدر صوته فى المحكمة
بهذه العبارات القوية المدوية فانه يشبه فى موقفه دائما أسدا يزار
فى غابة .

أما محمد عصفور ذلك الشاب الذي يوشك بعد قليل أن يصبح القانوني الأول في البلاد . . القانوني المدافع عن الحريات وحقوق الإنسان وهو يجلس الآن - أي وقت كتابة المذكرات - فوق منصة القضاء في مجلس الدولة حيث صال وجال قبل ذلك في صفوف المحامين مدافعا عن قضايا التي شغلت مجلس الدولة طوال عام ١٩٥١ .

وحاول عبد المجيد نافع وعصفور أن يؤجلا هذا القضايا وكان من الواضح أنهما يقومان بمحاولة فاشلة فالعزم قد استقر على نظر القضايا (ودريكة) الدنيا فوق رأسي والخلاص مني ، وجلس في كرسي النيابة علي نور الدين ورئيسه عبد الحميد أبو شنيف يتحفظان للثورة على المحكمة أن لاح في الجو امكان تأجيل القضايا .

ورأيت أن أخوض المعركة في شجاعة واستسلام في ذات الوقت فقررت أنني مستعد لنظر القضايا فوراً وأنه اذا كان حضرات المحامين غير مستعدين فسوف أتولى المرافعة عن نفسي ريشا يمدون مراعتهم . وازاء ذلك انفرجت الأزمة وقال القدر كلمته وبدأت المحكمة في نظر القضايا الخمس .

واقترحت على المحكمة أن نبدأ تناول القضايا من حيث الترتيب الزمني وهي تتألف من عدة جنح ما بين قذف وسب في النحاس وسراج الدين والتحرير على جرائم القتل والنهب والحرق وبغض طائفة . فأجابتنى المحكمة الى طلبى ثم دفعت دفعا قانونيا وهو وجوب أن يكون هناك شكوى كتابية من المجنى عليهم فأسرعت النيابة الى قبول هذا الدفع وأعلنت تنازلها عن كل هذه التهم الموجهة الى النحاس وسراج الدين وعثمان محرم وحسين سرى وكريم ثابت وأصبحت التهمة مقصورة على التحريض على جنایات القتل

والنهب والحرق . وكان ذلك افتتاحا طيبا جعل شعاعا من التفاؤل يذب الى نفسى . . وبدأت المرافعة في صوت منخفض فأشرت الى الظروف التي تحيط بى وشدتها ولكنى أكدت يقينى بالله عز وجل وأنه لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا . . ومضيت في المرافعة دون ان تقاطعنى المحكمة وكان من الواضح انها متأثرة الى حد بعيد بالحق والصدق الذى تنطوى عليه كل كلمة تخرج من لسى .

وانتهى اليوم الأول من أيام المحاكمة وعدنا الى السجن لنعود في اليوم التالى للمرافعة في قضية أخرى من قضايا العيب في الذات الملكية .

وفي اليوم التالى كانت المحكمة العسكرية العليا قد أصدرت أول أحكامها في حوادث ٢٦ يناير ما بين اشغال شاقة مؤلفة وخمسة عشر عاما فانتخمت قلوب الناس رعبا وفزعاً من هذه الأحكام الجائرة فقد كان كل انسان في مصر يشعر ان هؤلاء الذين قبض عليهم ما هم الا أشخاص مظلومون قبض عليهم من عرض الطريق ليقال ان البوليس قد قبض . . ويحكم عليهم ليقال انه قد حكم على الفاعلين والمركبين . والفجرت براكين السخط والغضب على حسين طنطاوى رئيس المحكمة العسكرية العليا ولم يعد هناك في مصر شخص واحد لا يسب حسين طنطاوى ويصفه بالجلاد والسفاح .

وكان القائمقام عبد العزيز على المشرف على نقل الى المحكمة يبدو عليه الافتتاط والارتياح لهذه الأحكام وكان يعبر عن سروره وابتهاجه لابراهيم امام الذى كان يبادل نفسه السرور وان كان شديد الحرص على اخفاء هذا السرور في حبات المسبحة التي كان يعبت بها كيمظهر على التقى والصلاح ونقاء القلب . وأبديت لهم

رأى في هذه الأحكام وأنها أحكام جائزة وأن حسين طنطاوي لن يجرؤ على تكرارها ثانية بأي حال من الأحوال بعد هذا السطخ والانتكار الجبامى .

وسارت المحاكمة في يومها التالي في نفس الجو الذي سارت فيه في اليوم الأول . . قاعة خالية خاوية على عروشها الا من المحكمة ومتى وضباط ابوليس المكلفين بحراستى وعندما جاء دورى في المرافعة بدأتها مواصلا مرافعتى فى اليوم السابق وشارحا الموقف بينى وبين الملك وبين سراج الدين وبين الحكومة ، وان حيلتى فى حقيقتها هى على الفساد والانحلال ولست أقصد من ورائها الا خير الجميع . . وبدأ الجو يصبح مشجعا بالعطف على . .

وتست المرافعات على وتيرة واحدة فى أربع قضايا واذا بى اناجا فى اليوم الأخير بطلب النيابة تأجيل القضية الخامسة قضية قلب نظام الحكم الخاصة بالمقال المعنون « الثورة الثورة الثورة » . وكان عبد الحميد أبو شنيف قد أنبأنى أنه سيطلب هذا التأجيل لارتباط هذه القضية بحوادث ٢٦ يناير فأزعجتنى ذلك وكتبت للنائب العام بهذا الاتجاه فما علاقة مقال مضى على كتابته بضعة اشهر سابقة على حوادث ٢٦ يناير بهذه الحوادث . ولكن النائب العام كان قد بدأ كما اظهرت الحوادث فيما بعد يتنكر لى فلم يكن لاحتجاجى اى تاثير ولكن النيابة غطت مركزها فى الجبسة بأن جعلت التأجيل لاعادة اعلان سليمان زخارى المتهم معى نى القضية والذي لم يسبق اعلانه وهكذا تأجلت القضية على هذا الاعتبار . . وتأجل معها النطق بالأحكام الأربعة الى يوم ١٧ مارس . .

وكانت مرافعاتى قد جعلت الضباط المرافقين لى ينتمون لى ويلطمون بأن الأحكام ستكون كلها بالبراءة . . وكنت عندما أعود الى السجن يتلفنى اخوانى وضباط المدجن بالسؤال عن

الحالة وعن الجو وعمّا أتوقع وعمّا ظهر من اتجاهات المحكمة وكنت
أرد على الجميع بأنه يحسن بنا الانتظار فالقول الفصل قد أصبح
قريباً ولكن الجميع كانوا يتفألون ويؤمنون بأحاسيسهم الطيب أن
لا يكون هناك سوى البراءة أو على الأقل تقدير أحكام مع إيقاف
التنفيذ وكان هذا الخاطر الأخير يلوح أحياناً في رأسي كأعظم
ما أتمناه أما البراءة التامة فقد كانت تشبه المستحيل لأن بعض
المقالات كان صريح العيب في الذات الملكية المصونة وخاصة في
مقال « حيدر » - بوللي - كريم ثابت النقيب ينفي تطهير البلاد من
هذه العصابة « ، وفي هذه الفترة كانت أحكام حسين طنطاوى
تتوالى كالطرير يوماً بعد آخر ، وقد صحّ تقديري من حيث انه أصبح
يجنح الى تبرئة عدد كبير من المقبوض عليهم تحت ضغط استنكار
الرأى العام وهبط بأحكامه من الأشغال المؤبدة الى خمسة عشر
عاماً كحد أقصى ، وكانت هذه القضايا وما يدور فيها تؤكد ثقتى
بنصوح برائتى من ناحية ، فكل هؤلاء المتهمين لا أعرفهم أو يعرفوننى
ولا صلة بيننا وبينهم من أى نوع ، ولكن شدة الأحكام والسرعة
التي كانت تتم بها (والكلفتة) التي كانت (تكلفتت) بها كان
ذلك يزعجنى من ناحية أخرى ويلوئنى خشية من أن أقع في براثن
هذا الرجل على أى صورة من الصور .

وجاء اليوم المحدد لصدور الأحكام وكنت قد قررت ألا أحضر
هذه الجلسة لأوفر على نفسى القلق ومرارة الانتظار والتطلع المستمر
الى حجرة المداولة وترقب اللحظة الحاسمة ، ولكنسى قدرت أن
الانتظار في السجن سيكون أشد مرارة ووجدت نى نفسى شعوراً
بالعزم والتصميم على مواجهة الأحكام أياً كانت ، ولذلك فقد ارتديت
ملابسى في آخر دقيقة وذهبت مع الجماعة الى المحكمة وجلسنا في
القاعة ننظر ، وكان بعض الضباط يؤكدون أن الأحكام ستكون
بالبراءة ، ولكنى لم أكن أشاطرهم هذا الاحساس وإن كان التفاؤل
بغيرنى ..

الأحكام

وهتف الحاجب بصوته الذي يبدو رهيبا في هذه اللحظات ، محكمة ، ودخل القضاة ومن خلفهم عبد الحميد أبو شنيف وأسرعيت أتفرس في وجوههم لمعرفة الحكم أو طلائعه فوجدت الصرامة تبدو لأول مرة على وجه محمد صادق ، فكان ذلك نذيرا بالشؤم ، وبدأ ينطق أحكامه ، فكان أولها يقضى بالحبس ستة أشهر حيسا بسيطا وهكذا صدر الحكم بالحبس أخيرا وسيكون على أن اقضى لينبي في السجن ، ولكني مازلت أؤمل أن تكون الأحكام النالبا بالبراءة ، ولكن الحكم الثاني كان كسابقه ستة أشهر حيسا بسيطا ، ثم نطق بالحكم الثالث ستة أشهر حيسا بسيطا ، ولقد بدأت الأحكام تهال على رأسي كما لو كانت مطرا مدارا ، ولكن من حسن الحظ أن الأحكام في حد ذاتها لم تكن شديدة أو قاسية مما خفف وقعها بعض الشيء ، وأخيرا نطق بالحكم الأخير في قضية الجنحة وهو يقضى بالبراءة ، وكذلك تضمنت الأحكام السابقة بعض الأحكام بالبراءة في تهم أخرى كان قرار الاتهام في كل قضية يتضمنها .

وغادرت هيئة المحكمة قاعة الجلسة وسط السكون العميق ، ولقد كنت أنا الوحيد المنشرح الصدر بعد انتهاء هذه المحنة وانتهاها على هذه الصورة ، لقد كانت هذه القضايا كالكابوس يكتم على أنفاسي ، كانت أشباحا تنفص على نومي في بعض الأحيان ، أما الآن فقد انتهت وصفت وتبختت عن عام ونصف من الحبس ، وهكذا تحدد الموقف وتنفست الصعداء .

وأقبل على الجميع بواسطة يواسوني ويظهرون الحمد على هذه النتيجة والبعض الآخر يظهر دهشته لهذا الحكم غير المتوقع ، فالقضايا يجب أن يقضى فيها بالبراءة بعد مراعاتي ، ولكني وسط ذلك كله كنت أبتسم في هدوء وكان كل الذي يشغلني هو كيف

نتهى من الإجراءات بسرعة واجتاز هذه المرحلة الثقيلة . . .
الانتقال من سجن الأجانب الى سجن مصر .

وعدت الى سجن الأجانب لأخذ ملابسى وكان خير الأحكام قد
سبقتنى الى السجن . فوجدت جميع اخوانى فى انتظارى والجزع
مرتسم على وجوههم ولن أنسى ما حييت صورة اسماعيل عامر
والحزن العميق الذى كان مرسوما على وجهه وأنا أشير له على البعد
مبتسما أن « يشدوا حبلهم » وأن لا داعى للحزن ولن أنسى كذلك
ما ارتسم على وجه فتحي وضوان من الإشفاق أن يكون مصيره
كمصيرى ، فقد كان عبد الحميد أبو شنيف قد وجه إليه بدوره
تهمة العيب فى الذات الملكية وكانت معروضة على نفس المحكمة
التي حاكمتنى وحكمت على .

ونزلت سلم سجن الأجانب فى الطريق نحو سجن مصر ،
ولم أكن أعرف ما الذى يضيره لى المستقبل ، وهل هذه الخطوات
التي أخطوها ستكون آخر ما يربطنى هؤلاء الأشخاص الأعززة على
قلبي أم أنه يتعذر على أن أجتنب معهم بعد ذلك . . .

كان المستقبل يبدو وكأنه نافذة مغلقة لا يبدو من خلالها
شىء ، ولكنى لم أكن أشعر بشيء من الكآبة ، وكان الهدوء والاطمئنان
يفرغان نفسى .

ووصلنا الى سجن مصر ، حيث كان يلزمنى إبراهيم إمام
وعبد العزيز على ، ولكننا لم نكد نقرع باب السجن حتى أطل علينا
وجه بغيض هو وجه مأمور السجن المسوس جلال الجوهري ،
والذى طارت شهرته كل مطار من حيث نشاطته وسماحته ،
وقد فهمت من لهجته أن تعاميات جديدة قد صدرت ونحن فى
الطريق لتغيير مقر سجنى ، وقد كان هذا ما أخشاه فقد كنت

شديد اللهفة أن يكون سجن مصر هو سجنى ، وذلك لوجود جميع زملائى التهمين فى قضية ٢٦ يناير بها وعلى ذلك فاستطيع أن اتف على مجريات القضية ، ومن ناحية أخرى فإن سجن مصر من الناحية الصحية سجن حسن تغمره اشعة الشمس ، وذلك بخلاف سجن الاستئناف الكتيب والذى لا تنفذ اليه الشمس اطلاقا والمخصص لتنفيذ عقوبة الاعدام ذلك المنظر الكرهه الى نفسى .

ووقع ما كتبت اخشابا فقد رضى جلال الجوهرى ان يقبلنى فى سجن مصر واحتج بوجود زملائى فى السجن وأنه من الخير ان اودع فى سجن الاستئناف ، وقد كان فقد عدت الى المحاطلة الى سجن الاستئناف ، وكان لهذا التغيير المفاجيء اثر سيىء جدا فى نفسى ، فقد احساست بأن ذلك هو بدء الكوارث .

فى سجن الاستئناف

دخلت سجن الاستئناف وصدرى منقبض لهذا السجن فى نفسى وحشة ذلك أنه كما قدمت هو السجن الذى ينفذ فيه على المحكوم عليهم بالاعدام ، وهى عطية بغيضة الى نفسى ، وأنا حر طليق لما بالك وأنا سجين يظله اتهام خطير ، وكان فى السجن وكيله وهو يوزياشى يدعى عيد الرؤوف جودة فاستقبلنى فى هدوء واتصرف ابراهيم امام ومن معه من كبار الضباط ومسافروهم ، وبقيت بمفردى مع هذا الضابط الصغير فى جو يسوده الهدوء ، وقد بدأت الاجراءات العادية اجراءات تفتيش وسؤالى مما اذا كان لدى اماتات نقدية او مواد شبيهة ولاحظ الباشمجان فى يدى خاتم الزواج فطلبه منى وظهر الالم فى نفس الضابط ، وبدأ عليه أنه يوشك ان يعترض على هذا الطلب ، ولكنى رايت ان احسب المناقشة نقلت الخاتم واعطيته

له ولم يكن ذلك بغير ألم عميق في نفسي ، ولكنني رأيت أن أروض نفسي فوراً على احتمال صنوف مختلفة من المضايقات .

وكان الحكم على يقضى بالحبس البسيط ، والحبس البسيط يسمح للمحكوم عليه بأن يحتفظ بملابسه العادية ، وهكذا أعفيت من ارتداء ملابس السجن القبيحة ، وبدأت مشكلة معاملتي وهل تكون حسب الفئة فأعطى سريراً ويقدم لي غذاء مدني يقدمه أحد المتعهدين أم أعامل حسب الفئة (ب) كمنسجون عادي فأنام على الأرض وأتناول طعام السجن العادي ، ومعلوم أن جرائم النشر والصحافة تعامل معاملة خاصة ولذلك فقد أسرع مدير المصلحة اللواء عمر قودان فأصدر أوامره بأن أعامل معاملة الفئة (أ) بل زاد على ذلك أن قال لو كليل السجن عندما خاطبه في هذا الموضوع أن أعامل معاملة الفئة (أ) ، وزيادة (شوية) ولن أنسى له هذا الجميل ، ولذلك فقد صرف لي سريراً ومائدة ومرآة وطبقاً وبلعقة وطلشنا وابرقا من الصاج الأبيض وقلة نظيفة ، ولم يكذب يعلق على البلب لأول مرة في سجن الاستئناف حتى بدأت بخلع ملابسى وارتداء ملابس النوم واستغرقت في سبات عميق ، ولم يكن ذلك إلا نتيجة الشعور بالراحة لإختيار هذه المحنة بسلام وكرد فعل للتوتر العصبي الذي تملكى منذ الصباح ، واستيقظت بعد حين لأرى مأمور السجن وقد جاء للبرور على غلما قلت له ان مدة الحكم على هي سنة ونصف إذا به يقول : ، على الله ان ينتهى الأمر عند هذا الحد فيكون خيراً عيباً ، وكانت هذه العبارة تعكس صدى المؤامرات التي تدور حولى وأنا في غفلة نلتى ذلك الوقت كان كل انسان يتحدث عن المصير المحتوم الذى ينتظرنى ، حيث كنت أعيش في غفلة بما يدبر أو يحاك لى ، وكانت كلمة هذا المأمور البكباشى عبد المنعم موسى هي أول ما صدقنى بهذه الحقيقة .

وبت ليلى في سجن الاستئناف حلدا لله ، وعند الصباح طالعت الصحف فاذا بها تحمل نيا الحكم على بدون اى تعليق باستثناء جريدة المصرى التى قالت عقب نشر الحكم ، والمزوف ان الأستاذ احمد حسين سيحاكم امام المحكمة العسكرية العليا عن جريمة التحريض على حرق مدينة القاهرة ، ، ولم أكد اطالع هذه العبارة حتى انتفضت من الغضب لهذه الاكاذيب التى تتعمد جريدة المصرى نشرها للاساءة الى نحتى ذلك الوقت لم يكن قد جرى معى اى تحقيق فى حوادث ٢٦ يناير باستثناء هذه الأقوال التى اذلت بها وسامع الشهود الذين اتصلوا بى فى يوم ٢٦ يناير وقد ايدوا أقوالى ، فإنا نقوله المصرى من اننى سأحاكم امام المحكمة العسكرية ليس سوى تخرصت جريدة وندبة تزود ايدائى ، ولكن الحوادث والاسقاء قد دفعت عن المصرى هذه التهمة ، فقد كانت المصرى تردد فى الحقيقة العزم الذى استقر على محاكمتى حتى قبل ان يبدأ التحقيق معى .

وقد حاول ابو شنيف بعد قليل ان يحرمنى من المعاملة الممتازة فى السجن بدعوى ان المحكمة لم تذكر فى حكمها كيفية معالمتى . . والامتيازات المعطاة للصحنيين فى جرائم النشر انما هى مقصورة على الجنح الصحفية لا الجنائيات ، ولكنى رفضت بشدة هذه المحاولة وكتبت مذكرة قانونية أفند بها هذه الحجج واثبت احقيتى للمعاملة الممتازة ومرة اخرى وقف عمر قودان - مدير المصلحة - ال جوازى وأقرنى على وجهة نظرى وقد علمت منه فيما بعد بعد تغير العهد انه كتب مذكرة بهذا الخصوص وعرضها على مرتضى المرائى باعتباره وزير الدفاع الذى تتبعه مصلحة السجون وانه واثق مدير المصلحة على وجهة نظره ، وبذلك استقرت حياتى فى السجن على اساس معالمتى كحرف ، ا . ، وعلى ذلك فقد أصبحت حجرتى نضاء بالكهرباء فى الليل ونقدم لى الكتب التى اطلبها كلها وكان على رأسها مجموعة كتب

ومؤلفات لتونستوي ، كما كنت أطلع الصحف والمجلات وأحلق
ذقتي بواسطة حلاق خاص مرتين في الأسبوع وكان بمتعهد
الطعام يعنى بطمايى عناية خاصة وبدات علاقات الود تنشأ
بينى وبين حضرات الضباط وعلى رأسهم مأمور السجن
عباس قطب لما المسجاتون الطيبون ، فهؤلاء غبرونى بمعظمهم
وتشجيعهم ونقل تحيات أفراد من الشعب لى من حين لآخر .

وهكذا مضت حياتى عينة لينة خالية من كل ما يضايق أو
ينقص ، وكنت أشعر أن كرامتى مصونة كل الصيانة ، وكان
ذلك فى نظرى لبس الانعمة من نعم الله الكبرى ، على الوقت الذى
كان يترامى فيه الى سبعمى من حين لآخر أن الشعب يتصور
أنتى قد دميت لمقلبة الملك ، وأنه قد امتدى على بالضرب
والايذاء ، وأنتى أعذب عذابا شديدا ، فى ذلك الوقت كنت أعيش
فى سجن الاستئناف على اتم ما أكون من الراحة والكرامة لا أكاد
أشعر بأنه ينقصنى شيء .

وقد كان منطق الشعب سلبيا عنديا تخيل أن غاروق قد
استدعاني ليعتدى على ، فكل من فى مصر يعلم مقدار الحرب
الشديدة التى شنتها على الملك غاروق فأما وقد أوقعنى الله
تحت برائته فمن الطبيعى أن ينتقم الملك لنفسه بهذا الأسلوب
المباشر . ولكن الذى فات الشعب لأنه لم يكن يتصوره فى ذلك
الوقت أن غاروق جبان رعديد وهو لا يستطيع أن يواجه رجلا
يتحدها مثل خوفا من أن أسبه أو أهينه أو أبصق فى وجهه ،
ولذلك فهو يؤثر أن يتولى ذلك غيره ، وكان جهاز الحكم قد بلغ
درجة من الانحلال ، بحيث لم يكن هناك موظف واحد على استعداد
أن يرتكب مثل هذه الجريمة من أجل سواد عيون غاروق ، لقد
وجد غاروق عصاة تقتل له من أشار بقتلهم ، ولكن هذه
العصاة كانت محدودة الأمراد ولم يكن فى رجال مصلحة السجن

أو بالأحرى في سجن الاستئناف بالذات أحد أفراد هذه العصاية .
وبالعكس كان بها مجموعة من الضباط ذوي الأخلاق الكريمة وقد
زادهم شعور مدير المصلحة الطيب من ناحيتي اطمئنانا على
حسن معاملتي ، وكان كل يوم يضي في السجن دون أن استدمي
الى النيابة للتحقيق في حوادث ٢٦ يناير يزيد في أمني أن المسألة
في طريقها الى الانتهاء وأن الجميع قد اتلعت ببرامتي التامة ، وكنت
مفطبا بالذات بصدور الحكم على بالحبس لمدة علم ونصف
ليطمن الملك بعض الشيء وليخفف ذلك من حدة غضبه ، وكنت
من السذاجة بحيث اتخيل أن ناروق يقنع بشيء أقل من رأسي .

ومع ذلك فقد مضت الأيام ظو بعضها ، بل تحولت الى
اسبوع دون أن استدمي للتحقيق حتى اذا انتهى مارس أي
اسبوعين بعد الحكم دون أن استدمي بدأ الأمل يتحول الى
حقيقة في نظري ، حتى اذا بدأت الأيام تتوالى من شهر أبريل
نفسه دون أن استدمي للتحقيق تحولت الحقيقة الى عقيدة
بدايات اشعر شعورا عميقا أن موضوع اتهامي في حوادث
٢٦ يناير قد انتهى نهائيا بعد أن اتضح للجميع بعد الحزب
الإشتراكي من هذه الحوادث الرهيبة . وقد حرقت في هذه العقيدة
الطيبة وبدايات حياتي في السجن نصيح سعيدة كل السعادة وأنا
بين عبادة الله ومطالعة في كتب تولستوي وكتابة لتاريخ حياتي ،
الى أن زارني في السجن الأستاذ محمد عصفور - المخاض -
فاذا به يهز هذه العقيدة هزا ويزلزلها في نفسي ، لقد جعل الى
محمد عصفور ذلك الجو الذي حالت جدران السجن بيني وبين
التأثر به جو التذوق والتدبير الذي كان يحاك لي ، كان الألم
مرتسما على وجه محمد عصفور وكان التشاؤم يسود كل كلمة
من كلماته ، وكان يميني على لماذا لم أستمع الى نصحه عندما طلب
الى مغادرة القطر المصري ، فلما أبدت دهشتي من تشاؤمه وقد
انتهى موضوع ٢٦ يناير بالنسبة لي اذا به يبدي دهشته العجيبة

ولا يكاد يصدق أذنيه وسألني عما إذا كنت في شك من أنني سأحاكم أمام المحكمة العسكرية أ فقلت له : ليس عندي أي فكرة عن ذلك ولا يمكن أن أحاكم أمام محكمة عسكرية ، فينظر إلى محمد عصفور نظرة اشفاق كما ينظر الإنسان إلى شخص مريض بمرض خطير يوشك أن يقضى على حياته ، وهو يجهل كل شيء عن ذلك ويعتبر نفسه في تمام الصحة ، وكان عصفور يعرف من اتصالاته بمحمد زكي علي وهو من رجال السراي ودكتور محمد هاشم أن النيابة بيّنة على أعدائى .

ولقد كان لعصفور بالذات الفضل في أنني قررت أن أشرع في تدوين مذكراتي يوماً بعد يوم بعد أن أخرجني من هدوني والقوى بي في بحار الشك وظلام المستقبل ، فقد أحسست بعد زيارته أنني بدأت صفحة جديدة ، وقد كانت بالعمل صفحة جديدة ولنتطلع الآن هذه الصفحة كما كتبت في وقتها يوماً بعد يوم وساعة بعد أخرى .

١٩٥٢/٤/٦

كان اليوم موعد نظر قضية قتال « الثورة ، الثورة ، الثورة » وقد طلبت النيابة التأجيل لإرتباط هذه القضية بالتحقيق الجارى عن حوادث ٢٦ يناير .. وهكذا انصحت النيابة عن ههنا في الزج بي في حوادث ٢٦ يناير عن أي طريق ، ولو بإيجاد صلة بين مقال كتب من ثلاثة أشهر سابقة على الحوادث .

وقد عارضت في طلب النيابة وأصررت على نظر القضية ، ولكن كان من المحال أن أجاب لهذا الطلب ، ولذلك فقد تأجلت القضية إلى دور مقبل لنقدم النيابة ما يثبت ارتباطها بقضية أخرى .

ولقد كنت أبنى إلا تخطو النيلة هذه الخطوة القاطعة في
انهاى ، ولكن هكذا شاء الله ، وأنى لحكم الله خاضع ، وعسى
أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ، ، أننى أشعر اليوم بحزن تحت
تأثير هذا التطور ، ولكن عسى أن تسفر الحوادث وتطوراتها عن
أن ذلك كان خيراً .

١٩٥٢/٤/٩

بالأمس زارنى الدكتور حلى مراد ، وقد خلفت زيارته من
نفسى بعض التشاؤم الشديد الذى كان يحمله محمد عصفور
الذى زارنى يوم الخميس ٤/٣ . وهامى الحوادث تثبت تشاؤمه
ولكن الزمن وحده كقيل بترجيح كفة التشاؤم أو التفاؤل . . وليس
لى من رجاء سوى رحمة الله وعنايته ، التى عشت طوال عمري
استظل بها واتعلق بها واستند إليها .

١٩٥٢/٤/١٣

هائذا لا أستطيع أن أسجل مذكراتى الا بعد سبعة أيام كاملة
من آخر مرة كتبت فيها . . وهذا وحده كاف لإظهار حالتى
النفسية طوال هذه الفترة وأنها لم تكن على ما يرام . . وأننى
أهضيت أسبوعاً ثقيلاً جداً على النفس .

بدأ الضغط على أعصابى عندما استدعتنى النيلة ، أو
بالأحرى الأستاذ عبد الحميد أبو شنيف رئيس نيابة الصحافة ،
ليستأنف التحقيق معى أو على الأصح ليشرع فى التحقيق معى ،
وكان ذلك يوم الثلاثاء ٨ أبريل . ولم يزد التحقيق على مائة
مناقشة أقالى التى أبدتها لأول مرة عندما تقدمت الى النيابة
لسماع أقوالى منذ أكثر من شهرين .

وقد أنيت لى بادية الأمر هواجسى وتخوفى مما يحاكى لى
وجبر ، وكيف أن الصحف تردد على سبيل الجزم أن محاكمتى
لا بد منها !! وتساطت عن جدوى التحقيق إذا كانت النهاية
محتومة ، سواء ظهرت براعتى أم ادانتى .. وسجلت موضوع
بسيم وجهود الجزار فى تطبيق التهم ضدنا ، وبعد ذلك شرعت فى
الإجابة عن أسئلة النيابة والتي لم تزد على استيضاح موقفى قبل
الحوادث فى مديرية الشرقية ، ومن فكرة الاستزال والاعتكاف
ودار بحث حول القوى الروحية والتجرد والاخلاص .

وفى اليوم التالى - أى فى ٩ أبريل - استؤنف التحقيق فى
جو أكثر نقلا من اليوم السابق ، وذلك بسبب انشغال بالى
بقضية أعلنت بها للمحكمة فى اليوم التالى - أى فى يوم الخميس
١٠ أبريل - وهى قضية قديمة انتهت فيها منذ سنة ١٩٤٦ بتهمة
تحريض الجند على الخروج عن الطاعة ، وذلك فى نداء أذعته ،
ونشرته جريدة « صوت الأمة » ، أهبت فيه بالشعب أن يتطاع
الانجليز والا يتعاون معهم حتى يخلوا من البلاد ورسبت هذا
البرنامج الذى دعت اليه الحكومة فى سنة ٥١ .. وهكذا كالمادة
أسبق البلاد نيعتبر كلامى جناباى واقوالا خطيرة .

وقد عجبت فى بادية الأمر لسوء الطالع الذى جعل هذه
القضية - التى كنت أنساها - تجيء فى هذه الأيام التى لا تنتصنى
فيها القضايا والأحكام ، وكنت قد طلبت من رئيس المحكمة أن
يرسل الى دوسيه القضية فأرسل الى وأنا فى التحقيق ، واكتشفنا
أن القضية قد تكون سقطت بمضى المدة لمرور ثلاث سنوات على آخر
إجراء خاص بها ، وتلطف عبد الحميد اسوشنيف وطلب محضر
الجلسة ، ظهر من محضر الجلسة جليا أنه قد انقضى أكثر من
ثلاث سنوات على آخر جلسة .. ويعنى ذلك سقوطها بمضى المدة
باعتبارها جنحة . وكانت النيابة قد قدمنها للمحكمة على أنها جنحة

صحفية ، ولكن الوصف الذي وصفته في الاتهام — وهو تحريض الجند — هو جناية ، كما أن المادة 17٥ التي ذكرتها في القيد هي جناية ، ولكن النيابة من ناحية أخرى لم تقدمها عن طريق قاضي الأحلة وقدمتها مباشرة لمحكمة الجنايات باعتبارها جنحة وهكذا كان الأمر لا يظن من أشكال ، ولو تمسكت النيابة بأن القضية جناية لما سقطت بمضي المدة ، ولطُبت أعبائها لتصبح الإجراءات .. ومن هنا فقد داخنتي الهواجس أن تتخذ النيابة منها ذريعة لمضايقتي ، ولكن لأمر ما تصرف عبد الحميد أبو شنيف تصرفا مستقيما ، فقال لي أن النيابة لا تهمة هذه القضية وإن تمسك بها .. وقد بر بالوعد ففي اليوم الثاني يوم الخميس ١٠ أبريل — وقف ممثل النيابة الأستاذ علي نور الدين وأثبت أن هناك خطأ في قيد التهمة ، وطلب استبعاد المادة 17٥ — وهي الخاصة بالجناية — وعبرة تحريض الجند .. وبذلك لم تعد هناك شبهة في أن القضية جنحة .. فلما طلبت إثبات سقوطها بمضي المدة لم يكن أمام المحكمة ، إلا أن تجيبني إلى طلبى . وهكذا نخلصنا من هذه القضية العارضة ..

وظهر أن الله الرحيم قد جازى بها هذه الأيام لتسقط ..
وليدخل إلى قلبي شعاعا من الرجاء والأمل .

وعدت سريعا إلى السجن حيث كان مقررا أن تزورنى زوجتى وأولادى لأول مرة منذ اعتقالى وجاءت زوجتى العزيزة الغالية التى أدعو لها بالليل والنهار أن يقوبها الله وأن يفتح فيها روحا من لدنه ويباركها . وجاء مصطفى وميسى ويرى وسنة الصغيرة . وكان تانرى شديدا جدا لمراى اطفالى وخاصة سنة التى كنت أخشى أن لا تعرفنى .. فاذا بها تبادر للتملق بى وتقديم ما تحمله من الشيكولاتة لى .

وقد تحدثت طويلا مع زوجتي وكانت اخبارها مطمئنة من ناحية مجريات القضية ، فقد عرض جميع اعضاء الحزب المعتقلين والقبوض عليهم بعرفة النيابة على جميع شهود حوادث ٢٦ ، فلم يعرف على اى واحد منهم .

وكانت (سنة) الصغرة طوال الوقت كشماع من النور .. كثيرة الحركة والمرح .. وعندما حان موعد انصرانهم ابيت الا ان تتعلق بي ثنية مظهرة رغبتها في عدم انصرانها ، فاثرت لذلك تائرا شديدا .

واستؤنف التحقيق في يوم الجمعة ١١ أبريل ، وقد فاتني ان اذكر ان في جلستي التحقيق في يومي ٨ ، ٩ حضر جزءا من التحقيق الأستاذ محمد عبد الله ، الأفوكاتو ، العمومي وقد كنت دائما ابدأ أخشى من آرائه وتوجيهاته للتحقيق فسرت من فرصة مواجهته ، وقد طلبت الاطلاع على كتابه فاهداني نسخة منه وهي خاصة بالتحريض .. وكنت أخشى من الاطلاع على هذا الكتاب فلما منى انه مكتوب ضفنا من لوله لأخوه . فلما اطلمت على الكتاب وحدثه سلاحا لي ساعدت عليه في هذا الصراع بيني وبين النيابة .. وقد كانت مفاجاته عظيمة عنديا وحدثني في اليوم الثاني قد اطلمت على كتابه كله ، بالرغم من ان حجه يبلغ خمسمائة صفحة ، وناقشته فيه مبديا سروري واعجابي بالكتاب فظهر الاغتياب على الرجل .

وجاء النائب العام لبعضر التحقيق في يوم الجمعة .. والتحقيق لم يخرج عن مناقشة آرائي وافكارى كما سجلتها في البيان الذى اذعته على الصحفيين يوم ٢٤ يناير ، والذى اتفرت فيه بقرب وقوع كوارث وجرائم وفتن اذا استمرت الوزارة في الحكم .

وقد اغتبطت لرؤية النائب العام لاستطيع أن أناقشه وأبين له وجهة نظري . . . وقد أثبتت على تقريره عن حوادث ٢٦ يناير وعجبت كيف أنه مع هذا التقرير يتصور متصور أن لي علاقة أو للحزب الاشتراكي بحوادث ٢٦ يناير . . . وسألته أين دور عساكر بلوك النظام الذين كانوا هم عود النقاب الذي أشعل برميل البارود . فقال النائب العام أن محل موضوعهم هذا التحقيق الدائر .

وأنهى التحقيق في الساعة الثانية والنصف بعد أربع ساعات ونصف الساعة . وعند عودتي إلى السجن وجدت نفسي متضابحا لاستمرار التحقيق على هذه الوثيرة وهي مناقشة أقوال التي أقولها . وتخوفت من جديد أن تكون خطة النيابة هي عمل تحقيق ضخم من مجرد مناقشة آرائي ومعتقداتي ، ثم يقال هذا هو أساس التحريض . ولذلك فقد عولت على أن أقف موقف تصلب في التحقيق .

يوم السبت ١٢/٤/١٩٥٢

ذهبت إلى النيابة اليوم بنية الاحتجاج على المحقق . . . ولم يكد يوجه إلى سنوذه المعتاد مناسب أقوال عن اليوم السابق ، حتى أثبت في المحضر أن هذا الطريق الذي سلكته النيابة ليس طريقا قويا ، وأن حوادث ٢٦ يناير قد أصبحت معروفة ومشهورة وسجلها النائب العام في تقريره ، فإذا كان لدى النيابة ما تواجهني به من أدلة أو شبه أدلة فعليها أن تفعل ، أما أن نظل نتناقش في آرائي وفي أعمال فهذه مسألة لن تنتهي . وقد غضب المحقق لموقف هذا ولكنني تسكت بأن تواجهني النيابة بما عندها ، وجاء في أقوالني أنني متعب فلم أكد أقول هذه الكلمة حتى أسرع رئيس النيابة إلى إيقاف التحقيق لأعطائي فرصة للراحة وتأجيل

التحقيق ليوم الاثنين ١٤ أبريل . وهكذا أخذت يوما اجازة ، وهو
ما خلف الضغط عن اعصابى بعض الشيء .. وهانذا أتتكم من
كتابة هذه المذكرة عن هذا الأسبوع الحافل بالعوامل المثرة .

والله وحده يعلم كيف كان يمكن ان اتطع وقت الفراغ لو لم
تكن رواية تولستوى عن (الحرب والسلام) هي التي أتت على
مطالعتها كلما خلوت الى نفسى . نتشغلتى عما يحيط بى من
هجوم . وكانت الصلاة كالعادة هي مغزى وخاصة صلاة الفجر ،
حيث أصلى وادعو فى هدوء الليل ربى وخالقى ان يبند من حولى
الظلمات والغواشى ، وان ينجيتى ويخلصنى من الكيد الذى يكاد
لى ولاخوانى .

الأحد ١٢ أبريل ١٩٥٢

تبارك الله .. ما أعظم قدرته .. لقد صدر الأمر أخيرا بتأجيل
الانتخابات الى أجل غير مسمى .. ولقد شايقتنى ذلك فى بادئ
الأمر ، ولكننى بعد أن فكرت قليلا وجدت أن هذا الاجراء قد يكون
مظهرا جديدا من مظاهر رحمة الله بنا . لقد كانت الانتخابات
ستجرى والحزب الاشتراكي لا وجود له .. فنحن جميعا فى
المسجون والمعتقلات .. حتى ابراهيم شكرى يوجد فى السجن ..
وقد كان ذلك يهز فى نفسى ، بل لقد جعلت فى حالة يأس تام من
ناحية مستقبل الحزب .. فقد كان غاية كئاحضا طوال العامين
الماضين أن نفوز برضا الشعب فى انتخابات جديدة .. ونبينا
جاء اوان الانتخاب اذ بنا فى المسجون متهمين أشنع تهمة ومحرورين
من حق المواطنين العاديين . وقد استسلمت لهذا الوضع ورضيته
مادامت هذه هي ارادة الله .. ونجاة يسر برسوم قبل قتل
باب الترشيح بيوم واحد يلقى ما تم من اجراءات ، ويؤجل
الانتخابات الى أجل غير مسمى . ولست أشك لحظة واحدة فى

انه عندما تستأنف الانتخابات فيسكون النشاط قد عاود الحزب
غلايد أن يكون فريق من الزملاء قد أخرج عنهم وتبددت المسحوب
والغواشي عن الحزب . وهكذا أعاد هذا الاجراء الى نفسى
بصيصا من الأمل بالنسبة لمستقبل الحزب ، وان كنت من ناحية
أخرى أتوقع وقد تحررت الوزارة من فكرة البرلمان واى تفكير في
الغاء الأحكام العرفية أن نحكم حكما ديمقاتوريا . . ولكنى لا أظن
انه سيكون هناك أسوأ مما حل بنا حتى الآن . . وعلى أية حال
فانا لا أملك من الأمر شيئا لنفسي أو لآخراني ، الا أن أرفع آكف
الضراعة الى الله وأن أعتف كل صباح ومساء : حسبنا الله
ونعم الوكيل .

وقدأ يستأنف التحقيق معي ، ولابد أن رئيس النيابة سيمد
لى كل ما عنده من أشياء شدي ، فإلله المستعان على ما يصنون .

الجمعة ١٨ أبريل سنة ١٩٥٢

عاندا لا أجد فرصة من جديد للكتابة الا اليوم اى بعد مضي
خيسة أيام من آخر مرة كتبت فيها وقد استأنف التحقيق فى يوم
الاثنين حسبما كان محددنا وقد أتيح لى قبل البدء فى التحقيق أن
اطلع على حيثيات الأحكام التى صدرت ضدى فى قضايا العيب
فى الذات الملكية والتى صدر احدها بالبراءة وقد حمدت الله
سبحانه وتعالى أن جعل عاقبة الأحكام سليمة وقد كانت هذه
الحيثيات كأحسن ما تكون عليه حيثيات محكمة حكمت بالإدانة لمن
المهم فى موضوع هذه الحيثيات أنها أثبتت لى الاخلاص والولاء
لجلالة الملك . وجعلت ذلك فوق كل شك حتى لقد ذهبت الى حد
الاستفتاء عن سماع الشهود الذين طلبتهم وذلك لانى « قسمت
فى التحقيقات وفى الجلسة أدلة مادية على اثبات ولائى لجلالة الملك
وهى جرائد ونشرات وكتب تنطق كلها بهذا الولاء وتوازيها

سابقة على تاريخ هذه الدعوى وهي في الواقع أبلغ من شهادة الشهود .

ولما كانت هذه هي النقطة الوحيدة التي تهني في الموضوع كله فقد شكرت المحكمة الجنائيات تقريرها هذه الواقعة . وطالعت حيثيات حكمها بالبراءة في أخطر هذه القضايا بالنسبة للظروف الحاضرة وهي القضية التي اتهمت فيها بالتحريض على جرائم القتل والنهب والحرق والاتلاف وذلك في عدة مقالات كانت أحدها بعنوان « الثورة آتية لا ريب فيها » وقد ذكرت المحكمة في حكمها أن ذلك كله قد ورد على سبيل التحذير ولا يتضمن تحريضا على الثورة بل على العكس من ذلك يهدف إلى تفادي وقوع الثورات والتشن كهذا الذي حدث في ٢٦ من يناير . وهكذا عززت محكمة الجنائيات وجهة نظري في هدفي من كل ما أكتب وجعلتنا في مركز أحسن ألف مرة مما لو كانت حكمت بالإدانة في هذه الجائحة ولو بغرامة صغيرة فقد كانت النيابة ستستخدمها تكتة فيما تنسجه في من خيوط الاتهام بتهمة التحريض عن طريق الكتابة .

بقي الأمل أن تنقض محكمة النقض والإبرام حكما من هذه الأحكام الثلاثة الصادرة بإدانتني نظرا لوجود بعض تناقض في حيثيات محكمة الجنائيات نظالما أثبتت لي الإخلاص والولاء فان هذا في حد ذاته ينفي وجود التصد الجنائي .

ولكن لا لأمل كثيرا في إجراء محكمة النقض في هذا الموضوع ناذا حدث غير المنتظر وتنقضت المحكمة بعض هذه الأحكام لمصلحة فان ذلك سيكون مظهرا من مظاهر نفي الله وكرمه العظيم .

استأنف التحقيق على هذه الوثيرة المملة وهو أن يعرض على بعض فقرات من هذا البيان الذي أذعته على الصحفيين في مساء الخميس ٢٤ من يناير وكالمادة رحبت أسهب في ذكر آرائي وأمنكاري وتصوراتي .

يوم الثلاثاء 1٥ من أبريل

استؤنف التحقيق في هذا اليوم وقد رحمت أعزرت بما نشر في الجريدة الاشتراكية اتوالي السابعة وقبل نهاية التحقيق اذا بالمحقق الأستاذ عبد الحميد أبو شنيف يوجه الى احدى فقرات البيان الخاصة بالمدينين الانجليز في مصر وكيف انه في الوقت الذي ينكل فيه الانجليز بالمصريين على ضلالت القتال مستخدمين ابشع ألوان المهجية حتى لربوا للكلاب جثث الشهداء ، يعيش المدينون الانجليز في القاهرة تحت حماية الحكومة ورعايتها بل وكرمها وترتيبها ؟! وسألني عن المقصود بهذه العبارة نشرحتها له وكيف اننا طالما نادينا بوجود انتقال هؤلاء الانجليز أو ترحيلهم على الأقل من البلاد ، فاذا به يفاجئني بقوله : اليس في هذه العبارة تحريض على الانجليز ؟! فرددت عليه بان هذا البيان لم ينشر وان العبارات لا تحوى سوى النقد لتصرف الحكومة . وقد لاحظ المحقق أنني تضايقت من هذا السؤال فختم التحقيق في الواحدة والنصف على ان يستأنف في اليوم التالي . وفي الحق لقد غضب غضبا شديدا لهذا السؤال ورأيت فيه طرفا من هذه المحاولة المنكرة لتوجيه الاتهام الى على اى صورة من الصور . فقد كانت مصر كلها تحارب الانجليز وتحرض على الانجليز ويراد الآن تسقط بعض عبارات نافية لنسبة التحريض الى . كانت الحكومة تحرض والصحف تحرض والاذاعة تحرض والحكومة تعد الكتابات لحرب الانجليز ، ويراد الآن نسيان ذلك كله وحصص التحريض في . . ولذلك فقد عادت الى كل هواجسى وكل الأفكار السوداء واعتزمت أن اتفم موقفا آخر في التحقيق .

وقد حدث حادث آخر في هذا اليوم جعلنى اتفم طويلا محاولا تدبر مفزاه . لقد رأني شخص من الأشخاص وهو شيخ مدرس فسأل عنى فقيل له انه أحمد حسين ، ناذا بالذعر يبدو على وجهه

ويرتفع صوته سبحانه الله ومهلا ومكبرا ، فقد كان يعتقد اعتقادا
 جزئيا أن أحمد حسين قد مات وقتل وانتهت أباه ، وهاعو براه
 يبعث من جديد أباه . لم تكن هذه أول مرة تبلغني فيه أن الإشاعة
 السارية في الشعب هو أنني قتلت بالفعل ، وقد علمت أن هذه
 الإشاعة بلغت حد التواتر وكان كل من يتصل بي في هذه الفترة
 ينقل الي أجماع الناس على هذه الحقيقة . . ولكنني لم أتف
 لابلها طويلا كما وقتت هذه المرة ، فإن الانزعاج الذي ظهر على
 الشيخ جعلني أشعر بعمق هذه الإشاعة وأنها وصلت الي حد
 اليقين والحقيقة المقررة . ولقد قال الشيخ أنه عندما يقسم للناس
 أنه رأى حيا فلن يصدقه أحد . قلت في نفسي إذن هذا هو
 الموقف فأنا أعتبر عند الشعب ميتا . أي أنني لو كنت قد مت
 أو قتلت بالفعل لما زاد الموقف على ذلك . . مجرد نكرة يتناقلها
 الناس كخبر من الأخبار . ولم يصل الشعب الي قبول هذه
 الإشاعة إلا لأنه رأى الموقف يتقبلها وراها نتيجة منطقتة للحوادث
 الجارية . ومعنى ذلك أنني إذا كنت لا أزال حيا حتى الآن فما ذلك
 إلا بنبعة الله ونضله الذي هيأني حتى هذه الساعة من هذا المصير
 المقرر والذي امتدده جزئيا .

وهكذا تضافرت على حالتي المعنوية عدة عناصر زادت في قلبي
 ويعلم الله أنني لا أجزع من الموت أبدا ودليل على ذلك أنني ما أويت
 الي فراشي كل ليلة إلا وساءلت نفسي إذا كانت هذه آخر ليلة في
 الحياة فلا أستيقظ بعدها أبدا فأرى الفكرة لا تثير في نفسي أي
 اضطراب أو قلق . . فما جزعي في الحقيقة بما يدبر أو يحاك لي
 إلا الخوف من أن يكون الله سبحانه وتعالى قد تخلى عني وسوف
 يسلمني في يد هؤلاء الظلمة وأن حياتي ستنتهي على هذه الصورة .
 هذا هو تبعث الهم والقلق . . فالمسألة عندي هي مسألة رضا الله
 أو عدم رضا . ولقد عهدني دائما الجميل عودني أن ينقذني من كل
 هم وضيق ويمسرت في الحياة ولا تحركت حركة إلا وأنا استلهم الله

عز وجل . وقد كنت أرى دائما آثار نعته على : فاصبح ما أخافه
أن أجرم من هذا النعيم . وهكذا أمضيت ليلة يشوبها القلق . . .
وكالعادة استغرقت في مطالعة رواية الحرب والسلام التي استولت
على كل الاستيلاء خاصة وأن آراء الرجل تكاد تتفق في كل شيء
من آرائي .

يوم الأربعاء ١٦ أبريل

ذهبت اليوم للتحقيق مقررا أن أقف من التحقيق موقفا
صليبا . وقد سألتني أبو شنيف عما إذا كنت أريد أن اكمل اجابة
الأمس فاجبت بالنفي . ثم وجه الى سؤال أو بالأحرى عرضي على
فقرة من فقرات البيان تدور حول وقوف الأغنياء موقفا صليبا من
حركة التحرير فلم يمدوها بالتبرعات أو الاكتتابات فأحببت على ذلك
بأن العبارة واضحة لا تحتاج الى تفسير فسألني اليس فيها تحريض
قلت لا وهنا شعر أنني لست في حالتي العادية وأنتى غاضب
فسألني عن السبب فقلت له لا داعي لذكر الأسباب ، فالج على
فانفجرت منددا بالتحقيق وطريقته وأسلوبه وأن المقصود منه هو
عمل قضية لي بأي أسلوب من الأساليب ، وقلت له انظر الى سؤال
الأمس فأنت تنصيد عبارة بريئة لتجعل منها تحريضا على قتل
الانجليز حيث كانت مصر كلها وعلى رأسها جلاله الملك يحرض ضد
الانجليز بل كان الوزراء رؤساء للكثائب التي تجارب الانجليز . .
فلماذا اقتص بهذا التحقيق : وقد هبأ من غضبي وراح على عادته
يخلف من وقع الموقف ويقسم لي أنه سيحقق دفاعي كلمة كلمة وأنه
سيقوم بواجبه على ما يرضى الله .

وانتقل التحقيق الى مذكرة قدمتها للنائب العام مصورا فيها
حوادث ٢٦ يناير وهي توشك أن تكون الأساس الذي استلهمه
النائب العام في وضع تقريره عن هذا الحادث . . أو هو الحق

كما انتهيت اليه من تحقيقاتي . وكما انتهى هو اليه من تحقيقاته .
وقد سررتني أن يدور الكلام حول هذه المذكرة التي تثبت كيف كنت
أول من حاول أن يصور حداث هذا اليوم ويحدد أسبابه
والمسئولين عنه .

وقد انتهى التحقيق في ساعة مبكرة لاتمكن من الاطلاع على
محاضر جلسات محكمة الجنايات وذلك لاعداد أسباب النقض .
وتأمل التحقيق في يوم السبت وهكذا أتبع في يومان للراحة .
بالأمس شغلت في وضع مذكرة عن تطورات التحقيق وموقف الحزب
الاشتراكي منه وأثبت في هذه المذكرة براءتنا بما لا زيادة بعده
لستزيد فمسي أن يكون لها أثر في إيقاف هذا التيار المعادي لنا .

موضوع بسيم

وقد تلقيت في السجن صورة فوتوغرافية من تقارير بسيم
التي كتبها بعد هربه من يد البوليس وسجل فيها كيف كان
البوليس يخرجه على تليفق التهم الخطيرة لنا . ولقد عرض هذا
التقرير على النيابة بواسطة ادارة السجن قبل تسليم الخطاب الي
ولا بد أنه وقع من النيابة والبوليس موقع الصاعقة فهو الشهادة
الناطقة على التليفق . حقا أن النيابة والبوليس بعد هروب بسيم
كانا قد بدأ يفقدان الأمل في هذا الدليل ومع ذلك فقد كانت أقوال
بسيم لاتزال قائمة . . فجاء هذا التقرير الموقع عليه بخط بسيم
يسلم هذه الأقوال بل ويثبت الغش والتليفق والتزوير على
رجال البوليس .

وليس لي ما أقوله الآن الا أن أوصل تضرعي وابتهالي الي
الله عز وجل أن يظهر براءتنا وأن ينجيننا من الهم والضيق وهذه
التهمة الشنيعة .

الاثنين ٢٦ من أبريل سنة ١٩٥٢ شم التيسيم

استؤنف التحقيق يوم السبت ١٩ من أبريل كما كان مقررا وكان أحد الضباط الذين جاءوا لاصطحابي هو برني مرقص الذي كان يشرف على سجنى فى سجن الأجناب ، وقد تحدثت عن شخصيته فيما سبق ولولا انشغال بالى بالتحقيق المقبل لكان استمعاى (بتهريجه) أضعاف ما استتمعت به .

لم يكن فى الأسئلة التى وجهت الى شىء له قيمة الا سؤالا عن البيت الذى نزلنا فيه فى الاسكندرية وعما اذا كان هذا البيت يقع فى محطة بولكل بشارع الزى وقد نفيت ذلك نفيا قاطعا . فالبيت الذى نزلنا فيه لم يكن يقم فيه أحد وهو يقع فى سيدى بشر ، ويظهر أن البوليس السياسى قد نسج قصة حول اقامتنا فى الاسكندرية ولكن النيابة لم تر أهمية لهذه القصة فاكففت بهذا السؤال الذى نفيت .

وبعد ذلك جرى بما تصورت النيابة أنه احدى خطبى التى القيتها فى الدار قبل حوادث ٢٦ من يناير فلما عرضها على المحقق لم اعرف الشخص الذى كتبها ولما طالعها وجدت فيها كثيرا من المعانى التى انادى بها فى كل خطبى وفى كل كتاباتى من التزام الحزب الاشتراكى بالقانون واتباع الأساليب القانونية فى جهاده . وبالجملة فقد سررت بأن تكون هذه الوثيقة التى تكشف عن روح الحزب وجهاده القانونى فى يد النيابة . وقد سألنى المحقق عما اذا كانت هذه خطبى فاجبته بالرد الطبيعى فى هذه الحالة وهو اننى لا يمكن أن اقبل نسبة اقوال مكتوبة بخط انسان آخر وليس لها تاريخ فاجملها خطبة من خطبى احاسب على كل حرف فيها .

جمع ذلك فقد اظهرت-استعدادى لتحمل كل ما تضمنته هذه الأوراق من معان وقد رحمت أشرح هذه المعاني بأسباب من كراهيتى للعنف فضلا عن الجريمة وكيف أنى أبشر وادعو للمحبة والسلام والتأخى وأومن بعبادى، غاندى وتولستوى والمسح والاسلام فى دعوته للمحبة والاخاء، بل ذكرت خطبى فى الكنائس وشرعى لآية « الله محبة » . وانتهى التحقيق عند هذا القدر بعد اثبات تقرير بسيم وطلبى الشروع فى تحقيقه فوراً . وقدمت لمحقق مذكرة طويلة كتبته فى ١٧ صنفحة ولتها استعراض لموقف الحزب الاشتراكى وموقفنا من حوادث ٢٦ من يناير وعدم جدوى توجيه أى اتهام لنا مع براءتنا براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

وقد تأجل التحقيق بناء على طلبى الى يوم الثلاثاء للراحة والاستجمام . وطلبت تصريحاً للدكتور حلمى مراد نقابلتى بخصوص أسباب النقض واعادتها .

يوم الأحد ٤/٣٠

لم يحضر الدكتور محمد حلمى مراد ولكنه أرسل أسباب النقض فى القضايا الثلاث كما وضعها الدكتور على راشد وبعد الاطلاع على هذه الأسباب غمرتنى موجة من الرجاء أن يتم الله نعمته وتحدث المعجزة الكبرى فننقض محكمة النقض هذه الأحكام ونقض بالبرائة فقد كتبت بطريقة رائعة ، وتمسكت بالتناقض الوارد فى هذه الأحكام التى تثبت لى الولاء والاخلاص من ناحية وتناقبتنى فى ذات الوقت حيث يتطلب القانون للعقاب ثبوت القصد الجنائى الذى يتعارض مع الولاء والاخلاص وقد دخلت المسجد القائم بالسجن ودعوت الله سبحانه وتعالى أن يبارك فى هذه الأسباب وأن يملأ قلوب القضاة عند مطالعتها خشية منه وخولاً ورغبة فى احقاق الحق .

... وقد قابلني في السجن أحد رؤساء أعلام الشهر العقاري
والذي جاء بنفسه لإثبات توكيل صادر مني للمحامين عنى ...
وقد كان الرجل في أشد الشوق لرؤيتي . وقد أبدى دهشته
لأن يرانى - كما قال - في حالة معنوية عالية ، وذلك يعكس
الصورة التي تردها الاشاعات ، والتي تلعب كما ذكرت من قبل
الى حد القول بأنني قتلت .

يوم الاثنين ٢١/٤/١٩٥٢

وهانذا اكتب هذه السطور في يوم الاثنين يوم شم النسيم ،
وهو يوم عطلة في السجن فلا يسمح لنا بأى طواير أو نزول الى
ساحة السجن وتظل الحجرة مغلقة طول اليوم - ويخيل الى أن
وكيل السجن يفتش الآن حجرات المسجونين - وهو ضابط جديد
جاء بالأمس بدلا من الوكيل السابق الذي كان يسمى عبد الرؤوف
جودة ، والذي كان شابا ممتازا من حيث الاستقامة ودمائة الخلق
بحيث أسف الجميع على فراقه ولكن الوكيل الجديد يبدو كذلك
أنه رضى الأخلاق كريم النفس .

وكالعادة أتطلع الى الغد حيث يستأنف التحقيق راجيا الله
سبحانه وتعالى ألا يحمل في طياته مفاجآت منغصة أو شيئا يزيد
في همومي وهواجسي .

يوم الأحد ٢٧ من إبريل سنة ١٩٥٢

لم أستطع ان اكتب شيئا قبل انقضاء هذا الأسبوع فالיום
فقط أى بعد انقضاء ستة أيام على استئناف التحقيق أجد في
نفسى بقرة على كتابة شيء وبالحا من فترة من اقسى الفترات التي
مرت على في هذه الثلاثة أشهر على نسوتها في حد ذاتها ،

ويرجع سبل تسبوتها الى المفاجأة التي فوجئت بها فبعد ان كان
الأهل قد بدأ يداعينى في إمكان تخض التحقيق عن شيء جاءت
هذه المفاجأة لتدلنى على ان العكس هو الصحيح ، وأن النية قد
بيئت على الاسراع بتقديس للمحاكمة بل والمحاكمة العسكرية على
أرجح الظروف .

كنت قد ذهبت الى المحقق يوم الاربعاء بنية الا امضى في
التحقيق الا بعد ان يحقق ذناعى او بالأحرى اقوالى فلم يكن في
التحقيق حتى الآن سوى اقوال . . . وعندما واجهت عبد الحميد
أبو شنيف المحقق وجدت مجلدات الاشتراكية وقضاياها مكتسة
إمامه فأعلنت اننى بتمب ولن أستطيع المضى في التحقيق على هذه
الوتيرة واننى فى حاجة الى راحة طويلة الأمد يحقق فيها اقوالى
لماذا به يقول لى وهو كذلك وكل ما أرجو ان أعرض عليك بعض
الوقائع لترد عليها ولن يستغرق ذلك مذا سوى بسع كلمات . .
وهنا كانت المفاجأة الكبرى والتي تؤثر دائما لجرد كونها بمفاجأة
غير متوقعة . ذكر لى ان شخصا ساء لى وهو مهندس ومن عجب
اننى لم أستطع ان اذكر اسمه على الرغم من تكرره لىمى وعلى
الرغم من ان الرجل جاء وواجهنى في التحقيق . . هذا المهندس
شهد أنه رآنى في سيطرة ستروين أمام بار الانجلو المحترق في
الساعة الرابعة مساء السبت ٢٦ من يناير ، وأن السيارة كان
يقف فوقها شخص يسك علما أخضر وانها جاءت أمام بار الانجلو
حيث كانت مهباته وأدواته تحرق في عرض الطريق ثم وقفت
السيارة ونزل منها شخص بمسك يعلم فوقف أمام هذه الأنقاض
المحترقة ورفع العلم ثم مضت السيارة بعد ذلك . . وان هذا
المهندس قد عرفنى على الفور . وسألت منى قدم هذا البلاغ
وقيلت هذه الاقوال، فليل لى فى ٥ من فبراير فكانت هذه المعلومات
غير سارة بطبيعة الحال ولكن وقع المفاجأة لم يثبت ان الشك
عندما قال المحقق وقد تعرف هذا المهندس على جبر حسن باعتباره

هو الشخص الذي نزل من السيارة ممسكا بالعلم وجبر حسن هذا على ما تقول النيابة هو الحارس الخاص بي ، وكانت رنودي على هذه الأقوال كلمات موجزة جدا لا تعدو أن ذلك كله تطبيق لنزه نفسي عن الرد عليه وإذا به يزيد الأمر الحاحا فيقول وقد تعرف على شخص يسمى مهدوح عبد المقصود وهو اشتراكي . وكانت هذه واحدة . وانتقل عبد الحميد أبو شنيف إلى توبسيه آخر وقال وشهد الدكتور عزيز فهمي بأنه سمع من شخص اسمه جلال لطفي أنه رآك في الساعة الرابعة والنصف أمام محلات هيلمان للسيارات تعرض على حرقها ، وكنت راكبا سيارة جيب وقد عرفك لمتف الناس من حولك الزعيم الزعيم ، ولما كان يعرفك من قبل فقد شهد بأنه رآك .. وكانت هذه مفاجأة جديدة أن يذكر اسم الدكتور عزيز فهمي على أنه هو الشاهد ضدى ، ولم أعلق على الدكتور عزيز فهمي باعتباره يشهد بما سمع ، ولكنى تسالمت عن كيفية وصول ذلك إلى علم البوليس أو النيابة فقيل أن تقريرا قدم من اللواء إبراهيم أمام يقول فيه أنه علم أن الدكتور عزيز فهمي قد سمع من جلال لطفي هذا القول . فانجر غضبي على هذا الإبراهيم أمام الذي تجعل منه الحكومة والدولة شيئا مذكورا وهذا هو منتهى جهده في هذه القضية الخطرة أن يقدم في يوم ١٠ من فبراير تقريرا يلخص فيه معلوماته أنه سمع أن شخصا آخر قد سمع ، وعرفت أن يد التطبيق تعمل عليها ، وأن النية قد بيثت على امر ، ولم أزد في تعليقي على هذه الوقائع إلا بهذه العبارة .

ثم ذكر أن اشخاصا سماهم وعلى رأسهم شخص اسمه تادرس قد شهدوا أنه في الساعة الثالثة والنصف تقريبا مرت عليهم سيارة في شارع الملكة كانت الناس تصفق لهم ، ويقولون أن أحمد حسين في داخلها وسئل الآخرون فقال بعضهم كان يهتف بحياة أحمد حسين وحياة الاشتراكية ، وقال ثالث كانوا يهتفون

بحياة الوطن . واجبت عن ذلك كله بانه كلام لا يستحق عناء الرد .

وكان ابو شنيف قد ابقى مفاجاته الكبرى حتى النهاية فقد اعد الامر كله ليكون مفاجاة في الكل والتفاصيل . . استحضرت اوراق دوسيه رابع ثم قال وشهد من يسمى مسعود وهو موظف بشركة ميتشل كوتسي انه في تمام الساعة الواحدة والربع راك امام محطة بنزين مثل الملاصقة لنادي الترف كلوب ، والذي كانت النار تشتعل فيه ومع ذلك فقد اشترت الى شخصين ان يرياه لهيئا نالقا عليه كرات ملتهبة تازدادت اتناز اشتعالا . . ويقول هذا الشخص انه عرفني لانه كان يرى صوري دائما في الصحف وقد زاد علي ذلك كله ان تعرف علي من يسمى خليل عبد المنعم خليل وهو الشخص الذي قام بقيادة السيارة المستورين في ذلك اليوم . . الله اكبر . . نادي الترف كلوب حيث حرق الانجليز وماتوا اى ان الاتهام فيه هو لخطرهم هذا اليوم على الاطلاق نهم يريون عنقي وحياتي كلها . وسالت المحقق اذا كان لا يزال هناك في جميعته شيء ناجب بان هذا هو كل شيء ناجبت عن هؤلاء الشهود بان التنبية تعرف جيدا اين كنت في هذا اليوم ، وقد ثبت امامها هذه الواقعة بما لا زيادة بعده لمستزيد ولاحظت ان هذه الاقوال الجديدة قد تاخر عرضها علي ، وانها لا تستغرب فقد كان لابد للبوليس ان يلنق . ثم طلبت ان تسرع التنبية في تحقيق اقوالى السابقة كي اعطي فترة للراحة فوافق ابو شنيف علي ذلك . علي ان يستعيني في اليوم التالي لمواجهة هؤلاء الشهود .

وعدت الى السجن مغمورا في غمرة هذه المفاجاة الشديدة التي لم تكن لي في الحسبان فنى الوقت الذي كنت اتعبا فيه للسماح بوجرة من الأمل والتفاوض ان تغيرنى من جديد اذا بهذا

التطور المفاجيء . وعدت مغبوراً بالإنكار الى السجن فاذا بخطاب
النبية على آثاري يدعوني في اليوم التالي لاستئناف التحقيق أو
بالأحرى للمواجهة مع هؤلاء الشهود .. وأحسست بشعور
الإنسان مندبا بحس انه قد غدر به ، لقد غدر بي .. وانتفضت
نفسى بالثورة على هذا الظلم وهذا الغدر ، ورايت نفسى في حالة
اشبهه ما تكون بالحصى ، ولم أعرف كيف انتفض النهار ولكنه
انتفض ، وجاء وقت المغرب وقد كنت صائما فاذا بي لا أستطيع
أن أنكر في موضوع الطعام فضلا عن أن اقترب منه .. ولم
أستطع أن أطلع في شيء أو أن أقرأ شيئا لقد كنت في حالة اعياء
وصليت المغرب وطلبت من الحارس أن يطفىء النور في حجرتى
فعجب لذلك ، فقد الف الا يطفىء النور الا في العاشرة مساء ..
ولكن النور كان يضغط على اعصابى ، وصليت العشاء واستلقيت
أخيرا على الفراش وكنت أعرف أن النوم لن يعرف سبيله الى
جلنى فاستسلمت للأرق كشيء طبيعى .. ورحت انتقلب كما
يتقلب الإنسان على الجمر .. الغدر .. الظلم .. الحقد ..
كانت هذه هى الأشواك التى انتقلب عليها والنار التى تحرق
سدى .. أنهم يحقدون على .. هم على استعداد للفيل بنى
ظلمنا وعدوانا .. حتى التحقيق معى قد أخذ صورة الغدر وكنت
من حين لأخر كما تعودت دائما أنزع الى الله وأهتف في صوت
مسموع من أعماق قلبى الى الله أن يحض الباطل وأن يخلصنى
وأن يحبط كيد الكائدين وأن يرده عليهم .. وقد رحمنى الله فثبت
قلبلا وقد يكون ذلك ساعة أو بضع ساعة واستيقظت وبدأت
أصلى ولعلنى قد شربت كوب ماء .. وعندما طلع الضوء بدأت
أطلع أى شيء تقع عليه بدائى لأطلع الوقت .

الخميس ١٩٥٢/٤/٢٤

وذهبت الى النيابة مصطحبا معى أحد اعداد جريدة الأهرام
الصادرة في ٤ فبراير وقد نشر فيه خبر اعتقالى وصورتى

وان احدا لم يتعرف على ، وقد رايت في ذلك النشر في يوم ١ التفسير لماذا تقدمت هذه البلاغات في يوم ٥ اى في اليوم التالي لتكون علاجا لما احدثه هذا النشر من تبرة ساحتى والدفاع عن شخصيتى .

وجاء المهندس وهو شخص يتطرحتدا ، وقال على النور انه يعرفنى لانه هو الذى بينى العمارة التى تواجه الحزب طوال العام المنصرم . . اذن فهذا هو التفسير لماذا عرف جبر حسن فهو يعرفه من الحزب ويعرف انه يصاحبنى في عربتى فمن يريد ان يلقى على بحسن التفتيح سيما بالزج بجبر حسن وهكذا نسر ما بدأ لى مصالفة غريبة ، وهى ليست سوى تدبير كما اجبت على الحقق عندما قال وقد تعرف على جبر حسن نقلت له اامعان في التفتيح ، وهكذا كان . وكرر ايامى اقواله السيئة للمقوتة من انه رانى وكنت في داخل السيارة التى وقفت امام كومة الاثياء المحترقة ونزل منها جبر حسن فرفع فوقها العلم اداة خمس دقائق ثم انصرفت السيارة . . رواية نجة مخيلة لا معنى لها ، وسألته كيف وصلت هذه المعلومات الى البوليس والنيابة فاجاب بانه يبنى بيتا لطله عزت بمساعد الحكيدار وانه قص عليه هذه الرواية فكلفه بالبلاغ فبلغ ، وهكذا عرف طريق التطبيق وانتهى امر هذا الشخص الذى اكله الى الله سبحانه وتعالى ، اما بالنسبة لجلال لطفى فقد قيل انه مسافر في فرنسا فلم يحضر ، فجىء بالشباب السودائى او النوبى الذى يعمل في مونتشل كوتسى ، والذى قيل انه رانى ايام الترف كلوب . وقد تعرف على من خلال ثلاثة اشخاص ، وقال انه كان يرانى دائما في الصور . وبدأ يقص قصته ولنت نظرى فيها انه يقول انه نزل من مكتبه في الشركة الساعة الواحدة بعد الظهر فكانت النار تشتعل في جرويب وفي الدولارز ، وفي علمى ان اشتعل النار في الدولارز كان في ساعة متأخرة وكذلك جرويب

وان كنت لا امرق بالضبط . . وتابع اقواله فذكر انه سار حتى وصل الى محطة البنزين في الساعة الواحدة والربع بالضبط نراى السيارة التى كنت فيها ، وكان هناك مخزن خبور قد بدأ يشتعل ، وطلبت منه ان يكرر هذه الاسوال ليحصى الحرائق التى مر بها منذ خروجه من المكتب حتى وصل الى بيته فاعاد ذكر ذلك . ولما سألته عن كيف وصلت هذه المعلومات للنبأبة اتضح من اقواله انه كان يرددش بهذه الاقوال فى بيته لأحد سببونه فذهب هذا الأخير وأبلغ محيد يوسف فى وزارة الداخلية، فاستدعى هذا الشاهد بالليل الى الوزارة وطلب ان يكرر ما قاله لهذا الشخص فاضطر ان يكرر هذه الاقوال ، وان يشهد بها لينجو بنفسه .

ولو وقف الأمر عند هذا الحد لما كان هناك ما أخذه على النبأبة أو بالأحرى على المحقق ، ولكنه فاجانى بقوله تعقيبا على هذه الشهادات ان الشهود الذين استشهدت بهم وقتلت انهم خاطبوني أو اتصلوا بى فى البيت لا تتعارض شهادتهم مع شهود الاثبات فالإتهام قائم وليس هناك ما ينفيه ، وقد ذهلت لتفخيص الموقف هذا التفخيص العجيب المستنكر ، ولذلك فقد رددت عليه بقولى « هذه مهاترة لا أرد عليها » ، فلما زاد المحقق على ذلك سؤالا آخر نيه معنى الإتهام قلت له « وهو كذلك » ثم انفجرت نيه وفى المحضر ، واصلا هذا التعسف وهذه المحابثة المنكرة للكيد لى بما تستحق وامتنعت عن الخفى فى التحقيق بعد ذلك الا ان يسأل جميع أعضاء الحزب المعتقلين والمسجونين أين كنت فى هذا اليوم وان يسأل بوليس الروضة جميع الناس فى منطقة الروضة فان البوليس اذا كان قد جاء بمأثومين أو ثلاثة يقولون انهم راوونى فان مئآت والوفا يشهدون فوق كبار رجالات مصر الذين شهدوا-اتنى كنت فى بيتى فى ذلك الوقت . . وكان من العجيب ان المحقق وهو يعدد شهودى قال ان على ماهر قد شهد أنك كنت فى البيت الساعة

الثالثة وان على الغايثي قل انه خاطبك في الرابعة . ولكنني لم
اذكر اسم الغايثي الا في مرحلة متأخرة من التحقيق وذكرت انه
خاطبني الساعة الثانية . ومعنى ادعاء النيلة : انني كنت انزل
الى القاهرة بين كل مكالمتين تليفونيتين فأحرق بعض الأماكن ثم
أعود الى المنزل لأتلقى المكالمات الثانية أو لأخاطب شخصا وليس
وراء ذلك سفسه أو عيب كما ذكرت في التحقيق بالذات .

وانضم مجلس التحقيق في جو عاصف ، وقد وصل بي
الغضب الى مدهاء ، ووجدت لذلك راحة في نفسي ووجدتني مستعدا
لأسوأ الاحتمالات وأنا في هذه الحالة .. وهذا هو شأن النفس
البشرية عندما تستنز وتتحدى فان كل قواها الغاضبة تتور
فنستهين بكل شيء .. لقد وجدتني وأنا أتحدى عبد الحميد
أبو شنيف أو بالأحرى أتحدى القوى الظلمة التي يمثلها والتي
ترغب في الكيد لي ووجدتني أشعر بانني أقوى منها وأنها أحقر من
أن تنال مني ، وانني مستعد لكل الاحتمالات بعزيمة ثابتة بما في
ذلك الموت نفسه . وقد ذكرت ذلك لأبو شنيف وأعلنته انني
سأرد على هذا التحدي بالتحدي مسلحا بإيماني بالله معتمدا على
قوة الحق التي أمثلها والتي تملأ نفسي ..

وعدت الى السجن أحسن حالا من اليوم السابق فقد
كان عنصر المفاجأة قد زال وكان أسوأ ما في الموقف قد حدث وتم
فقد علمت أنها ستكون قضية وسيكون اتهام ، وقد يحدث ذلك
بأسرع مما كنت أتوقع في أكثر الأوقات تشاؤما ، وعندما يوطد
الإنسان نفسه على وضع معين ناته يكون أعدا بالاحتى لقد
تيل ان اليأس إحدى الراحتين ، وذلك حق فليس هناك ما يعذب
الإنسان أكثر من الأمل ، ناذا لم يكن ثمة أمل فليس هناك عذاب
وأنا أستسلم وتبلد ، وكان قد انقضى لي قرابة ثلاثة أيام بغير
طعام ويومين بغير نوم ، فكنت في منتهى التوتر والاعياء ولكن

كان من الواضح انه سيكون يقدرتي أن آكل عندما تغرب الشمس وبحين وقت التطور ، وكان ذلك في حد ذاته هو علامة التحسن .

وهرعت الى صحنى لبحث فيها عن مواعيد حرق جروبي والدوللز والتريف كلوب فوجدت تقرير النائب العام يحدد مواعيد الحوادث ، كان حريق جروبي بعد الساعة الثالثة والنصف . . وطريق الدوللز بعد ذلك ، وحريق نادى التريف كلوب في الساعة الثانية والنصف . . الله اكبر اذن فالولد كذاب في صورة غريبة فهو يقرر أئوالا تخالف الوقائع المادية الثابتة ، في الساعة الواحدة التي يزعم أن النار كانت تشتعل فيها في جروبي والدوللز لم تكن قد اشتعلت اى نيران في مصر كلها الا في كازينو اوبرا واذن فالولد كاذب في كل ما يقول . . وهذا تفسير أن النبأ لم تقم لاقواله اى وزن عندما أدلى بها منذ ذلك الوقت المبكر للتحقيق .

لما كان لاقواله قبية لواجهتني بها النسابة منذ اللحظة الاولى ولاعتبرنى فاعلا أصليا في حرق التريف كلوب ولم يؤخرها عن ذلك الا مخالفة اقوال هذا الولد للواقع المادى والحقيقة المقررة عندها . . وعلى هذه الوثيرة لابد أن يكون لاقوال المهندس المزور الآخر شيء من الواقع المادى يكذب أئواله ، ولكن لا اعرفه . . لا قبية اذن لهؤلاء الشهود والنبأ تعرف ذلك من غير شك . . ولكن من غير شك أيضا أن تصرفها على هذه الوثيرة معى معناه أنها في طريقها الى انتهاء التحقيق وتقديم القضية الى المحكمة على اى صورة من الصور فقد أصبحت النبأ ترى نفسها في أشد الحرج بعد هؤلاء الشهود الثلاثة في تحقيق متصل عن المحرضين والتعرض أن تخرج على الملأ فنقول انه ليس هناك محرضون . . واثن فانا الضحية وانا كبش الفداء ، وبهذا التصور بدأت أعد برائعى عن نفسى واعدت نفسى لمراة الاتهام الظالم الذى سيظل معلقا على عنقى حتى تكون المحاكمة

وعرارة المحاكمة وحرارة انتظار الحكم ثم حرارة الظلم الذي قد يحقق بي في نهاية الأمر ..

وعلى عكس اليوم السابق لم تتر هذه المخاوف الاى ..
لقد دخلت في مرحلة الاستسلام التي يكون عندها كل شيء ..

يوم السبت ٢٦ من ابريل

كان اليوم محمداً لأن تزورنى زوجتى ، ولم يكن عنسك ما يؤلمنى أكثر من وقع هذه الأخبار عليها ، ولقد ساورتنى نفسى بالأنا أنكر لها شيئاً مما حدث ، ولكن ذلك كان مستحيلاً فليس لى شريك الآن في الحياة غيرها .. وهى كجزء من نفسى وما أعانيه لا يمكن إلا أن تعانيه معى ، مسكينة « حسنية » ، لقد احتملت معى كثيراً جداً ، ويظهر أن كل الذى عانتة فى الماضى لا يقاس بما سوف تعانيه هذه المرة .

وبدا اليوم عاصفاً شديداً المصيف كانت الشمس بحجوبة عن الأنظار لا نتيجة المسحب أو الغمام ، ولكن نتيجة امتلاء الجو بالرمال والتراب .. انها ريح الضمامين فى أسوأ صورها ، وكان الحر والقيظ يهدم الأجساد والنفوس .. وحاولت أن اتباطأ فى ارتداء ملابسى حتى يأتينى النبأ السعيد أنها جاءت ، ولكنها تأخرت ثم تأخرت وبدأت الهواجس تتناوبنى .. لقد خشيت بعد هذا التطور الجديد فى التحقيق أن تمنعها النيابة من الزيارة ليظل هذا الذى حدث مكتوماً ، ولكن إدارة السجن لم تكن لديها أية فكرة عن ذلك ..

وعندما تأخرت اضطرت لارتداء ملابسى والنزول فى طابور الصباح ، ولم اك انزل الى حوش السجن حتى توجئت المفاجأة

الأولى في هذا اليوم ، وكانت المفاجأة في صورة اعلان قدمه
 لي أحد الموظفين ادعى فيه لجلسة محكمة الجنایات في ٥ من ماير
 لأحكام عن الجنایة رقم ٨٤٠٠ ، وليس لي جنایة أحاكم فيها سوى
 هذه التي طلبت النیابة تأجيلها في ٦ من ابريل ، والخاصة بقلب
 نظام الحكم فهل عانت النیابة لتحديد جلسة لها ؟ أسرع مع
 الموظف المختص لأنك من هذه الحقيقة قبل ان اتعرف على مظلولها
 أو أسمح لفكري بالاستنتاج .. وتأكدنا أنها هي الجنایة المقصودة .
 وهكذا بعد أن طلبت النیابة في الشهر الماضي تأجيل هذه القضية
 لدور مقبل لتقديم تحقيقات تربطها بحوادث ٢٦ من يناير ، تعود قبل
 انتهاء هذه التحقيقات لاعادة القضية الى المحكمة . فما معنى
 هذا ؟ ! اما أن يكون معناه أن النیابة أدركت أنه لا علاقة لهذه
 القضية بحوادث ٢٦ من يناير فرأت أن تعدل عن خطئها وأن تعود
 القضية الى سيرها الطبيعي ، واما أن يكون معناه - وهو المعنى
 الأرجح الذي غلبته على المعنى الآخر - أن النیابة رأت أن ارتباط
 هاتين القضيتين سيجعل محكمة الجنایات هي المختصة ، ولما كانت
 تريد عرض قضيتي على المحكمة العسكرية فورا فقد رأت فصل
 القضيتين ، ومعنى هذا الاجراء الجديد انه نذير شؤم يدل على
 ان الفكرة قد استقرت على تقديمي للمحاكمة العسكرية ، على ان
 شعاعا من الرضا نفذ الى نفسي على الرغم من ذلك كله ، اذا كانت
 النیابة عدلت عن تصور ارتباط القضيتين ، وهو ما لن اعرفه الا في
 يوم ٥ من ماير بالذات عندما أواجه النیابة وأعرف ماذا ستقول ..
 فقد تقدم هذه التحقيقات التي تمت معي بالفعل ، ولكن على أي
 اساس تقدمها لم أكن اعرف ... كيفما كان الأمر لقد أدخلت هذه
 الحركة على نفسي شيئا من الراحة رغم رغبتى في التناؤم ، ورغم

انها كما قضيت قد تكون نذير شؤم وهي اننى ذاهب الى المحكمة العسكرية حتما وسريعا وقد رحبت ابحت عن اسباب هذا الرضا فلم أجده. ينبع الا من فكرة واحدة وهي اننى ناصبت فى ٦ من ابريل لئى لا تضم قضية « الثورة » . الثورة « الى تحقيقات ٢٦ من يناير فتحدثنى النيابة وقالت انها ستقدم للمحكمة ما يثبت الارتباط فاذا عدلت عن ذلك الآن فهو مظهر من مظاهر الفشل . وهو مظهر جديد من مظاهر تخبطها وانها تضع فى كل يوم خطة جديدة للنيل منى فاذا وجدتها لا تؤدى الى ذلك بحثت عن خطة جديدة واسلوب جديد .. على اية حال لن استطيع ان اكيف الموقف الا فى يوم ٥ من مايو بالذات ومواجهة اقوال النيابة .

وجاءت زوجتى فى النهاية لتضع حدا لهذه الخواطر الجديدة المتزاخمة المضطربة ، جاءت معها ابنتى الصغيرة (سنة) كان وجهها محتقنا يوشك ان يقطر دما وذلك تحت تأثير الجور العاصف المتهب ، كانت كأنها وردة حمراء او حمامة صغيرة تضطرب فى عشها خوفا من الزوابع والاعاصير وتملقت بى وتقدمت لى حلواها التى تحملها من اجلى .

وبعد ان قبلت يد زوجتى جلسنا فى حجرة مأمور السجن الثانى لتتم الزيارة تحت اشرافه ولم يكذ يستقر بها المقام حتى قالت لى خبرا مهما لا حد لاهميته ولكنه جاء على غير انتظار ، وفى وقت من احوالك الأوقات على .. وقالته فى هدوء .. كل ذلك جعل اهميته تتبدد فلا اقيم له وزنا مع شدة خطورته .

لقد قالت لى ان الدكتور محمد ابراهيم شكرى قد اتصل بالدكتور حلمى واخبره ان حافظ باشا عفيفى قد اتصل بشكرى

باشا وطلب مقابلته فلما ذهب اليه شكري باشا اذا به يطمنه على ابراهيم شكري وانه يعتبره ابنه وان قضية ٢٦ من يناير في طريقها الى الحفظ ، لو ان هذا الخبر قيل لي منذ اسبوع واحد لفجر في قلبي يتابع من الفرح والابتهاج والشعور بالنصر والتوفيق الالهى ولما وجدت فيه اى غرابة او شذوذ فلم يكن التحقيق يتجه او يؤدى الا لهذه النتيجة المتوقعة ، ولكن بعد هذه المحاولة الأخيرة المنكرة التى تنضح بالتعسف والكيد ومواجهتى بأشخاص يقولون انهم رأوني يوم ٢٦ من يناير ووصف النياية لهؤلاء الأشخاص بأنهم شهود اثبات وانهم فيما يقولونه لا يتعارضون مع شهودى ٠٠ كل ذلك جعلنى أستقبل الخبر الخطير ولا اكاد أقمه أو أسيفه .

ولقد كانت زوجتى المسكينة فرحة بهذا الخبر سعيدة بانها جاءت لتزف الى هذه البشرى ولذلك فقد كنت أرى الألم بعد ذلك يرتسم عليها حتى لا تكاد تتمالك أنفاسها وأنا أقص عليها ما حدث والقسم الأخير من مهزلة التحقيق .

ان هذا الألم الذى تألمته فى يومين قد تجرعتة هى فى لحظات وكان عليها ان تظل متمسكة القوى أمام الضباط والا يبدو عليها جزع أو فزع وهو ما يجعلنى اكبرها الى الحد الذى لم تعد بعده زيادة لمستزيد لو انها كانت تبتكى أو لو انهارت اعصابها كما تدل النساء فى هذه المواقف لما كان اكبارى لها يبلغ بعض هذا الاكبار والحب الذى أحسه نحوها ، وأنا أراها متجلجلة تستمتع لهذه الأنباء السيئة ، وعادت تتفبط محاولة الخلاص من هذه الأنباء المنكرة فراحت تكرر القصة التى بلغتها وانه لم يكن هناك اى مبرر لأن يستدعى حافظ باشا عفيفى شكري باشا ليقول له هذه الأقوال .. وعندما سمعت بآخر الأنباء وهو تحديد موعد

٥ من مايو لنظر القضية المؤجلة تشبثت بهذا الخبر كليل يعزز هذه الأنباء ، ففجمتها بقولى أن هذا معناه أنهم سيقدمون للمحكمة العسكرية وقد يحفظون بالفعل القضية الواسعة النطاق التى حاولوا أن يزوجوا فيها بالحزب كله وأن يقتصر الأمر على بمردي ، لقد كنت فى منتهى القسوة وأنا أقول هذه الأقوال بل كنت تصور أننى شبه متوحش وأنا أحملها هذه الإكدار .. ولكن ماذا أفعل .. ماذا أفعل وليس لى بعد الآن فى هذه الدنيا الا هى .. هى وحدها التى لا أشك فى إخلاصها وانها ستقف الى جوارى حتى النهاية .. هى وحدها التى ربطت حياتها بحياتى ، هى وحدها التى لا أشك لحظة انها تدعو الله من حشاشات قلبها بالليل والنهار أن ينقذنى وينجبنى .. كان لابد أن تعرف الموقف بكل هواجسه ومخاطره وأن تضم قلبها الى قلبى وعواطفها الى مواطنى وصلاتها الى صلاتى وآلامها الى آلامى ..

وانتهت الزيارة وبعد الظهر كانت جريدة الزمان تعلن أن تحقيق التحريض فى طريقه نحو النهاية السريعة وأن عبد الله أياظة وفكرى أياظة وصادق الملا مدير الشرقية السابق وعبد الغنى باشا برسى قد سمعت اتوالهم ، وعند الصباح فى يوم الأحد تابعت الصحف اللفظ حول التحقيق وأنه يوشك أن يتم فى أسبوع ٠ لا جدال أن هذه تخطبات من الصحف كما هى العادة فلا يزال المفروض أن تستدعينى النيابة ثانية لتناقشنى على ضوء هذا الذى سمعته من أقوال ، ولا يزال موضوع النشر فى الجريدة والموضوعات التى تريد النيابة أن تعتبرها تحريضا بغير سؤال .. وأعصابى بلغت من التهدم الى الحد الذى لا أستطيع معه مواصلة التحقيق الا بعد انقضاء فترة ٠ وقد كشف على الطبيب وقرر ضرورة الراحة التامة لمدة أسبوع لا أخرج فيه الى جلسات ، فما نقوله الصحف من أن التحقيق سبنتهى فى خلال هذا الأسبوع ليس

صحيحاً وانما هو دليل على وجود هذه الرغبة . وهل يراه
التحقيق ان ينتهى بهذه السرعة ليقدم قبل جلسة ٥ من مايو ياترى ،
ام ليقدم في قضية مستقلة امام المحكمة العسكرية قبل ان تنتهى
ايام حسين طنطاوى في المحكمة فقد قيل انها ستنتهى في آخر
مايو . . ؟! كل هذه هواجس جديدة لا اظن ايها استكشف
بعض الشيء قبل ٥ من مايو موعد نظر القضية .

وانى اكتب الآن هذه السطور في ظهر الاثنين ٢٨ من ابريل
ولم يطرا على الموقف اى تطور ، لقد ذكرت صحف الصباح ان
عبد الفتاح حسن قد سمعت اقواله في قضية التحريض ولست
اعرف ماذا سيكون موقف عبد الفتاح حسن منى في التحقيق لقد
وعدمتى حكومة الوند في وضع سيء جدا يحتم على ان اذاع عن
نفسى ضدها ولقد قلت عن عبد الفتاح حسن بعض الاقوال التى
لا تسره والتي سينفيها من غير شك اذا عرضت عليه . . وقد
(يلبخ) ضدى ويحاول الاساءة الى مركزى . . وفيما خلا استمرار
سباع هؤلاء الاشخاص والحاج الصحف على ان قضية التحريض
في مرحلتها الاخيرة فلم يظهر شيء رسمى بعد ، ولكن كل شيء
يصيح ان المسير قد تقدر في اذهان اولى الشأن وانه سيتقرر
بالكتابة بعد ايام او ساعات او لعله قد تقدر ، ومرة اخرى على
الرغم من ذلك كله يدخل الله على نفسى نسائم الامل باصرخ : :
اصرخ هاتفا انقذنى يارب خلصنى يارب لا تخزنى يارب انصر
عبيك المؤمن فانت وحدك الذى تعلم من اكون وماذا اريد وماذا
فعلت وماذا انتوى ان افعل .

يوم الخميس ٧ من مايو ١٩٥٢

قضى الأمر ، ووجهت الى النيابة الاتهام المنظر .. الاتهام بحرق مدينة القاهرة من اتصاها لاتصاها .. مدينة القاهرة بدور ملاميها وسينماتها ومؤسساتها ومناجرها وخماراتها وفنادقها .. انا المسئول عن حرقها بطريق التحريض بالنشر ، وهؤلاء الذين قتلوا من الانجليز في التيرف كلوب وبنك باركليز .. انا المسئول عن موتهم بالتحريض بالنشر بل انا الشريك المباشر في حرق ونهب محلات هيلمان للسيارات وبار الانجلو .. هذا هو الاتهام الذي ينخلع له القلوب والذي وجهته الى النيابة .. هذه هي التهمة التي لا اظن انها قد وجهت الى مصري من قبل ، او انها ستوجه الى مصري واحد من بعد !! هذا هو الكيد الذي يكيده له وهذا هو الهدف الذي كانوا يهدفون اليه منذ بداية الامر .. كم كنت سائجا عندما صدقت هذه الأقوال التي قيلت لي من أن القوم يريدون الوصول الى الحقيقة وانهم لن يتريدوا في اعلان براءتي اذا وضعت لهم .. كم كنت سائجا عندما تخيلت أن لهذا النفر من قوة الخلق ، ما يجعلهم ينصرون الحق .

اننى اعيش في عالم آخر غير هذا العالم الذى يعيشون فيه ولذلك فما اسهل أن اخدع .

قضى الأمر وأنا اعيش الآن في ظل هذا الاتهام وفى ظل أحله التصورات وبإلها من فترة قاسية تلك التى انقضت منذ آخر مرة كتبت فيها هذه المذكرات أى منذ أكثر من عشرة أيام . لم تكن لي أى قوة على الكتابة أو بالأحرى أى ميل للكتابة .. فما جدوى الكتابة ولن اكتب وقد كتبت عشرين عاما لا أبغى سوى الخير فانقلب كل ذلك ضدى بهذه الصورة الخيفة .. ولست أعرف الآن

استكون هذه آخر مرة أكتب فيها هذه المذكرات أم انه سيكون في استطاعتي أن أواصل كتابة هذه المذكرات .

اننى فى حالة لا أستطيع أن أسميها ياسا ولكنها نوع من الاستسلام والرضوخ فى غير حرق أو غضب أو ثورة أو شعور بالمرارة ، ذلك أن الحياة عندي كلها لا تساوى النضال فى سبيلها أو الطمع فى الوصول الى شيء منها . . مادام الكائن الحى سيموت . . مادام كل ما نحاول تحقيقه فى هذه الدنيا مصيره الى الزوال أو الفناء . . مادام كل ما نحمله من عواطف من حب من بغض من تسامح أو انتقام من انتصار أو انهزال . . مادامنا سنفارق اولادنا حتما ، مادامنا سنفارق احبابنا حتى مادامنا سنترك مشروعاتنا بغير انجاز أو اكمال . . مادامنا لن نحقق أبدا ما نصبر اليه فى هذه الحياة . . نعلام الأسف أو الشجن لانتهاه هذه الحياة بهذا الأسلوب أو ذاك ، عند هذا القدر أو قبل ذلك أو بعده .

هذا الامراك العميق لنهاية الحياة هو الذى يجعلنى فى حالة الاستسلام التى وصفتها ، والتي تجعلنى ألق كل شعور بالطبوح أو الجاه .

يوم الثلاثاء ٢٩ من ابريل

لقد وصلت الى سجن الاستئناف وأنا أشهد منظرا كريها الى تلبس وهو منظر المحكوم عليهم بالاعدام والذين ينتظرون التنفيذ . . وكان على أن أراهم فى كل يوم وفى كل ساعة . أراهم وأنا أذهب فى الصباح لأغسل وجهى وأراهم فى الغاء وأراهم دائما وأتكر فى أمرهم ويصور لى النضال كيف أن مصيرى قد يكون مصير

واحد منهم فيدفعني ذلك الى دراسة احوالهم اكثر وأكثر وعلى
نعرف أحاسيسهم ، ولقد جعلني ذلك اتمتع بشناعة هذا النظام . .
وهو تعليق المحكوم عليهم بالاعدام في انتظار الموت يوما بعد
يوم ٠٠ ان هؤلاء قد قتلوا ضحياتهم على حين غرة ، قتلوها حيث
لم تكن تتوقع الموت وليس في الموت الا توقعه ٠٠ وربما لم تتعذب
ضحيتهم في أيديهم الا بضغ ثوان . أما هم على كل صباح اذا فتح
عليهم الباب أحسوا بلذعة الموت حتى يتبينوا أن الساعة لم تحن
بعد وفي كل ليلة ينامون ولا يعرفون اذا كان هذا سيكون آخر
أيامهم ، ويتكرر ذلك كل يوم ٠ ان بعض هؤلاء المحكوم عليهم قد
يكث في هذه الحالة اثني عشر شهرا والبعض قرابة عامين وقد
ذاقوا مرارة الموت وأحسوها كلما نفذ على واحد منهم لأنهم
لا يعرفون اذا أصبح الصباح وأدركوا بأن سيكون في هذا اليوم
اعدام ، ليس فيهم من يعرف أنه لن يكون المقصود فالك في انتظار
هذه الساعة ٠ فتصفر الوجوه وترشك القلوب أن تتشق ويصابون
بالصاعقة أو الصدمة التي تصيب القبل على الموت . ثم يتبين أنه
لم يكن المقصود وأن جاره هو الذي أعدم وأنه لن يلبث أن يلحق
به ٠٠ ويتجدد هذا من حين لآخر أي عذاب وأي الام ٠٠ والمحكوم
عليهم فوق ذلك يرتدون حلايس حمراء لتذكركم في كل لحظة بأنهم
سيعلقون على المشنقة ، وتذكر كل من يقع بصره عليهم بهذه
الحقيقة المؤلمة . يالها من شدة ما بعدها شدة وباله من نظام
غريب ٠٠

ان الخائف لا يقتل الا وهو مجنون من غير شك ، الا وقد خرج
عن طبيعته البشرية ، أما الدولة أو بالأحرى المصروع الذي لا يفطن
عقله ولا يفقد رشده فكيف يقتل بهذا البرود وبهذا التصبير ؟

كان هذا هو الموضوع الذي فرض نفسه على ، فقد اتهمت في هذه القضية ، وقد زكاه في نفسى رواية طالعتها من تأليف ديوستونسكى الروسى واسمها الأبله ، وقد راح يستعرض هذا الموضوع بشرح واسهاب . وقد كانت مطالعتى لهذا الكتاب فى سجن الأجاناب عندما جئت الى سجن الاستئناف واصبحت جارا لهؤلاء المحكوم عليهم بالاعدام ، ووسط هذه الظروف التى تحيط بى . كل ذلك جعل هذه الأفكار تسيطر على .

وقد كان اليوم هو موعد تنفيذ الاعدام فى بانسين من هؤلاء البؤساء . كان كل من فى السجن يعرف الا هما . كان الحارس الذى يقف ال جوارهما ويحادثهما كما يحادثهما كل يوم ويقسم لهما السجائر كما يفعل كل يوم . كان هذا الحارس يعرف انهما سيشتقان فى الصباح وهما لا يعرفان . ولقد كنت احبب فيهما فى روحتى وايابى فاراهما فى شائهما العادى كباقي الأيام . لقد لمحت عليهما انزعاجا واصفرارا منذ يومين عندما سئلا عن اقاربهما لكنى يطلب منهم ان يزورهما ، فرأيا ان هذا الطلب نذير شؤم ولمحت عليهما فرح الموت ، ولكن بعد ان مر يوم وآخر دون ان يطرا عليهما جديد بدأ يتسيان وعادا الى حياتهما ، فكنا فى اسية اليوم الذى سينفذ الاعدام فى غداته فى حالتها العادية . ولم اتمالك نفسى فى استخلاص العبرة من هذا الموقف . فقلت لكل من يحيطون بى ان شائنا جميعا كشأن هذين الشخصين . انتظروا كيف نسخر فى نفوسنا من جهلهما مما ينتظرهما فى الغد . . فنحن نعلم انها سيوتان ، وهما ابعد ما يكونان عن هذه الفكرة وربما كانا فى هذه اللحظة بالذات قد انفتحت لهما الامال العريضة فى ان نقض احكامهما قد قبل وانهما سينجوان من الموت ، وربما راح احدهما يتخيل عندما يتحول الاعدام الى اشغال

بشدوها امام سر الموت . هذان شخصان كانا يبيضان بالحياة
 والقوة .. كان فيهما كل ما ينطوي عليه الانسان من شعور
 واحاسيس .. كنا يضحكان وبالكلان وبالبان وبالبان ..
 كنا يفران ويبتعان .. ثم بوضع على رتبة الواحد بنهما
 حبل .. وفي اقل من لح البصر يسقطان متارجحين في الهواء
 فاذا بهما يتحولان الى جثتين هامنتين .. لقد انتهيا .. لقد
 راحا .. (خلاص) ما اعجب هؤلاء الذين يتصورون ان الحياة
 تنتهي عند هذا الحد والقدر ! ما اعجب هؤلاء الذين يتصورون
 انهم قد حلوا مشكلة الوجود بمجرد ان يقولوا ان الانسان ينتهي
 بموته .. ما معنى هذا الانتهاء .. اين يذهب هذا الفكر وهذه
 الطاقة التي كانت تعمل ؟ اين يذهب بريق الاعين وحرارة البدن
 وهذا السمع وهذا النطق وهذا الوجود ؟ اين يذهب اين يروح ؟
 اما الجسم فما هو اماننا يتحول الى رمة عفتة سرعان ما تتحول
 الى تراب من نوع التراب الذي نعيش عليه وهذا مفهوم ، ولكن
 اين ذهبت هذه الابتسامات وهذه الضحكات وهذه الامل وهذه
 العواطف وهذه الارادة وهذا العقل ؟ اين تذهب هذه الحيوية
 وهذه القدرة وهذه الطائفة ؟ ولبيم كانت هذه الفترة التي عاشتها ،
 والتي اضطربت فيها هذا الاضطراب .. فبم كانت هذه الحياة
 وماذا ؟ .. فبم كانت ساعات الحزن وساعات الالم وساعات
 الفرح وساعات الكدح والعمل ؟ فبم كان ذلك كله وما اسبابه
 وما علتة وما غرضه وهدفه ؟ ان هؤلاء الذين يحاولون ان يريحوا
 انفسهم فلا يشقوا انفسهم بهذا التفكير يصبح امرهم مفهوما
 ولا يدعو للعجب لو انهم وقفوا عند هذا القدر فقالوا انه لا جدوى
 من التفكير فيما وراء الموت وانه خير للانسان الا يفكر الا في هذه
 الحياة التي هو فيها .. لو انهم وقفوا عند هذا القدر لكان امرهم
 مفهوما بل ومقبولا .. اما ان يزيدوا على ذلك فيصاولوا ان

يسفروا فكرة الحياة الأخرى بعد هذه الحياة ، وأن يعتبروا هذا الموت الظاهري هو النهاية النهائية لكل انسان .. هنا لا يتمالك الانسان نفسه من الدهشة والمعجب ان يكون ذلك هو ما يتصوره انسان وان يزعم هذا الانسان فوق ذلك انه عالم او مفكر او فيلسوف .

لم استطع ان اتمالك نفسي عندما مررت على هذا المحكوم عليه الذى لم ينفذ فيه الاعدام اليوم من ان اسأله عن حالته وشعوره فحدثنى انه استراب منذ الصباح المبكر لفتح السجن قبل موعده وان لديه تعويذة من الاستغفار أمبل عليها ثم راح يتجلد ويحدثنى انه لم يهتم بالأمر ولم يقم له أى وزن .. وكان وجهه يكذبه فقد كان مستقما .. فلما قلت له انه غير قادر على وصف شعوره قال انه شعر بأن قلبه قد انسحب وأن نفسه قد غاصت بعض الشيء .. فتعميت له السلامة والنجاة وتركته لشأنه .. ولكننى ظللت طوال هذا اليوم تحت تأثير هذه الصدمة .. صدمة ذبح رجلين بهذه البساطة وبهذا البرود وأن يتم ذلك بواسطة ، وتحت اشراف هؤلاء الأشخاص الذين يحيطون به وهم يفيضون جميعا بالطيبة والعطف كأي انسان آخر في الوجود .. وكنت أسأل كل ضابط وكل سجان عن شعوره فكتت أفرج لكل من يقول لى منهم انه لا يحتعل رؤية هذا المنظر ، ولذلك فقد حرصوا على الابتعاد عنه ، وعندما قال لى شاويش عملاق هذا القول زاه حين له ، وعندما علمت أن مأمور السجن لم يستطع أن يكمل عمله اليومي من التائر فاضطر للخروج ، كان ذلك بعيد الطمانينة الى نفسى ، فهم فى نهاية الأمر لهم أحاسيس وعواطف رقيقة ، واذا كان الواجب قد حتم عليهم الوقوف هذا الموقف فإن عواطفهم

وانسانيتهم قد تغلبت على كل شيء فكروها ان يشهدوا عملية القتل
ونقموا عليها في اعماق نفوسهم .

يوم الأربعاء ٢٠ من أبريل

توجئت في هذا اليوم بزيارة عبد الحميد ابو شنيف رئيس
النيابة مصحوبا بعبد العزيز على رئيس قوة الحرس التي تصحبنى
الى التحقيق او المحاكمة ، وقد تظاهر ابو شنيف بانه جاء ليسال
عن صحتى وليهدىء من روعى وانه بمجرد استلامه خطابى قد
جاء لزيارتى ، وان جلسة ٥ من مايو هذه لم تتم بناء على طلبهم
وانما هي غلطة وسوف تؤجل القضية ، وانه ليس صحيحا ما جاء
في الصحف من ان التحقيق قد انتهى وانه مستعد لسماع كل
اقوالى وتحقيقتها .

وقد كان ابو شنيف في ذلك يوم على ويخدعنى . . وكل
ما كان يرجوه من وراء ذلك ان اذهب اليه ولو يوما واحدا
لاستئناف التحقيق حتى يستطيع في هذا اليوم ان يواجه الى التهمة
التي اعدھا ، والتي يؤثرون ان توجه الى في وجهى لكي يكون
مخضرم من هذه الناحية كايلا . ولكنى كما هي العادة خدعت
لانى اريد ان اخدع ثانيا كهذا المحكوم عليه بالامدام والذي يتلقى
بأحيال الرجاء ، ولذلك فانه سريع التصديق لكل من يقول له انه
يخبر وانه سينجو . خدعت بأقوال الرجل وتصورت ان الامر لم
يبت فيه بعد وان حبل الرجساء في عدل القوم ونزاهتهم لايزال
مهدودا .

يوم الأحد ٤ من مايو

ذهبت الى النيابة وانا في منتهى الاعياء لكثرة الضغوط
والارهاق على اعصابى . . ومنذ اللحظة الاولى كان الجو متغيرا

وان لم ادرك ذلك الا في النهاية .. وجه الى ابو شنيف بعض
اسئلة خاصة بالنشر في الجريدة نقلت له ان موضوع النشر هذا
امر يخص به قاضي التحقيق ، فالنشر كان في شهر سابقة على
٢٦ من يناير فهو من اختصاص القاضي لا النيابة العسكرية ،
وقاضي التحقيق هو الذي يقرر اذا كان هناك اى ارتباط او صلة
بين هذا النشر وبين ما حدث .. فلم يعبا ابو شنيف بهذا
القول ومضى في توجيه عبارات منقولة من الجريدة الى نقلت له
اننى لمست كاتبها ولا اسأل عنها ، بل ان بعضها كتب وأنا في
السجن او خارج القاهرة .. ولكن ذلك لم يستوقفه ومضى في
طريقه حتى اذا وصلنا الى حد معين طلبت ارجاء التحقيق لما
أشعر به من تعب .. فاذا به يمانع ثم يقذف قذيفته في النهاية
ويقول : دعنا نوجه اليك التهمة أولا لكي تستعد للرد عليها ،
وراح يلى على الكاتب التهمة وهي التحريض على حرق وانلاف
ونقل كل ما حرق او اتلف او نقل في هذا اليوم .. وقد كان الاتهام
من الشخصية بحيث اننى تلقينته في هدوء بل بأكثر من الهدوء فأمسكت
بقطعة من الورق ورحت اكتبه وهو يلبيه على الكاتب .

ويعد ان فرغ من هذا الاملاء سألنى اذا كنت اريد ان ارد ،
فقلت له فيما بعد .

وعدت الى السجن وأنا احمل الاتهام الذى يسعون لتحجيلى
اباه منذ اللحظة الأولى ، وقد تم لهم ما ارادوه أخيراً .

لم اكن في حالة مزع كما كنت اتخيل .. بل لعلى وجدت نفسى
لضحك وكان كابوساً قد ازيج عن كاهلى ، ولكنى لم أحاول ان
اخدع نفسى ولذلك فقد تصورت اننى كمن يقولون عنه « سارقاه
السكينة » او كالطير يرتص مذبحها من الألم .. أما ضحكى فلا جدال
في انه مما يطبق على القول « شر البلية ما يضحك » .

ولذلك فقد أفضيت ليلة لبلاء ومرة أخرى اتجهت عواطفى الى زوجتى الحبيبة المسكينة ، ولقد فكرت أن أكتب لليها . . وشمرت أن واجبى هو أن أكتب اليها لأهون عليها هذه المسدمة ولايبثها عواطفى وحبى لها ودعائى لها وأصبرها واشجعها .

ولكنى حتى الآن لم أكتب هذا الخطاب فقد يكون اتسى عليها من عدم كتابته ، وقد يوحى اليها باتنى أودعها . . وإذا كان لأبد من ذلك نان هذا الإجراء الذى يحرمها من الأمل يجب أن يخسر وهانذا أكتب ذلك فى هذه المذكرة لتعرف اذا لم تقدر لى الحياة . . انه فى هذه المرحلة من حياتى لم يكن هناك من أنكر نيه واتجه اليه دائما بعواطفى فى هذه الدنيا سواها والا اياها .

يوم الإثنين ٥ من مايو

كان اليوم هو موعد المحلطة عن قضية قلب نظام الحكم . . وكنت قد فقدت الثقة بالنيابة فلم أعرف باى شيء ستفاجئنى فى هذا اليوم رغم قسم أبو شنيف بشره بأنه سيؤجل القضية . وقد كان محددنا لنفس اليوم نظر قضية إبراهيم شكرى وقد حرصوا على الا ترى بعضنا ولكنى عندما دخلت قاعة الجلسة وجدت أخته وأخوته وأقاربه نابتموا لى ابنساية كريمة خلفت بعضى ما فى نفسى . . وتوجئت بوجود سليمان زخارى رئيس التحرير الذى كان هاربا حتى الآن والله وحده هو الذى يعلم اذا كان ظهوره فى هذه اللحظة بالذات هو لآخرى أم للاضرار بى . . وعلى كل حال فكل ما يتعله الله خير ولا ضرر فيه . وعندما نظرت الجلسة طلبت النيابة التأجيل لتنفيذ القرار السابق ولم امانع فى التأجيل على شرط أن تتعهد النيابة الا تعود فى كلامها وان تضم تحقيقاتها الجديدة لهذه القضية . . وهنا ثار رئيس المحكمة وأعلن انه من المستحيل على النيابة أن تتراجع وأن محكمة الجنابات لأبد أن تنفذ قرارها بضم هذا التحقيق ، نطقت له ان هذا التصريح

يسرنى ولكن ما اعنيه هو ان تقدم النيابة التحقيق الآخر للمحكمة العسكرية كقضية منفصلة .. ولذلك فاننى اصبر على ضرورة البدء فى نظر هذه القضية وسماع الشهود الذين أخشى من سفرهم بمناسبة الصيف .. وقد صح ما توقعته فلم ترتبط النيابة بأى ارتباط وقالت انها لا تعرف حتى الآن ماذا سيكون مصير ما تجر به من التحقيق ، وهل ترتبط بهذه الدعوى أم ينظر على سبيل الاستقلال ، وتاجلت القضية لدور مقبل ولم تتصل المحكمة فى موضوع الشهود وعدت الى السجن وقد نال الاعياء منى مناله .. ولذلك فقد نمت نوما عميقا لأول مرة فى الظهر ودلتى ذلك على ان ما كنت فيه قبل ذلك هو حالة توتر اعصاب ، وان ما كان يدو على من هدوء بل وضحك ومرح كان مظهرأ يخفى هذا التوتر والذي كان يزيد فيه انتظار هذا القضية .. فلما انتقضت على هذا الوجه وتحدد الموقف والفت فكرة الاتهام .. ارتاحت اعصابى بمضى الشئ فكان هذا النوم .

يوم الثلاثاء ٦ من مايو

على الرغم من ان هذا اليوم هو عيد الجلوس .. اى انه اجازة .. فقد استدعانى المحقق ليسمع دفاعى الذى امسكت عن ابدائه فى الجلسة الماضية .. ومن جديد راح ابو شنيف يصمعى هذه الطقطوقة التى يخدمنى بها الا وهى ان الأمر لم ينصل فيه بعد ، وان المسألة لا تعدو عنهم يشنون ما هو ضدى وما هو معى حتى تكون الظروف كلها امام من سينصل فى هذا التحقيق ، وأنه على استعداد لأن يثبت لى كل ما أريده من اقوال حتى ولو كان ذلك باتهام النيابة بانها تريد ان تسمع دفاعى لتستعد لاستعادته وابطاله .

ومرة اخرى قلت له اننى سأنخدع له ورجت لرد على بعض الاسئلة التى وجهها الى والخاصة بسينما ريفولى .. وقد سردت

له من الوثائق المفصلة ما يدل على سلامة موقفنا بصورة كريمة نستحق الثناء والاعجاب .. وقد أبدى دهشته من هذه المظلمات وأعلن أنه سيحتقها ، ثم قلت له : لماذا لم تنيخوا لى الفرصة لاستعراض حالتى المالية ، ثم رحمت استعرض ظروف المعيشية وحياتى المالية منذ تخرجت فى الجامعة سنة ١٩٣٢ .. وقد كان التأثير يبدو على نظر الضباط الذين كانوا يسمعون .. وكان التأثير يبدو على أبو شنيف شخصيا وأنا أسرد الحقائق الخلسة بى وزوجتى وأولادى .. وداعبى الأمل فى أن يكون لأقوالى فى هذه الناحية ما يشمر القوم بفلاصى وتجرى عن الأغراض الشخصية .. ولكن هيهات .. هيهات .

يوم الخميس ٨ من مايو

كان التحقيق قد تأجل لليوم التالى لأرد على الاتهام المخلص بالتهريض ، وقد عدت بالفعل ورحمت أعد هذا الرد وهو رد مخم الى أبعد حد ولكنى عندما استيقظت لصلاة النجر شعرت بما صرفنى عن فكرة الذهاب الى التحقيق والإدلاء بهذا الدفاع ، فالى متى أتول لهم كل ما عندى فلا يعود هناك شيء جديد يقال أبلم المحكية .. والى متى أتعلق بالأبل الكاذب أنه قد لا تكون هناك محكية ، ولذلك فقد اعتذرت عن الذهاب يوم الأربعاء وعادنى الطبيب الذى قرر حاجتى للهدوء لمدة أربعة أبلم .

ولكنى فوجئت بعد الظهر بما ينفض على الحياة من جديد فقد سمعت فى السجن أن النيابة قد استحضرت بعض المسجونين ممن حكم عليهم من المحكية العسكرية وراحت تغريهم بأن يعترفوا أنهم اشتراكيون لكنى تخفف عنهم عقوبتهم ، وهكذا تريد النيابة أن توجد الدليل الذى ينقصها فى ادعائها على بالتهريض عن طريق النشر والذى يشترط فيه أن يكون الفاعل الأصلى قد طالع

القتال المنسوب اليه التحريض .. انهم يعملون بجد .. انهم يفتقون ويسمعون بكل الطرق للنيل مني ، ولم يكن أمامي الا ان اصرع الى الله ان يرد كيدهم .

وفي هذا الصباح طالعت في جريدة الاهرام ان رئيس النيابة المحقق مصحوبا بجاهد بك الانوكاتو العمومي الذي اشرف على تقديم قضايا ٢٦ يناير الى المحاكم ، والذي اشار في مرامحته الى ان هذه الحوادث كانت ثمرة النشر والتحريض بواسطة الصحف، بل وكاد يلمح للاشتراكية بالذات ، ذكرت الاهرام انها قبلنا التائب العام بمناسبة انتهاء التحقيق في قضية التحريض على حوادث ٢٦ يناير وان تحديد التهمة لكل منهم لن يستغرق سوى يوم او يومين ، وهكذا اقترب مريماً من النهاية .. وهذا ما يجعلني اقرر اني لا اعرف هل سيكون باستطاعتي ان اعود لكتابة هذه المذكرات قريبا ام سانشغل عنها بتحضير الدفاع من ناحية .. (وبالقرن) والل من ناحية اخرى ، فما هي جدوى هذه الكتابة ..

يوم السبت ١٠ من مايو

نصح الصحف على ان تزار الاتهام الخاص بي سيعلن اليوم او غدا ونحن في الانتظار . وانى لاتجه في هذه الساعات بكل روحي الى خلقتي ، لا اكاد ادعو دعاء معيناً فالامر قد بات فوق الدعاء .. اتنى انكر في ربي وخالقتي وهذا كل ما اعيش فيه الآن .

يوم الأحد ١١ من مايو

بسم الله الرحمن الرحيم ويقوة الله العزيز المتعال لم تنشر الصحف قرار الاتهام المرتقب وانى اتصور انه سيصلني قبل ان ينشر ، ولذلك فقد باتني من دهشة لأخرى . ان الدنيا كلها تعرف الآن ان القرار النهائي قد صدر ومع ذلك فان الله اكبر . الله اعظم ، الله قادر على كل شيء .

كان الدكتور حلمى مراد فى زيارتى عند الظهر وقد أخبرنى أنهم كانوا فى النيابة يكتبون قرار الاتهام وأنهم قد وجهوا التهمة الى عدد كبير من رؤساء الحزب ومعنى هذا أنهم فى آخر لحظة غيروا خططهم وقرروا أن يضربوا ضربة واسعة النطاق ولكنى لرجو أن يكون ذلك لخير إن شاء الله .

يوم الاثنين ١٢ من مايو

المحاضرة بمنطقة على تعطيم اعصابى وكلها عدات نفسى وارتضت أسوأ الأوضاع جاءت الصحف لتعبت بنى وتعدنى الى القلق والاضطراب ، نبيما انتظر اليوم قرار الاتهام اذا بجريدة المصرى تقول أن اجتماعاً تم بين النائب العام وبين رئيس الحكومة ومع محمد عبد الله وزير العدل وأن الحديث تناول قرار الاتهام فى قضية التحريض وأن الأمر يحتاج لمراجعته الى بعض الوقت . ايا جريدة الأهرام فقد ذكرت أن النائب العام قد وقع بالفعل قرار الاتهام وسيبلغ الينا اليوم وستجرى المحاكمة يوم ١٨ من مايو أى بعد ستة أيام .

وهكذا تضطرب افكارى ويتأبى القلق مرة اخرى فالحمد يا أرحم الراحمين ، يا غياث المستغيثين يارب ياتوى كفى فى عونى وشهد أزرى . تصبرنى ولا تخزلى ، أكرمى ولا تهنى ولا تخزنى يارب المستضعفين انظر الى ضمنى وثلة حيلتى وهوانى على الحلكين والطفافة المتجبرين .. ما عشت حتى الآن الا على الايمان بك والاستجداد بقوتك .. فلا تتخذ عنى يارب .. لا تضيعنى يارب .. يا انا الا عبدك .

يوم الثلاثاء ١٢ من مايو

وجاء قرار الاتهام فى اعظم صورة من الضجيج والتهويل ، جاء منشوراً فى الصحف تحت عناوين ضخمة تتحدث عن الاعدام

الذى طلبته النيابة من اجلى . ولم يات قرار الاتهام فنسب بل
والدموة الى الجلسة التى تحدثت فى يوم ١٨ مايو امام الصليب
النسيب ، حسين طنطاوى ، وقيل انهم سيميلون بالليل والنهار
لنسخ القضية قبل الجلسة ، وهكذا اجراءات ، رابعة ، نقل
على الائتمال والالتهبة فى القضاء على باسرع وقت ، ومع ذلك نائى
اشعر بهدوء واطمئنان وانتظر الى المستقبل بثقة عميقة .

ان التحدى القوي بهذه الصورة قد رغبنى الى مستواه بل
الى ما هو اعلى منه ، ولذلك نائى اشعر اننى اكثر من ند واكثر
من كفة لهذا التدبير الجهنمى .. اتنى اشعر الآن بهذه القوة
الخفية التى ترتفع بالانسان الى درجات لا حد لها . اهلا وسهلا
بالحاكمة .. اهلا وسهلا بالنتيجة ايا كانت .. بل لست احسن
الا انها ستكون خيرا لم يسع بظه من قبل .

يوم الخميس ١٥ من مايو

عادت الصحف كلها تؤكد ان القضية ستنتظر يوم ١٨ اى
بمد ثلاثة ايام ولست اعرف كيف تنظر قضية لم يطبع «دوسيهها»
بعد ولم نطلع عليه او نستعد ، ولكنها الرغبة الجالحة فى ان ينظر
حسين طنطاوى القضية قبل احواله الى المائى ، وهكذا يسجل
الرجل على نفسه وتسجل عليه النيابة انه الرجل الوحيد الذى
يطلقون عليه الامل فى ان يحكم على .. اى انهم يعترفون ان اى
شخص آخر غيره او اى محكمة اخرى لا تحكم على .

ومع اتنى ارى هذه المحاولات فان الهدوء يغير نفسى بل ان
الثقة التى اشعر بها الآن لم اشعر بها فى اى لحظة من اللحظات
الماضية .

وسأقدم على حسين طنطاوي بل سوف أقدم على الشيطان نفسه وأنا بمظهره بالعزم والقوة ، وسوف نرى ويرون ، أنهم يكونون كيدا وأكد كيدا فبهل الكافرين أمهلهم رويدا ، صدق الله العظيم وسوف يحبط الله كيدهم وسوف يخزيهم وان غدا لناظره قريب .

يوم السبت ١٧ من مايو

لم يبق على المحلثة سوى يوم واحدا غدا تقع الواقعة ونواجه المحلثة . والعجب اننى كنت منذ شهرين اشعر بجزع كلما تصورت موثى وأنا منهم المطلوب الحكم عليه بالاعدام . . . اما بعد ان حدث هذا بالفعل فان حياتى تمضى عادية وعادية . حقا ان فكرى اصبح مشغولا باعداد الدفاع في كل لحظة بالليل والنهار ، وأنا في الصلاة وأنا اطلع بعمل ذهنى على ترتيب أوجه الدفاع واستعراض اقوال الشهود وكيفية مناقشتهم وأوجه البطلان . ولكن فيها عدا ذلك فحالتى النفسية على خير حال ، واصبحت فكرة الموت نفسها لا تفرغنى في قليل او كثير . بل اننى اتصورها أشبه الأشياء بعملية جراحية يقدم عليها الانسان ليتخلص من آلام شديدة بعائتها .

وكل ما تد يضايقنى فيها هو هذه الفترة التى تسبقها والتى يفرس فيها على المحكوم عليهم لون من الاذلال وارتداء ملابس سخيفة ، ولكنى مع ذلك لا أرتعد كلما مرت الفكرة في نفسى ، ولقد زارتنى زوجتى يوم الخميس ١٥ من مايو وكان معها شقيقتها الذكور طهى مراد وقد كانت زوجتى في حالة شديدة من الجزع لبذلت جهدى لأخفف ما بها وحدثتها عن اطمئنانى واكدت لها اننا سننتصر . ولقد كانت حيوتى على أشدها ، وذلك لكى أدخل الهدوء على نفسها ولم تنته المقابلة الا بعد ان قلت لها كل المعانى التى اردت

ان اتولها لها لتساعدنا على احتفال الشدة ، قلت لها ان تتخيلنى مريضاً بأحد الامراض الخطرة ، وانهم اذا كانوا يريدون اغتيالى فلا حيلة لنا فى دفع الموت ، أما اذا كانت هناك محاكمة عادلة فلها ان تطلبنى كل الاطمئنان ، فاذا لم تكن هناك محاكمة عادلة بل كانت هناك مؤامرة لقتلى فليس فى الأمر ما يحزن لأن ذلك كان يمكن ان يتم فى أى مكان وفى أى وقت .

وطلبت منها ان تحتل الموقف بكل شجاعة فان هذه هى رسالتنا فى الحياة .

ولقد اهتمت ولم تنصرف الا وانا ارى فيها المرأة التى انظر واعتر بها والنسب اطمئن كل الاطمئنان اذا أتت اننى سأتربها راعية لأولادى .

يوم الخميس ٢٢ من مايو

اكتب الآن تحت الشعور بأن كل شيء قد انتهى واتنى اقترب من نهايتى قد يكون فى علم الله شيء، غير ذلك وقد تكون هذه اللحظات فى قمة الأزمة التى لن تثبت ان تنفج ، ومع ذلك فهذا علمه عند الله أما بالنسبة لشعورى الآن فانا أكاد انها للأخرة .

لقد بدأت المحاكمة فى يوم 18 كما كان مقدرًا ولقد ذهبت فى الجلسة وكنت شديد الحيرة بطن النفس وكنت اشعر بهدوء غريب ، حيث كان الجيب فى حالة عصبية . ولقد أرادت المحكمة وتناجرت الجلسة لليوم التالى . وعندما كنت أسلى النجر ودرغت منه تسمرت بخاطر يملأ نفسى الا اذهب الى المحكمة بعد اليوم فطست على استعداد ان يحاكمنى هذا الرجل الذى يسمى حسين طنطاوى . . لست على استعداد ان اساعدهم فى تصوير امر اعدائى فى صورة شرعية . ان كل شيء يصيح بالمؤامرة التى

تدبر لى ، نعلم أى أساس استسلم لهم ، ولذلك فقد قررت عدم الذهاب وانتظمت شهيتى للطعام والشراب وأنا أكتب الآن وقد مضت على أربعة أيام كاملة لم أذوق فيها أى طعام بل لقد مرت الثماني والأربعون ساعة الأولى دون أن أشرب الماء ، ثم اقتبلت على شربه بعد ذلك والحوائث كلها تعزز لصرارى على المضي فيها أنا فيه ، فالיום حكم حسين طنطاوى بأنه مختص بنظر الرد المقدم منى ضد المحكمة وذلك على خلاف القانون ، وكيف يكون هذا الرجل خصما وحكما فى آن واحد ، ولكنه اختار هذا الأمر أبعاتا فى التحدى وبسبب حكمة حضوريا على الرغم من اننى لم أكن موجوداً ويعنى هذا أنه سيبنى فى الإجراءات بالرغم من مرضى وتغيبى .. فليضى اذن فى اجراءاته كما يشاء ولكنى لن أكون هناك .. فليبيض ولكنى سأمنع نفسى بين يدى الله وحده . وهذا ما يفيل الى أن النهاية اقتريت ..

لست أشعر بحزن لمرور هذا الخاطر فى نفسى بل على العكس اننى شديد الترحيب بالخروج من هذا العالم الذى لم ار فيه الا الجحود والكثود والاثهام والانكار ومقابلة حبى واخلاصى بالحدق والغل والحسد ، ليس هناك ما أحزن عليه سوى زوجتى الحبيبة التى اعرف كم تتالم وكم ستتالم ولكن هل الدنيا الا الم .. وحتى لو لم اكن فى هذه المحنة هل كنت ساكون خلداً لها ، أم كنت سافارقها يوماً من الأيام ، لها الله اذن .. لها الله هى واولادى . وليسنى اعرف اذا كان سيكون باستطاعتى ان اكتب شيئاً فى هذه المذكرة بعد اليوم أم لا ، ولذلك فأريد ان أقرر الآن اننى اذا مت فإن دمي يقع على راس الحاكمين فى هذه الفترة وعلى رأسهم النائب العام والنيابة وحسين طنطاوى وزملائه ، ومع ذلك فليست أريد من احد ان ينتقم لى نان ذلك لا يقدم ولا يؤخر بل ويسء الى القضية أريد ان يأتى هؤلاء أعلام الله مضرجة أيديهم بدمى وهو وحده صاحب الشأن فى حسابهم .

ان التفكير في الانتقام والحقد والبغض كل ذلك لا يقدم ولا يؤخر
وانما هي عواطف صغيرة ورخيصة وضررها اكثر من نفعها فلندع
الامر لصاحب الامر ولتلاقلونا عاطلة واحدة هي الحب والتسامح
وان نقول كما قال سيد الخلق رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون .

بقيت حكمة أخرى وهي ان تضحيني لن تضيع هباء ، لقد
عشت حراً واذا بت نسوف اموت بموتة الأحرار . . لقد عشت من
لجل الحق واذا بت نسيكون ذلك في سبيل الحق ورفض الظلم
وعدم الاذعان للظلميان ، ولست اشك لحظة ان بلادي ستستفيد
من هذا النموذج الذي اقدمه لها في مكافحة الظلم وعدم الرضوخ
للأحكام الجائرة .

٢٧ من مايو ١٩٥٢

هاتذا اعود للكتابة مرة أخرى وأنا طريح الفراش منذ تسعة
ايام لم ينزل فيها الى جوف طعام . ان حالتي خطيرة حسب تقارير
الاطباء ، ان نبضي هو ١٢٥ وأنا راقد والضغط ١١٠ واصوات
القلب خافتة لا تكاد تسمع واعصابي منهارة ، والجيبع ضد
والسلطات متحاملة متحاملة على حتى ان قانون استقلال القضاء
يعدل بسرعة ليتمكن حسين طنطاوي من الاستمرار في نظر
قضيتي بعد انتهاء مدته في الخدمة وادارة السجن لا تريد نقلني الى
مستشفى رغم سوء حالتي وأنا طريح زفرائتي ، حيث لا سبيح
ولا مجيب اذا طرا على اي طاريء .

انني ملقى وطريح الفراش ليس من يسأل عنى او يهتم بشائني
الا القلة من اسرتي واتصاري المعتقلين الذين لا يملكون شيئا .
انني اشعر ان النهاية تقترب بسرعة ومع ذلك فليست آسفا
ولا ناديا . بل بالعكس اني لفخور بجهادي الذي ان لم يقدر في

هذا الوقت نستأتي أجيال تقدره حق قدره . اننى سعيد ومفتبط ،
لقد عشيت حرا واذا بت سألوت حرا . لقد عشيت لا أخضع الا
لارادتي واذا بت نسيكون ذلك بمتفقا مع ارادتي . . اننى أنظر الى
الحياة المقبلة بفرح وابتهاج . لقد حان الوقت لكى استريح بعد ان
اديت واجبى . . اننى نرح بسرور . . نرح بسرور والحمد لله من
قبل ومن بعد .

٢٨ من مايو ١٩٥٢

مازلت استطيع أن اجلس وأنا لخط هذه الحروف . اليوم
هو العاشر منذ بدأت هذه الحالة النفسية التى صعدتني عن
الطعام والعجيب أن صحتى العمومية اليوم خير منها بالأمس ، وقد
كان الأمس خيرا من أول أمس . لا تعليل لذلك فى نظرى الا ان
الجسد يمر فى مرحلة اعتياد لهذه الحالة الجديدة .

وهو من ناحية أخرى يبذل آخر ما عنده للدفاع عن كيانه
وهذا هو سر التحسن المؤقت والذي لن يلبث أن يعقبه انهيار
من غير شك .

ولانتزال المحاكمة مستمرة ويتحدثون عن حالة مرضى ، وهل
هو منتعل ؟ او غير منتعل ، ولمست التى بلى لشيء من ذلك
كله لقد وضعت نفسى بين يدى الله ، وأنا فى انتظار قراره ، اما
ان يدعونى اليه واما ان يبعثنى من جديد والخيرة فيها اختاره الله .

يوم الاثنين ٢ يونيو سنة ١٩٥٢

هاهى ارادة الله تجعلنى اعاود الكتابة ، لقد مضى الآن على
مرضى خمسة عشر يوما كاملة ولكن فى هذه الثلاثة الأيام الاخيرة
طرا على تغيير ، فقد نقلت الى مستشفى سجن مصر بعد ان

سأمت حالتى وانتدب ثلاثة من الأطباء من مصلحة السجون للكشف على من بينهم وكيل القسم والدكتور عزمى مرقص والدكتور كمال قاسم فقرروا نقلى الى المستشفى فوراً .

وقد عنصر ذلك تأجيل القضية الى يوم ٨ يونيو فأتاح لى ذلك فرصة التنفس ، وخفف ذلك بعض الشيء عن أعصابى ومع ذلك فإن العمل يجرى على سباق وتتم لاصدار القانون الجديد الذى يبد فى أجل حسين طنطاوى فى العمل وسيعرض اليوم على مجلس الوزراء ونحن الآن فى انتظار هذه الضربة الجديدة والله المستعان .

وقد تناولت كثيراً من السوائل وصحتى اليوم أحسن حالا وهذا ما جعلنى استأنف الكتابة .

يوم الأربعاء ٤ يونيو

الله أكبر والله الحمد . . كنت أقول دائماً لحدثى وهم يروننى طريق الفرائش ضعيف القوى منهوكها ، ان ذلك كله يرجعه الى الله وانه يحبى ويهبت ويقدرته اذا شاء ان ينشرنى وأن يبعثنى من جديد حيا .

وهانذا فى يوم الأربعاء ٤ يونيو اجلس على فراشى فى مستشفى سجن مصر الى جوار نافذة ضخمة أطل منها على فناء السجن الكبير واستمتع بزرقه السماء وجمال النهار وعذوبة الهواء . . هانذا وقد بدأت أسترد صحتى وعافيتى وأن هو الا يوم آخر أو يومان حتى أكون اذا شاء الله فى حالتى وصحتى العادية .

وكل ذلك تم بإرادة الله وفى غبطة عين وانتباهتها .

ففى غمضة عين جاضى الخبر الذى اثبتت اليه فى مذكراتى السابقة من أن القضية قد تأجلت الى يوم ٩ يونيو أى ثمانية أيام كاملة وهو أجل طويل قد بشرنى بالخبر . فقد كانت المحكمة تناهسل عند كل تأجيل ولا تسمح به الا بمقدار يوم أو يومين لكن تصدر فى النهاية حكما سخيفا قفرا يفيض بكل الوان السخرية بالدانون وبالحق وبالعدل . نهى تحاكمنى غيايبا وتعتبرنى لست غائبا وهى لا تعترف بقوانين ولا يعرف ولا تهتم بالذوق أو الرأى العلم انها تريد أن تنظر القضية بجذع الالف .

وقد انهال الطرق عليها يوما بعد يوم .. فهذا التأجيل الجديد لهذه المدة الطويلة كان علامة خير .. لقد ائبه فى نظرى عندما يطرق الانسان بشدة على قطعة حديد ليحركها أو قطعة صخر ليفلتها ثم يوالى الطرق ويواليه دون أن تظهر أى نتيجة ولكن فجأة تبدو بانارة أن قطعة الصلب ستتحرك .. ولقد كان هذا التأجيل هو من هذا القبيل فقد اشعرنى أن الصخرة فى طريقها الى التحطيم، صخرة حسين طنطاوى الذى يابى الا أن ينظر القضية .

وفى اليوم التالى أى أمس (الثلاثاء) توجئت بما يشبه الانقلاب فى هذا الاتجاه الطيب ، فـ « المصرى » تعلن بخط عريض أن حسين طنطاوى سيحال الى المعاش فى يوم ٧ يونيو وأن دائرة عسكرية اخرى هى التى ستنظر الدعوى ..

الله اكبر لئن صح هذا نهى آية لله الكبرى .. لئن صح هذا فهو بدء الفرج وانتشاع الغمة .

وكانت جريدة الاهرام تشير الى نفس الخبر ولكن فى غير ضجيج جريدة المصرى .. وكانت هناك حقيقة بارزة تضفى على هذا القول شيئا من الأهمية وهى أن وزير العدل لم يعرض قانون

استقلال القضاء على مجلس الوزراء .. ومعنى ذلك هو نجاح هذا الجهاد الذي جاعده القضاة لايقاف هذا التعديل مؤقتاً والذي لو تم لظل حسين طنطاوى فى الخدبة خمس سنوات اخرى او لتثبت بنظر القضاة لعدة اشهر قادمة على الاقل . الله اكبر .. الله اكبر والله الحمد وهكذا صدق الله العظيم « انهم يكتبون كيدا واكيد كيدا » ..

من الذى كان يتصور انه توجد قوة توقف تمام هذا القانون قبل ٧ يونيو فقد كان آخر ما يتصوره القانونون بالامر ان يكون القضاة هم الذين يحتجون ويعترضون والقانونون ملين بالمزايا لصالحهم .. ولكن هكذا اراد الله ونصبت اغلبية القضاة واحتجوا واشار بعضهم من طرف خفى لموضوع حسين طنطاوى .. ويظهر ان وزير العدل غضب لذلك فاجل عرض القانون على مجلس الوزراء يوم الاثنين ، وطالعت اليوم فى المسحف انه لن يعرضه فى جلسة اليوم (الاربعاء) وهكذا ارجو الله ان يضى يوم ٧ يونيو دون ان يعطل القانون القديم فيكون حسين طنطاوى محالا الى المعاش فى هذا التاريخ .

ولكن هل يرضخ حسين طنطاوى لهذه الحقيقة .. اغلب ظنى انه سيمارى فيها ، واغلب ظنى انه سيقول انه قد شرع فى نظر القضية وان من حقه ان يضى فى نظرها .. وهذا ما لم يصدر المرسوم باحالته الى المعاش بالفعل وهذا ما لا اظن ان الحكومة تقدم عليه .. ولهذا فالوقف فى نظرى وان كان قد انتقل الى صالحنا من الناحية المعنوية الا انه لا يزال معلقاً من الناحية المادية .

كيفما كان الامر ندد كسبنا بمركة .. واصبح موقف حسين طنطاوى رثا بعد كل هذا الجو الذى احيط به وبعد ان اجتمعت المسحف بالخط العريض ان خديته تنتهى فى ٧ يونيو وبعد ان

رفض جميع القضاة قانون استقلال القضاء حتى لا يستفيد
منه حسين طنطاوى .

وكل ذلك قد تم بإرادة الله فقد بعثنى الى الحياة من جديد ،
وشحنت هذه البارقة فى قواى مرة أخرى .. ولما كان محددا لنظر
الدعوى المقامة منى على النائب العام وعلى « أبو شنيف » يوم
٧ أو ٨ فقد اعترفت أن أخرج الى المحكمة للدلاء بأقوالى فى هذه
الدعوى الخطيرة .

ولقد حزننى ذلك كله على العودة لتناول الطعام والشراب .

وبالها من الألم تلك التى تكبدتها لأنتقل من حالة
الخبود والهبوط الى حالة النشاط والحيوية .. ما أعجب شأن
هذه الحياة .. أن الألم الذى نحسه لفقدنا هو بعض الألم الذى
نعانيه للدخول فى الحياة نفسها .

لقد كنت هائلا وأنا راقد فى فراشى تتدهور صحتى يوما بعد
يوم فلما بدأت فى تناول الأتربة السائلة وبدأ جسدى يلبس
بالحيوية انقابتنى الآلام وانزعج الطبيب وهو يرى سوء حالتى
ورد الفعل الذى ظهر على ولذلك نلم أستطع أن اكتب هذه المذكرة
بالامس لما كنت أعانيه من هبوط وليس سوى اليوم واليوم فقط
حيث استطعت أن اجلس وأن اكتب . نالله اكبر الله اكبر والله
الحد .

١٠ يونيو سنة ١٩٥٢

هاهى الأيام تتطور حيثما يشاء الله لها ان تتطور ، احيل
حسين طنطاوى الى المعاش ، واصبحت هذه حقيقة فى ذمة

التاريخ ، وعين بدلا منه حسن عبد الوهاب بن وهو رئيس محكمة الجنايات التي عرضت عليها قضية الثورة وطلبت النيابة تأجيلها وهو رجل يبدو عليه أنه طبيب ولكنه مريض من غير شك وضعيف ومندفع وقد تجلت لي هذه الصفات كلها عند نظره لتضرتي وهو يؤجلها .

وأنا الآن أتناول طعامي بانتظام عند المغرب فقد شرعت من جديد في صوم رمضان منذ أربعة أيام . وقد كتبت للمحكمة أنني سأحضر أمليها يوم السبت المقبل استأنف الصراع فإذا كان حسين طنطاوي قد ذهب فإن صلاح حسن عضو اليسار ومحمود برسي عضو اليمين وهما بقايا حسين طنطاوي لا يزالان كما لا يزال الضابطان ومن الواضح أن هؤلاء الأربعة .

والمهم أنني وقد كنت ظننت أن الأمور قد انتهت بها هي تبدأ من جديد . . وهناك أمور إلى المحكمة بعد أن كنت أتمنى أن لا أذهب أبدا . . ولست أفكر في شيء ولست أقبل شيئا . . أنني أضع نفسي وتكبري تحت رحمة الله يسرني كما يشاء .

أبراهيم شكري الآن سجين في نانس السجن بعد أن حكم عليه بالحبس لمدة ستة أشهر بتهمة العيب في الذات الملكية وهكذا تبعد الأمل القريب في أن يسترد حريته وأن يخرج ليكافح عنى فلا أمل لي في الخلاص مما يكيدون إلا إذا بذل نشاط حزبي في الخارج . . وفي الأمر من قبل ومن بعد .

١٣ يونيو سنة ١٩٥٢

مرة أخرى ألق على عتبة مرحلة حاسمة وسوف أخرج فإذا إن شاء الله لحضور دعوى الخاصة المرفوعة مني ضد النيابة

ولحضور المحكمة العسكرية للنظر في موضوع الرد ، لقد أعلنت المحكمة أنها ستصدر حكمها في موضوع الرد غدا بدون سماع مرافعة ، اكتفاء بتقديم المذكرات ولقد احتج الدفاع واحتججت أنا وارسلت لرئيس المحكمة اطلب فتح باب المرافعة فإذا لم تفعل المحكمة وامسرت على اصدار حكمها بدون سماع مرافعة وسيكون الحكم بالمرض طبيعا والمضى في نظر الدعوى غلست احسب الا ان حالتى النفسية ستعاودنى في مرة اخرى .. ومرة اخرى لا يعلم سوى الله متى تنتهى وكيف تنتهى .

ولقد اذاع حسين طنطاوى في مجلة آخر ساعة حديثا يفيض بالحق والدين ضدى كشف فيه عن خبيثة نفسه وانها لخبيثة مخيفة لها كان هذا الرجل ليحكم على باقى من الاعداء كما لمح في حديثه فهل تكون ازالته من المحكمة العسكرية ايدانا بن الله بقبل هذا المصير .. الله وحده هو الذى يعلم .

١٦ يونيو سنة ١٩٥٢

اكتب هذه السطور وأنا على ابواب دخولى في مرحلة مرضية لا يعلم سوى الله كيف تنتهى ومتى تنتهى ، لقد علودتنى حالتى النفسية السيئة وتحيط بى الهوم والاكثار وتوتر الاعصاب و الترقب .. لقد خرجت بالامس وأول امس وترافعت في دعوى الخصومة وترافعت في رد المحكمة .. أما المحكمة العسكرية فبالرغم من نصاعة الأدلة التى قدمناها على وجوب الرد اصدرت حكمها برفض طلب الرد وحددت لنظر الجلسة يوم ٢٨ من هذا الشهر وأما محكمة المخاصبة فقد قررت اصدار حكمها يوم الاربعاء . وهكذا نقف على ابواب شية المجهول الذى يستطيع أن يقرر مصيرنا في هذا الاتجاه أو ذلك ، فلو قبلت المخاصبة فقد اتهارت القضية ولو رفضت المخاصبة فقد تعززت القضية

واشدد ساعد التيابة .. وقد صاحب هذا الجو من القلق والتوتر ان اتخذ مدير السجن الجوهري بك اجراءات شاذة لتزويد في مسايلتي فقد جاء بقتل حديد ليضعه فوق الاقتال القديبة على باب الحجره وهكذا اصبحت ظلمات تغشاها ظلمات .. وليس لهذا الاجراء من تاثير على الا من حيث دلالة النسبية .. وهكذا تحالفت الظروف لتجعلني فاقدة الشهوية نحو الطعام من جديد فبالرغم من انى صائم فلم تمتد يدي الى الطعام ليس .. واجلس الآن مرة اخرى احدثق في الفضاء مستسلما لامر الله وما يصدره من احكام وقرارات .. ومرة اخرى يتكاثف الظلام امام وجهي ولا حول ولا قوة الا بالله .

١٧ يونيو سنة ١٩٥٢

لنكن مشيئة الله وليتم قضاؤه .. كلما حاولت ان استرد شيئا من طبيعتي داهمتني الحوادث .. وانا اليوم في حلة سيئة فقد جاءت زوجتي لزيارتي فاراد الجوهري بك مدير السجن ان يفتشها ثم اخذ منها حقيبة يدها ودخلت على وهي بصفرة الوجه لقد ازعجتني ذلك كل الاتزعاج وصسرفتها محتجا .. وهكذا بدأ هذا الرجل بطاردني وبالرغم من اننى شكوت ذات اليمين وذات اليسار فلم يهتم احد بهذه الشكاوى ..

وكل ذلك يجعل نفسي مريرة ومرة اخرى تضعف في نفسى ارادة الحياة .. وانى اتوجس خينة اذا رفضت المحكية دعوى المخاصمة فان ذلك سيجعل النيابة والمحكية العسكرية تنهر ضدى .. واليوم طالعت في الصحف ان رئيس المحكية العسكرية الجديد قد طالب من النيابة ان تحقق مع عبد المجيد نافع لاهاتته المحكية .. وهكذا يعلنون جاهدين على التخلص من عبد المجيد نافع ، كل ذلك يضغط على ..

فلتكن مشيئة الله .. ليتم نضائه .. اتنى راض ومستسلم
لليعمل ما يريد أن يفعل بي .

١٨ يونيو سنة ١٩٥٢

مرة أخرى لا حول ولا قوة الا بالله .. الساعة الآن الثالثة
بعد الظهر اى أن الحكم في دعوى الخصومة المرفوعة ضد النائب
العام وأبو شنيف ، لا بد وأنه صدر ، ولابد أنه صدر برفض دعوى
فلو كان لصالحى لأبلغ الى ولحالول الدكتور محمد حلمى ان يوصله
الى باى ثمن ولجاعتى زائرا بتصريح خاص ليبلغنى اياه .

ولم يظهر اى اثر لهذه الشكاوى العديدة التى أرسلتها سواء
ما كان منها لمصلحة المسجون ، أم النيابة .. وهكذا ارتد
على فراشى ناظرا الى سقف الغرفة — لا حول لى ولا قوة —
مهذبا في كل دقيقة .. ومع ذلك فلساتى لا يقنا ينادى يارب ولا
حول ولا قوة الا بالله .

بمعد الظهر

جامعى رئيس نيابة جنوب القاهرة الأستاذ عبد الحميد لطفى
ليستمع الى اقوالى فيها أشكو منه من معاملة في السجن ، وقد
جاء بناء على تكليف من النائب العام .. ناديت له باقوالى ولا يلوح
انه سيرتب على ذلك اية نتيجة ، فلن يرفع القفل الذى وضع
على الباب .. ومع ذلك لكل هذه مسائل صغيرة ليست هي في
الواقع التى تشغل تفكرى .

١٩ يونيو سنة ١٩٥٢

صح ما توقعته وصدر حكم المخاصمة بالرفض ولم يقف
الامر عند هذا الحد ، بل حكمت على الحكمة بشانين جنيبا لغرامة

أى أنها لم تهبط بالخرامة الى حدها الأدنى ، بل صعدت بها الى حدها الأعلى للتشديد والتعليق وهذا من أعجب العجيب ، ولابد أنهم في الحيشيات سينعمون على رفع هذه الدعوى .. وهكذا يسوء الموقف من جديد فلا حول ولا قوة الا بالله .

بازالت حالتي الصحية تتدهور ببطء فانا لا اتناول منذ خمسة ايام الا قليلا من السوائل عند الانطار وتتناقص شهيتي يوما بعد يوم ، واحسب انه في نهاية رمضان أى بعد ثلاثة ايام فلن يكون بقدرتي الا تناول الماء فقط .

أن الكثيرين ممن يتصلون بي يحاولون أن يشرحوا لى الايمان بالله على صورة واحدة وهي أن اتوقع الفرج وهم لا يدركون أن ايماني بالله اعمق فورا من ذلك أنا ،ؤمن به في السراء والضراء مؤمن به مهما نجى الحوادث .. فهو المدرك من الأمور بالا ندرك .. ما هذه الحياة كلها الا سر مطلق لا يعرفه الا هو .. ولذلك فان ايماني بالله هذه الأيام يُلخص في شيء واحد وهو الاستسلام التام المطلق لكل ما يجيء به القدر .

زارتني زوجتي ومن الواضح أنها تعلمني .. ولم يكن عندها ما تقوله لى وتطمعنا الوقت في تردد أتوال وآراء لا تبية لها .

الجمعة ٢٠ يونيو سنة ١٩٥٢

صباح جديد ويوم جديد على وتيرة الأيام السابقة ، زارنى الطبيب وقال لى أنك تاكل نفسك نقلت له : أن ذلك أفضل من أن تخفل امصابى واصاب بالجنون ، وانتهت المناقشة عند هذا الحد . وأذيعت حشيتك حكم المحكمة العسكرية الخاص برفض الرد وهو كالعادة ينتهى الى أن يضرب عرض الحائط بكل ما نقول

أو نفي .. ولا سند لهم فيما يقولون إلا مجرد القول .. والحكم والتعسف ، ومع ذلك كله ففى نفس الطمئنان الى النتيجة النهائية .. ولكن ما هي هذه النتيجة لا أعرف ولا متى ستصل وعلى أى وجه ستكون .

ما أنا إلا عبد الله وخلقته وسيقضى فى أمرى بكونه حكيمه .

الظهور

جاءنى عبد الحديد بك لطفى رئيس النيابة والأستاذ عدلى نسيم وكيل النيابة الأول ولست أعرف لماذا جاءا ؟! وقد راحا يتصحان بقبول الأوضاع القائمة ويهونان من شأنها على .. وقد اضطررت أعصايبى فاذا بين اثور وأنفجر وأحطم كوب ماء وزجاجة حبر واقع فيما يشبه التوبة العصبية فأنسحب حضرتيما ثم جاء الطبيب الشرعى وعقد الجميع ، وؤتمرا فى مكتب المأمور ثم انصرفوا .

فليفعل الله بى ما يشاء .

الأحد ٢٢ يونيو سنة ١٩٥٢

يارب .. يارب ما الذى أعقدته فى بكونك عليك ؟ اليوم صدرت الصحف وهى تحمل حكم مجلس الدولة وقد قضى ان ليس من حقه التعرض لقرارات النيابة العسكرية وسقوط الحق فى المطالبة بإلغاء الأمر العسكرى رقم ١٠ لسنة ١٩٥١ الخاص بتحديد اختصاصات المحكمة العسكرية لاتقضاء أكثر من ٦٠ يوما ، وهكذا انتضى آخر ابل فى سلب ولاية المحكمة العسكرية .. وقد قرر مجلس الدولة وهو يقضى فى قضيتى حكما رائعا ضد الحاكم العسكرى وما أصدره من مرسوم بقانون يمنع مجلس الدولة من التعرض لقراراته فقد قضى بعدم دستورية هذا المرسوم بقانون ،

وهكذا سيفيد الشعب المصري كله من هذا القرار من ناحيته
العامة أما ناحيتي الخاصة بالقضية فلم استعد شيئا .

ونشر في نفس جريدة الأهرام الصادرة اليوم حيثيات
محكمة المخاصمة القاضية برفض دعواي وقد جاءت حيثيات مخيبة
للآمال أكثر من الحكم بالرفض ذاته فقد امتدحت تصريحات النيابة
ودانعت عنها ولم تجد عليها أي غبار وسارت النيابة في تعسفها
من حيث تحديد المسؤولية الصحفية .

وفي وسط ذلك كله لا املك الا ان أضح نفسي بين يدي الله
منتظرا منه العون والفرج .

ولكن حالتي النفسية تسوء وتضطرب وتتدهور صحتي تبعا
لذلك والأمر لله من قبل ومن بعد .

الاثنين ١٢ يونيو سنة ١٩٥٢ — السادسة صباحا

اليوم يوم العيد ولا عيد لي ، ولا عيد لزوجتي واولادي ،
ولا عيد لأصدقائي وأخواني ، ولا عيد للبهادير التي عشت من
لجها طول عمري . . ان الدموع تغمر عيني من التأثر ، فكل من
يحيط بي قد جاء يهنئني بالعيد ويهنئني لي التهنيت الطيبة ، انهم
اناس طيبون يعيشون في دنياهم . . أما أنا فلا عيد لي الا ان يأنس
الله ويرضى .

وبالرغم من انني كنت بالأمس شديد الألم والشعور بالقهر
امام القوات الفاشية التي تحاول ان تنال مني فاني اليوم ابعد ما
اكون عن التفكير في هذه الأمتار . وهذا هو الدليل على اننا لا نملك
لانفسنا خيرا ولا نفعا حتى مجرد (المزاج اليومي) فهو نتيجة

عناصر لا نتحكم ولا نستطيع أن نتحكم فيها ، فنحن نتالم ونحن نشقى ، ونحن نسعد بدون أن يكون لنا يد في ذلك . يخرج الإنسان من بيته سعيدا مبتهجا فيصادف حادثا في الطريق بل قد يسمع كلمة عبارة تحوله الى حزين كئيب .

هؤلاء الذين يتشدقون عن حرية الإنسان واراادته وعن قدرته على التصرف هم اشخاص سطحيو التفكير .

عندما نقول الأديان شيئا بمحض الإلهام والوحي فان العلم لا يثبت ان يثبت ما تقول الأديان .

لقد قررت الأديان أن كل شيء مكتوب على جبين الإنسان منذ أن يولد ، وهل هو شقي أو سعيد . يقتضينا الإيمان أن نقرر أن كل شيء في هذه الحياة إنما يتم بقضاء وقدر ، وأن اللوح المحفوظ قد خط فيه منذ الأزل تصرفات الإنسان وأفعاله .

وعذه الجبرية المفروضة على الإنسان قد اثارت جدلا كبيرا حول موضوع الحساب والثواب والعقاب ، ولست أريد الآن أن اتحدث في هذه الناحية ، ولكن أتف عند حد هذه الجبرية وأن الإنسان مدفوع في تصرفاته بقوة أتوى منه وأنه مغلوب على أمره في كل ما يقول أو يفعل ، مضطر لهذا القول أو الفعل .

ان العلم الحديث والمشاهدة بل ان نلأساة الاجتماع والتاريخ وعلم النفس قد انتهوا جميعا الى هذه النتيجة وهي أن الإنسان ليس سوى ثمرة البيئة التي تحيط به وأنعماله وتصرفاته هي نتيجة الظروف التي احاطت به فلم يعمدوا يخرسون شاعرا أو بطلا أو فنانا الا بعد أن يدرسوا الظروف والعناصر التي كونت حياته والتي دفعته نحو فعل ما فعل .

انظر الى اى انسان على هذا الكون انه يولد مسلما او مسيحياً او يهودياً او بوذياً او لا دينياً وليس له في ذلك اى اختيار .

فهو مسلم لان ابويه مسلمان وهو مسيحى لان ابويه كاتا مسيحين وهكذا .

وهو يرث عن ابويه شكلها وطولها ولون عيونها وشعرها ، بل ويرث صفاتها ويرث ما بها من امراض ، وقد يكون والد الطفل عصبيا او دمويا او فتاكاً بطبعه فيرث الابن كل ذلك ولا صلة له في ذلك ما ورث . . ويولد الانسان في بيئة فقيرة او بيئة جاعلة فيتكون مزاجه وشخصيته ويصب قلبه في هذه البيئة الجاعلة او الرهيضة او المتحطة .

وقد يتعلم الانسان والانسان متأثر الى حد كبير جدا بما يتعلم فما هو هذا العلم الذى يتلقاه الانسان ، انه ليس من عمله وانما من عمل الانسانية ، ويتكيف الانسان بلون العلم والمعارف التى يتلقاها ، وكفى من غنى صار مهندساً لان الظروف ساعدت له علم الهندسة وآخر طبيب لان الظروف هيات له دراسة الطب ، واتى اقبال الآن حولى في مصلحة السجون ضابطاً حالمين هائمين كانوا يحبون ان يكونوا شعراء او ادباء او فنانيين ولكن الظروف جعلت منهم ضباطا وفي مصلحة السجون بالذات . . وعلى هذا الاساس نكل اعمالنا وتصرفاتنا انما هي نتيجة الظروف المحيطة بنا ونحن دائما ابداء متفعلون بالحوادث لا نفاعلون لها وهؤلاء الذين يتصورون الانسان ناعلا او متصرفا هم قوم لا يعمقون في دراسة الموضوع .

لقد اثبت العلم ان افرازات بعض الغدد هو الذى يكيف مزاج الانسان ومستقبله ، وتغير هذه الافرازات قد يحول الانسان من حال الى حال ومن صورة الى صورة وليس لاتسان سلطان على افراز غدده .

كانت البشرية الى وقت قريب تتصور ان الأبطال هم الذين
يكفون حياة البشر وليس هناك ما هو أبعد عن الحقيقة من هذا
الزعم ، فهم مثلا يتحدثون عن نابليون كخالق هذه النهضة التي
تمت على يديه ولم يكن نابليون الا تعبيرا عن إرادة الشعب
الفرنسي الذي نفجرت قواه وحبوبته في الثورة الفرنسية وكان لابد
ان ينطلق شرقا وغربا حتى يرتطم ويهدأ ، وحسب الانسان ان
يطالع التاريخ لكي يرى كيف ان جيش الثورة قد استطاع في
معركة « غالي » قبل ظهور نابليون ان يسد لأعظم الجيوش مع
انه كان عربيا جاثما لا عهد له من قبل بالحروب . بل ان فرنسا
الثائرة قبل نابليون هي التي شنت الحرب في كل الميادين وظفرت
بانتصارات أذهلت الجميع فليس نابليون الا مظهرا من مظاهر
إرادة الشعب الفرنسي في ذلك الوقت .

ومثل ذلك يقال عن محمد علي في مصر فبا محمد علي الا يقظة
مصر التي أحدثها الغزو الفرنسي لمصر حيث تمام الشعب يناضل
عن حرياته وعن كيانه واستقلاله ووجد في محمد علي معبرا عن
أرائته . . وأوظف محمد علي في بلده « قوله » لما زاد أمره عن بائع
دخان أو عسكري في الجيش التركي فالظروف والحوادث التي
لا دخل لإرادة محمد علي فيها هي التي ألقت به الى مصر في وقت
معين وفي فترة معينة ومصر على أهبة وثبة معينة فكان محمد علي
ما كان . ويتصور أتوام حتى في عصرنا الحديث بعد ان انتشحت
هذه النظريات وأصبحت حقائق مقررة ان امبراطور ألمانيا
هو الذي أشعل الحرب العالمية الأولى وأن عطر هو الذي أشعل
الحرب العالمية الثانية مع أن عطر العسكري ما كان يستطيع في
بلاد جبلة العسكرية . . ان يصل الى ما وصل اليه لولا ان
الشعب الألماني قد وجد فيه ضالته المنشودة والسبيل لتحقيق
بغيبته وهو الأخذ بالثأر واستئناك الحرب .

وما يقال عن حوادث العالم الكبرى وعن الأبطال وعن كبار الشخصيات يقال عن أصغر إنسان في أي زاوية من زوايا الكون .. فهذا الذي ولد زنجياً هل يمكن أن يكون إلا زنجياً ؟ هل يمكن أن يغير لون جسده وأن يغير من طباعه ؟؟

ومن هنا بدأ اساتذة العلم الجنائي يعيدون النظر في مسألة العقوبة على ضوء هذه الحقائق التي ثبتت لهم . فالقاتل لا يقتل ، والمسروق لا يسرق، والزاني لا يزني، الا تحت تأثير عوامل اجتماعية وطبيعية لا حيلة للإنسان فيها .. فالمسارق قد يسرق تحت الحاجة وخوفاً من الجوع فلو سدنا حاجة الناس ووصلوا الى درجة الاشباع او ما يقربها لما وجدنا هناك من يسرق .. والقاتل لا يقتل الا بعد أن يفقد عقله ، والزاني لا يزني الا مغلوباً على امره بما أودع في جسده من هرمونات يكفي أن تزيد على درجة معينة لكي يكون هذا الشخص مغلوباً على امره امام أي امرأة يصادفها .

والخلاصة ان الايمان بالله الذي يفرض علينا التسليم بالقضاء والقدر واننا لا نملك لانفسنا خيراً ولا نفعاً ، وان الحوادث تتم وتقع بقوة تاهرة لا قبل لنا في دفعها هو ما يولده النظر العلمي الحديث عندما يجعل الانسان وكل افعاله هي ثمرة عناصر لا دخل للإنسان في تكوينها ولا حيلة له في دفعها او تعديلها .

فالجبرية هي التفسير الوحيد الذي لا يزال مقبولاً لتفسير حوادث هذا الكون في عمومها وفي تفصيلها .

الجمعة ٢٧ يونيو سنة ١٩٥٢

تري ما الذي يخبئه القدر ، واتى لاتف على بابي في ظروف لم اكن اتوقعها !! لقد عشت خمسة عشرة يوماً من رمضان

صائبا ، وابضيت السبعة الأيام الأخيرة منه وأنا لا أتناول في
الإنطار إلا بعض السوائل ، التي تقيم الأود ، وكانت تنقص
يوما بعد يوما حتى وصلت الى درجة العدم ، حتى إذا انتهى
رمضان ودخلنا في مرحلة الإنطار إذا بنفسى تضيق عن أى طعام
أو شراب غير الماء فأبضيت أيام العيد الثلاثة لا أتناول سوى
الماء ، وقد كنت مرتاح النفس والذؤاد لذلك مطبئن خاطر معتزما
أن أبضى ما استطعت الى ذلك سبيلا بملازمتى الفراش في ضعف
ووهن ، وهى وحدها التي تهدىء نفسى وتجعلنى أسخر من
الظلم والاضطهاد ومن الحياة كلها .

وفجأة استيقظ بعد منتصف ليل الأربعاء ، اى في صباح
الخميس ، وأنا في حالة شديدة من الضيق والألم ، كانت نفسى
مضطربة وجسى كله في حالة ضيق ، وفي صدرى ألم ، ولم أكن
أعرف ماذا أفعل لو كيف أتصرف ؟

وحاولت أن أصبر ، وأن أمضى عن هذه الحالة ولكنها راحت
تنفلقم حتى بلغ بى الضيق مداه ، فطلبت من الحراس أن يفتحوا
الباب ، وجاء الضابط المختص ، وجاء « التمرجى » وظننت أن كويا
من شراب الليمون قد يساعدنى ويعيدنى الى طبيعتى ، فطلبت
شراب الليمون ، ولكنهم لم يكانوا يجيئون به الى حتى زاد
اضطرابى ، وتناواته بصعوبة ، ولم ألبث أن تقيانه .. وكان ذلك
قمة الأزمة ، وكان جسدى ينتفض بالألم والضيق والاضطراب
ثم هدأت وانصرف الضابط ، ونبت بعض الوقت فيما لا يزيد على
ساعة أو ساعتين ، وطلع النهار ووجدتنى في نفس الحالة من
جديد ، وعندما جاء الطبيب وجدتنى في حالة من الألم جعلتنى أقبل
كل ما اقترحه من أسعاف وعلاج ، فأعطانى بعض حقن الكورامين
والأنوية ، وجيء لى بالشاى والعرقسوس كعلاج لما أحس به
من ألم في أعضائى .

وهانذا الآن في عصر يوم الجمعة ، وقد عدت أتناول بعض الأغذية ، بحيث استطعت أن أجلس وأخط هذه الحروف ، وق نيتي أن أجاهد في سبيل تناول الغذاء نفعاً عن نفسي لهذه الآلام .

وغدا السبت حيث تعقد المحكمة ، وقد طلبت التأجيل ، وطلب المحامون التأجيل ، فلو رفضت المحكمة التأجيل ، ولو رفضت ما طلبت شبهة من أوراق إلى القضية يجب أن تضم إليها بمقتضى القانون لكان ذلك صورة بارزة من التعسف وأهدار كل قواعد القانون والمعدل .

كيفما كان الأمر ، فليست أظن أنني سأذهب غداً ، ولكني معترف الذهاب — أن شاء الله — بعد ذلك كي أفرغ من هذه المهزلة فإن أمصاي لم تعد تحتفل ، ولا يجب أن تحتفل أكثر من ذلك ، فنتائج النتيجة إما كانت ، ولئنانه من هذا الضغط المستمر .

وق هذه اللحظات اتجه بكل ذرة من ذرات جسدي وروحي إلى خالتي أسأله أن يكون عونى ونصيرى وأن يهبى لى من أمرى رشحاً .

أسأله أن يهدى القضية وعملهم غداً على تأجيل القضية أجلاً طويلاً ، بل أسأله أن يحدث من المفاجآت ما يؤخر نظر هذه القضية إلى أن تلغى الأحكام العرفية .

الأحد ٢٩ يونيو سنة ١٩٥٢

يارب السماوات والأرض ، يا من أعبدك بكل ذرة من ذرات جسدي ، يا من أعبدك بكل خفقة من خفقات قلبي وروحي ، يارب يا سر الوجود ، يا سر الأسرار يا من حارت فيك العقول ..

مذكرات - ٣٥٢

بماذا تريد بي .. الى أين سنتتهي بي .. هانذا مرة أخرى ألق
على قدمي مصليا ، هانذا مرة أخرى وماه الصحة قد بدا يندفق
من شراييني ، هانذا مرة أخرى وقد حطقت ذقني بعد ثلاثة أسابيع
تقريبا ، واجلس متحدثا ، هانذا أرى وميض الأمل يتسلل رغم
لثني الى املق نثسي ، وهانذا أدموك في حرارة وفي ثوة من جديد
ان تخلصني ، وان تفتنني ، وان تدلع عني السوء والكيد ، وان
تخرجني من هذه المحنة برغوع الرأس موفور الكرامة ، كما هودنتي
دائما .

لقد تأجلت القضية الى ٨ يوليو ، اي بعد تسعة ايام من
اليوم ، والظواهر تدل على ان القضية ماضية في طريقها ، وانها
سنتظر عقب هذه الفترة ، ومع ذلك فاني أرجو من الله الا تنتظر
هذه القضية ايام محكمة عسكرية ، والا تنتظر في هذه الايام ..
كيف سيتم ذلك .. كيف يتحقق ذلك ؟ ان الله قادر ان يحدث في هذه
التسعة الايام أحداثا تغير الدنيا من حال الى حال .

وفي نيتي ان احضر الجلسة المقبلة لأطلب من المحكمة التأجيل
من جديد .

سرت بالأمس اشاعة في السجون ان الوزارة قد سقطت ،
بل وان علي ماهر هو الذي دعي لتأليف الوزارة ، وقد كان هذا
اخير فوق احتمالي لو كان صحيحا ، فذرفت الدموع شكرا لله ،
ولكن سرعان ما تبين ان الاشاعة غير صحيحة ، وسدرت الصحف
اليوم ، وهي ابعد ما تكون عن هذه الناحية .. ومع ذلك فلا يزال
الامل يداعب النفوس . ان تغييرا سيقع في القريب ، والرجاء كل
الرجاء الآن ان يكون تغييرا نحو الخير والأحسن لا نحو الاسوأ .
وقه الأمر من قبل ومن بعد .

ولاول مرة نشرت الصحف اليوم صورة ابني مصطفى ، الذي حضر الجلسة ، وقد اثر ذلك في نفسي .. وانتفضت أكثر من عشرة أيام دون أن أرى زوجتي وقد بدا ذلك يساقطني .

أول يوليو ١٩٥٢ « الثلاثاء »

غلبتني الأيام الحزرة ، وأنها تسير دائماً بين المد والجزر ، بين العسر واليسر ، بين الشدة والرخاء ويوماً نساءً ويوماً نسر ، وكذلك فلم أكتب هذه المذكرة بالأمس ، وآثرت التريث حتى اليوم حتى تستقر الأمور .

لقد قدم « نجيب الهلالي » استقالته منذ يوم السبت الماضي ، وأقول قدم استقالته ، ولا أقول سقطت الوزارة ، ولو كنت أكتب هذه المذكرة بالأمس لثقت سقطت وزارة الهلالي ، والله حسين سرى الوزارة ، أما اليوم ، فقد ظهر أن الموقف لا يزال معقداً ، فلم يؤلفه حسين سرى وزارته ، بل قيل أن آخر الأخبار أنه عدل نهائياً عن تأليفها ، وقيل أن نجيب الهلالي لم يتسلم خطاب قبول استقالته بعد ، أي أن الموقف لا يزال معقداً ، ولم يحسم بعد .

ولست أشك لحظة في أن سبب تعثر تأليف الوزارة هو الاختلاف بين القصر وبين حسين سرى على الخطة التي يعتمزم انتهاجها ، ولا بد أن موضوع الأحكام العرفية قد عرض على بساط البحث ، ولا بد أن فكرة التهيئة لانتخابات جديدة قد عرضت على البحث ، بل لا أستبعد أن موضوع قضيتي ومصري ، ونصير الحزب الاشتراكي قد عرض على البحث بالذات ، فالحق لا يربحون أن يناجأوا بيمت الحزب الاشتراكي من جديد ، وقد لا يعني حانظ عفيفي من كل شئون مصر بأكثر من عنايته بنصير أحمد حسين .. على أن هذا الذي حدث هو خير من غير شك ، وكيفما كانت النتيجة

التي سنفتني اليها هذه الازمة فان قلبى يحدثنى اننا نسير نحو
الاحسن لا نحو الاسوأ .

ولو قد كتبت هذه الرسالة بالامس لكتبتها في جو من التفاؤل
شديد ، فقد حضرت زوجتى والدكتور حلمى وجميع الأولاد ما عدا
مجدى الصغير ، وامضينا وقتا طيبا يفيض بالآمال التي خلفتها
استقالة الوزارة . . أما اليوم فانا أكثر تحفظا ، ولكنى غير
متشائم وأررد دائما : « حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد
كذبوا جاءهم نصرنا » .

الجمعة (يوليو سنة ١٩٥٢

ويودى لو كتبت باسم الله الرحمن الرحيم في كل صفحة وفي
كل سطر ، وقبل كل كلمة ، وباسم الله الرحمن الرحيم خرجت الى
هذه الدنيا ، وباسم الله الرحمن الرحيم درجت وترعرت ، وباسم
الله الرحمن الرحيم سارت حياتى ، حيث اراد الله لها ان تسير ،
وباسم الله الرحمن الرحيم اقيم الآن في هذا السجن في انتظار
رحمة الله وفرجه .

اصبحت وزارة حسين سرى حقيقة مقررة ، فهي تلى الحكم
منذ يومين ، ولم اشأ ان اكتب يوم تأليدها حتى تستقر الأوضاع ،
ويتشعس الدخان ، وتتضح النوايا ، وتتجلى الخطط ، وفي تأليف
الوزارة حسنة واضحة ، وهي انها خلقت من مرتضى المراغى الذى
كان قد تخصص في حرسى ومعدائى وقبيل عند تأليف
الوزارة ان حافظ عفيفى بدوره سيترك منصبه في رئاسة الديوان ،
ولو حدث ذلك لكان خيرا عبيدا ، ولكن الرجل عدل عن الاستقالة
على الاقل في الوقت الحاضر ، كما يقولون ، غير ان نفوذه قد اصعب

بصحة كبرى عندما كلف بهي الدين بركات بذاليف الوزارة ، ثم
نوحى بحسين سرى بؤلف الوزارة من وراء ظهره .

كيفما كان الأمر فقد سقطت الوزارة السابقة ، وها نحن
ازاء وزارة جديدة ، ويعتبر الوفد ذلك التغيير انتصاراً له ، وسيفرج
اليوم عن مؤاد سراج الدين .. ابا انا فلا استطيع ان أومل من
وراء حسين سرى في خير مباشر ، فوزير الداخلية هو محمد هاشم
وهو لم يكن يخفى عداوه الصريح لى وللأستاذ محمد منصور ،
ولقد قيل كلام كثير عن ان الغاء الأحكام العرفية سيكون أول
ما يفعله حسين سرى ، ولكن الوزارة أمسكت عن الخوض في هذه
الناحية ، وعين حسين سرى حاكماً عسكرياً ومحمد هاشم وزيراً
للداخلية ورقياً عالياً .

ولقد علمنا الأيام ان الأحكام العرفية لا تلغى في سهولة ويسر ،
ولا بد من ضغط شعبي ، ولن تكون هناك أحكام عرفية بالنسبة
للوفد بطبيعة الحال ، ولكنها ستكون للاشتراكيين ، ولذلك فقد
سكت الوفد عنها وبهم بالانتخابات ليكون الغاؤها على يده هو ،
ومعنى ذلك ان الأحكام العرفية لن تلغى في القريب .

وفي يوم ٨ يوليو المقبل ، تعرض قضيتي من جديد أمام
المحكمة العسكرية العليا ، وسأحاول ان أحضر الجلسة ، وسأحاول
تأجيل القضية ، فان تأجلت الى أجل واسع فقد انفتح أمامنا أمل
عريض في الا تنظر القضية أمام المحكمة العسكرية ، ابا اذا لم
تؤجل ، فقد ضاعت آخر فرصة في حكم كريم ، ولكن الله الرحمن
الرحيم ، الله الذي أحدث هذا التغيير وهذا الانقلاب في طرفة
عين .. الله الذي فوضت كل امرى اليه قادر على ان يخلصنى
وينقذنى وينصرنى كما نصرنى دائماً في كل هذه المحن والويلات .

السبت ٥ يوليو سنة ١٩٥٢

المرج بالأمس عن مؤاد سراج الدين ، وبهذا يعود الوفد الى كل قوته ، ويعرف كل الناس أنه في طريقه الى الحكم ، وهذا ما توقعته من طلائع التغيير الجديد ، وأنه سيكون للوفد ، ولكنه إن يكون للاشتراكيين .

وهذا قد جعلني أتصور مقدار هول المعركة التي لا تزال تنتظرنى قبل أن أتخلص من المحكة العسكرية . . لقد اعتزمت بعد جلسة يوم ٨ يوليو إذا لم تؤجل القضية إن أنذر الحاكم العسكري بالاضراب حتى الموت إذا أصروا على نظر قضيتى أمام المحكة العسكرية .

وأعرف أن مثل هذا الإنذار سيجعلهم يتشددون على فى بادئ الأمر على الأقل ، وأعلم أنهم سيحاولون أن يظهروا بمظهر المستخف بهذا الموضوع ، وكل ذلك سيكبدنى مشاق خطيرة ، لأننى يجب أن أستمرو وأن أتمسك بقرارى ولا أعدل عنه إلا عند تحقيق مطالبى ، وهكذا أشعر أنه لا تزال أمامى الآام والآام ومعارك تلو معارك ، والله المستعان .

ومن العجيب أنه قد غائى أن أذكر فى مذكره اليوم السابق أن بغتاشاً من مصلحة السجن ، وهو اللواء نريد شكرى قد جاء الى السجن للبحث فى أمر هذه الشكوى التي تقدمت بها منذ أكثر من أسبوعين ضد مدير السجن ، وقد تطور الموقف الى مصلحتى بصفة عامة حتى لقد وصل الأمر الى حد تهديد مدير السجن بالاستقالة ، وكان أخذ ورد وشد وجذب ، وتداخل الشبائط لاصلاح ذات البين بينى وبين المأمور ، الذى كنت قد عفتته بشدة لمام المنشى ، وقد اتزعج مأمور السجن ، لأن المنشى لم ينصفه فى زعمه . لقد أبديت استعدادى - بعد أن أبلغت مأمور

السجن — أن استرضيه بكل ما يرضيه ، فليست أحب أن أزعج
أحدًا أو أسبب لأحد أي ألم لا ضرورة له .

وقد طرب كل من في السجن لما أصاب المأسور ، ولكنني
حزنت ، فليست أحب أن انتصر في هذه المعارك الجزئية قدر
ما أطمح إلى الانتصار في المعركة الكبرى ، وهذا ما جعلني أنسى
هذه الواقعة على ضآلتها وانشغال السجن بها ، فلم أكتبها بمجرد
وقوعها في مذكرتي يوم الخميس ، ولا في يوم الجمعة ، ولم أذكرها
إلا اليوم فقط ، فرأيت أن أشير إليها باختصار .

مساء الإثنين ٧ يوليو ١٩٥٢

هناذا من جديد أقف على أبواب الغد ، ما الذي يخبئه لي
هذا الغد ؟ في مثل هذه الساعة من مساء الغد بعد أن أكون قد
رجعت من المحكمة ، وأصدرت قرارها ماذا سيكون شعوري ،
ماذا سيكون موثقي ؟! أنا اليوم أهدأ ما أكون . هذا الهدوء الذي
يسبق العاصفة .. سأذهب غداً لتلائي روح النضال لتأجيل
القضية ، وقد أعددت الجزء الأكبر من مراعاة قانونية في ضرورة
ضم أوراق وتحقيقات وتضايًا قبل الشروع في نظر الدعوى ..
الله وحده هو الذي يعلم .

ما أعمق أسرار الكون .. ما أبعد الإنسان عن الإحاطة
بالحوادث الكبرى في حياته ما عليه إلا أن يعمل ، وأن يؤمل وأن
ينتظر .

وهناذا أنتظر .. أنتظر النصر والفرج .

الساعة الرابعة بعد الظهر

يوم الثلاثاء ٨ يوليو سنة ١٩٥٢

انا قادم الآن من المحكمة ، قضى الأمر ، ورفضت المحكمة ضم الأوراق التي يجب ان تضفيها ، وأجلت القضية لليوم التالي — اى للغد — وذلك بعد ان ترامعت طويلا ، وبينت للمحكمة ضرورة هذا الضم لتستقيم العدالة .

ولذلك فقد وقعت الواقعة ، وقد كتبت الآن للحاكم العسكري ولرئيس المحكمة العسكرية اتنى بضرب عن الطعام حتى الموت ، لو ان تحول القضية الى محكمة عادية .. وسأبدأ منذ الآن هذا الاضراب ، وفي هذه اللحظة اتجه الى الله عز وجل ان يأخذ بيدي ، وأن يقويني وأن ينصرتني في هذه المعركة باحدى الحسنيين .

الأربعاء ٩ يوليو سنة ١٩٥٢

وبدأت عملية الاضراب عن تناول الطعام ، كما اكدت بالأمس ، وانا اليوم في اليوم التالي ، ولم اذهب الى المحكمة بطبيعة الحال ، وقد رفضت الكلام مع من أرادوا الكلام معي من الضباط . لا شك عندي أن وقع ذلك عند المحكمة سيكون هو الغضب على واستحرض المحكمة على اظهار غضبها بسرعة السير في الإجراءات ، ولكني لا اشعر بشيء من التردد أو الخوف ، بل ان كل ساعة تضي تزيد في عزمي ، فليكن الله معي .. عليه توكلت واليه انيب .

بعد الظهر

تطورت الأمور — كما كنت اتوقع — تطوراً عنيفاً ، فقد انسحبت هيئة الدفاع عني ، وهم الأستاذة : محمد عزمي ،

وعبد المجيد نالغ ، ومحمد مصفور ، ومحمد الحناوي ، واحمد
كاهل قطب ، ومحمد طاهر الخشاب ، وابراهيم عبيد النبي ،
وابراهيم الشواربي .

وقد استدمت المحكية الظاهر حسن احمد المحلبى المنتدب ،
وقررت السر في نظر القضية بالرغم من كل شيء ، وقد بدأت
تسمع شهادة شهود الإثبات فسمعت اقوال عبد الله فكري اباطلة ،
ثم اجلت القضية لبلكر ، وقد زارنى الظاهر حسن احمد في
السجن ، وقد اوصيته على عمل اللازم ، ولست اعرف هل سيقى
بوعده ام لا ، والغد هو الذى سيكشف عن موقفه .

كيفما كان الامر ، فكل شيء يدل على اننا وصلنا الى قمة
الخطر ، فالمحكية أصبحت تعتبر الامر غلا شخصياً ضدى ، وقد
حرضتها النيابة على وعلى المحلبين ، فاصدرت حكماً بالفرابة
وقدرها خمسون جنيناً على جميع المحلبين .

وفي وسط هذه الثورة العاتية بدأت اسوا الانكار تعلودنى ،
فالحكم قد يسدر وقد يصدر بالثشق ، ولكن هذا لا يخيفنى ،
ولا يزيدنى الا عزة واصراراً على المضى في طريقى متمسكاً بسلاح
واحد ، وهو أمل فى ربى وخالى .

الجمعة ١١ يوليو ١٩٥٢

اليوم هو رابع الايام في اضرابى وكالعادة لا يزال بقدرتى ان
اجلس وكتب .

لا تزال الائمة في اوجها فالمحكية مانسية في طريقها وقد بدأت
تسمع الشهود ، وعلى ذلك فأتى ازداد اصراراً على طريقى وسبيلى .
لقد بلغ السخف بالحكية ان انتدبت بعض سفار المحلبين ليتولوا

الدفاع عنى وهم لم يقرأوا دوسيه القضية ولا يمكن أن يقرأوه فهو أربعة آلاف صفحة . وهكذا تحكم المحكمة بإمراتها .

وقد زارنى بالسجن بالأمس وأول أمس الظاهر حين أحد المحامى الأول المنتدب عنى وهو يشعرنى بأنه سيقوم بالواجب وسيعمل على تأجيل القضية ، ولكنى اتفقت معه على حصر غتى اعرفه من قديم وأعرف أنه ناعم اللمس ويضئ دائماً بخلاف ما يظهر ، وقد رشح نفسه ضدى فى الانتخابات لكرهت أساليه ولست أعرف ماذا سيكون موقفه الآن . . ولكنى أسلم لمرىفة .

السبت ١٢ يوليو ١٩٥٢

هذا خامس أيام الاضراب ولقد أمضيت بالأمس ليلة سيئة لم يرنى فيها النوم الا غرراً ورحت أنتقلب ذات اليمين وذات الشمال فلم أكن أجد الراحة على أى وجه من الأوجه ولعلنى أكون قد نمت بعض الوقت على فترات متقطعة ولكن أحسبى كان يصور لى أن النوم لا يعرف سبيله الى جفنى .

وقد صح ما توقعته من أن الجميع سيضربون عرض الحائط بأضرابى فلم يد له أى صدق أو اهتمام ولكنى سأبضى . . ؛ سأبضى غير متردد أياً كانت الآلام التى سأحتملها ، إيا كانت الأضرار الصحية التى ستعرض لها . لقد قلت ان قضيتى يجب ان تنظر أمام محكمة عادلية او ان أوصل الاضراب حتى الموت وانى مضر على ذلك الا أن تحدث تطورات ليست فى الحسبان .

وذكرت الصحف ان النيابة استبعدت من وصف التهمة المادة (٨) الخاصة بالاتفاق الجنائى وعند المحامى المنتدب الظاهر حسن أهد ليل فى ان نستطيع ان نحيل النيابة والمحكمة على استبعاد المادة ٢٥٧ الخاصة بحكم الاعدام وطلب منى وعداً ان هذه المادة

إذا رغبت أن احضر المحاكمة ، ولما كنت أعرف أن هذا الأمل في حكم المستحيل فقد وعدته . .

الأحد ١٢ يوليو ١٩٥٢

ذروة المحنة اكتب وأنا راقد على ظهري . كانت هنا زوجتي والدكتور حليم ومصطفى ابني وقد اصروا على أن اطلع عن الاضراب اذ لا جدوى منه فالمحاكمة ماضية في طريقها وقد بدأت اليوم تسمع الشهود وهم يرون أن أحداً لن يهتم بي وقت الضر بصحتي بل قد أموت وهو ما يتناء خصومي جميعاً .

ولكن ذلك كله لا يزيدني الا اصراراً فان ايماني بربي كبير وعميق وأنا واثق أنه سينجذني قبل فوات الوقت فان لم يفعل فتكون حكيمته قد اقتضت ذلك .

لقد تعبت كثيراً وبالليل لم يفض لي جفن الا في الصباح ولو اشتدت هذه الحالة فلست اعرف كيف ساحتلها ، ولكني أتصور أن هذه الآلام لن تثبت أن تخف تبعاً لضعف الجسد العام .

اننى ماض في طريقى وحسبى الله ونعم الوكيل .

الاثنين ١٤ يوليو ١٩٥٢

اليوم هو سادس أيام الاضراب ويبدو لي أن حالتي من حيث الآلام أو المتاعب العامة الجسدية ليست أكثر من الأمس ان لم تكن أقل وقد يرجع هذا الى ما أتصوره من اعتياد الجسم ، أو الهبوط الذي يجعل الاحساس في أضعف صورته . اكتب الآن وأنا راقد على ظهري .

زارني بالأمس في ساعة متأخرة على غير العادة الظاهر
حسن أحد وأظلمني على مجريات الجلسة ، وقد طالعتها بالتفصيل
اليوم في الصحف وهي كأسوأ ما تكون . شهد ضدي ونيق بدر
وجلال لطفى وقال عبد المجيد عبد الحق أقوالا سخيفة ، والكلمة
الوحيدة الطيبة التي قالها وهي قوله : ان الإنجليز هم الذين حرقوا
مدينة القاهرة وهذه الكلمة لم تنشرها الصحف ، وعلى هذا فقد
بذت صحف اليوم في أسوأ ما تكون ، وكل ذلك لا يزيدني سوى
عزم واصرار على المضي في طريقي وليكن ما يكون .

أصبح من الواضح ان حكومة سرى لا تفكر في إلغاء الأحكام
العرفية وهي بالتالي لن تقيم لحالتي وزنا والمحكمة لا تقيم وزنا ،
والرأي العام لا يعرف من أمرى شيئا فانا اشرب في أسوأ الظروف
.. ولكن الإيمان الذي في قلبي هو الذي يدفعني وهو الذي يزيدني
عزما واصرارا فليعمل الله بي ما يشاء .

الثلاثاء ١٥ يوليو ١٩٥٢

تطور الموقف من سيئه الى أسوأ المحكة باضية في
اجراءاتها بكل سرعة وبالأمس التي عبد الفتاح حسن قتيبة اذ
زعم أنني قبضت نقوداً من المصاريف السرية وقد طبقت الجرائد
لذلك وزهرت وضمنت ضغطاً شديداً على هذه النقطة وهذا أسوأ
ما قيل في المحكمة حتى الآن .

وقيل ان الجميع يرون ذهابي الى المحكمة لكي ادافع عن
نفسى ولكنى مصمم ان أمضى حتى النهاية .

ان كل ما أخشاه ان يحدث حادث من ناحية قوة احتسابي
الجسدية تجعلني أهمل فما لم يحدث هذا فأتى سوف أمضى ..
سوف أمضى حتى النهاية .

لقد أوشكت على التعب بالأمس ليلا ولكنى بعد قليل بدلت موضع نومي ونصت النافذة فاستطعت أن أتأم وأن أتأم جيدا بل وخطبت خطبا سعيدا ، لقد خطبت فيها أذكر أن الأمور المعاكسة لى قد انقلبت الى النقيض وأن الذم قد انقلب مدحا وأن الأحران قد انقلبت امراحا . . ولعل هذا يسور كيف كان نومي سعيدا لأول مرة .

ومادمت استطيع أن أتأم وأن أحتمل فسوف امضى .

ان زوجتى المسكينة التى زارتنى اليوم تبنى ولكنى لا استطيع أن افعل من أجلها شيئا ، أنهم يقولون ان احدا لا يهتم بى ولن يحرك احد ساكنا من أجلى وهذا وحده كاف لكى لزداد اصرارا .

لقد خدمت بلادى ثلاثين عاما ولقد وهبت الشعب كل شىء فاذا كان ذلك كله لا يعلمون الآن على اعطشى محاكمة عادلة فليس هناك ما يربطنى بهذه الحياة . وثمة زاوية أخرى انظر للموضوع منها . لم يكن لى فى كل حياتى من معين غير الله فهو وحده الذى يعلم حسن طوبى واخلاصى وهو وحده الذى أخرجنى دائما من الضيق وأنا أنتظر هذه المرة أيضا أن يخرجنى من الضيق فاذا لم يفعل لسبب يعلمه فليس هناك ما أبكى عليه فى هذه الدنيا أو يربطنى بها .

يوم الأربعاء ١٦ يوليو ١٩٥٢

اليوم هو ثلثين أيام الاضراب وزارنى الدكتور اليوم فقبين ان وزنى ٦١ كيلو وقد كان عند بدء الاضراب ٦٩ كيلو أى اننى نقصت ثمانية كيلو فى هذه الثمانية أيام . وكان وزنى عند دخولى سجن الاستئناف ٧٧ كيلو أى اننى نقصت ١٦ كيلو ، لا شك ان حسالتى

بدأت تتدهور ومع ذلك فقد استطعت أن أتمام بالأمس جيداً وهو
بما أحمده الله عليه .

تأجلت القضية لمدة أسبوع وقررت المحكمة ضم بعض الأوراق
التي كنت قد طلبتها وقد شهد أباها محمد الطوبان بأن البوليس
السياسي هو الذي حمله على تطبيق شهادته .

ظن « الظاهر » وظنت المحكمة أنني سأعادل عن موافقي
ولكن هيهات لقد قررت وليس أمامي إلا المضي والله ولي .

يوم الخميس ١٧ يوليو ١٩٥٢

تساع أيام الاضراب واني متعب لا أستطيع أن أكتب شيئاً ،
زارتني زوجتي والدكتور حلمي وحاولا اثباتي عن الاضراب فلم
يفلحوا وازددت اسراراً ، وجاء محام منتدب ليزورني فرفضت .

يوم الجمعة ١٨ يوليو ١٩٥٢

عاشر أيام الاضراب .. اتالم الما مادياً ومعنوياً .. إذ تبر
على الأيام في ظلام دامس ... ليس من يسأل أو يهتم .. تكتب
التقارير الطبية التي تدل على سوء الحال ولكن لا تحرك لدى
المسؤولين ساكناً . وكل أملي هو في الله .

يوم السبت ١٩ يوليو ١٩٥٢

حادي عشر أيام الاضراب تزداد آلامي . زارني الاستاذ
محمد عصفور فلم أتكلم من الحديث معه . وزارني بالليلة رفيم
أنهى الظاهر حسن أحمد ولم ارد عليه سوى بكلمة واحدة وهي
الإيترافع عنى وأن ينسحب .

يوم الأحد ٢٠ يوليو ١٩٥٢

ثاني عشر أيام الاضراب . سوف اتحدث عن حالتى الصحية
وشعورى وآلامى اذا قدر لى أن أخرج من هذا الاضراب .

نشأ فى نفسى شعور غامض فطحت العقدة التى فى نفسى ..
لم اعد أجد غضاضة فى أن اطلع عن الاضراب .. ولكن ما هو
السييل الى ذلك .. السبيل بطريقة تخرجنى منصوراً .

ولأول مرة قبلت فى الليل أن اتناول نقطاً من الكورامين لتقوية
القلب وقطعة صغير من السكر .

يوم الاثنين ٢١ يوليو ١٩٥٢

بدأت حالتى لا تطلق وانى اصرخ طوال الليل أن يأخذ الله
بناصرى . جوفى يحترق .

استيقظت فى الصباح لأسمع نياً غريباً ، لقد استقبلت وزارة
حسين سرى . التى لم تؤلف الا منذ أسبوعين فقط .

وقد انعشنى النبا الى حد ما وبدأت اتملق به تعلق الغريق
بالقشة .

زارتنى زوجتى والدكتور حطيم وقد قصا على أن سبب
استقالة حسين سرى هو أزمة خاصة بالجيش فقد أصدر الملك
أمره بانغلاق نادى الضباط وأمر الضباط على فتحه .

كان الدكتور حطيم متحمساً وكان يلح على أن اطلع عن
الاضراب ولقد طمأنتها لأول مرة وأنها انما ان العقدة التى فى نفسى
زالت واتى على استعداد للعدول اذا تأجلت القضية .

اليوم الخامس عشر من الاضراب .. أصبحت نفسي تنزعني

يوم الثلاثاء ٢٢ يوليو ١٩٥٢

للمدول عن الاضراب ولكنني لا اعرف السبيل .

توجنت بالهلاكي يؤلف الوزارة من جديد وعودة مرتضى المراشي

وسلطان حافظ عفيفي .

جعلني ذلك في حالة سيئة جداً وعدت الى تشبثي بالاضراب
وحاول الأطباء بعد ان راوا سوء حالتي أن يقضوني بالوسائل
الصناعية فتشاجرت مع الجميع وطلبت من المرضين ان يتأدروا
الحجرة وان يلقوا على الباب وقد بلت بالغيظ . وعاونني
الاصرار على مواصلة الاضراب ولذلك فلن اتناول نقط الكورامين
هذا المساء . وليكن الله في عونى .

ان كل ما يحيط به يدعو الى اليأس ولكني انظر دائماً الى
السماء وأهتف بالقادر ان يخلصني وأن يخرجني مما أنا فيه
من ضيق .

في المساء :

طلعت في الصحف اقوال شهود النبي وهم على ماهر وانجلر
جلاد وجلال ندا وعلى الغاياتي مرضيت بعض الرضا لشهادة على
الغاياتي التي تفيض اخلاصاً ووفاء ، وشهادة جلال ندا الذي شهد
بكل ما كنت اتبني ان يشهد به . أما على ماهر فقد صدمني صدمة
شديدة بشهادته الملتوية والتي حاول بها ان ينكر معرفتي بأكثر مما
يعرف بعض أبناء شمال افريقيا او أبناء السودان .. ان على
ماهر منافع عظيم فلا حول ولا قوة الا بالله .

يوم الأربعاء ٢٢ يوليو ١٩٥٢

بفرج الله ويا قوة الله يا هذه الأخبار التي فوجئت بها في الصباح . انها رسالة الهبة .. انها لفنة ربانية تسيح بي ايها النائم قم فقد نظر الله لآلامك وسبح لنصرعائك .. ها هو يظهر قدرته ، ها هو يضرب .. يضرب بشدة على يد هؤلاء الطغاة الذين ظنوا انهم آلهة في الأرض .

فتحت عيني فلذا بي اسمع من الموظفين حديثاً يدل على ان شيئاً ما يجرى .. ثم قصوا علي انباء مبشرة .. انباء لا تكاد تصدق ولكنها حقائق ، ان الجيش قد تلم بحركة واحتل مدينة القساحرة واذاع اللواء محمد نجيب نداء في الاذاعة يعلن فيه بوصفه القائد العام للقوات المسلحة انه قد قام بعملية تطهير في الجيش . وكان ذلك يدل على ان شيئاً خطيراً سيقع .

واعلمت حالة الطوارئ في السجن ولم يخرج المسجونون الى الجلسة .. وهكذا وقع الحادث الذي كنت اتصور دائماً امكان حدوثه ، ان تؤجل القضية بعمل بلدى .. كان يمرض احد الاعضاء في المحكمة او ان يصاب بحادث .. كنت اترقب من الله من لحظة لآخرى ان يحدث شيء من ذلك .

ولكن لم يدر بقلدى ابداً ان يقع انقلاب ليكون هو سبب التأجيل .

وكانت حالتى الصحية قد وصلت الى اسوأ حالاتها ، هبط ضغط الدم الى ٧٠/٩٠ وهى علامة جعلت الدكتور في نزاع ، ويختلف الاطباء على أن اغذى ولو بالقوة .. وكانت هذه التطورات تد جعلتنى مستعداً للمعدل عملاً عن الاضراب ، ولكنى في انتظار

ما يحدث في القضية ، فقد توامل الحكمة النظر فيها حتى في غياب جميع المتهمين .

ونجاة دخل على الدكتور حليس مراد وزوجتي وكانها هبطا على من السماء فقد كان آخر ما أنكر فيه إمكان أن يزوراني في هذا اليوم العصيب . وسألت عن القضية لفتيل أنها تأجلت أسبوعاً وكان هذا هو آخر ما أريد لكي أعدل عن أضرابي وبدأت أستمع الى تفاصيل ما يجري في الخارج وكيف احتل الجيش الداخلية والحدود والاذاعة وهو يربط في الطرقات وأنا بمسدد انقلاب شامل .

ولو كان باستطاعتي لسجدت لله شكراً ولكن قلبي كان يسجد وروحي كانت تسبح وتهلل بحمده . . انه شعاع من النور جديد يضيء لي الظلمات ويقوى في معنويتي .

وتناولت كوباً من الشاي وشربت وكان ذلك أشبه بالقنبلة . لقد سرى البشر والفرح في وجوه الجميع أطباء وممرضين وسجانين وأقيل الجميع يهتفون . . ويغفرونني بدعواتهم .

يوم الخميس ٢٤ يوليو سنة ١٩٥٢

انقشع الغبار وبدأت معالم المعركة التي جرت بالأمس تتجلى بكل تفاصيلها ونتائجها .

هاتذا أجلس من جديد على فراشي لأكتب هذه المذكرات منذ يوم ١٧ حتى اليوم .

نجحت حركة الجيش نجاحاً كاملاً ورائعاً . سقطت وزارة نجيب الهلالي وتألقت وزارة على ماهر بناء على طلب الجيش .

الجيش الآن هو سيد الموقف هو الذي طرد حيدر وعسك محمد نجيب تائداً عاماً للقوات المسلحة وقد صغر لبر الملك بتعيينه .

هزيمة النصر ساحقة ليس فقط في هذه الأونة . بل وفي المستقبل فقد كان الجيش هو آخر خطوط الدفاع وقد انهيار الآن هذا الخط .

لقد أعلن قائد الجيش الجديد انه سيكون في خدمة الدستور وفي الجيش سيكون جيش الشعب لم يشر الى الملك من قرب أو بعد .

لا يمكن أن يسلم الملك بهذه السهولة . . على كل حال لقد أجنى رأسه هذه المرة للعاصفة ودعى على ماهر لتأليف الوزارة .

المستقبل مليء بالاحتمالات التي لا اول لها ولا آخر كل الذي أرجوه الآن من الله سبحانه أن يجعل هذا التطوير الجديد نقطة تحول في قضيتي .

عجيب امر على ماهر . . خاطبته في التليفون يوم ٢٤ يناير ودعوته لأن يكون رئيساً للحكومة فأصبح رئيساً لها في ٢٨ يناير ، وكان يشهد في قضيتي في يوم ٢٢ يوليو وفي يوم ٢٤ يوليو كان رئيساً للوزارة . . انه لا يمكن أن يفكر في ذلك بطبيعة الحال .

انتى استقبله في وزارته في كثير من التحفظ لبتد عليمتي الالام والايام أن التحفظ .

والى اشعر اليوم بكثير من التحفظ وسأجعل كل هـى منذ الآن متجها نحو القضية .

فليكن الله في عونى .

الجمعة ٢٥ يوليو سنة ١٩٥٢

الله أكبر .. الله أكبر ، الى أى طريق نحن سائرون .. ماذا
اعد لى الله فى مكتون عليه . ايكون هذا الذى حدث هو الفصل
الثام قم فقد نظر الله لآلامك وسبح لتضرعاتك .. ها هو يظهر
أم أن الساعة لم تحن بعد ..

لقد نمت بالأمس لأول مرة منذ ثلاثة أسابيع تقريباً نوماً
عيقاً حتى أتى لم أصل الفجر لأول مرة فى وقته ، ولم أسمع
الأذان بل لم أسمع أجراس السجن ، وهى تدق ، وعندما فتحت
عينى كان نور النهار يغير المكان فصليت لله .. ودعوته وهو
القاهر .. دعوته وهو الذى أطمئنى بعد أن أجاجنى وأتابنى بعد
أن أسهرنى وشغلتى بعد أن أسقننى .. دعوته وهو الذى يردنى
الى الحياة .. الى الأمل .. دعوته وهو الذى أحدث هذه الأحداث
وقلب هذه الانقلابات .

وجاءت الصحف وكانت تحوى أجمل خبر طالعته منذ بدأ
الانقلاب كانت تحوى نبأ اعتقال أحمد طلعت وأبراهيم إمام
والجزار ، هؤلاء الذين لفقوا ضدى وعاشوا طموالى عبرهم على
الكيد لى وهم يتدرجون فى الرتب على حسابى ، جاء الوقت الذى
اعتقلوا فيه .. جاء الوقت الذى أحسوا فيه بلذعة الخوف والرعب
وهم يساقون الى الاعتقال .

وإذاع عنهم محمد نجيب بلاغاً أرى من حقه أن أثبته بنصه :
الى شعب وادى النيل ..

بعد أن تم بحمد الله للقوات المسلحة اقرار الأوضاع والأمن
العلم فى العاصمة نبي الينا من أوثق المصادر أن بعض ضباط

القلم السياسي والقسم المخصوص بوزارة الداخلية يأخرون على
الاخلاق بالامن العام - الذي تضامنا مع هيئات البوليس بحاقظة
عليه - ما دعانا لتقبض على الاتين بعد :

اللواء عبد المنصف محمود وكيل وزارة الداخلية .

اللواء احمد بك طلعت حكمدار العاصمة .

اللواء محمد ابراهيم امام رئيس القسم المخصوص .

البكباشي محمد الجزائر من القسم المخصوص .

البكباشي محمد الجزائر من القسم المخصوص .

ثم تحدث البيان بعد ذلك الى الشعب ، واذا علمت ان
ابراهيم امام وان الجزائر بالذات هما اللذان عبلا على تفتيق هذه
القضية ضدى اندركت بمقدار رحمة ربي .. بمقدار النور الذي
برسله الى حياتي .. يارب .. يارب اجعل ذلك بدء الخير ..
اجعل ذلك بدء الفرج .. اجعل ذلك بدء النصر .

يا انا الا عبدك . انت وحدك تعلم من انسا .. ماذا في
جواني .. انت وحدك الذي تقدر صدق طويبي ونواياي ..

السبت ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢

في كل يوم نيا كثير ، في كل يوم نيا خطير ، في كل يوم وفي
كل ساعة وفي كل دقيقة اسجد لله العلى التقدير ان جعلني اعيش
حتى ارى تحقق الاحلام .

استفقال بالامس الياس اندراوس وانطونيو بوللي وخطمي
حسين ويوسف رشاد وحسن علكفا وكل هذه الطبقة من حاشية

الملك ، وإن هي الا لحظات حتى كانوا يعتقلون ، وهكذا ما حوكت عليه بالأمس على أنه جريمة عيب كبرى في حق الملك قد أصبح هو فضيلة اليوم .

لقد حكم على بالخبيس سنة ونصف لهجوم على هذا النفر وتلقيبهم بالمصابة والمناذاة بتطهير البلاد منهم وما هم يستقبلون وما هم يقبض عليهم ناهي أكبر الله أكبر الله أكبر .

وقيل أن حانظ عفيش قد استقال وقيل استقاله ... وهذا خير أذيع أكثر من مرة ثم اتضح أنه سابق لأوانه ولا جدال أن حانظ عفيش في طريقه إلى الاستقالة ، وضم إلى المعتقلين من رجال القسم السياسي محمد يوسف ، وهؤلاء الثلاثة محمد يوسف والجزار وإبراهيم سالم هم أمتخاب التقارير الثلاثة في قضيتي .

واعتقل مصطفى أمين وعلى أمين وكان آخر العهد بهما محاولتهما استغلال الزوال غلبه الفتحا حسن عسلي فشرروا في الصفحة الأولى أن عبد الفتاح حسن توجه إلى اتهامها خطرا .

لم افرح لا اعتقالها ولم اخزن وان كنت اعتقد أن الشعب في منتهى الفرح لا اعتقالها .

وأمرج عن الأستاذ فتحي رهنوان ويوسف حليى وكنت اعتبر أن استمرار اعتقال فتحي رضوان هو مقبلين لاستمرار سياسة القصر وخروجها يدل على أن القصر على الأمل في هذه اللحظات لم يعد له وجود .

ان الشعب فرح جدا بهذا الانقلاب وسعيد به وكمادة المصريين لا يبرنون سوى التعبير بالكلام ، ولذلك فإن هذه الموجة

من الفرج والحمامسة لمحمد نجيب لن تغيبه شسيتا اذا بدأت
العناصر المسدة تتحرك ضده .

وليس هناك ما أخشاه الآن على حركة محمد نجيب أكثر من
خشيتي من على ماهر شخصيا فهو رجل من رجالات القصر ومن
رجالات الطبقة الحاكمة ، ولذلك سيكون هو المعول الذي يهدم
حركة الجيش بالتفريغ ، انه يقابل الآن رجال الأحزاب ويحدث
من جمع الصفوف ، والصفوف عنده هي هيكل وأبراهيم
عبد الهادي والوند ، وهي ذات الدموة السجة التي طالما تحدثت
عنها ، الصفوف عند على ماهر ليست صفوف الشعب ولكنها
صفوف الباشوات والكبراء وما دامت هذه عقليته نائني في خوف
منه على هذه النهضة المباركة .

مدت الآن الى تناول الغذاء وما خرجت من حالة الاضراب
في مرة من المرات الا وأحسست بمقدار الهوة التي كنت قد انحدرت
اليها ، فانا الآن في حالة شديدة من الضعف لا اتوى على الحركة
الا بصعوبة وبالرغم من انني انقضى منذ أربعة أيام فلازلت
اذهب الى دورة المياه محبولا على مقعد متحرك ، ولقد حلقت ثقتي
فانزعني منظرى بعد الحلاقة ، لقد وجدت وجهي أشبه الأشياء
بالكاريكاتور فيه فجوات نتوءات من العظام . وسأعمل أن شاء الله
على الذهاب الى جلسة يوم ٣٠ نفسى أن أسترد بعض قوتى قبل
هذا التاريخ .

انا الآن شديد الثقة . . أريد أن أواجه القضية بأى صورة
من الصور .

ولست أستطيع أن أتخيل كيف ستضي الأمور في الجلسة
المبلة . والأمور تتطور هذه التطورات الحادة .

منتصف ليل ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢

الراديو يدوي على البعد بأنباء لم يكن هناك عقل يتصورها منذ ساعات قتال .. الملك فاروق يتنازل عن العرش لولي العهد الطفل أحمد فؤاد الثاني .. لقد اتنى الخبر منذ نصف ساعة بأن حمد نجيب يخطب في الراديو وهو غاضب حائق والشعب يهتف فليستقل الملك حمد الشعب ، وكان هذا عجيبا من أعجب العجيب .. وبعد قليل جاء محدثي وهو منتفل ويصبح لقد تنازل الملك عن العرش .. وعلى الرغم من ضخامة هذا الخبر فلم يحرك في نفسى ساكنا .. انه ككل الأنباء الضخمة جدا يقابلها الإنسان بسكينة ، ومضيت اطالع في احدى القصص كان لم يحدث شيء .. ولكن صوت الراديو ارتفع حتى تخطى جدران السجن وبدأت أسمع نيا تنازل الملك وصوت فاروق وهو يعلن ذلك وعلى ما هو وهو يعقب .. وأذن فالأمر جد .

وما كان يبدو مستحيلا منذ ساعات قد أصبح حقيقة ، قررة ، هكذا تطورت الأمور في أقل من خمسة أيام من حركة صغيرة محلية في الجيش إلى حركة واسعة شاملة أدت إلى نزول الملك عن العرش .

وفي هذه اللحظات .. ترى هل تذكر بصبر اتنى رهين السجن الآن متهما بهذه التهم الخطيرة لأننى كنت أول من تحدى سيد الملك فاروق .. هل يذكر الشعب أن الاشتراكية هي التى هُذكت سقار هذا الملك المستهتر وتحذته حتى انتهى الأمر بانتلامه ؟

أن ناروق نفسه لن ينسى ذلك ما عاش .. وكل بطانته قد
أعلمته أن أحمد حسين هو الذي كاد له ولذلك فقد أتاه على
بكله .

والآن ماذا سيكون مصيرى .. ما هو مصير قضيتى ؟ إن
ذلك هو الذى يشغل بالى .. وما جدوى كل هذه الأحداث إذا لم
تفقه بوضع حد لسجنى وانهاى .. ومرة أخرى انجى منى
بارب .. أنت وحدك الذى تعلم من أنا وأين يمكنى من هذه
الحوادث .. فما تكلمت إلا بقوتك وما كتبت إلا بضعفك وبانصرفت
إلا بقدرتك ..

فأما وقد وصلت الأمور إلى هذا الحد فاتم نعمتك على
وانتقضى .. خلصنى .. وأخرجنى من هذه الغمة برفوع الرأس
بمؤنور الكرامة كما فؤدتنى دائما ..

يوم الأحد ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢

يا قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتزعج الملك من
تشاء وتعزى من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء
قدير .

هكذا راح المقرئ يرتل بصوت جميل هذه الآية في هذا
الصباح والدموع تتحدر من عيني وتلبس بلنىء بالمعاطف ، أتمنا
ليست آية ترتل انها تصف: هذا الانقلاب الذى تم بالأمس والذى
أصبح اليوم حقيقة .

نزل ناروق عن العرش .. وبالإسنى يارح بصر إلى إيطاليا
فلاهر حق .. حق .. يا سبحان الله العظيم .. يا سبحان الله

التقدير .. هل كان هناك انسان يجرؤ على تصور امكان حدوث ذلك منذ اسبوع واحد فقط والملك ناروق هو ذروة السلطان والطغيان والجبروت ؟

ولكن ناروق ذهب .. ولكن ناروق رحل ورحلت معه الملكية في مصر الى الأبد .. حقا لا يزال هناك ملك وهو هذا الطفل فؤاد الثاني ولكن من الذي سيقوم له وزنا .. من الذي سيحافظ له على الملك .. ان الكلمة اليوم هي للشعب ، ان الامة بمصر السلطان ، السيادة اليوم هي للشعب .. وهو ما جاعدت من اجله ، وتمنيت من اجله وحسبت من اجله .. واتهمت هذا الاتهام من اجله ..

لقد انتصر كفاي .. لقد تحققت نبوءاتي .. ولكني لم اكن أتصور أن النهاية تأتي بهذه السرعة وبهذه البساطة وبهذه التناعة ، لقد انتزع ناروق الذي كان يظن أنه كالطود .. انتزع في بضع ساعات ولم تتحرك في مصر كلها قطرة واحدة لتدافع عنه .. كل من في مصر انقلب ضده وخنذله .. حراسه .. حاشيته اقباعه .. لقد وجد ناروق نفسه وقيدا ولم يفد الا أن يفتق نفسه ويقتل جلده وهذا هو ما وضع فيه همه في آخر لحظة شأن كل جبارين وعديد .

واليوم سوف تنجر كل قري مصر وحيويتها .. واليوم يسكر الشعب بخمر الانتصار .. ولكن ماذا سيجد في المستقبل ؟ ماذا سيجري ؟ يقع كل ذلك غلظه عند الله .

ونحن .. أين مكاننا وسط هذه الأحداث .. نحن الذين مهدنا لها وحرصنا عليها ودفعنا أول المصريين ثمنها من حريتنا وسلامتنا .. ما الذي ينتظرننا ..

لست أشعر بذرة من القلق بالله الذي أحدث هذا الذي حدث
هو الذي سيخرجنا بسلام ، هو الذي سيخرجنا فائزين .

ولأول مرة تلقيت تحية من بعض الزملاء من خارج السجن
تحية الدكتور زيتون ، وطالعت في الصحف اشارة الى تذكرة قدمها
الحزب الاشتراكي الى محمد نجيب بعد الانقلاب .. اني لقد بدأ
أخواننا يشعرون بوجودهم .. لتأويل خيرا .. لنسجد له
شكرا .. لنبتهل الى الله .. لنبتهل الى الله .

صدر في هذه السلسلة

- ١ - مصطفى كامل في مضخة التاريخ *
د- عبد العظيم رمضان ، ط١
١٩٨٧ ، ط٢ ، ١٩٩٤ .
- ٢ - علي ماهر ،
رشوان محمود جاب آث ،
١٩٨٧ .
- ٣ - ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحلیم عامر
١٩٨٧ .
- ٤ - التيارات الفكرية في عصر
العاصرة ،
د- محمد إسمان جلال ،
١٩٨٧ .
- ٥ - غارات أوروبا على الشواطئ
المصرية في العصور الوسطى
د- علية عبد السمیع
الجنزوری ، ١٩٨٧ .
- ٦ - هؤلاء الرجال من مصر جا ،
لمی الطیعی ، ١٩٨٧ .
- ٧ - صلاح الدين الأيوبي *
د- عبد النعم ماجد ،
١٩٨٧ .
- ٨ - رؤية الجبرتي لأزمة الحياة
الفكرية *
د- علي بركات ، ١٩٨٧ .
- ٩ - صفحات مطوية من تاريخ
الزعيم مصطفى كامل *
د- محمد أنیس ، ١٩٨٧ .
- ١٠ - توفيق دياب ملحمة الصحافة
الحزبية *
محمود فوزی ، ١٩٨٧ .
- ١١ - مائة شخصية مصرية
وشخصية *
شكري القاضی ، ١٩٨٧ .
- ١٢ - هدى شعراوي وعصر
الكتوير *
د- نبيل راتب ، ١٩٨٨ .
- ١٣ - الكفوية الاستعمار المصري
للسودان : رؤية تاريخية *
د- عبد العظيم رمضان ، ط ١
١٩٨٨ ، ط ٢ ، ١٩٩٤ .
- ١٤ - مصر في عصر الولاة ، من
الفتح العربي الي قيام الدولة
الطولونية *
د- سيدة اسماعيل كاشف ،
١٩٨٨ .
- ١٥ - المستشرقون والتاريخ
الإسلامي *
د- علي حسني الخريوطي ،
١٩٨٨ .

- ١٦ - أصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعي في مصر : دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ - ١٩٥٢) .
 د . حلمي احمد شلبي ، ١٩٨٨ .
- ١٧ - القضاء الشرعي في مصر في العصر العثماني .
 د . محمد نور فرحات ، ١٩٨٨ .
- ١٨ - الجوارى في مجتمع القاهرة الملوكية .
 د . علي السيد محمود ، ١٩٨٨ .
- ١٩ - مصر القديمة وأصحة توحيد القطرين .
 د . احمد محمود صابون ، ١٩٨٨ .
- ٢٠ - دراسات في وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمي .
 د . محمد تيس ، ١٩٨٨ .
- ٢١ - التصوف في مصر ايسان العصر العثماني ج١ .
 د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨ .
- ٢٢ - نظرات في تاريخ مصر .
 جمال بدوي ، ١٩٨٨ .
- ٢٣ - التصوف في مصر ايسان العصر العثماني ج٢ ، امام التصوف في مصر : الشعرائي .
 د . توفيق الطويل ، ١٩٨٨ .
- ٢٤ - الصحافة الوضعية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٢٦) .
 د . نجوى كامل ، ١٩٨٩ .
- ٢٥ - المجتمع الاسلامي والغرب .
 تأليف : هاملتون جب وهارولد برونين .
 ترجمة : د . احمد عبدالرحيم مصطفى ، ١٩٨٩ .
- ٢٦ - تاريخ الفكر التربوي في مصر الحديثة .
 د . سيد اسماعيل عل ، ١٩٨٩ .
- ٢٧ - فتح العرب لمصر ج١ .
 تأليف ألفريد ج بقر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، ١٩٨٩ .
- ٢٨ - فتح العرب لمصر ج٢ .
 تأليف : ألفريد ج . بدار ، ترجمة : محمد فريد ابوحديد ، ١٩٨٩ .
- ٢٩ - مصر في عهد الاخشيديين .
 د . سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩ .

٢٧ - الشيخ علي يوسف وجريدة
المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية
في ربيع قرن
تأليف : د. سليمان صالح ،
١٩٩٠ .

٢٨ - فصول من تاريخ مصر
الاقتصادي والاجتماعي في
العصر العثماني
د. عبد الرحيم عبد الرحمن
عبد الرحيم ، ١٩٩٠ .

٢٩ - قصة احتلال محمد علي
لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧)
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠ .

٤٠ - الاسلحة الفاسدة ودورها في
حرب فلسطين ١٩٤٨
د. عبد النعم النمرسي
الجمعي ، ١٩٩٠ .

٤١ - محمد فريد : الموقف
والاساءة ، رؤية صرية
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١ .

٤٢ - تكوين مصر عبر العصور
محمد طهيق شربال ، ط٢ ،
١٩٩٠ .

٤٣ - رحلة في عقول صربية
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠ .

٤٤ - الاوقات والحياة الاقتصادية
في مصر ، في العصر
العثماني
د. محمد طهيق ، ١٩٩١ .

٣٠ - المؤلفون في مصر في عهد
محمد علي
د. حلمي أحمد شلبي ،
١٩٨٠ .

٣١ - خمسون شخصية مصرية
والشخصية
شكري الفاضل ، ١٩٨٩ .

٣٢ - هؤلاء الرجال من مصر ج٢ ،
لمس الطهسي ، ١٩٨٩ .

٣٣ - مصر وقضايا الجنوب
الافريقي : نظرة علي
الانوضاع الراهنة ورؤية
مستقبلية
د. خالد محمود الكومسي ،
١٩٨٩ .

٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية
المغربية ، منذ مطلع العصور
الجديدة حتى عام ١٩١٢
د. يونان نجيب رزق ،
محمد مزين ، ١٩٩٠ .

٣٥ - اعلام الموسيقى المصرية عبر
١٥٠ سنة
عبد الحميد توفيق زكـ ،
١٩٩٠ .

٣٦ - المجتمع الاسلامي والغرب
ج٢
تأليف : هاملتون يوبين ،
ترجمة : د. احمد عبد الرحيم
مصطفى ، ١٩٩٠ .

٥٢ - مصر في كتابات الرحالة
والقناصل الفرنسيين في
القرن الثامن عشر *
د. الهام محمد علي زهنى ،
١٩٩٢ .

٥٣ - أربعة مؤرخين وأربعة
مؤلفات من دولة المماليك
الجراسية *
د. محمد كمال الدين
عز الدين على ، ١٩٩٢ .

٥٤ - الأقباط في مصر في العصر
العثماني *
د. سيد عيسى ، ١٩٩٢ .

٥٥ - الحروب الصليبية ج٢ *
تأليف : ولیم الصوری ترجمة
وتعليق : د. حسن حبشى ،
١٩٩٢ .

٥٦ - المجتمع الريفي في عصر
محمد علي : دراسة عن
إقليم المنوفية *
د. حلمي أحمد شلبي ،
١٩٩٢ .

٥٧ - مصر الإسلامية وأهل الذمة
د. سيدة اسماعيل كاشف ،
١٩٩٢ .

٥٨ - أحمد حلمي سجين الحرية
والصناعة *
د. إبراهيم عبد الله السلسي
١٩٩٢ .

٥٩ - الحروب الصليبية ج١ *
تأليف : ولیم الصوری ،
ترجمة وتقديم : د. حسن
حبشى ، ١٩٩١ .

٤٦ - تاريخ العلاقات المصرية
الأمريكية (١٩٣٩: ١٩٥٧)
ترجمة : د. عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩١ .

٤٧ - تاريخ القضاء المصري
الحديث *
د. لطيفة محمد سالم ،
١٩٩١ .

٤٨ - الفلاح المصري بين العصر
القبلي والعصر الإسلامي *
د. زبيدة عطا ، ١٩٩١ .

٤٩ - العلاقات المصرية
الإسرائيلية (١٩٤٨-١٩٧٩) ،
د. عبد العظيم رمضان ،
١٩٩٢ .

٥٠ - الصحافة المصرية والقضايا
الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) *
د. سهير أسكندر ، ١٩٩٢ .

٥١ - تاريخ المدارس في عصر
الإسماعلية *
(أبحاث الندوة التي أقامتها
لجنة التاريخ والإثنار
بالمجلس الأعلى للثقافة ،
في أبريل ١٩٩١) *
أعدتها للنشر : د. عبدالعظيم
رمضان ، ١٩٩٢ .

- ٥٩ - الرأسمالية الصناعية في مصر ، من التمهيد إلى التأميم (١٩٥٧ - ١٩٦١) .
 د. عبد السلام عبد العظيم عامر ، ١٩٩٢ .
- ٦٠ - المعاصرون من رواة الموسيقى العربية ،
 عبد الحميد توفيق زكي .
 ١٩٩٢ .
- ٦١ - تاريخ الإسكندرية في العصر الحديث .
 د. عبد العظيم رمضان ،
 ١٩٩٢ .
- ٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر
 ٣٢ .
 نعي الطيبي ، ١٩٩٢ .
- ٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الإسلامية .
 تأليف : د. سيده اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسعيد عبد الفتاح عاشور ، أعدما للنشر :
 د. عبد العظيم رمضان ،
 ١٩٩٢ .
- ٦٤ - مصر وحقوق الإنسان ،
 بين الحليقة والافتراء : دراسة وثائقية .
 د. محمد نعمان جلال ،
 ١٩٩٢ .
- ٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ - ١٩١٧)
 د. سهام نصار ، ١٩٩٢ .
- ٦٦ - المرأة في مصر في العصر الفاطمي .
 د. نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٢ .
- ٦٧ - مساهم السلام العربية الإسرائيلية : الأصول التاريخية .
 (أبحاث الندوة التي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالجلس العمل للثقافة ،
 بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، في أبريل ١٩٩٢) ،
 أعدما للنشر د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢ .
- ٦٨ - الحروب الصليبية ٣ .
 تأليف : ولیم الصوري
 ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ١٩٩٢ .
- ٦٩ - نبوية موسى ونورها في الحياة المصرية (١٨٨٦ - ١٩٢١) .
 د. محمد أبو الأسعد ،
 ١٩٩٢ .
- ٧٠ - أهل الذمة في الإسلام .
 تأليف : أ. س. ترمون ،
 ترجمة وتعليق : د. حسن حبشي ، ط٢ ، ١٩٩٤ .

٧٧ - الحروب الصليبية ج١ .
تأليف : ولیم الصوری ،
ترجمة وتعليق : د. حسن
حبشي ، ١٩٩٤ .

٧٨ - تاريخ الصحافة المسكونية
(١٨٧٣ - ١٨٩٩)
نعمات أحمد عثمان، ١٩٩٥ .

٧٩ - تاريخ الطرق الصوفية في
مصر ، في القرن التاسع
عشر .
تأليف : فريد دي يونج ،
ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٥ .

٨٠ - قناة السويس والتنافس
الإستعماري الأوروبي (١٨٨٢ -
١٩٠٤)
د. السيد حسين جلال ،
١٩٩٥ .

٨١ - تاريخ الميامة والصحافة
المصرية من هزيمة يونيو التي
تصر أكتوبر .
د. رمزي ميخائيل ، ١٩٩٥ .

٨٢ - مصر في فجر الإسلام ، من
الفتح العربي الى قيام الدولة
الطولونية .
د. سيدة اسماعيل كاشف ،
ط ٢ ، ١٩٩٤ .

٨٣ - مذكراتي في نصف قرن جا
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ،
١٩٩٤ .

٧٦ - مذكرات اللورد كليبرن
(١٩٣٤ - ١٩٤٦)
إعداد : تريفور أيلفانز ،
ترجمة : د. عبد الرؤوف
أحمد عمرو ، ١٩٩٤ .

٧٢ - رؤية الرحالة المسلمين
للأحوال المالية والاقتصادية
في العصر الفاطمي (٣٥٨ -
٥٦٧ هـ)
د. أمينة أحمد أمام ،
١٩٩٤ .

٧٣ - تاريخ جامعة القاهرة .
د. رؤوف عباس حامد ،
١٩٩٤ .

٧٤ - تاريخ الطب والصيدلة
المصرية ، ج١ ، في العصر
الفرعوني .
د. سمير يحيى الجمال ،
١٩٩٤ .

٧٥ - أهل الذمة في مصر ، في
العصر الفاطمي الأول .
د. سلام شافعي محمود ،
١٩٩٥ .

٧٦ - دور التنظيم المصري في
النضال الوطني (زمن
الاحتلال البريطاني)
د. سعيد اسماعيل علي ،
١٩٩٥ .

- ٨٤ - مذكراتي في نصف قرن ج ٢
القسم الأول
احمد شفيق باشا ، ط ٢ ،
١٩٩٥ .
- ٨٥ - تاريخ الإزاحة المصرية :
دراسة تاريخية (١٩٣٤ -
١٩٥٢) .
د . حلمي أحمد شفيق ،
١٩٩٥ .
- ٨٦ - تاريخ التجارة المصرية في
عصر الحرية الاقتصادية
(١٨٤٠ - ١٩١٤) .
د . أحمد الشربيني ،
١٩٩٥ .
- ٨٧ - مذكرات اللورد كليتون ،
ج ٢ ، (١٩٣٤ - ١٩٤٦) .
اعداد : تريفور ايفانز ،
ترجمة وتحقيق : عبدالرؤف
احمد عمرو ، ١٩٩٥ .
- ٨٨ - التذوق الموسيقي وتاريخ
الموسيقى المصرية .
عبد الحميد توفيق زكي ،
١٩٩٥ .
- ٨٩ - تاريخ الموائيم المصرية في
العصر العثماني .
د . عبد الحميد حامد سليمان
١٩٩٥ .
- ٩٠ - معاملة غير المسلمين في
الدولة الإسلامية .
د . نوريان عبد الكريم احمد
١٩٩٦ .
- ٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق
الأوسط .
تأليف : بيكر مانسفيلد ،
ترجمة : عبد الحميد فهمي
الجمال ، ١٩٩٦ .
- ٩٢ - الصحافة الوطنية والقضايا
الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦) .
ج ٢ ، د . نجوى كامل ،
١٩٩٦ .
- ٩٣ - قضايا عربية في البرلمان
المصري (١٩٢٤ - ١٩٥٨) .
د . نبيه بيومي عبد الله ،
١٩٩٦ .
- ٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا
الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤) .
د . سهير اسكندر ، ١٩٩٦ .
- ٩٥ - مصر والريفية الجذور التاريخية
للمشكلات الأفريقية المعاصرة
(أعمال ندوة لجنة التاريخ
والأثار بالجلس الأمل للثقافة
بالاشتراك مع معهد البحوث
والدراسات الأفريقية بجامعة
القاهرة) .
اعداد : د . عبد العظيم رمضان

- ٩٦ - عيد التناصر والحرب العربية
البارزة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)
بتأليف : مانكولم كير . ترجمة
د. عبد الرؤوف أحمد عمرو .
- ٩٧ - العربيان وثورهم في المجتمع
العصري في النصف الأول من
القرن التاسع عشر .
د. إيمان محمد عبد المنعم عامر .
- ٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية .
د. محمد سعيد محمد .
- ٩٩ - تاريخ الطب والصيدية المصرية
(العصر اليوناني - الروماني)
ج ٢ .
د. سحر يحيى الجمال .
- ١٠٠ - موسوعة تاريخ عصر غير
الصور : تاريخ عصر القديرة
أ.د. عبد العزيز صالح
أ.د. جمال مختار ، أ.د. محمد
إبراهيم بكر ، أ.د. إبراهيم
نصحي ، أ.د. فاروق القاضي ،
أ.د.عالمشتر : أ.د. عبد العظيم
رضان .
- ١٠١ - ثورة يوليو والعقيدة القومية .
الفداء / مصطفى عبد المجيد نصير ،
الفداء / عبد الجيود كفاوي
الفداء / محمد عبد الحفيظ .
السفير / جمال منصور .
- ١٠٢ - القظم جريمة الاحتلال البريطاني
في مصر ١٨٨٩ - ١٩٥٢ .
د. تيسير أبو هرجة .
- ١٠٣ - رؤية الجبرتي لبعض قضاياها
عصره .
د. علي بركات .
- ١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين في مصر
(١٩١٤ - ١٩٥٢)
د.فاطمة علم الدين عبد الواحد .
- ١٠٥ - السلطة السياسية في مصر
والمسألة الديمقراطية ١٨٥٥ -
١٩٨٧ .
د. أحمد فارسي عبد المنعم .
- ١٠٦ - الشيخ علي يوسف وجريته
الثوية (تاريخ الحركة الوطنية
في ربع قرن) .
د. سليمان صالح .
- ١٠٧ - الأصولية الإسلامية .
تأليف : دليپ هيرق : ترجمة :
عبد الحفيظ فهمي الجمال .
- ١٠٨ - مصر للمصريين ج ٤ .
سليم النفاش .
- ١٠٩ - مصر للمصريين ج ٥ .
سليم النفاش .
- ١١٠ - عصافرة الأملاك في الثورة
الإسلامية (عصر سلاطين المماليك)
ج ١ .
د. البيومي اسماعيل الشربيني .
- ١١١ - عصافرة الأملاك في الثورة
الإسلامية (عصر سلاطين المماليك)
ج ٢ .
د. البيومي اسماعيل الشربيني .

- ١١٢ - اسماعيل باشا صفاي .
 د - محمد محمد الجبرائي .
- ١١٣ - الزبير باشا ودوره في السودان
 (في عصر الحكم المصري) .
 د - عز الدين اسماعيل .
- ١١٤ - دراسات في تاريخ مصر
 الاجتماعي .
 تأليف احمد رشدي صالح .
- ١١٥ - مذكراتي في نصف قرن ج ٢ .
 احمد شفيق باشا .
- ١١٦ - ادب اسحق (عاشق الخرية) .
 علاء الدين وحيد .
- ١١٧ - تاريخ القضاء في مصر المتعاقبة
 (١٥١٧ - ١٧٩٨) .
 عبد الرزاق ابراهيم عيسى .
- ١١٨ - النظم الالمانية في مصر والشام
 د - اليونس اسماعيل التبريتي .
- ١١٩ - الثغرات في مصر الرومانية
 حسين محمد احمد يوسف .
- ١٢٠ - يوميات عن التاريخ المصري
 الحديث .
 لويس جرجس .
- ١٢١ - الجلاء ووجدة وادي النيل
 (١٩٤٥ - ١٩٥٤) .
 د - محمد عبد السيد الحناوي .
- ١٢٢ - مصر للمصريين ج ٦ .
 سليم خليل البقاشي .
- ١٢٣ - السيد احمد الينوي .
 د - سعيد عبد الفتاح عاشور .
- ١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية في
 نصف قرن .
 د - محمد نعمان جلال .
- ١٢٥ - مصر للمصريين ج ٧ .
 سليم خليل البقاشي .
- ١٢٦ - مصر للمصريين ج ٨ .
 سليم خليل البقاشي .
- ١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية
 السورية (١٩٤٢ - ١٩٥٨) .
 ابراهيم محمد محمد ابراهيم .
- ١٢٨ - معارك صقلية .
 بقلم / جمال بندي .
- ١٢٩ - الدين العام (وآثاره في تطور
 الدين المصري) (١٨٧٦ -
 ١٩٤٢) .
 د - يحيى محمد محمود .
- ١٣٠ - تاريخ نقابات الفنانين في
 مصر (١٩٨٧ - ١٩٩٧) .
 سمير فريد .
- ١٣١ - الولايات المتحدة ولورة يولية
 ١٩٥٢ .
- تربية / د - عبد الرؤوف احمد
 عمرو .
- ١٣٢ - دار الكتاب السماوي في مصر
 ج ١ .
 د - هاجفة محمد حمود .

١٤٠ - سياسة مصر في البحر الأحمر
في النصف الأول من القرن
التاسع عشر ١٢٢٦ - ١٢٦٥ هـ /
١٨١١ - ١٨٤٨ م .
طارق عبد العاطى شيم بيومى .

١٤١ - وسائل الترفيه في عصر سلاطين
المماليك .
لطفي أحمد نصار .

١٤٢ - مذكراتي في نصف قرن ج ٢
أحمد شليق باشا ط ٢ . ١٩٩٩

١٤٣ - دبلوماسية البطالة في القرنين
الثاني والأول ق م .
د- منيرة محمد الهنشري .

١٤٤ - اكتشاف مصر الأفريقية في عهد
القديس إسحاق .
د- عبد المليم خلاف .

١٤٥ - النظام الإدارى والاقتصادى في
مصر في عهد فلاديميرس (٢٨٤) -
٣٠٥ م) .
د- منيرة محمد الهنشري .

١٤٦ - المرأة في مصر المملوكية .
د- أحمد عبد الرازق .

١٤٧ - حسن البنا حتى .. كيف
ولماذا ؟
د- رفعت السيد .

١٤٨ - دار النوب السامى في مصر
ج ٢
د- ماجدة محمد حور .

١٤٩ - العجلة الفرنسية على مصر في
فسو، مخطوط عثمانى
للدارنىل .
بشلم / عزت حسن أفندى
الدارنىل ترجمة / جمال
سعيد عبد الفنى .

١٥٠ - اليهود في مصر المملوكية
(في فسو، ولاق الجيزة)،
(٦٤٨ - ٩٢٢ هـ / ١٢٥٠ -
١٥١٧) د- محاسن محمد الوفاة

١٥١ - أوراق يوسف صديق .
تقديم / د-١ عبد العظيم
رمضان .

١٥٢ - تجار التوابل في مصر في
العصر المملوكى .
د- محمد عبد الفنى الأشقر .

١٥٣ - الاخوان المسلمون وجنود
التطرف الدينى والازهباب في
مصر .
السيد يوسف .

١٥٤ - موسوعة الفناء المصرى في
القرن العشرين .
بشلم محمد قابيل

- ١٤٨ - القديس فرانس والاميس كنيسة
الاسكندرية .
تأليف / د. سمير فوزي .
ترجمة / نسيم مجبل .
- ١٤٩ - العلاقات المصرية العجائرية في
القرن الثامن عشر .
حسام محمد عبد العلى .
- ١٥٠ - تاريخ الموسيقى المصرية
(أصولها وتطورها) .
د. سمير يحيى الجمال .
- ١٥١ - جمال الدين الأفغانى والثورة
الشاملة .
السيد يوسف .
- ١٥٢ - الطبقات الشعبية في القاهرة
المملوكية (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ /
١٢٥٠ - ١٥١٧ م) .
د. محاسن محمد الوفاة .
- ١٥٣ - الحروب الصليبية (المقدمات
السياسية) .
د. عليا عبد السميع الجيزورى
- ١٥٤ - هجمات الروم البحرية على
شواطئ مصر الإسلامية في
العصور الوسطى .
د. عليا عبد السميع الجيزورى
- ١٥٥ - عصر محمد على ونهضة مصر
في القرن التاسع عشر .
(١٨٠٥ - ١٨٨٢ م) .
د. عبد الحيد الطربق .
- ١٥٦ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية
في العصر الإسلامى .
الجزء الثالث .
د. سمير يحيى الجمال .
- ١٥٧ - تاريخ الطب والصيدلة المصرية
في العصر الإسلامى والحديث .
الجزء الرابع .
د. سمير يحيى الجمال .
- ١٥٨ - نائب السلطنة المملوكية في
مصر (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ /
١٢٥٠ - ١٥١٧ م) .
د. محمد عبد العلى الألفى
- ١٥٩ - حروب الواسط (١٩٣٦ -
١٩٥٢) الجزء الأول .
د. محمد فريد حشيش .
- ١٦٠ - حروب الواسط (١٩٣٦ -
١٩٥٢) الجزء الثانى .
د. محمد فريد حشيش .
- ١٦١ - السيف والتار في السودان .
تأليف / سلطان باشا .
- ١٦٢ - السياسة المصرية تجاه السودان
(١٩٣٦ - ١٩٥٢ م) .
د. تمام حيام تمام .
- ١٦٣ - مصر والعملية الفرنسية .
المستشار / محمد سعيد العشماوى

- ١٧١ - تاريخ الجالية الأرمنية في مصر
القرن التاسع عشر .
تأليف / محمد رفعت .
- ١٧٢ - تاريخ أهل اللغة في مصر
الإسلامية (من الفتح العربي
إلى نهاية العصر الفاطمي)
الجزء الأول .
تأليف / فاطمة مصطفى عامر .
- ١٧٣ - تاريخ أهل اللغة في مصر
الإسلامية (من الفتح العربي
إلى نهاية العصر الفاطمي)
الجزء الثاني .
تأليف / فاطمة مصطفى عامر .
- ١٧٤ - مصر والبيبا فيما بين القرن
السادس والقرن الرابع ق.م .
د. أحمد عبد الحليم دراز .
- ١٧٥ - معمد توفيق نسيم باشا وهوره
في الحياة السياسية .
عادل ابراهيم الطويل .
- ١٧٦ - الملاحاة المولوية في مصر
العثمانية (١٥١٧ - ١٧٩٨ م)
د. عبد الحميد حامد سليمان .
- ١٧٧ - سياسة مصر العسكرية ازا
حروب الشرق الأوسط .
لواء دكتور / صلاح سالم .
- ١٧٨ - العلاقات التجارية بين مصر
وبلاد الشام الكبرى في القرن
الثامن عشر .
د. سحر علي حنفي .
- ١٧٩ - الحدود المصرية السودانية عبر
التاريخ (أعمال ندوة لجنة
التاريخ والآثار بالجلس الأعل
للثقافة) بالاشتراك مع معهد
البحوث والدراسات الأفريقية
بجامعة القاهرة . ٢٠ - ٢١
ديسمبر ١٩٩٧ .
اعداد / د. عبد العظيم رمضان
- ١٨٥ - التعليم والتطير الاجتماعي في
مصر (في القرن التاسع عشر)
سامي سليمان محمد السهم .
- ١٨٦ - مذكرة متعل سياسي (صيغة
من تاريخ مصر) .
السيد يوسف .
- ١٨٧ - الحركة العلمية والأدبية في
الفسطاط منذ الفتح العربي إلى
نهاية المولة الاخشيدية .
د. صفى عل محمد عبد الله .
- ١٨٨ - مؤرخون مصريون من مصر
الموسوعات .
يسرى عبد الفتى .
- ١٨٩ - مدن مصر الصناعية في العصر
الإسلامي إلى نهاية الفاطميين
(٢١ - ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ -
١١٧١ م) .
د. صفى عل محمد عبد الله .
- ١٩٠ - القرية المصرية في عصر سلاطين
المماليك (٦٤٨ - ٩٢٢ هـ /
١٢٥٠ - ١٥١٧ م) .
محمد عبد الرشيد بحر .

١٨٧ - نيابة حلب في عصر
سلاطين المماليك (١٢٥٠ -
١٥١٧م / ٦٤٨ - ٥٩٢٢)

ج ١

د - عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٨ - نيابة حلب في عصر
سلاطين المماليك (١٢٥٠ -
١٥١٧م / ٦٤٨ - ٥٩٢٢)

ج ٢

د - عادل عبد الحافظ حمزة

١٨٩ - يهود مصر منذ عصر
القراعتة حتى عام ٢٠٠٠م
عرفه عبده علي

١٩٠ - العلاقات السياسية بين
مصر والعراق (١٩٥٩ -
١٩٦٣ م)

د - عبد الحميد عبد الجليل
احمد شلبي

١٩١ - اليهود في مصر العثمانية
حتى اوائل القرن التاسع
عشر ج ١

د - محسن علي شومان

١٩٢ - اليهود في مصر العثمانية
حتى اوائل القرن التاسع
عشر ج ٢

د - محسن علي شومان

١٩٣ - الامام محمد عبده (بين
النهج الديني والنهج
الاجتماعي)

د - عيد الله شحاته

١٧٩ - دور الحماية العثمانية في
تاريخ مصر (١٥٦٤ - ١٦٠٩ م)
د - عفاف محمد السيد العبد -

١٨٠ - الحقيقة التاريخية حول قرار
تأسيس شركة قناة السويس -
بقلم / د - عبد العظيم رمضان

١٨١ - العرب الصليبية الثالثة
(صلاح الدين وريتشارد ج ١)
ترجمة وتحقيق وتعليق /
د - حسن حيشي -

١٨٢ - العرب الصليبية الثالثة
(صلاح الدين وريتشارد ج ٢)
ترجمة وتحقيق وتعليق /
د - حسن حيشي -

١٨٣ - شاهد على العصر -
مذكرات محمد اطفى جبعة -

١٨٤ - التولية في القرن الثامن
عشر -
ياسر عبد التيم محاريق -

١٨٥ - تاريخ مدينة الخرطوم تحت
الحكم المصري -
د - احمد احمد سيد احمد -

١٨٦ - العقائد الدينية في مصر
الاسلامية (بين الاسلام
والتصوف)

د - احمد هبيعي منصور

- ١٩٤ - تاريخ الآلات الموسيقية الشعبية المصرية •
د. فتحى الصنقاوى •
- ١٩٥ - مجتمع الفريشيا فى عصر الولاة
د. نوريان عبدالكريم أحمد
- ١٩٦ - تاريخ تطور الري فى مصر (١٨٨٢ - ١٩١٤ م)
عبد العظيم محمد سموى
- ١٩٧ - القمص الخالدة •
د. عبد الحميد زايد
- ١٩٨ - العلاقات السياسية بين الدولة الأيوبية والإمبراطورية الرومانية المقدسة زمن الحروب الصليبية •
د. عادل عبد الحافظ حمزة
- ١٩٩ - العهد فى الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية •
د. بهاء الدين إبراهيم •
- ٢٠٠ - تاريخ مداخل مصر الشعبية عهد العصور (أعمال الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب - جامعة الإسكندرية من ٢٢ - ٢٣ أبريل ١٩٩٨) أعداد / د. عبد العظيم رمضان
- ٢٠١ - أمانة الحج فى مصر العثمانية (١٩٢٣-١٩٢٤ هـ / ١٥١٧ - ١٩٢٨ م)
سميرة فهسى على عمر
- ٢٠٢ - المندوبون العثمانيون فى مصر
د. ماجدة محمد حمود •
- ٢٠٣ - الصراع الدولى على عدن والنور المصرى
فتحى إبراهيم طالب •
- ٢٠٤ - العلاقات الاقتصادية بين مصر وبريطانيا (١٩٢٥ - ١٩٤٥ م)
مرات صبحى شالى
- ٢٠٥ - تاريخ القرية وأعمالها فى العصر الإسلامى (٢١ - ٥٦٧ هـ / ٦٤٢ - ١١٧١ م)
السيد محمد أحمد عطا •
- ٢٠٦ - مصر للمصريين ج ٩
سليم خليل النقاش
- ٢٠٧ - الظاهر بيبرس •
د. سعيد عبدالفتاح عاشور
- ٢٠٨ - الدور المصرى والعربى فى حرب تحرير الكويت ج ٤
سواء / د. كمال أحمد عامر •

٢١٦ - الرأسمالية الأجنبية في
مصر (١٩٣٧ - ١٩٥٧)
ج ١
د - فرغلي تسن فريدي -

٢١٧ - العيب في الذات الكلية
(١٨٨٢ - ١٩٥٢)
د - سيد عثمانوي

٢١٨ - اقليم الغربية في عصر
الأيوبيين والمماليك (١٢٧ -
١٩٢٢ هـ / ١١٧٦ - ١٢٥١ م)
د - السيد محمد احمد عطا

٢١٩ - ثورة ١٩١٩ في ضوء
مذكرات سعد زغلول
(١٩٥٢ - ١٩٦١)
د - عبد العظيم رمضان

٢٢٠ - التلخيصات السياسية
لثورة يوليو
د - حمادة حسني احمد
محمد

٢٢١ - حرب النهر
وتستون نثرشل -
ترجمة عز الدين مسعود

٢٢٢ - مصر الخالدة (مقامة في
تاريخ مصر الفرعونية منذ
الدم العمور حتى عام
٢٢٢ ق م الجزء الاول
د - عبد الحميد زايد

٢٠٩ - الدور المصري والعربي في
حرب تحرير الكويت ج ٢
لسواء/د - كمال احمد عامر

٢١٠ - قبرص والحروب الصليبية
د - سعيد عبدالفتاح عاشور

٢١١ - امانة الرها الصليبية
د - عليا عبد المسيح
الجنزوري

٢١٢ - العامة في مصر في العصر
الايوبي (١٢٧ - ١٢٤٨ هـ /
١١٧٦ - ١٢٥٠ م)
شليى ابراهيم الجميدى

٢١٣ - الازمات الاقتصادية في
مصر في العصر المملوكي
والرها السياسي
والاقتصادي والاجتماعي
(٦٤٨ - ١٢٥٠ هـ / ١٢٥١ م)
عثمان علي محمد عطا

٢١٤ - الثغور البرية الاسلامية
على حدود الدولة البيزنطية
في العصور الوسطى
د - عليه عبد المسيح
الجنزوري -

٢١٥ - الفتح الإسلامي لمدينة
كابل (٥٢١ / ٦٥١ م)
د - اصلاح عبد الحميد
ريحان -

- ٢٢٠ - تاريخ الجيش المصري في
عصور ما قبل التاريخ
د. عز الدين اسماعيل
احمد
- ٢٢١ - الغوام في عصر منذ الفتح
العثماني حتى أوائل
القرن ١٩
د. سمير عبد القصور
السيد
- ٢٢٢ - الراسمالية الأجنبية في
مصر ج ٢
فرغلي علي تسيه هريدي
- ٢٢٣ - العليم التاريخي في مصر
محمود قاسم
- ٢٢٤ - العلاقات المصرية الاثيوبية
ج ٢
د. انتونسي سيوريال
عبد السيد
- ٢٢٥ - العلاقات المصرية الاثيوبية
ج ٢
د. انتونسي سيوريال
عبد السيد
- ٢٢٦ - مصر والمصريين فيما بين
القرنين السادس عشر
والثامن ق^م
د. احمد محمد عبد العظيم
دراز
- ٢٢٧ - مصر الخالدة (مقنعة في
تاريخ مصر الفرعونية منذ
القم العصور حتى عام
٢٢٢ ق^م الجزء الثاني
د. عبد الحميد زايد
- ٢٢٨ - الدور الوطني للتعبئة المصرية
عبر العصور
(اعمال ندوة التاريخ
والاثار بالمجلس الاعلى
للثقافة)
اعداد وتقديم
١- د. عبد العظيم رمضان -
- ٢٢٩ - مصر ودول حوض النيل
د. سيد محمد موسى حمد
- ٢٣٠ - السيطرة في حفر قنات
المويص
د. عبد العزيز محمد
الشناوي
- ٢٣١ - العلاقات المصرية العثمانية
على عهد الاحتلال
البريطاني (١٨٨٢ -
١٩١٤)
امل محمود فهمي
- ٢٣٢ - تاريخ العالم الاسلامي
الجزء الاول
د. حسن حبشي
- ٢٣٣ - ذيل وليم الصوري
ترجمة د. حسن حبشي

٢٤٤ - المغاربة والأندلسيون في

مصر الإسلامية من عصر
الولاة حتى نهاية العصر
الفاطمي

ج ١ الدراسة التمهيدية

د أحمد عبد اللطيف حنفي
محمد

٢٤٥ - المغاربة والأندلسيون في

مصر الإسلامية من عصر
الولاة حتى نهاية العصر
الفاطمي

ج ٢ الدراسة الحضارية

د أحمد عبد اللطيف حنفي
محمد

٢٤٦ - حرب الاستنزاف ج ١

عبد مياشر-اسلام توفيق

٢٤٧ - حرب الاستنزاف ج ٢

عبد مياشر-اسلام توفيق

٢٤٨ - عبد الرحمن الكواكبي والد

القومية العربية وشهيد
الحرية
السيد يوسف

٢٤٩ - معاهدة ١٩٣٦ ج ١

العلاقات المصرية البريطانية
د محمد فريد هشيش

٢٢٧ - حكومة مصر عبر الصور

(أعمال لجنة التاريخ
والأنثار بالجلس الأعلى
للتشفاة من ٢٢ الى ٢٣
ابريل)

اعداد/ د عبد العظيم
رمضان

٢٢٨ - الوليد بن عبد الملك

(٨٦ - ٩٦ هـ / ٧٠٥ - ٧١٥ م)
د سيدة اسماعيل كاشف

٢٢٩ - عبد العزيز بن مروان

د سيدة اسماعيل كاشف

٢٤٠ - هنري كوربيل - الاسطورة

والوجه الآخر
د حسين كفاي

٢٤١ - تجار القاهرة في القرنين

العاشرون عشر والمئتين
عشر

د سليمان محمد حسين

٢٤٢ - عصر محمد علي

دراسة وثائقية
د عبد المنعم ابراهيم
الجمعي

٢٤٣ - محمد حسين هيكل ودوره

في السياسة المصرية
١٨٨٨ - ١٩٥٦
مصطفى الغريب محمد

٢٥٦ - فتاة السويس والاضحاح
الاستعمارية البولية
د السيد حسن جلال

٢٥٧ - النواوين في عصر خلك
العصر الفاطمي
(٣٥٨ - ١٠٦٧ هـ / ١٦٦٩
١١٧١ م)
سير عبد الله سليمان

٢٥٨ - مدينة الاسكندرية
د محمد صبحي عبد الحكيم

٢٥٩ - تاريخ العالم الاسلامي ج٢
د حسن عيسى

٢٦٠ - رواد تاريخ العصور الوسطى
د محمد مؤنس عوش

٢٦١ - الشرق الخالد ج١
د عبد الحميد زايد

٢٦٢ - الشرق الخالد ج٢
د عبد الحميد زايد

٢٦٣ - مذكرات احمد حسين
تأليف احمد حسين

٢٥٠ - معاهدة ١٩٣٦ ج٢
نصوص محاضر المفاوضات
د محمد فريد حديش

٢٥١ - تاريخ الفكر السياسي
والاجتماعي في مصر
الحديثة
(١٨٣٤ - ١٩١٤ م)
د عزت قرني

٢٥٢ - انشاء جامعة الدول العربية
ج١
سفير احمد محمود جمعة

٢٥٣ - انشاء جامعة الدول
العربية ج٢
سفير احمد محمود جمعة

٢٥٤ - انشاء جامعة الدول
العربية ج٣
سفير احمد محمود جمعة

٢٥٥ - العلاقات بين مصر وليتاني
في عهد محمد علي
د مرفت اسعد عطارد

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب. ٢٣٥ الرقم البريدي: ١١٧٩٤ ورس

www.egyptianbook.org

E-mail: info@egyptianbook.org

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٠٦/٢١٦٤٢

يعد أحمد حسين زعيم الحركة الفاشية في مصر،
وقد لعب دوراً مهماً انطلاقاً من هذا الاتجاه في تاريخ
الحركة الوطنية المصرية .

وهذه المذكرات ليست هي المذكرات الأولى التي
كتبها أحمد حسين، فقد سبق له أن كتب عدداً من
الكتب التي تضمنت أطرافاً من حياته من أهمها
«إيماني» ، «من وراء القضبان» وكذلك قصصه الثلاثة
«أزهار» ، «واحترقت القاهرة» ، و«الدكتور خالد» .

وأخيراً يقول الكاتب أن قارئ هذه المذكرات
سيدرك بعض الحقائق التاريخية كما استقرت في
ذهن مواطن عاش في هذا العصر لا كما تصورها
الكتب أو المقالات أو الدراسات .